

القسم الاخير من

كتاب تجار الامم

لأبي علي أحمد بن محمد

المعروف بـ «ميسكون»

مع نخب من تواريخ شتى تتعلق بالامور المذكورة فيه

وقد عتبتني بالنسخ والتقصيح هـ ف آمدروز

الجزء الاول

(يحتوي على حوادث خمس وثلاثين سنة) « من ٢٩٥ الى ٣٢٩ هجرية »

وكان هذا الوضع الجليل والطبع الجميل بمعرفة الفقير الى ربه فرج الله زكي الكردى
بمساعته بشركة التمدن الصناعية بمصر المحمية سنة ١٣٣٢ هـ و ١٩١٤ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ خلافة المقتدر بالله ﴾ (٥٧)

وبويع جعفر بن المعتضد بالله وهو ابن ثلاث عشرة سنة وكنيته أبو الفضل

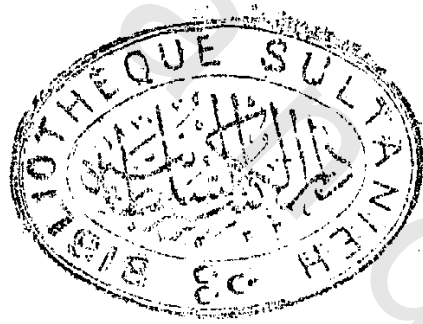
﴿ ذكر ما جرى في ذلك ﴾

لما ثقل المكتفي في علته فكر العباس بن الحسن وهو الوزير فيمن
يقلده الخلافة وترجح رأيه^(١) وكان يركب من داره الى دار السلطان ويسايره
واحد من الاربعة الذين يتولون الدواوين وهم أبو عبد الله محمد بن داود بن
الجراح وأبو الحسن محمد^(٢) بن عبدون وأبو الحسن بن الفرات وأبو الحسن
علي بن عيسى فركب معه محمد بن داود فشاوره العباس فأشار بأبي العباس
عبد الله بن المعتز فقرّظه ووصفه . ثم ركب معه في اليوم الثاني أبو الحسن
علي بن محمد بن الفرات فشاوره فقال له^(٣) هذا شيء ماجرت به عادتي .

(١) يريد لم يستقر رأيه (٢) وردت ترجمته في كتاب ارشاد الارب لياقوت الحموي
٥ : ٢٧٧ (٣) هذه الرواية موجودة في كتاب الوزراء لجلال الصائبي ١١٤ * وأما الوزير فقال
جمال الدين علي بن ظافر في كتابه الدول المنقطعة انه العباس بن الحسن بن احمد بن القاسم
ابن عبد الله بن أيوب من سواد جرجرايا . ذكره الهمداني في عيون السير من تصنيفه

ترجمة الموءلف

(مأخوذة من معجم الأءباء لياقوت)



﴿ ترجمة المؤلف مأخوذة من معجم الادباء لياقوت ﴾

هو أحمد بن محمد^(١) بن مسكويه أبو علي الخازن صاحب التجارب مات فيما ذكره يحيى بن منده في تاسع صفر سنة ٤٢١ قال أبو حيان في كتاب الامتاع وقد ذكر طائفة من متكلمي زمانه ثم قال وأما ابن مسكويه فقثير بين أغنياء وغنى بين أنبياء^(٢) لانه شاذ وانما أعطيته في هذه الايام صفو الشرح لايساغوجى وقاطينغورياس من تصنيف صديقنا بالري قال الوزير ومن هو قلت أبو القاسم الكاتب غلام أبي الحسن العامري وصحبه معى وهو الان لا نثد بان الحمار وربما شاهد أبا سليمان المنطقي وليس له فراغ لكنه مجد في هذا الوقت للحسرة التى لحقته مما فاته من قبل فقال يا عجباً لرجل صحب ابن العميد وأبا الفضل ورأى ما عنده وهذا حفظه قلت قد كان هذا ولكنه كان مشغولاً بطلب الكيمياء مع أبي الطيب الكيمياءى الرازى مملوك المهمة في طلبه والحرص على اصابته مفتونا بكتب أبي زكريا وجابر بن حيان ومع هذا كان اليه خدمة صاحبه في خزانة كتبه هذا مع تقطيع الوقت في الحاجات الضرورية والشهوية والعمر قصير والساعات طائرة والحركات دائمة والفرص بروق تأتلة والاطوار في عرضها تجتمع وتفرق . والنفوس عن قرباتها تذوب ويحترق . ولقد قطن العامرى الري خمس سنين ودرس حاشى وصنف وروى فما أخذ عنه ابن مسكويه كلمة واحدة ولا وعى مسألة

حتى كأنه كان بينه وبينه سد ولقد تجرع على هذا التواني الصاب والعلم
ومضغ لقمة حنظل الندامة في نفسه وسمع بأذنه قوارع الندامة من أصدقائه
حين ما ينفع ذلك كله وبعد هذا فهو ذكي حسن نقي اللفظ وإن بقي عساه
أن يتوسط هذا الحديث وما أرى ذلك مع كلفه بالسكيمياء واتفاق زمانه
وكد بدنه وقلبه في خدمة السلطان واحتراقه في البخل بالدائق والقيراط
والكسرة والخرقة نعوذ بالله من مدح الجود باللسان وإيثار الشح بالفعل
ومحمد^(١) الكريم بالقول ومفارقة العمل . قال أبو منصور^(٢) الثعالبي كان
في الذروة العليا من الفضل والأدب والبلاغة والشعر وكان في ريعان شبابه
متصلاً بابن العميد مختصاً به وفيه يقول

لا يعجبنيك حسن القصر تنزله فضيلة الشمس ليست في منازلها
لو زيدت الشمس في أبراجها مائة ما زاد ذلك شيئاً في فضائلها
ثم تنقلت به أحوال جلييلة في خدمة بني بويه والاختصاص بهاء الدولة
وعظم شأنه وارتفع مقداره فترفع عن خدمة الصاحب ولم ير نفسه دونه ولم
يخل من نوائب الدهر حتى قال ما هو متنازع بينه وبين نفر من الفضلاء
من عذري من حادثات الزمان وجفاء الإخوان والخلاف
قال وله قصيدة في عميد الملك تقنن فيها وهنأه باتفاق الأضحي والمهرجان
في يوم وشكا سوء أثر الهرم وبلوغه إلى أرذل العمر

قل للعميد عميد الملك والأدب أسعد بعيديك عيد الفرس والعرب
هذا يشير بشرب ابن الغمام ضحي وإذا يشير عشياً بانبئة العنب
خلائق خيرت في كل صالحة فلو دعاها لغير الخير لم تجب

(١) لعله تمجيد (٢) أظنه في القسم الثالث من تمة البيتمة

أعدت شرح شباب لست اذكره بعدما وردت على^(١) العمر من كشب
فطاب لي هرمي والموت يلحظني لحظ المريب ولولا أنت لم يطب
فان تمرس لي خصم تعصب لي وان أساء الى الدهر أحسن بي
ومنها

وقد بلغت الى أقصى مدى عمري وكل غربي واستأنست بالنوب
اذا تملأت من غيظ على زمي وجسدتي نافخاً في جذوة اللهب
(ومنها)

وان تمنيت عيش الدهر أجمعه وأن تمنين ما ولى من الحقب
فانظر الى سير القوم الذين مضوا والحظ كتابتهم من باطن السكتب
تجد تفاوتهم في الفضل مختلفاً وان تقاربت الاحوال في النسب
هذا كتاج على رأس يعظمه وذلك كالشعر الجافي على الذنب
قال المؤلف وكان ابن مسكويه مجوسياً وأسلم وكان عارفاً بعلوم الاوائل
معرفة جيدة وله في ذلك كتاب الفوز الاكبر . كتاب الفوز الاصغر .
وصنف كتاب تجارب الامم في التاريخ ابتداءه من بعد الطوفان وانهاؤه
الى سنة ٣٦٩ . وله كتاب أنس الفريد وهو مجموع يتضمن أخباراً وأشعاراً
وحكماً وأمثالاً غير مبوب . وكتاب ترتيب السعادات . وكتاب المستوفي
[وهو] اشعار مختارة . وكتاب الجامع . وكتاب جاوذاً خرد . وكتاب
السير اجاده ذكر فيه مايسير به الرجل نفسه من أمور دنياه مزجه بالآثار
والآلة^(٢) والحكمة والشعر . وللبديع الهمداني الى أبي علي ابن مسكويه
يعتذر من شيء بلغه عنه بعد مودة كانت بينهما^(٣)

(١) لعله ورد (٢) لعله بالآثار والآي (٣) في رسائل الهمداني البيروتية ص ١٥٧

وياعزّ ان واش وشى بي عندكم فلا تمهليه ان تقولى له مهلا
 كما لو وشى واش بعزة عندنا لقلنا تزحزح لا قريباً ولا سهلاً^(١)
 بلغني أطل الله بقاء الشيخ ان قيضة كلب واقته باحاديث لم يعرها
 الحق نوره . ولا الصدق ظهوره . وان الشيخ اذن لها على حجاب^(٢)
 اذنه . وفسح لها فناء ظنه . ومعاذ الله ان أقولها . واستجيز معقولها .
 بلى^(٣) قد كان بيني وبينه عتاب لا ينزع كتفه . ولا يجذب^(٤) انفه . وحديث
 لا يتعدى الى النفس وضميرها . ولا تعرفه^(٥) الشفة وسيرها . وعريدة
 كعريدة أهل الفضل لا تتجاوز الدلال والادلال ووحشة يكشفها^(٦) عتاب
 لحظة . كغناء^(٧) لحظة . فسبحان من ربي هذا الامر حتى صار امراً .
 وتابط شراً . . وأوحش حراً . وأوجب عذراً . بل سبحان من جعلني في
 حين العذر^(٨) اشيم بارقتة . واستحيل صاعقة . وانا المساء اليه . والمجنى
 عليه . والمستخف به . لكن من بلى من الاعداء كما بليت . ورمى من
 الحسدة بما رमित . ووقف من الوجد والوحدة حيث وقفت . واجتمع
 عليه من المكاره ما وصفت . اعتذر مظلوماً . وأحسن ملوماً . وضحك
 مشتوماً . ولو علم الشيخ عدد أبناء الحدد .^(٩) وأولاد العدد . بهذا
 البلد . ممن ليس له همة الا في شكاية أو حكاية أو سعاية أو نكاية لضن
 بعشرة غريب اذا بدر . وبعيد اذا حضر . ولصان مجلسه عمن لا يصونه
 عما رقى اليه . فهبني قلت ما حكى له اليس الشام من أسمع^(١٠) اليس الجاني

(١) رسائل اهلا (٢) رسائل بحال (٣) رسائل بل (٤) رسائل ينزل كتفه

(٥) رسائل يجذف (٦) رسائل تعرف (٧) رسائل لا يكشفها (٨) رسائل كتاب

(٩) رسائل جنب العدو (١٠) في الرسائل الجدد وعند شارح الرسائل انه جمع

جديد : والصواب الحدد بمعنى الباطل (١١) رسائل اسمع الناس

من أبلغ فقد بلغ من كيد هؤلاء القوم أنهم حين صادفوا من الاستاذ نفسا لا تستغفر . وحبلا لا يهز . دسوا اليه حديثه بما حرشوا به نارههم ^(١) ورد عليّ مما قالوه فما لبثت ان قلت

فان يك حرب بين قومي وقومها فاني لها في كل نائبة سلم
فليعلم الشيخ الفاضل ان في كيد الاعداء مني جرة . وان في أولاد
الزنا عندنا كثرة قصارهم نار يشبونها . أو عقرب يديونها . أو مكيدة
يطلبونها . واولا ان العذر اقرار بما قيل . واكره ان استقيل . بسطت في
الاعتذار شاذروانا . ودخلت في الاستقالة ميدانا . لكنه أمر لم أضغ أوله
فلا اتدارك آخره وقد أبى الشيخ أبو محمد الا أن يوصل هذا النثر القار بنظم
مثله فكاهة ^(٢) يلعن بعضه بعضا

مولاي ان عدت ولم ترض لي ان اشرب البارد لم اشرب
امتط خدي وانتعل ناظري وصد بكفي حمة العقرب
بالله ما انطق عن كاذب فيه ^(٣) ولا أبرق عن خلب
فالمصفو بعد السكر المقفري كالصحو بعد ^(٤) المطر الصيب
ان اجتن الغلظة من سيدي فالشوك عند الثمر الطيب
أو تفذ ^(٥) الزور على ناقد فالخمر قد تعصب بالثيب ^(٦)
ولعل الشيخ أبا محمد يقوم من الاعتذار بما قعد عنه القلم والبيان فنعمنا

زائد الفضل هو والسلام

(١) رسائل وشوا الى خدمه بما أرتوا نارههم (٢) رسائلها كه (٣) رسائل فيك
(٤) رسائل عقب (٥) الرسائل ان يفسد لعله أو نفق (٦) قال شارح الرسائل
تطلق الثيب على الخمر اذا خالطها الماء يريد ان الخمر على ما فيها من المزاي لا يضرها
اسم الثيب : وعندي انه يعرض بالمثل العوان لا تعلم الخمرة

وجاء الجواب من أبي علي^(١)

وإذا الواشي أتى يسمي لها تقع الواشي بما جاء يضر
فهمت خطاب الشيخ الفاضل الأديب البارع الذي لو قلت أنه السحر الخلال
والمذب الزلال لنقصته حظه ولم أوفه حقه أما البلاغات التي أومأ إليها فوالله ما أذنت
لها ولا أذنت فيها وما أذهبنى عن هذه الطريقة وأبعدنى عنها وقد نزه الله لسانه
عن الفحشاء وسمعي عن الاصغاء وما يتخذ العدو بينهما مجالا * وأما الآيات
فقد تكلفت الجواب عنها لا مساجلة له ولكن لا بلغ المجهود في قضاء حقه

يا بارعا في الأدب المجتني	منه ضروب الثمر الطيب
لو قلت أن البحر مستغرق	في بحرك الفيض لم أكذب
إذا تبوأتم محلا لما	نزلت إلا منزل الكوكب
أحمدتني الشعر وأعتبتني	فيه ولم أذم ولم أعتب
والعذر يمحو ذنب فعاله	فكيف يمحوه ولم يذنب
أنا الذي آتيتك مستغفرا	من زلة لم تك من مذهبي
وأنت لا تمنع مستوهبا	مالا فهب ذنبا لمستوهب

قال أبو حيان في كتاب الوزيرين فإن ابن العميد اتخذ خزانة مكتبته وأراد أيضاً
أن يقدح ابنه به ولم يكن من^(٢) الصنائع المقصودة والمهمات اللازمة وكان يحتمل
ذلك لبعض العزاة بظله والتظاهر بجاهه * (نسخة وصية أبي علي ابن مسكوبه)

(بسم الله الرحمن الرحيم) هذا ما عاهد عليه أحمد بن

عمر وهو يومئذ آمن في سر به معافي في جسمه عنده قوت يومه لا تدعوه
إلى هذه المعاهدة ضرورة نفس ولا بدن ولا يريد بها مراآة مخلوق ولا

(١) هذا العنوان زدناه ظنا منا أنه سقط من الأصل (٢) لعله عنده

استجلاب منفعة ولا دفع مضرة منهم عاهد على ان يجاهد نفسه و
 أمره فيعف ويشجع ويحكم وعلامة عفوه ان يقتصد في مآرب بدنه
 لا يحمله الشره على ما يضر جسمه أو يهتك مروءته وعلامة شجاعته
 يخارب دواعي نفسه الدميعة حتى لا تقهره شهوة قبيحة ولا غضب في
 موضعه وعلامة حكمته ان يستبصر في اعتقاداته حتى لا يفوته
 طاقته شيء من المعلوم والمعارف الصالحة ليصلح أولا نفسه ويهذبها
 له من هذه المجاهدة ثمرتها التي هي العدالة وعلى أن يتمسك بهذه التذكر
 ويجتهد في القيام بها والعمل بموجبها وهي خمسة عشر بابا اثار الحق
 الباطل في الاعتقادات والصدق على الكذب في الأقوال والخير على
 في الافعال . وكثرة الجهاد الدائم لاجل الحرب الدائم بين المرء وبين نفسه
 والتمسك بالشرعية ولزوم وظائفها . وحفظ المواعيد حتى ينجزها وأول
 ذلك ما بيني وبين الله جل وعز . وقلة الثقة بالناس بترك الاسترسال .
 الجليل لانه جميل لا لغير ذلك . والصمت في أوقات حركات النفس للكلا
 حتى يستشار فيه العقل . وحفظ الحال التي تحصل في شيء شيء حتى
 ملكة ولا يفسد بالاسترسال . والاقدام على كل ما كان صوابا . والاشفاق
 على الزمان الذي هو العمر ليستعمل في المهم دون غيره . وترك الخوف
 الموت والفقر لعمل ما ينبغي وترك التواني . وترك الاكتراث لأقوال
 الشر والحسد لئلا يشتغل بمقابلتهم وترك الانفعال لهم . وحسن احتمال
 والفقر والكرامة والهوان بجهة وجهة . وذكر المرض وقت الصحة و
 وقت السرور والرضى عند الغضب ليقبل الطغي والبنى . وقوة الامل وحسن
 الرجاء والثقة بالله عز وجل وصرف جميع البال اليه

(٥٨) واستغفاه وقال : انما أشاور في العمال . فأظهر العباس غضباً وقال : هذه محاجزة وليس يخفى عليك [الصحيح] ^(١) . وألح عليه فقال له . ان كان رأى الوزير قد تقرر على انسان بعينه فليستخر الله ويمضي عزمه . قال ابن الفرات فعلم انى قد عنيت ابن المعتز لاشتهار الخبر به فقال لى . ليس أريد منك الا أن تمحضنى النصيحة . فقلت له : اذا أراد الوزير ذلك فانى أقول « اتق الله ولا تنصب فى هذا الامر من قد عرف دار هذا ونعمة هذا وبستان هذا وجارية هذا وضيعة هذا وفرس هذا ومن لقي الناس ولقوه وعرف الامور وتحملك وحسب حساب نعم الناس » (قال) فاستعاد ذلك منى الوزير دفعات ثم قال : فبمن تشير فقلت بجعفر بن المعتضد فقال ويحك جعفر صبي قلت الا انه ابن المعتضد ولم تجيء برجل يأمر وينهى ويعرف مالنا وبمن يباشر التدبير بنفسه ويرى انه مستقل ولم لا تسلم هذا الامر الى من يدعك تدبره أنت

ثم شاور أبا الحسن على بن عيسى فى اليوم الثالث واجتهد به ان يُسمي له أحداً فامتنع وقال : أنا لا أشير بأحد ولكن ينبغى ان يتقى الله وينظر للدين ^(٢) فمالت نفس العباس بن الحسن الى رأى أبى الحسن بن الفرات ^(٥٩) ووافق ذلك ما كان المكتفى عهد به من تقليد أخيه جعفر الخلافة . فلما مات المكتفى آخر نهار يوم السبت الثانى عشر من ذى القعدة نصب الوزير العباس جعفر فى الخلافة على كراهية منه لصغر سنه . ومضى صافى الحرمى فحدره من دار ابن طاهر فلما اجتازت الحراقة التى حدر فيها وانتهت الى [دار] العباس بن الحسن صاح غلمان العباس بالملاح أن ادخل . فوقع لصافى الحرمى ان العباس انما يريد ان يدخله الى داره ليتغبر رأيه فيه وأشفق أن يعدل عنه الى غيره فمنع

الملاح من الدخول وجرّ سيفه وقال للملاح : ان دخلت رميت برأسك .
فانحدر وجهاً واحداً الى دار السلطان ^(١)

فقم أمر جعفر ولقب المقتدر بالله وأطلق السلطان يد العباس فأخرج
المال لليعة . وحكى القاضي أبو الحسن محمد بن صالح الهاشمي ان القاضي
أبا عمر محمد بن يوسف حدثه ان العباس بعد اتمامه أمر المقتدر استصباه
وكثر كلام الناس فعمل على أن يحلّ أمره ويقلّد أبا عبد الله محمد بن المعتمد
على الله . وكان أبو عبد الله بن المعتمد حسن الفعل جميل المذهب فوسّط
الوزير أمره بينه وبينه القاضي أبا عمر . وسأله اليمين فقال ^(٢) ابن المعتمد :
ان لم تصحّ نيّته لم تغن فيه اليمين وان صحت استغنى عنها . وله الله راع
وكفيل على اني لا أغدر به ولا أنكبه . ^(٣)

وكان العباس ينتظر بأمره قدوم بارس الحاجب غلام اسمعيل بن أحمد
صاحب خراسان فانه كان ورد كتابه وقدّر انه يستظهر به وبمن معه على
غلمان المعتضد ، فمادت الايام بقدوم بارس . ووقع بين ابن عمرويه صاحب
الشرطة ببغداد وبين أبي عبد الله محمد بن المعتمد منازعة فاجتمعا يومئذ في
مجلس الوزير العباس بن الحسن وجرى بينهما خطاب ، فاربى ^(٤) عليه ابن عمرويه
في الكلام ولم يكن علم بما رشّح له ولم يمكن أبا عبد الله ان ينتصف منه لمحله
فاغتاظ غيظاً شديداً كظمه فغشى عليه وفلج ^(٥) في المجلس فاستدعى العباس

(١) راجع صلة عريب ٢٢ (٢) راجع صلة عريب ٢٠ (٣) راجع البيان للجاحظ ٢ : ٣٦
(٤) في الاصل : مفالج . وهو تصحيف من الناسخ لان مفالج الخادم وان كان من المقر بين لدى
الخليفة ومن ملازمى مجلسه كما يأتي ذكره في سنة ٣١١ و ٣١٥ ولكن المناسب في هذا المقام
و « فلج » كما يفهم من صلة عريب حيث قال وعرض لمحمد بن المعتمد في شهر رمضان فالج في مجلس
العباس من غيظ أصابه في مناظرة كانت بينه وبين ابن عمرويه الخ ولذلك وضعنا الصواب في المتن

عماريةً وأمر بحمله فيها الى داره فحُمِل ولم يلبث ان مات فعمل العباس على تقليد أبي الحسين من ولد التوكل على الله مكانه فمات أيضاً ، وتم أمر المقتدر ودخلت سنة ست وتسعين ومائتين وفيها كانت فتنة عبد الله بن المعتز

﴿ ذكر الخبر عن ذلك ﴾

كان التدبير يقع بين محمد بن داود بن الجراح مع الحسين بن حمدان على إزالة أمر المقتدر^(٦١) بالله ونصب عبد الله بن المعتز مكانه ، وواطأ على ذلك جماعة من القواد والكتّاب والقضاة . فركب يوماً العباس بن الحسن يريد بُستانه المعروف ببستان الورد فاعترضه الحسين بن حمدان وعلاه بالسيف وقتله^(١) وكان الى جانبه فائق المعتضديّ يسايره فصاح بالحسين منكرًا عليه فمظف عليه الحسين وقتله . واضطرب الناس وركض الحسين بن حمدان قاصداً الى الحلبة مُقَدِّراً ان المقتدر هناك يضرب بالصوالة فيقتله ، فلما سمع المقتدر الضجة بادر بالدخول الى داره وغلقت الابواب دون الحسين . فانصرف الى الدار المعروفة بسليمان بن وهب بالخرم وبعث الى عبد الله ابن المعتز يُعرفه تمام التدبير ، فنزل عبد الله من داره التي على الصّراة وعبر الى المخرّم . وحضر القواد والجند وأصحاب الدواوين ومنهم علي بن عيسى ومحمد بن عبدون وحضر القضاة ووجوه الناس سوى أبي الحسن ابن الفرات وخواص المقتدر^(٢) فبايع من حضر عبد الله بن المعتز وخوطب بالخلافة وانهقد له الامر ولقب المرتضى بالله واستوزر أبا عبد الله محمد بن داود بن

(١) صلاة عريب ٢٦ وقال محمد بن عبد الملك الهمداني في تكملة تاريخ الطبري انه كان للوزير ابن كنيته أبو جعفر واسمه محمد ففضى بعد قتل أبيه الى بخارا وأقام عند ملوك السامانية (٢) راجع ما قال ابن المعتز فيه وفي علي بن عيسى : كتاب الوزراء ١٣٧

الجرّاح . وقلد على بن عيسى الدواوين^(٦٢) والاصول ومحمد بن عبدون دواوين الأزيمة وتقدت الكتب الى الامصار كلها عن عبد الله بن المعتز ووجه الى المقتدر بالله يأمره بالانصراف الى دار ابن طاهر مع والدته لينتقل هو الى دار الخلافة فأجيب بالسمع والطاعة .

وعاد الحسين بن حمدان من غدي الى دار الخلافة فقاتله من فيها من الخدم والعلماء والحشم ومن كان هناك من الرجال من وراء السور ودفعوه عن الدار فانصرف في آخر النهار وحمل ما قدر عليه من ماله وحرمه وولده وسار بالليل الى الموصل . ولم يكن بقي مع المقتدر من رؤساء القواد غير مونس الخادم ومونس الخازن وغريب الخال والحاشية فلما راسل ابن المعتز المقتدر بالانصراف الى دار ابن طاهر قالت هذه الجماعة بعضها لبعض : يا قوم نسلم الامر هكذا ؟ لم لا نجرّد أنفسنا في دفع ما قد أظلمنا ففعل الله أن يكشفه عنا . فأجمع رأيهم على أن يصعدوا في شذات ومعهم جماعة ففعلوا ذلك وألبسوا الجماعة الجواشن والخوذ والسلاح وصاروا الى دار الخرم . فلما قربوا منها ورأهم من كان فيها على شاطئ دجلة قالوا : شذات مصعدة من دار السلطان . ووقع الرعب في قلوبهم فتطايروا^(٦٣) على وجوههم قبل أن تجرى بينهم حرب وقبل وصول الشذات الى الدار . وخرج عبد الله بن المعتز ومعه وزيره محمد بن داود وحاجبه يمين . وقد شهر يمين سيفه وهو ينادي معشر العامة ادعوا الله خليفتمكم . وأخذوا طريق الصحراء تقديراً منهم ان يتبعهم الجيش ويصيروا الى سر من رأى فيثبت أمرهم فلم يتبعهم أحد . فلما رأى محمد بن داود نزل عن دابته لما حاذى داره ودخلها واستتر ونزل أبو عبد الله بن المعتز في موضع آخر ومشى الى دجلة وانحدر الى دار

أبي عبد الله بن الجصاص ودخلها واستجار به . فقرّ الناس على وجوههم ووقعت الفتنة والنهب والغارة والقتل ببغداد * وكان محمد بن عمرو بن صاحب الشرطة فركب وقاتله العامة لانه كان من أكبر أعوان عبد الله بن المعتز فهزموه . وقلّد المقتدر مكانه من يومه مونساً الخازن^(١)

وكان خرج في الوقت الذي خرج فيه ابن المعتز من داره أبو الحسن على ابن عيسى ومحمد بن عبدون مع من خرج من دار عبد الله بن المعتز واستترا في منزل رجل يبيع البقل . ونذر بهما العامة فكبسوهما وأخرجوهما وسلموهما الى بعض خدام المقتدر^(٦٤) المجتازين في الطرق فاركبهما جميعاً على بغل أكاف كان معه ولحقهما في الطريق من العامة أذى شديد حتى حصلا في الدار ووكل بهما . وقبض في ذلك اليوم على وصيف بن صوراتكين وخرطامش^(٢) ويمن وفاتك وجماعة ممن كان حاضراً دار ابن المعتز وفيهم القاضي أبو عمر محمد ابن يوسف والقاضي أبو المثنى أحمد بن يعقوب والقاضي محمد بن خلف بن وكيع واعتقل الكل في دار الخلافة وسلموا الى مونس الخازن ثم أمر بقتلهم أجمعين فقتلهم تلك الليلة سوى علي بن عيسى ومحمد بن عبدون والقاضي أبي عمر والقاضي محمد بن خلف فان هؤلاء سلموا

وأخذ المقتدر مونساً الخازن الى دار أبي الحسن على بن محمد بن الفرات التي كان ينزلها بسوق العطش بعد ان أعطاه خاتمه وأعلمه انه يريد أن يستوزره . وكان ابن الفرات مستتراً بالقرب من داره فلم يظهر له . فأعيد اليه مرة أخرى فرفق بالجيران وأعلمهم أنه يستوزر فظهر له وقت العصر من

(١) وفي صلة عريب : الخادم . ولكن الراجح انه الخازن (٢) في الوزراء

ذلك اليوم وصار به الى دار السلطان ووصل الى المقتدر وقلده وزارته ودواوينه وعاد الى داره بسوق العطش . وبكر يوم الاثنين وهو غد ذلك اليوم^(٦٥) فخلع عليه خلع الوزارة وسار بين يديه القواد بأسرهم . وخلع في ذلك اليوم على مونس الخازن بسبب تقلده الشرطة . وأطلق ابن الفرات للجنود مالا لصلاة ثانية وجدد البيعة للمقتدر

﴿ ذكر الخبر عن الظفر بعبد الله بن المعتز ﴾

صار خادماً لأبي عبد الله بن الجصاص يعرف بسوسن الى صافي الحرمي يسعى بأن عبد الله بن المعتز مستتر في دار مولاه فانهذ المقتدر بالله صافياً الحرمي في جماعة حتى كبس منزل ابن الجصاص واستخرج منه عبد الله ابن المعتز فحمله وحمل معه أبا عبد الله بن الجصاص الى دار السلطان . ثم صودر ابن الجصاص على مال بذله وأطلقه الى منزله بعد ان تكفل به الوزير أبو الحسن ابن الفرات

وسلم على بن عيسى ومحمد بن عبدون الى أبي الحسن ابن الفرات وناظرهما بمراسلة وصادرهما وخفف عن علي بن عيسى وثقلها على محمد بن عبدون لعداوة كانت بينهما وقال للمقتدر : لم يكن لهذين في أمر ابن المعتز صنع وتكفل بهما وبالقاضي محمد بن خلف بن وكيع وخلصهم . ثم نفى محمد ابن عبدون الى الاهواز وأمر بتسليمه الى محمد بن جعفر العبرتي ونفى علي بن عيسى الى واسط بعد ان اقتداه من ماله بخمسة آلاف دينار دفعها^(٦٦) الى سوسن الحاجب واستكفه بها عنه فانه كان يغري به ويقول : كان مطابقاً لعمه . وظهر موت عبد الله بن المعتز في دار السلطان ودفع الى أهله مائة ألف في زلي بردون . وتم ما كان في سابق علم الله عز وجل وحكم به من

ثبات أمر المقتدر وبطل اجتهاد المخلوقين وحيلهم في ازالته^(١)
 فأما محمد بن داود فحكي أبو علي محمد بن علي بن مقلة قال : كنا
 بحضرة الوزير أبي الحسن في يوم هو فيه متخلى ودخل اليه بعض غلمانه
 فسارّه فظهر منه غم شديد . واذا هو قد أبلغ قتل محمد بن داود وقال : كان
 مع عداوته لي رجلا عاقلا كثير المحاسن يجمع الى صناعته كتابة الجراح
 والجيش والبلاغة والفقه والادب والشعر وكان كريما سخيا وقد جري عليه
 من القتل أمر عظيم . ثم لعن علي بن الحسين القنّاي^(٢) النصراني وقال : هو
 غرّ هذا الرجل فان ما كان بينه وبينه من المودة مشهور فخلص نفسه
 وقتل صديقه

﴿ ذكر ماعمله القنّاي في أمر محمد بن داود ﴾^(٣)

كان سوسن عدواً لمحمد بن داود وكذلك صاف الحرمي فأغريا المقتدر
 بالله وقال له^(٦٧) : ان علي بن الحسين القنّاي يعرف موضعه . فقبض عليه وهُدّد
 بالقتل خلف انه لا يعرف الموضع الذي استتر فيه محمد بن داود وانما تأتيه
 رقاعه بيد امرأة تجيء الى امرأة نصرانية تجيئه بها وضمن انه يحتال في انارته
 فأطلق . وكاتب محمد بن داود وأعلمه انه قد سفر له مع سوسن في أمر يكون
 به خلاصه وان ما جرى في ذلك لا يحتمله المسكّابة وان الوجه ان يأذن له
 في المصير اليه في الموضع الذي هو فيه مستتر فان لم يأذن في ذلك صاحب

(١) ليراجع قول الطبري فيه ؛ صلة عريب ٢٨ (٢) « القنّاي » في صلة عريب ١٢٥

(٣) وأما محمد بن داود بن الجراح فقال الصفدي في كتابه الوافي بالوفيات . ومن
 تصانيفه كتاب الورقة سماه بذلك لانه في أخبار الشعراء ولا يزيد في خبر الشاعر علي
 ورقة . ولهذا سمي الصولي كتابه في أخبار الخلفاء بالاوراق لانه أطال في أخبار كل

واحد أوراكا . وفي أمر محمد بن داود ليراجع ارشاد الاريب ١ : ٢٢٦

داره خرج مُتَسَكِّراً وصار اليه فكتب اليه محمد بن داود انه يصير اليه في ليلة ذكرها . ففضى على بن الحسين برقمته الى سُوسَن وصاف فاقراهما اياها فترصدا تلك الليلة وأمرأ صاحب الشرطة أن يتقدم الى أصحاب الارباع وأصحاب المسالح بترصده فلما خرج تلك الليلة ظفربه وسُلم الى مونس الخازن فقتله ثم طرحه على الطريق حتى أخذه أهله فدفنوه

وحكى أبو على ابن مُقَلَّة وأبو عبد الله زنجي الكاتب أن محمد بن داود كتب الى ابن الفرات رُقعة وصلت اليه فلم يقدر أن يكتب الجواب بخطه وقال لِمُوصِلها وكان ثقة عنده : تقرأ عليه السلام وتقول له « ليس جُرمك يسيراً^(٦٨) والعهد به قريب^{٦٩} والاستتار صناعة » فينبغي أن تصبر على استتارك أربعة أشهر حتى ينسى قصتك ثم دعنى والتدبير في أمرك فاني باذن الله اسفر بعد هذه المدة في صلاحك وأخذ لك أمان الخليفة بخطه . وأقول « انه دخل فيما دخل فيه القواد وكتائبهم وقد دعت الضرورة الى الصفح عنهم ولهذا بهم أسوة وأشير عليه بما يصلح أمرك » فلم يصبر محمد بن داود فجري ما حكيتُهُ . وحكى أيضا ابن زنجي^(١) أنه كان بحضرة أبي الحسن بن الفرات اذ

كتب اليه صاحب الخبر بان متصفا حضر وذكر أن عنده نصيحة لا يذكرها الا للوزير فتقدم الوزير الى حاجبه أن يخرج اليه ويسأله عنها فخرج وسأله فاني أن يخبره بها وقال : أريد أن أشافه بها الوزير قال : وكنا بين يديه جماعة فأومأ اليها فقمنا وخلا به ثم دعا بحاجبه العباس الفرغاني وقال له : اجمع الرجال الذين برسم الدار . ثم دعا أبا بشر بن فرجويه وقال له سرا : ان هذا الرجل تنصح الي في أمر محمد بن داود وذكر أنه يعرف موضعه وأنه

بات البارحة عنده والتمس أن أنفذ معه من يسلمه اليه وقد بذات على ذلك
الف دينار ان كان صحيحا أو نيسله بالعقوبة ان كان باطلا فصير على ذلك
فأكتب^(٦٩) اليه الساعة أن ينتقل عن موضعه فاني أبعث الى مكانه من يكبسه
ويأتمسه . ولم يزل يستعجل الحاجب في جمع الرجال فيقول « قد فرقت
الغقباء في طابهم فانهم في اطراف البلد منهم من ينزل في قصر عيسى ومنهم
من ينزل بباب الشماسية » ولم يزل يدافع بالامر الى أن عاد الجواب الى
أبي بشر بشكره وانه قد انتقل من موضعه الى غيره . فتقدم حينئذ الى
المتنصح أن يمضي الى الموضع مع القوم وتقدم بالاحتياط عليه وعلى ما يليه
وكبسه بعد ذلك وحمله فان لم يجده فتمش الدور التي تلي الموضع وأن يستظهر
بحفظ أفواه الدروب حتى لا تقوته الحرم^(١) ويأخذ معه السلايم . فمضى العباس
الحاجب والمتنصح والرجال و وكل بأفواه الدروب والدور المجاورة للموضع .
ودخل الدار التي ذكرها المتنصح فلم يجده فقال المتنصح : في هذا الموضع والله
العظيم خلفته وههنا كان بائنا . وأقبل يسير الى موضع موضع وماعله فيه .
ثم التمس في الدار المجاورة فلم يجده وعاد به الى حضرة الوزير فانسكر على
المتنصح سعايته بالبطل وأمر بحمله الى باب العامة وضربه مائتي مفرقة
وان يشهر على جمل وينادي عليه « هذا جزاء من يسعى بالبطل »^(٧٠) وكتب
الى المقتدر وعرفه الصورة وانه كبس على محمد بن داود عدة دور فلم يجده فوقع
العقوبة بالساعي حتى لا يقدم نظراؤه على السعاية بالبطل . فلما عاد الساعي
الى داره تقدم بان يحمل اليه مائتي دينار وأن يُحدر الى البصرة وقال لنا : قد
صدق الرجل فيما حكاه وقد عاقبناه ولولم أفل ما فعلته لم آمن أن يمضي الى دار

السلطان . وكان أبو بشر يعرف موضع محمد بن داود بن الجراح وعرف
الوزير موضعه فكتمة الوزير ولم يظهره . وهذا مما لا ينكر من أبي الحسن
ابن الفرات مع كرمه وجلالة قدره ونبل افعاله ^(١)

﴿ وفيها قبض على محمد بن عبدون وسوسن الحاجب وقتلا ﴾

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كان السبب في ذلك أن سوسن الحاجب كان مع ابن المعتز في تديره
وظن أنه يقرره علي الحجة فلما عدل عنه الي يمن استوحش وصار الي دار
السلطان ^(٢) وكان سوسن يدخل مع العباس بن الحسن في التدير بمحضرة المقتدر
بالله فلما تقلد أبو الحسن بن الفرات الوزارة تقرد بالتدير دون سوسن
فظهرت الوحشة بين سوسن وبين أبي الحسن ^(٣) ابن الفرات لاجل ذلك .
وذاع الخبر بصحة غزم سوسن علي الفئك بابن الفرات بمواطاة عدة من
العلمان الحجرية علي ذلك . ودبر أن يكون الوزير محمد بن عبدون وأشار
بذلك علي المقتدر بالله وبذل علي ذلك مالا عظيما . وأنفذ بُني بن نفيس الي
الاهواز لاجتماع محمد بن عبدون بغير موافقة ابن الفرات وأظهر بني أنه
انما أنفذ لاختذ أموال كانت مودعة للعباس بن الحسن بالبصرة . ولم يصل
محمد بن عبدون الي واسط حتى ظهر الخبر لابن الفرات فقرر ابن الفرات
في نفس المقتدر أن سوسنا عمل علي الايقاع به أولا ثم به وأنه كان من
أكبر اعضاء عبد الله بن المعتز وانما خالفه اخيرا لما علم أنه قد استججب غيره
فوافق المقتدر علي القبض عليه فقبض عليه وقتله من يومه . وكان المتولي لذلك
تكوين الخاصة وكان تكوين هذا مرشحا للحجة ومديرا لها ^(٤)

(١) وردت هذه الرواية في كتاب الوزراء ٢٥٠ (٢) راجع ما في صلة عربي ٢٧ (٣) راجع وزراء ١٣٨

ثم أُنْفَذَ الوزير الى محمد بن عبدون من أزعجه في الطريق واعتقله في دار السلطان وصادره مصادرة مجددة ثم سلم الى مونس الخازن فقتله. وقلق أبو الحسن علي بن عيسى لذلك وهو بواسط فكتب الى الوزير كتابا يحلف فيه أنه على قديم عداوته لمحمد بن عبدون الا أنه لا يدع الصدق من فعله وأن محمد بن عبدون لم يكن ليسمى على^(٧٢) دم نفسه بتضمنه الوزارة بل كان راضيا بالسلامة بعد فتنة عبد الله بن المعتز وأن سوسنا عمل ذلك بغير رأيه ولا موافقته. وسأل في أمر نفسه أن يبعده الى مكة ليسلم من الظنة ولينسى السلطان ذكره. فاجابه ابن الفرات الى ذلك وأخرجه من واسط الى مكة على حال جميلة فشخص اليها على طريق البصرة. وكتب علي بن عيسى هذا الكتاب مقدرًا أن يخلص به محمد بن عبدون من القتل ويسلم هو فوفاه الله في نفسه بجميل نيته وحضر أجل محمد بن عبدون فلم ينفعه اجتهاد علي بن عيسى في خلاصه^(١)

٤ ولما استقر أمر المقتدر بالله في الخلافة فوَّضَ الأمور الى أبي الحسن ابن الفرات فدبرها أبو الحسن كما يدبرها الخلفاء. وتفرّد المقتدر على لذاته متوفرا واحتشم الرجال وأطرح الجلساء والمغنين وعاشر النساء فغلب على الدولة الحرّم والخدم فما زال أبو الحسن ينفق الاموال من بيت مال الخاصة ويبذر تبذيرا مفرطا الى أن أتلفها. ومن محاسن ابن الفرات أنه افتتح أمره باخراج أمر المقتدر بمكاتبة العمال في جميع النواحي بافاضة العدل في الرعية وازالة الرسوم الجائرة عنهم وإخراج أمره لجماعة^(٧٣) بني هاشم بجار ثم أخرج أمره بزيادة جميعهم ثم أخرج أمره بالصفح عن جميع من كان خرج عن طاعته ووالى ابن المعتز والحاquem في الصلة بمن لم تكن له جناية.

وتلطّف في أمر الحسين بن حمدان و ابراهيم بن كينغلع حتى رضى المقتدر
عنهما وقلدهما الأعمال وفعل ذلك بابن عمرو به

﴿ ذكر التدبير الصواب في ذلك ﴾

أنه عرف المقتدر بالله أنه متى عاتب جميع من دخل في أمر ابن المعتز
فسدت النيات وكثر الخوارج ومن يخشى على نفسه فيطلبون الحيل للخلاص
بافساد المملكة . وأشار باحراق جميع الجرائد التي وجد فيها أسماء المتابعين
لابن المعتز فاستجاب الى ذلك وأمر ابن الفرات بتغريق الجرائد في دجلة
ففعل ذلك وسكن الناس وكثر الشاكرون ^(١)

﴿ ذكر ما جرى في أمر القاضي أبي عمر ﴾

كان القاضي يوسف بن يعقوب ^(٢) شيخا كبير السن يازم ابن الفرات
ويبكي بحضرته ويسأله تخليص ابنه أبي عمر من القتل فيذكر له أبو الحسن
أنه لا يتمكن من ذلك إلا باطماع المقتدر بالله في مال جليل من جهته فبذل
أنوه أن يقرر نفسه وابنه طلبا للحياة . فسأل ^(٧٤) ابن الفرات المقتدر بالله الصفع
عنه وأطعمه في ماله ومال ولده فسأله المقتدر اليه فصادره على مائة ألف دينار
واعتمله في ديوان بيت المال ليؤدى المال فأدى أكثره . ودخل فيما أداه
وديعة قيل أنها كانت عنده للعباس بن الحسن مبلغا خمسة وأربعون ألف
دينار فلما أدى تسعين ألف دينار أمر ابن الفرات باطلاقه الى منزله وترك
له العشرة الآلاف الدهنار وأمره بملازمة منزله وألا يخرج منه ^(٣)

(١) راجع كتاب الوزراء ١١٩ (٢) كان قد قضاه الجانب الشرقي سنة ٢٨٢ بعد
ابن عمه اسمعيل بن اسحق : ارشاد الأريب ٢ : ٢٦١ - ٢٦٠ (٣) راجع الفرج بعد
الشدّة ١ : ١٢٢ - ١٢٠

﴿ ذكر خيانة واتفاق سيئ اتفق فيها ﴾

كان سليمان بن الحسن بن مخلد متحققاً بأبي الحسن ابن الفرات ومدلاً^(١) بأحوال كانت بين أبيه وبين والد الوزير أبي جعفر محمد بن موسى بن الفرات وكان سليمان يختص لذلك بأبي الحسن ابن الفرات ووجد أبو الحسن كتباً في البيعة لعبد الله بن المعتز بخط سليمان لتحققه كان بمحمد بن داود بن الجراح وللقرابة بينهما فلم يظهر أبو الحسن ذلك للمقتدر ولا ذكره . ونوه باسم سليمان وقلده مجلس العامة رياسة . ثم أن سليمان جنى على نفسه بالسعي لأبي الحسن أحمد بن محمد بن عبد الحميد في الوزارة^(٢) وعمل في ذلك نسخة بخطه عن نفسه الى المقتدر بالله^(٧٥) يسعى فيها بأبي الحسن وبأمواله وضياعه وكتابه وأسبابه . وكانت الرقعة في كفه ودخل دار ابن الفرات وهي معه وقام يصلي صلاة المغرب مع جماعة من الكتاب في دار ابن الفرات فسقطت الرقعة من كفه وظفر بها الصقر بن محمد الكاتب لأنه كان يصلي الى جنبه فأقبل بهامبادراً الى الوزير من وقته فقبض عليه وأحدره في زورق مطبق الى واسط ووكّل به وصودر . وجرى على طبعه وشا كلته فأحسن اليه وقلده^(٣)

وفيهما كوتب أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان في قصد أخيه الحسين ومخاربه وأمد بالقاسم بن سيماء في أربعة آلاف فاجتمعا ولقيا الحسين فانهزما وانحدر ابراهيم بن حمدان لاصلاح أمر أخيه الحسين فأجيب الى ما التمس وكوتب للحسين أمان وصار الى الحضرة . ونزل في الصحراء من الجانب الغربي ولم يدخل دار السلطان . وقد أعمال الحرب بهم وحملت اليه الخلع فلبسها

(١) يريد مدلياً (٢) فاباهما كذا في صلة عريب ٧٥ (٣) راجع كتاب الوزراء

ونفذ الى قم وانصرف عنها العباس بن عمرو^(١)
وفيهما قدم بارس غلام اسمعيل بن أحمد صاحب خراسان في أربعة آلاف
غلام أتراك وغيرهم وصار الى بغداد مستأمنًا . وكان مولاه اتبعه الى الري
مظفرا الاستيحاء من قبول السلطان غلامه فكاتبه^(٧٦) ابن الفرات بما
سكن منه حتى عاد الى خراسان وقلد بارس ديار ريعة فانغذه اليها
وقلد يوسف بن أبي الساج أعمال أرمينية وآذر بيجان وعقد له عليها
وضمنه اياها بمائة ألف وعشرين ألف دينار في كل سنة محمولة الى بيت مال
العامة بالحضرة فصار من الدينور اليها

﴿ودخلت سنة سبع وتسعين ومائتين﴾

وفيهما أدخل طاهر ويعقوب ابنا محمد بن عمرو بن الليث بغداد أسيرين في
قبة على بغل وقد كشف جلالهما وهما بين يدي أبي الفضل عبد الرحمن بن جعفر
الشيرازي كاتب سُبُكْرِى المتقصد فارس ووصل الى حضرة المقتدر ووصلا
معه بعد أن حات قيودهما وخلع على عبد الرحمن بن جعفر ورتب في الفوج
الاول وركب عبد الرحمن في الخلع وأنزل في دار في مربعة الخُرْسَى^(٢)
وحبس طاهر ويعقوب في دار السلطان

وكان سُبُكْرِى متغابا على فارس فلما قدم عبد الرحمن كاتبه قرر أمر
سُبُكْرِى مع السلطان على شيء يحمله عن فارس ثم عاد الى صاحبه فورد
الخبر بعد ذلك بان الليث بن علي خرج من سجستان وقصد فارس فدخلها

(١) راجع الطبري ٣: ٢٢٨، ٤ (٢) يعني صالح الخُرْسَى وهو من أولاد ملوك خراسان
من أهل باخ وكان يسمى صاحب المصلى لان المنصور كان وهبه حصيرا للصلاة أخذ من
خزائن عبد الله بن علي بشرط أن يحمله في الاعياد حتى يصل عليه . كذا في المنتظم لابن
الجوزي في ترجمة علي بن صالح سنة ٢٢٩ (وفي صلة عريب في مربعة الخُرْسَى)

وخرج سبكرى . فندب مونس الخادم للشخص الى فارس وخلع عليه وسار
فوجد سبكرى برامهرمز واجتمع مع مونس وسار بمسيره . وسار الليث
الى ارجان ليلقى مونساً

(ذكر عجلة واتفاق سي)

ثم انه بلغ ليثاً أن الحسين بن حمدان قد سار من قم الى البيضاء نخاف
أن توخذ منه شيراز فوجه أخاه مع قطعة من جيشه الى شيراز ليحفظها
وأخذ هو دليلاً يده على طريق مختصر قريب الى البيضاء ليوقع بالحسين بن
حمدان . فأخذ به الدليل في طريق الرجالة وهو طريق صعب ضيق لا يحمل
الجيش فلقى في طريقه مشقة عظيمة حتى تلفت دوابه وتلف رجاله فقتل
الدليل وعدل عن الطريق فخرج الى خوابدان وقد وصل اليها مونس . فلما
أشرف الليث على عسكر مونس قدر أنه عسكر أخيه الذي أنقذه الى شيراز
فكبر أصحابه فخرج اليه مونس فأوقع به وأخذه أسيراً . فلما حصل في يده
أشار عليه قواده بالقبض على سبكرى فلم يفعل . وألح عليه أصحابه فأظهر
القبول منهم وقال : اذا صار الينا في غد قبضنا عليه . وكان سبكرى كل يوم
يركب من مضربه الى مونس فيسلم^(٧٨) عليه فوجه اليه مونس سرّاً وعرفه
ما أشار عليه قواده وأشار عليه بالمسير الى شيراز والاسراع ففعل سبكرى
بما أشار به فلما أصبح وتعالى النهار قال : يا قوم ما جاءنا سبكرى اليوم
فوجهوا اليه وتعرفوا خبره . وعاد الرسول وعرفه أن سبكرى قد سار
الى شيراز من أول الليل . فعاد باليوم على قواده وقال لهم : من جئتكم
شاع الخبر وبلغه فاستوحش . وسار مونس ومعه الليث راجعاً الى مدينة
السلام وانصرف الحسين الى قم

﴿ ذكر تدبير فاسد وما آل اليه ﴾

١.١ حصل سبكرى بشيراز كان معه قائد يقال له القتال فضر به على كاتبه عبد الرحمن بن جعفر وأعلمه أنه في جنبه السلطان وأنه قد أحلف قواده كلهم للسلطان وأخذ له البيعة عليهم وليس يتعذر عليه متى شاء أن يُورد كتاباً من السلطان بالقبض عليه . ففزع سبكرى من هذه الحال وقبض على عبد الرحمن بن جعفر واستكتب مكانه رجلاً يعرف باسمعيل بن ابراهيم التيمي فحمله اسمعيل هذا على الخلاف وقال له : قد انصرف عنك عسكر السلطان وليس يمكنه أن يعود اليك سريعاً فارح ما كنت تحمله الى السلطان واصباح أمورك^(٧٩) وأرض جندك ثم تنظر .

واحتال عبد الرحمن بن جعفر من محبسه حتى كتب الى ابن الفرات بخبره وما جرى عليه وبخلاف سبكرى على السلطان فكتب ابن الفرات الى مونس (وقد صار الى واسط) كتاباً يقول فيه : إن كنت فتحت فقد أغلقت وإن كنت قد أسرت فقد أطلقت ولا بد من أن تعود تُحارب سبكرى . فعاد مونس الى الأهواز وأخذ سبكرى في مُلاطفة مونس ومهاداته ومسلته أن يبذل للسلطان عن أعمال فارس وكرمان زيادة على ما كان مُقاطعا عليه القاسم بن عبيد الله في أيام المكتفي بالله فانه كان مُقاطعا على أربعة آلاف ففعل مونس ذلك وبذل عنه سبعة آلاف الف . فلم يرض بذلك ابن الفرات فلم يزل يزيد ألف ألف حتى بالغ تسعة آلاف ألف خالصة للحمل وذكر أن باقى الارتفاع يحتاج اليه سبكرى ل إعطاء الجند بفارس وكرمان وأعلمه كثرة المؤمن هناك فأقام ابن الفرات على أنه لا يفتح الا بثلاثة عشر ألف ألف فأشار مونس على سبكرى بأن يقارب السلطان

والوزير فابي سبكري أن يزيد على عشرة آلاف ألف شيئا فاغتاز الوزير
من ثمان سبكري واتهم مونساً بالحيل اليه
(ودخات سنة ثمان وتسعين ومائتين)

(٨٠) (ذكر ماجرى على سبكري من الأسر)

ثم أنه عدل الى إفاذ وصيف كاه مع عِدَّة قُوَاد من مدينة السلام وإفاذ
محمد بن جعفر العبرتي معهم وعول عليه في فتح فارس . وكتب الى مونس
أنه لا يثق بأحد سواه في حفظ الليث وأن سبيله أن يوافي به الى مدينة السلام
ويدع أكثر قُواده وأصحابه مع محمد بن جعفر بالقرب من نواحي فارس
لئلا ينجذوا بأسرهم الى بغداد قبل أن يتقرر الأمر مع سبكري في مال
المفارقة فيطمع سبكري في السلطان

نخرج مونس عن الاهواز وكتب الوزير حينئذ الى محمد بن جعفر
العبرتي والقُوَاد بالمبادرة الى شيراز مع جماعة من بلاد هواز من القُوَاد وانضم
اليه وصيف كاه ثم أمده بسبكري وقاتل المعتضدى وعين الطولونى .
فلما تكامل الجيش لمحمد بن جعفر سار الى سبكري وواقعه على باب
شيراز فانهزم سبكري الى بتم وتحصن بها وتبعه الى هناك فهزمه أيضاً
ودخل مفازة خراسان وأسر القتال . وورد الكتاب بالفتح نفع السلطان
على الوزير عند ذلك وقلد محمد بن جعفر العبرتي فتيحاً خادماً الأفشين
أعمال الحرب والمعاون بفارس وكرمان وكان يعيل الى فتيح^(٨١) لحسن وجهه

وفيهما ورد كتاب أحمد بن اسمعيل صاحب خراسان بفتح سجستان
وأسره محمد بن على بن الليث ثم ورد كتابه بأسره سبكري فكتب الى
أحمد بن اسمعيل بحمل سبكري ومحمد بن على بن الليث الى الحضرة .

فلما كان في شوال من هذه السنة أدخل سبكرى ومحمد بن علي بن الليث مشهرين علي فباين نخلع علي الوزير ابن الفرات ثم علي المرزبان خليفة صاحب خراسان وحمل مع الرسل الذين حملوا سبكرى ومحمد بن علي بن الليث هدايا ونخلع وطيب وجواهر الى صاحب خراسان^(١)

وفيها ورد الخبر بوفاة العبرتاي ثم بوفاة فتيح وقلد عبد الله بن ابراهيم المسمى أعمال المعاود بفارس

وفيها غرقت فاطمة القهرمانة في طيارها تحت الجسر في يوم ريح عاصف وكانت زوجت ابنتها من بني بن نفيس وقيصّر فخرها جنازتها وحضرها خلق من القواد والقضاة . وجعلت السيدة مكانها أم موسى الهاشمية قهرمانة فكانت تؤدي رسائلها ورسائل المقتدر الى ابن الفرات (ودخلت سنة تسع وتسعين ومائتين)

وفيها قبض علي الوزير ابن الفرات ووكل بداره وهتك حرمة أقباح هتك ونهب داره^(٨٢) ودور كتّابه واسبابه وافتتنت بغداد ونهب الناس وكان مونس الخازن^(٢) يلي شرطة بغداد وتحت يده برسمها تسعة آلاف فارس وراجل فكان يركب اذا اشتدت الفتنة وزاد النهب فيسكن الناس ويكفّ النهب هيبه له فاذا نزل من ركوبه عادت الحال الى ما كانت عليه . فلقى الناس من ذلك شدة شديدة ثلاثة أيام بلياليها ثم سكنت الفتنة فكانت مدة وزارة أبي الحسن ابن الفرات هذه الاولي ثلاث سنين وثمانية أشهر وثلاثة عشر يوما . وقلد أبو علي محمد بن عبيد الله بن يحيى بن

(١) راجع فيه حكاية الصولى في صلة عريب ٣٥ (٢) المعروف بالفحل : كذا

خاقان الوزارة وذلك في ذى الحجة سنة ٢٩٩ فقلد أصحاب الدواوين ورتبهم في مجالسهم . وردّ مناظرة أبي الحسن ابن الفرات وأسبابه وكتّابه الى أبي الحسن أحمد بن يحيى بن أبي البغل . وقلده ^(١) ديوان المصادرين وديوان الضياع العباسية وديوان زمام الفرائضة . واستتر من أصحاب ابن الفرات أبو علي محمد بن علي بن مقله وأبو الطيب الكاوازي وأبو القاسم هشام وأبو بشر ابن فرجويه وقبض على الباقيين ونهبت دورهم وهُدمت واعتقل هؤلاء الباقيون وناظرهم أحمد بن أبي البغل وعذبهم وناظر ابن الفرات غيرانه ^(٨٣) لم يُمكن من إيقاع مكروه به ومكّن من جميع أسبابه وكتّابه

﴿ ذكر ما دبره ابن أبي البغل وانعكاسه عليه ﴾

كان أبو الحسين بن أبي البغل مبعداً في أيام ابن الفرات بأصبهان فلما افتتحت بغداد وقلد أخوه مناظرة ابن الفرات وأسبابه سفره ^(٢) أخوه لما تمكن من ملاقة أم موسى في الوزارة وبذل فيها مالا جليلا يثيره ويوفّره فاطمع المقتدر في ذلك نأرجف له بها وكتّبه أخوه بالاسراع الى الحضرة ونفذ اليه أبو بكر أخو أم موسى . فخاطبه قومٌ بالوزارة في طريقه وتلقاه القواد وغيرهم عند وروده بغداد

فركب أبو علي الخاقاني في عشية من العشايا الى دار السلطان والتبس الاذن في الوصول فأذن له وأوصل الى المقتدر بالله . فوصف له ان الامور قد اضطربت والاموال قد تأخرت والدنيا قد خربت بكثرة الراجيف به لان ابن أبي البغل يذكر انه قد استحضر للوزارة فخاطبه المقتدر بحميل وأذن له في إبعاد ابن أبي البغل وأخيه عن الحضرة فقبض عليهما وأبداهما .

(١) يعني قلد المقتدر الخاقاني : راجع كتاب الوزراء ٢٦١-٢٦٢ (٢) لم يوجد لفظ (له) بالاصل

وتكرت أم موسى القهرمانة للوزير أبي علي الخاقاني تخافها وأشفق أن تُفسد عليه امره فأرضاهما بان قلدا أبا الحسين منهما^(٨٠) أعمال الخراج والضيايع باصبهان وقلدا أبا الحسن أخاه أعمال الصالح والمبارك^(٨١)

وكتب الوزير باطلاق أبي الهيثم العباس بن ثوابة وكان معتقلا بالموصل وكان ابن الفرات نقلة اليها في نكبة محمد ابن عبدون لقراية بينهما . وكان ابن ثوابة هذا يكتب لمحمد بن ديوداذ وكان من الموصوفين بالشر^(٨٢) فورد بغداد في سنة ٣٠٠ وقلده الوزير أبو علي الخاقاني ديوان المصادرين والضيايع العباسية والفراية ورد اليه مناظرة أبي الحسن بن الفرات وأسبابه وكتبه فاسرف ابن ثوابة في إيقاع المكروه بهم وعذبهم بأنواع العذاب فجرت بينه وبين أبي الحسن بن الفرات مناظرات هاتر في بعضها ابن الفرات وشتمه بحضرة أم موسى فرد عليه ابن الفرات أقبح ردّ وشتمه أغاظ شتيمه ونسبه في نفسه الى كل حل قبيحة فراسل ابن ثوابة المقتدر بان ابن الفرات لم يقدم على هذا الا لشدة بطره وكثرة أمواله واستأذن في معاقبته . فبسط يده عليه فقيده وغلّه وألبسه جبّة صوف وأقامه في الشمس مدة أربع ساعات وكاد يتاف (٣) فامسى بدر الحرّمى في حاله الى المقتدر فانكرها وأمر بنقله الى بعض الحُجرات التي في يد زيدان^(٨٣) القهرمانة للحرّم الخواص واحسن اليه ورقّه وذلك بعد أن حاف له ابن الفرات بأغظ يمين بانه لم يبق له مال ولا ذخيرة ولا متاع فآخره الا وقد أقرّ به وقت مناظرة ابن أبي البغل ،

(١) راجع كتاب الوزراء : ٢٧٣ - ٢٦٨ (٢) راجع ما ذكره في حقه الفرغاني ؛

ارشاد الاريب : ٢٩٨ وفي كتاب الوزراء ٢٦٢ وفي صلة عرب : ٥٩ انه مات سنة ٣٠٣

(٣) ذكره هنا فيما بعد وراجع أيضا كتاب الوزراء ١٠٥ - ١٠٣ .

فقبل المقتدر بالله قوله ومنع ابن نوابه من مناظرته

ثم صار المقتدر بعد ذلك يشاور ابن الفرات في الامور ويقرئه رقاع الوزراء اليه ويجيبهم عنها برأيه ثم كثرت السعيات بابي علي الخاقاني وتمكن أبو القاسم ابن الحواري

ذكر فساد تدبير الخاقاني لامر الوزارة ❦

كان أبو علي الخاقاني متشاغلاً بخدمة الساطان ومراعاة أعدائه لا يقرأ الكتب الواردة عليه ولا النافذة واعتمد على ابنه أبي القاسم عبدالله وقلده مع العرض على الخليفة خلافته على الاعمال والتفويض الامور .

وكان ابنه هذا متشاغلاً بالشراب انما يراعى أمر القواد والجيش والولايات للعمال ويدع ما سوى ذلك . وكان قد نصب لقراءة الكتب الواردة أبا نصر مالك بن الوليد ولقراءة الكتب النافذة أبا عيسى يحيى بن ابراهيم الماسكي . وكانت لابني علي الخاقاني وابنه الجوامع بما يرد وينفذ فلا يقرأها أحد منهم^(٨٦) الا بعد فوت الامر الذي وردت فيه الكتب وتبقى الكتب بالحمول والسفائج في خزائنها لا تُنفَض ولا يُعرف حال ما فيها ففسدت الامور بولاية أبي علي الخاقاني وضاعت .

وكان يقلد في أسبوع واحد الكورة عدة من العمال حتى قيل انه قد قلد اعمال ما الكوفة في مدة عشرين يوماً سبعة من العمال واجتمعوا في خان بجلوان وقلد اعمال قردي وبزیندي خمسة من العمال اجتمعوا في خان بککبرا في يوم واحد وسبب ذلك ارتفاق اولاده وكتابه من العمال الذين يؤلونهم فسُطرت الاحاديث وحفظت له النواذر

وأطلق يده بالتوقيعات وفي الزيادات والنفل والاثبات يوقع بذلك هو

وابناء وبنان ويحيى بن ابراهيم المالكى وأحمد ومحمد ابنا سعيد
وكان أبو على الخاقانى يتقرب الى قلوب الخاصة والعامة فنعم خدام
السلطان ووجوه القواد ان يترجموا رقايعهم بالتعبد ويتقرب الى العامة بان
يصلي معهم في المساجد التي على الطرُق . فكان اذا رأى جمعا من الملاحين
أو غيرهم من العامة يصلون في مسجد على الشطّ قدّم طيّارة وصعد وصلى
معههم فاتضعت الوزارة بافعاله وذلت (١)

وكان^(٨٧) اذا سأله انسان حاجة دق صدره وقال : نعم وكرامة : فسُمي
« دق صدره » وضاعت الاموال فقصر في إطلاق أموال أصحاب التفاريق
والقواد القدماء ومن يجرى مجراهم فشغبوا عليه وقصدوا المصلي فاقاموا فيه
وأخرجوا معهم أكثر القواد واستفحل أمرهم وبسطوا فيه ألسنتهم . فامر به
المقتدر باطلاق أوزاقهم فاعتذر بقصور الاموال ونقصان الارتفاع وذكر ان
الاموال المستخرجة من ابن الفرات وأسبابه قد حصلت في بيت مال
الخاصة وانه ليس ينفذ له صاحب بيت مال الخاصة أمرا فيها . فامر باخراج
خمسمائة ألف دينار من بيت مال الخاصة لينفق في الجند المشغبين

وقلّد ديوان البريد بمدينة السلام والإشراف على الوزير وعلى الجيش
وأصحاب الدواوين والقضاة وأصحاب الشرط شفيع اللؤلؤى .

فلما رأى ابن ثوابة ضعف أمر الوزير تقرب الى المقتدر برباق أوصلتها
أم موسى يذكر فيها انه يستخرج من العمال أموالا جليلة أهملها الخاقانى
وذكر انه يستخرج من محمد بن على الماذرائى وأخيه ابراهيم وحدثهما
سبعمائة ألف دينار (٢) نخرج الامر الى الخاقانى بتقوية يد ابن ثوابة ففعل

ذلك^(٨٨) واستخرج أموالاً بالعسف وتغلب على الأمور وكان يصرف عمال الوزير ويولّي من يرى وتوصل الأشرار إلى كتب الرقاع على يد أم موسى إلى المقتدر يخطبون الأعمال ويتضمنون الأموال فخرج الأمر إلى الخاقاني بتقليدهم ذلك فانتشر أمره وشاركه الأشرار في النظر واستخرجوا الأموال من كل وجه بكل عسف

وكان حامد بن العباس قد تضمن أعمالاً واسط ونواحيها أربع سنين فعمل الكتاب له عملاً وحصلوا عليه في كل سنة مائتي وأربعين ألف دينار وألفي وأربعمائة كُرٍّ بالمعدّل شعيراً للكرّاع في كل سنة يستوفي منه مع المال الذي ذكرنا مبلغه . وإنما كان حامد ضمن على عبدة السنة المتقدمة وزيادة يسيرة وكان التقصير والاضاعة والتخليط يقع من الخاقاني وذلك أن الخاقاني كان يتقلد في أيام عبيد الله بن سليمان (وما بعدها إلى وقت استناره في أيام وزارة ابن الفرات الأولى) أعمال البريد والمظالم والخرايط بما سبذان فلما ولي الوزارة تحير لقلّة الدربة ونقصان المعرفة بالأعمال فشرع مونس في تقليد علي ابن عيسى

﴿ ودخات سنة ثلثمائة ﴾

ولما رأى المقتدر بالله اضطراب الأمور وفساد التدبير وانتقاض الملكة شاور مؤنسا الخادم وعرفه أن الصورة تقود إلى ردّ أبي الحسن بن الفرات وتقليده الوزارة . وكان مونس مستوحشا من ابن الفرات لأمور حكينا بعضها في حكاية أمره مع سبكري وتقريره أمر فارس ونقض ابن الفرات عليه . فقال مونس للمقتدر بالله أنه يقبح أن يعلم أصحاب الاطراف أن السلطان صرف وزيراً ثم اضطّر إليه وردّه بعد شهور من صرفه ثم

لا ينسبون ذلك الا الى المطمع في ماله فقط وقال : ان كُتِّبَ الدنيا الذين
دبروا المملكة^(١) دواوينها منذ أيام المعتضد بالله هما ابنا الفرات وأبو العباس
منهما قد مات وتقلد الآخر الوزارة الى ان صُرف عنها ومحمد بن داود (٢)
ومحمد بن عبدون وقد قُتِلَا في فتنة ابن المعتز ، وعلى بن عيسى بن داود بن الجراح
ولم يبقَ من يصلح لتدبير المملكة غيره ووصفه بالثقة والامانة والديانة
والزاهية والصيانة والصناعة فامرته المقدر بانفاذ يلبق اليه - يحمله الى
الحضرة وأظهر للخاقاني انه يحضره ليستخلفه لا - به - عبدالله على الدواوين .
وكان الخاقاني يقول في مجلسه : اني قد كتبتُ بحمل على بن عيسى^(٩٠) الى
الحضرة لاستخلفه لعبد الله . فلما كان يوم الاثنين اعشر خلون من المحرم
سنة ٣٠١ ركب الخاقاني الى دار السلطان فقبض عليه وعلى ابنيه عبد الله
وعبدالواحد وأبي الهيثم بن ثوابة ويحيى بن ابراهيم السالكي وأحمد ومحمد ابني
سعيد الحاجيين وبنان وسعيد بن عثمان النفاط واعتقلوا في يد نذير الحرمي .
وكان سعيد بن عثمان النفاط أحد من سعى للخاقاني في الوزارة ففُضِيَ حقه بان
قلده أعمالا كثيرة جليلة

وفي هذه السنة صُرف عبد الله بن ابراهيم المسمعى عن أعمال المعاون
بفارس وتقلدها بدر الحماني وكان بدر يتقلد أعمال المعاون باصبهان فنقل الى
أعمال فارس وكرمان^(٣) وتقلد مكانه على ابن وهسوذان الديلمي

﴿ ودخلت سنة احدى وثلاثمائة ﴾

وفيهما تقلد أبو الحسن علي بن عيسى الوزارة وقت قدومه من مكة وخلف

(١) لعله سقط وتقلدوا (٢) وفي الاصل يزداد وهو غلط (٣) قال صاحب التكملة
ان في صفر سنة ٣١١ مات أبو النجم بدر الحماني بشيراز ودفن فيها ثم نبش وحمل الى بغداد

عليه وركب من دار السلطان الى داره وركب معه مونس الخادم وغريب الخال
وسائر القواد والغلمان . وسُلم اليه في يوم الخلع محمد بن عبيد الله الخاقاني وابناه
وجميع من سميتهم^(٩١) فيما تقدم فصادرهم مصادرات قريبة الامر واستخرج
منهم جميع ما صادرهم عليه ثم أطلق الخاقاني الى منزله ووكل به فيه وصان
حرمه أتم صيانة وأوقع بابي الهيثم بن ثوبة مكرها . ثم صار ينظر في أمر
الاعمال في دار الوزارة بالحرّم ، يبكر اليها في كل يوم ويعمل فيها الى آخر
أوقات صلاة العشاء الآخرة ثم ينصرف الى داره . وكتب الى كل واحد
من العمال بما جرت العادة به من تشريف أمير المؤمنين اياه بالخلع وردّ أمر
الدواوين والمملكة اليه ويقرّرهم على مواضعهم ويأمرهم بالجد والاجتهاد
في العمارة ويقول في آخر كتابه : وهذا عنفوان السنّة وأول الافتتاح ووقت
جوم الخراج . ولست أعلم ما يجب ان أطلبك به فاذكّره وأخاطبك عليه
ولكنني أمرّك ان تحمل صدرا من المال يتوفر مقداره وتنفذ الرسائل بذلك
مع الجواب عن كتابي هذا عند نظرك فيه . وتكتب الى بشرح الحال في أمور
نواحيك وتنفذ موافقة نقف عليها وبها على موقع أثرك فيها ومخائل تدبيرك
في توفيرها وتشميرها . وتتوقف عن امضاء التسبيبات وما يجري مجراها الى ان
يرد عليك كُتبي وتوقيعاتي في استبار رأيك^(٩٢) عما يكون عملك عليه وتمكّن
في نفسك انه لا رخصة عندي ولا هوادة في حق من حقوق أمير المؤمنين
أغضى عنه ولا درهم من ماله أسامح فيه ولا تقصير في شيء من أمور العمل
أصبر لقريب أو بعيد عليه . ولا تكون باظهار أثر جميل في ذلك أشدّ عناية
منك بانصاف الرعية والمعدل عليها ورفع صغير المؤن وكبيرها عنها فاني أطلبك
بذلك كما أطلبك بتوفير حقوق السلطان وتصحيحها وصيانة الاموال وحياطتها

وتابع كتبك بما يكون منك وقتاً ووقتاً لا عرفه ان شاء الله .
وقل بعد ذلك الدواوين جماعة وعزل جماعة وفعل مثل ذلك بالعمال ونظر الى
من تعود اقتطاع الاموال السلطانية واقامة مروتات نفسه منها وقصر في العماره
واعتمد غيره فعزل امثال هؤلاء ثم عمر الثغور والبيمارستانات وادر الارزاق
لمن ينظر فيها وازاح عيل المرضى والقوام وعمر المساجد الجامعة وكتب الى جميع
البلدان بذلك ووقع الى العمال به وكتب الى العمال في امر المظالم كتاباً نسخته :
﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

سبيل ما يرفعه اليك كل واحد من المتظلمين قبل النوروز من مظالمه
ويدعي انه تلف بالآفة من غلته ان تعتمد في كشف حاله على أوثق ثقاتك ^(١)
وأصدق كفتاتك حتى يصح لك أمره فيزيل بالظلم فيه ^(٢) فترفعه وتضع
الانصاف موضعه وتحتسب من المظالم بما يوجب الوقوف عليه حسبه وتستوفي
الخراج بعده من غير محاباة الاقوياء ولا حيف على الضعفاء . فاعمل فيما رُسم
لك ما يظن ويذيع ويشتهر ويشيع ويكون العدل به على الرعية كاملاً
والانصاف لجميعهم شاملاً ان شاء الله

وكتب باسقاط مال التكملة بفارس كتاباً وفي جميع ما يشبه ذلك كتباً
مشهورة مستحسنة ^(٣) فساس أبو الحسن علي بن عيسى الدنيا أحسن سياسة
ورسم للعمال الرسوم الجميلة وأنصف الرعية وأزال السنن الجائرة وذبر أمر
الوزارة والدواوين وسائر أمور المملكة بكفاية تامة وعفاف وتصون وديانة
ونظر في المظالم وأبطل المكس بمكة والتكملة بفارس وسوق ^(٤) بحر بالا هواز

(١) لعله فيريك الظلم الخ (٢) وردت نسخة هذا الكتاب في كتاب الوزراء

ص ٣٤٢ (٣) راجع معجم البلدان

وجباية الخور بديار ريعة فبانت بركته على الدنيا . وعمر البلاد وتوفر الارتفاع واستقام امر السلطان وعادت هيبة الملك وصلاح امر الرعيّة

ثم أسقط على بن عيسى الوزير أكثر ما زاده الخاقاني في وزارته في دواوين الجند وأقطاعهم وكانت هذه الزيادة قد لحقت القواد وسائر أضاف الجند ولحقت الخدم والحاشية^(٩٤) وجميع الكتاب والمتصرفين وكانت كثيرة فلما أسقطها عاداه أكثر الناس وشنعوا عليه بالضيق والشح وقطع الارزاق وإنما اضطر الى ذلك لما رأى نفقات السلطان زائدة على دخله زيادة مفرطة تحوج الى هدم بيوت الاموال وصرفها في نفقات يستغنى عنها

وحكى ثابت بن شيبان عن علي بن عيسى انه قال : كنت عمات عملاً لارتفاع المملكة وما على من الخرج ، فكان الخرج زائداً على الدخل بشيء كثير فقال لي ابن الفرات يوماً بعد صرفه اياي وقد أخرجت اليه في دار السلطان لينظرني : أبطلت الرسوم وهدمت الارتناع . فقلت له . أي رسم أبطلت ؟ قال : المكس بمكة والتكملة بفارس . فقلت : وهذا وحده أبطلت ؟ قد أبطلت أشياء كثيرة فيها ومنها (وعددت أشياء مبلغ جميعها خمسمائة الف دينار في السنة) ولم أستكثر هذا المقدار في جنب ما حططته عن أمير المؤمنين من الاوزار وغسلت به عن دولته من الدرن والمار ولكن أنظر معاً حططت وأبطلت الى ارتفاعي وارتفاعك ونفقتي ونفقاتك . قال ثابت : فقلت^(٩٥) : فبأي شيء أجابك ؟ فقال : خرج الخادم ففرق بيننا قبل ان يجيب^(٩٦)

قال . وحدثنى أحمد بن محمد بن سمعون وكان ينظر في أعمال النهر وانات

قال : مسحنا على الناس غلاتهم فاذا بيعض الشتاء ؟ قد ذهب الى باب الوزير على بن عيسى ونحن لا نعلم فنظام انا زدنا عليه في مساحة قراح له . فلم نشعر بشيء الا وقد جاءنا عامل يعرف بابن البذل ومعه فوج من مساح بادوريا وفرسان ورجالة فلم نشك في انه صارف لنا فقال لي صاحبي . أحب ان تلتقاه وتتسسّم الخبر . ففعلت وتلقيته وعرفت خبر المتظلم ، فعرفت صاحبي ذلك فقال لي : لا تدري كيف جرى أمر مساحته . فقلت لا . قال : فأخرجني حتي تواقف وتجهّد . قال : فخرجت ومعى مساح البلد الذين مسحنا بهم واستقصيت معهم وما زلت الطف الى ان تقررت المساحة . وكنا مسحنا القراح باثنتين وعشرين جريباً فخرجت مساحته احدى وعشرين جريباً وقفيّز . فاحتججت بان القراح مسح وفيه غلة قائمة ومسح في هذا الوقت بعد الحصاد وليس بمنكر ان يكون بين المساحتين في الحالتين هذا المقدار . وانصرف ابن البذل^(٩٦) وورد عليه كتاب على بن عيسى بالصواعق في الانكار والتوعّد بأنه ان وقف على ان أحداً من الرعيّة حيف عليه في معاملة أو مساحة فعل وصنع . قال : فما جسرنا أن نستقصي على أحد في معاملة . فلما كان في السنة القابلة زاد الارتفاع في العشرة ثلاثة لان الخبر انتشر بالعدل وقيل « قد رفع الحيف والظلم » فنشط الناس للازدياد من العماره^(١)

وفعل مثل ذلك في المظالم . وحكى ابن المشرف ان بعض عمال بادوريا طالب بالخراج وبقايا عليهم وحبس اهله فصبروا على الحبس فقيدهم فصبروا على القيد ولم يجسر ان يوقع بهم خوفاً من على بن عيسى . فكتب بحضرتهم

الى علي بن عيسى يضربه عليهم غاية التضريب ويقول : ان هؤلاء قوم يُدِلُّون بالجلد وعليهم اموالٌ وقد أُلْطُوا وصبروا علي الحبس والقيد ومتى لم تطلق اليد في تقويمهم واستخراج المال منهم كسروه وتأسى بهم أهل السواد فبطل الارتفاع والوزير أعلى عينا وما يراه . قال القوم : فجزعنا وخفنا ان يطلق يده فينا فيتلعننا لما كان في نفسه علينا وهمنا بان ندعن له ثم اجتمع رأينا على التوقف الى ان يرد الجواب . قال : فورد واذا هو قد وقع بخطئه على ظاهر الرقعة : الخراج عافاك الله دين وليس يجب فيه غير الملازمة فلا تتعد^(٩٧) ذاك الى غيره والسلام . قالوا . فقرج عا وأدبنا الصحيح مما علينا . فلما كانت السنة القابلة زاد ارتفاع بادوريا في العشرة اثنين وزرعنا حتى (علي) السطوح ثقة بالعدل والانصاف^(١)

ولما صرف أبو علي الخاقاني عن الوزارة أكثر الناس التزويرات عليه وعرضت توقيعاته على علي بن عيسى فأنكرها وجمعها وأنفذ بها الى أبي علي الخاقاني وقال : أنظر في هذه التوقيعات وعرفني الصحيح منها والباطل الذي زور عليك . واتفق ان حضر رسوله وأبو علي الخاقاني يصلي فوضع الرسول التوقيعات بين يدي أبي القاسم ابنه وادى الرسالة . فأخذ أبو القاسم يميزها ويفرد الصحيح منها . فاوأم اليه أبوه بالتوقف فتوقف فلما فرغ من الصلاة أخذها فتصفحها ثم خلطها ودفنها الى الرسول وقال : تقرأ على الوزير السلام وتعرفه أن هذه التوقيعات كلها صحيحة ، وأنا أمرت بها فما رأيت أن تمضيه أمضيته وما رأيت أبطله أبطلته . فلما انصرف الرسول قال لابنه . يا بني أردت أن تبغضنا الى الناس بلا معنى ويكون الوزير قد التقط

الشوك بيدك نحن قد صرفنا فلم لا تتجيب الى الناس بامضاء كل مازور علينا فان أمضاه كان الحمد لنا والضرر عليه وان أبطله كان الحمد لنا والذم له فاستحسن الناس هذا الفعل^(٩٨) من أبي علي^(١) الا ان علي بن عيسى تذمم الى الخلق من الخاصة والعامة والحاشية باسقاطه الزيادات التي صارت عند أصحابها كالأصول وأطراح النفقات التي تعود بتمزيق الأموال بغير فائدة . فثقلت وطأته وكره الناس أيامه وقصدوا التشنيع عليه وثلبوه عند المقتدر بالله وسعى قوم لابن الحسن ابن الفرات في الوزارة

وفي هذه السنة قبض على الحسين بن منصور الحلاج بالسوس وادخل بغداد مشهراً على جلي وكان حمل الى علي بن احمد الراسبي فحمله على الى الحضرة فصب وهو حي وصاحبه وهو خال ولده معه في الجانين جميعاً وحبس الحلاج وحده في دار السلطان . وظهر عنه بالاهواز وبمدينة السلام انه ادعى انه الله وأنه يقول بحلول اللاهوت في الاشراف من الناس .

وفيها اطلق الوزير ابا علي الخاقاني وازال عنه التوكيل . وفيها مات علي ابن احمد الراسبي بدور الراسبي وتقدم مونس الخادم بمشورة علي بن عيسى لقبض أمواله . وكتب الى الغمر بن عبد الله بالمصير اليه والاجتماع معه على ذلك . فكتب انه حصل منها نحو الف الف دينار^(٢)

وفيها خلع على الأمير أبي العباس بن المقتدر بالله وقلد أعمال الحرب بمصر والمغرب واستخاف^(٩٩) له على مصر مونس الخادم . وقلد الأمير علي ابن المقتدر بالله الصلات وأعمال المعاون والاحداث والحرب بكور الري

وديناوند وقزوين وزنجان وأهر والطرثم

وفيهما ورد الخبر بقتل (أحمد بن اسمعيل) بن أحمد صاحب خراسان على شاطيء نهر بلخ قتله غلامانه وقام مقامه أبو الحسن نصر ابنه فنفذ العهد اليه من المقتدر بالله والكتاب بتقليده خراسان مكان أبيه

وفيهما ورد الخبر بان خادما لابي سعيد الجنابي الحسن بن بهرام المتغلب على هجر قتله. ثم ان ذلك الخادم خرج بعد قتله مولاه فدعا رجلا من رؤساء اصحابه وقال: السيد يدعوكم. فلما دخل قتله وما زال يفعل ذلك بواحد واحد الى أن قتل أربعة من الرؤساء ثم دعا بالخامس فاحسّ الخامس بالقتل فصاح واطلع النساء عليه وصحن فقبض على الخادم قبل أن يقتل الخامس وقتل الخادم وكان صقلابيا وقد كان أبو سعيد عهد الى ابنه سعيد فلم يضطلم بالامر فقلبه أخوه الاصغر أبو طاهر سليمان بن الحسن

وقد كان القرامطة وافوا الى باب البصرة في سنة ٢٩٩ وكان المتقلد لاعمال المعاوين بالبصرة محمد بن اسحق بن كنداجيق^(١) وكان يوم الجمعة والناس في الصلاة فصاح صائح^(٢) «القرامطة القرامطة ا» فخرج اليهم الموكلون بالباب فوجدوا فارسين قد نزل أحدهما عند الميلى فنظر اليه البوابون جالسا متكيا قد وضع احدي رجله على الاخرى والاخر بازانهم فصاحوا به وبدر اليه رجل من الخول فطعنه^(٣) القرمطي وقتله وتراجعوا فبكي

(١) وفي تاريخ الاسلام في ترجمة سنة ٣٠٤: وفيها مات محمد بن اسحاق بن

كنداجيق (كذا) بالدينور وكان متقلداً وصادر عليّ الوزير ورثته فصالحهم على ستين

الفدينار معجلة (٢) الصواب فطعن فانه يظهر ان القرمطي هو المقتول

أخوه فقالوا له . ارجع فاجر برجله وخذنه لمنكما الله . قالوا : ومن أنما ؟ قالوا : نحن المؤمنون . ثم تنحى خبا حتى أخذ أخاه ودخلوا فاغلقوا الباب وركب ابن كنداجيق بمن معه من الجيش حتى صار الى الموضع فنظر الديدبان عند صاريج الحجاج اليهم فقالوا : إني نحو ثلاثين فارساً . فخرج اليهم عطارد ابن شهاب العنبري وخواصمه وغلان من شحنة البصرة والمطوعة فقتل أكثرهم ولم ينج منهم إلا من هرب قبل المعينة وسلبوهم ولم يتركوا عليهم شيئاً إلا السراويلات بغير تكك ثم ضربوهم ضربات قبيحة . ورجع ابن كنداجيق وغلق الباب وجنّه الليل فلما أصبح لم ير منهم أحداً . فكتب الى ابن الفرات وكان هو الوزير في الوقت يستنجده ، فامدّه بمحمد بن عبد الله الفارقي في جيش كفيف وقائد من الرجال يعرف بقورويه وجمهر الزنجي في نفر من الرجال معونةً لابن كنداجيق

فلما تقلّد أبو الحسن^(١٠١) على بن عيسى الوزارة شاوره المقتدر في أمر القرامطة فاشار بمكاتبة أبي سعيد الحسن بن بهرام الجنابي فتقدم اليه بمكاتبته وانفاذ الكتاب على يدي من يرى فكتب كتاباً طويلاً جداً يذكّرهم بالله ويدعوهم الى الطاعة ويقول في آخره : ان أمير المؤمنين جعل هذا ظهيراً^(٢) عليك وحجة من الله بينة فيك وقاطعاً لعالمك وباباً يمصمك ان صدقت عما أراد من الخير بك وعظمت النعمة فيما بذله من العهد لك .

ونفذ الرّسُل فلما وصلوا الى البصرة انتهى اليهم قتل أبي سعيد^(٣) فتوقفوا

(١) الصواب قال (٢) الصواب ظهيرا يعني برهانا (٣) ليراجع رسالة نفذها أبو سعيد هذا الى المعتضد بالله وردت فيما تقدم من الكتاب وهي موجودة أيضا في كتاب الفرج

عن المسير وكاتبوا الوزير علي بن عيسى بذلك واستطلعوا رأيه ، فماد الجواب اليهم بالمسير الى اولاده ومن قام بعده مقامه فتمموا المسير وأوصلوا السكتاب وادّوا الرسالة فأجابوا عن السكتاب. وأطلقوا الاسرى الذين تسكلم فيهم الرسل وعاد بهم الرسل الى بغداد

﴿ ودخلت سنة اثنتين وثلاثمائة ﴾

وفيها قبض على أبي عبد الله الحسين بن عبد الله المعروف بابن الجصاص الجوهري وأنفذ الى داره جماعة حتى حملوه الى دار السلطان فأخذ منه من المال والجوهر ما قيمته أربعة آلاف ^(١٠٢) وكان هو يدعى أكثر من ذلك بكثير ويتجاوز في ذلك عشرين الف الف دينار وأكثر ^(١)

(١) ومبلغ ما أخذ منه في صلة عريب ص ٤٨ هو ستة آلاف الف دينار وفي كتاب الوزراء ص ٢٢٣ عشرة آلاف الف دينار ووردت في صلة عريب ص ١٣٠ قصة كيف وجد على بن عيسى بمصر سبعة جواهر أخذت منه وقد سرقت . وقال صاحب التكملة : في هذه السنة صودر ابن الجصاص قال الصولي : وجد له بداره بسوق يحيى خمسمائة سبط من متاع مصر ووجد فيها جرار خضر وقواق مدفونة فيها دنانير وأخذ منه الف الف دينار . قال الصولي : وحضرت مجلساً جرى فيه بين ابن الجصاص و ابراهيم بن أحمد الماذرائي خلف فقال ابراهيم :مائة ألف دينار من مالي صدقة لند أبطلت في الذي حكيتني عني . فقال ابن الجصاص : قمين دنانير من مالي صدقة اني صادق وانك مبطل . فقال ابن الماذرائي : من جهلك انك لا تعلم أن مائة الف أكثر من قفيز فانصرفت الى أبي بكر ابن أبي حامد فاخبرته فقال : نعمتها . فاحضر كبلجة فملاها دنانير ثم وزنها فكانت أربعة آلاف فنظرنا فاذا الفيز ستة وتسعون الف دينار كما قال الماذرائي . وكان ابن الجصاص قد أنفذ له من مصر مائة عدل خيشاً في كل عدل الف دينار فأخذت أيام نكبته وتركت بحالها ولما أطلق سأل فيها فردت عليه فأخذ المال منها . وكان اذا ضاق صدره أخرج جوهراً يساوي خمسين الف دينار وتركه في صينية ذهب ويلعب به فلما قبض عليه وكبست داره كان الجوهر في حجره فرمى به الى البستان بسوقهم بين شجرة فلما أطلق فتش عليه في البستان وقد جنب نبتة وشجرة وهو بحاله

وفيهما خرج الحسين بن علي العلويّ وتغلب على طبرستان ولقب الداعي فوجه اليه أخو صعلوك جيشاً فلم يثبتوا له وانصرفوا فعاد العلوي اليها^(١)

﴿ودخلت سنة ثلاث وثلاثمائة﴾

وفيهما ورد الخبر بأن الحسين بن حمدان قد خالف وخرج عن طاعة السلطان . وكان مونس الخادم غائباً قد أخرج الى مصر لمحاربة العلوي صاحب المغرب^(٢) لما قصد مصر في نيف وأربعين ألفاً فندب له الوزير علي بن عيسى راثقا الكبير وخلع عليه وكتب الى مونس يعرفه الخبر ويأمره بالسير الى ديار مصر اذا انصرف من مصر وان يجذب معه أحمد ابن كيغلغ وعلي بن أحمد بن بسطام والعباس بن عمرو ليصلح الديار فيزيل الاختلال ويحفظ الثغور وخاصة الجزرية منها فقد كان جرى على حصن منصور من قصد الروم اياه وسبيهم كل من كان في نواحيه أمر عظيم لتشاغل الناس بالحسين بن حمدان عن الغزاة الصائفة . ولما صار راثق الى الحسين بن حمدان أوقع به الحسين فصار راثق الى مونس واتصلت^(١٠٣) كتب علي بن عيسى الوزير الى مونس بالاسراع نحو الحسين فجدد مونس في المسير ولما قرب من الحسين جاءه هرون كاتب الحسين وجرت بينه وبينه خطوب كتب بها مونس الى علي بن عيسى وذكر ان هرون أوصل اليه كتاباً من الحسين يتضمن خطاباً طويلاً قد افتحه وختمه وكرّر القول في فصوله : ان السبب في خروجه عما كان عليه من الثقة والطاعة عدول الوزير أيده الله عما كان عليه في أمره الى ما أوحشه وأنه لم

(١) هو الأتروش : صلة عريب ص ٤٧ (٢) هو المهدي أبو القاسم عبيد الله ومعه حباسة بن

يوسف السكتامي البصري : راجع كتاب الولاية لأبي عمر السكندی ٢٦٨ والبيان المغرب ١ : ١٧٢

يفي له بضمانات ضمنها له وذكر انه قد اجتمع له من قبائل العرب ورجال
العشيرة ثلاثون الف رجل . وانه سأل الرسول عما حملة الحسين من الرسالة
اليه فذكر أنه يسئله المقام بحرّ ان اذ كانت تحمل عسكره وان يكاتب الوزير
أعزه الله في أمره ويسئله صرفه عما يتقلده من الأعمال وتركه مقبلاً في منزله
وتقليد أخيه ديار ربيعة . وأنه عرفه ان هذا متعذر غير ممكن اذ كانت
كتب الوزير متصلة اليه بالانجذاب وان مخالفته غير جائز وانه لا يدع
الكتاب فيما سأل ولا يثنيه ذلك عما رسمه الوزير أعزه الله . فان عزم على
اللقاء فبالله يستعين على كل من خالف السلطان أعزه الله ويجحد نعمته
وان انقاد للحق وسلك سبيله وصار^(١٠٤) اليه فنزع عما هو عليه كان ذلك
أشبه به وان أبي وأقام على حاله من التعزّز والمخرقة لقيه بمضر بأسرها وصان
رجال السلطان مع وفور عددهم عن التعرّض لطغامه لا لنكول عنه منه
لكن لاستهائته بامرّه وأنه وكل بكاتبه هذا المترسل عنه وأنه لا يأذن له في
الانصراف الاّ بعد أن يعرف خبر الحسين .

ثم وردت الأخبار برحيل مونس حتى نزل بازاء جزيرة ابن عمر
ورحل الحسين نحو أرمينية مع ثقله وأولاده وأمواله ثم انقلّ عسكر الحسين
وصاروا الى مونس أولاً أولاً . وورد كتاب مونس بأنه قد صار اليه من
أمراء الحسين وغلمان وثقاته ووجوههم سبعمائة فارس وأنه خلع على أكثرهم
وتقدّم ما كان معه من الخلع والمال وأنه في احتيال باقى ما يحتاج اليه . ثم ورد
كتاب به بأسر الحسين بن حمدان وجميع أهله وأكثر من صحبه وقبض على
أملاك بني حمدان بأسرهم ودخل مونس ومعه الحسين وابنه بغداد
فلما كان بعد يومين حمل الحسين من باب الشماسية الى دار السلطان

مصلوباً على نقيق منصوباً بأعلى ظهر فالج وابنه مشهور على جميل آخر
والبرانس على رؤسهما وسار بين يديه الأمير أبو العباس ابن المقتدر بالله^(١٠٥)
والوزير أبو الحسن علي بن عيسى والاستاذ مونس الخسام وأبو الهيجاء
عبدالله بن حمدان وابراهيم بن حمدان وسائر التواد والجيش والقيلة فلما
وصلوا الى دار السلطان وقف الحسين بين يدي المقتدر بالله ثم أمر بتسليمه
الى زيدان القهرمانه وحبس عندها في دار السلطان

وشغب الرجالة الحجرية بمد حصول الحسين بن حمدان واحرقوا
اصطبل الوزير وطالبوه بالزيادة في أرزاقهم فزيد بكل غلام ثلاثة دنانير في
كل شهر من شهرهم وزيد الرجالة كل واحد نصف ورُبُع دينار^(١) في
كل شهر فسكن الشغب

وقبض على أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان وجميع أخوته وحبسوا في
دار السلطان وكان هرب ابن الحسين بن حمدان في جماعة من أصحابه وبلغت
هزيمته أمد فأوقع بهم الجزري وقتل ابن الحسين وجماعة من أصحابه وحملت
رؤسهم الى الحضرة وصلب قوم من أصحاب الحسين بن حمدان^(٢)
ودخلت سنة أربع وثلثمائة

وفيها اتي باصبهان غلام اعلى بن وهسودان الديالى . وكان يتقلد أعمال
المعاون بها أحمد بن سيّاه عامل الخراج بها أنفذه صاحبه اليه في حاجة

(١) قال صاحب التكملة : خمسة عشر قيراطاً

(٢) يراجع في قصته ص ٥٨ — ٥٦ وقال فيه الحافظ الذهبي في
تاريخ الاسلام انه قدم الشام لقتال الطولونية في جيش من قبل المكتفي وقدم دمشق
لحرب القرامطة أيام المقتدر ثم ولاء ديار ربيعة فغزا وافتتح حصونا وقتل خلقاً من الروم
ثم خالف فسجن ثم قتل سنة ٣٠٦

وَاتَّفَقَ أَنَّهُ لَقِيَهُ وَهُوَ ^(١٠٦) رَاكِبٌ فَسَكَّمَهُ فِي الْحَاجَةِ فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى أَحْمَدَ بْنِ سَيَّاهٍ وَقَالَ لَهُ: يَا مُؤَا جِرَ تَخَاطَبْنِي فِي حَاجَةٍ عَلَى ظَهْرِ الطَّرِيقِ ! فَاَنْصَرَفَ الْغَلَامُ إِلَى مَوْلَاهُ مُحَفِظًا وَحْدَهُ ثُمَّ جَرَى فَقَالَ لَهُ : صَدَقَ فِيمَا قَالَ وَلَوْلَا أَنَّكَ مُؤَا جِرَ تَضْرَبْتَ رَأْسَهُ بِالسَّيْفِ لَمَا خَاطَبَكَ بِذَلِكَ . فَعَادَ الْغَلَامُ وَوَجَدَ أَحْمَدَ ابْنَ سَيَّاهٍ مُنْصَرَفًا فَعَلَاهُ بِالسَّيْفِ وَقَتَلَهُ . فَانْكَرَ السُّلْطَانُ ذَلِكَ عَلَيْهِ وَصَرَفَ عَلَى بْنِ وَهْسُودَانَ لِأَجْلِ ذَلِكَ عَنْ أَصْبَهَانَ بِأَحْمَدَ بْنِ مَسْرُورَ الْبَلْخِي . فَاسْتَأْذَنَ عَلَى بْنِ وَهْسُودَانَ فِي الْإِنْصِرَافِ إِلَى بَلَدِ الدَّيْلَمِ فَأُذِنَ لَهُ ثُمَّ سَأَلَ بَعْدَ ذَلِكَ فِي أَمْرِهِ مَوْنَسَ الْخَادِمِ فَرَضَى عَنْهُ وَأَقَامَ بِنَوَاحِي الْجَبَلِ

وَفِيهَا قَدِمَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ صُعْلُوكَ مَدِينَةَ السَّلَامِ وَهُوَ ابْنُ ثَمٍّ صَاحِبُ خِرَاسَانَ مُسْتَأْمَنًا نَخْلَعًا عَلَيْهِ

وَفِيهَا فِي فِصْلِ الصَّيْفِ تَفَرَّعَتْ الْعَالَمُ مِنْ حَيَوَانَ كَانُوا يُسَمَّوْنَ الزَّبْزَبَ ذَكَرُوا أَنَّهُمْ يَرُونَهُ فِي اللَّيْلِ عَلَى سَطُوحِهِمْ وَأَنَّهُ يَأْكُلُ أَطْفَالَهُمْ قَالُوا وَرُبَّمَا قَطَعَ يَدَ الْإِنْسَانِ إِذَا كَانَ نَائِمًا أَوْ ثَدَى الْمَرْأَةَ فَيَأْكُلَهُ . وَكَانُوا يَتَجَارَسُونَ طَوْلَ اللَّيْلِ وَلَا يَنَامُونَ وَيَتَزَاعَتُونَ وَيَضْرِبُونَ الطُّسُوتَ وَالصَّوَانِي وَالْهَوَاوِينَ لِيَفْزِعُوهُ وَارْتَجَّتْ بَعْدَ ذَلِكَ حَتَّى أَخَذَ السُّلْطَانُ حَيَوَانًا غَرِيبًا أَبْلَقَ كَانَهُ مِنْ كَلَابِ الْمَاءِ وَقَالَ « هُوَ الزَّبْزَبُ » وَأَنَّهُ صَيْدَ فَصْلَبَ ^(١٠٧) عَلَى تَقْنَقٍ عِنْدَ الْجَسْرِ الْأَعْلَى وَبَقِيَ مَصَافِيًا إِلَى أَنْ مَاتَ . فَلَمْ يَنْعِنِ ذَلِكَ إِلَى أَنْ أَبْطِطَ الْقَمَرُ وَتَبَيَّنَ لِلنَّاسِ أَنَّهُ لَاحِقِيَّةٌ لِمَا تَوَهَّمُوهُ فَامْسَكُوا إِلَّا أَنْ اللَّصُوصَ وَجَدُوا فُرْصَتَهُمْ بِتَشَاغُلِ النَّاسِ فِي سَطُوحِهِمْ فَكَثُرَتِ النُّقُوبُ

وَفِيهَا تَقَرَّرَ عِنْدَ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ عَيْسَى الْوَزِيرِ أَنَّهُ قَدْ سَمِعَ لَابْنَ الْفَرَاتِ فِي الْوِزَارَةِ وَتَحَقَّقَهُ فَاسْتَعْفَى مِنْهَا وَلَمْ يُعْفِهِ الْمَقْتَدِرُ . وَأَخْضَرَ فِي دَارِ

السلطان ان ابن الفرات عليل شديد العلة واتفق^(١) ان مات الشاري الذي كان محبوباً في دار السلطان^(٢) والتدبير في أمر الشراة ان يكتم موت من يؤخذ منهم ممن تسميه الشراة اماماً فانه ما دام حياً فليس ينصبون اماماً غيره فان صحّ عندهم موته نصبوا غيره . فأظهر في دار السلطان ان ابن الفرات مات وكفن الشاري واخرجت جنازته على انها جنازة ابن الفرات وصلى عليه الوزير على ابن عيسى ثم انصرف الى منزله متوجعاً وقال لخواصه « اليوم ماتت الكتابة » ثم مضت الايام ووقف على بن عيسى من جهات كثيرة على تمام السعي لابن الفرات وانه حتى فقال لخواصه : ليس ينبغي للانسان ان يتحدث بكل ما يسمعه

وكان يضجر في أوقات من سوء^(١٠٨) أدب الحاشية والمطالبة بالمحالات ويستعفى من الوزارة ويخاطب المقتدر في ذلك فينكر عليه استغفائه الى ان اتفق يوماً ان صارت اليه أم موسى القهرمانة في آخر ذى القعدة من سنة ٣٠٤ لتوافقه على ما يطلق في عيد الاضحى للحرم والحاشية . وكان على بن عيسى محتجباً فلم يجسر سلامة حاجبه عليه ان يستأذن لها فصرها صرفاً جليلاً ففضبت من ذلك . وعلم على بن عيسى بحضورها وانصرافها فأمر ان تلتبس ويعتذر اليها لترجع فأبت ان تهود وصارت الى المقتدر والسيدة فأغررت به وتخرّصت عليه الاحاديث فصرفه المقتدر بالله وقبض عليه غداة الاثنين لثمان خلون من ذى الحجة سنة ٣٠٤ عند ركوبه الى دار الخلافة ولم يتعرض لشيء من أملاكه وضياعه وضياع أسبابه ولا لاحد من أولاده واعتقل عند زيدان القهرمانة

(١) وفي كتاب العيون : انه مات بعض الخدم (٢) هو هارون وظفر به الحسين بن

فكانت مدّة وزارته هذه ثلاث سنين وعشرة أشهر وثمانية وعشرين يوماً^(١)

﴿وزارة أبي الحسن على بن محمد بن الفرات الثانية﴾

فيها تقلد أبو الحسن الوزارة والدواوين ثمان خلون من ذي الحجة^(٢) وخلع عليه وصار^(١٠٩) الى داره بالخرّم التي كان أقطعها في وزارته الاولى . وكتب الى الاطراف والبلدان عن المقتدر بالله بخبر إعادته الى الوزارة على

(١) راجع كتاب الوزاء : ٢٨٦—٢٨٣

(٢) قال صاحب كتاب العيون : وفيها قلد أبو الحسن ابن الفرات ابنه أبا أحمد المحسن على زمام المشرق وجعله خليفته له فيه وقلده أيضاً ديوان البر وقلد ديوان المغرب مكان أبي عبد الله محمد بن أحمد (الحاقاني) بعد أن صرفه عن ديوان المشرق فلم يزل يتقلد ديوان المغرب وديوان البر طول أيام أبيه . وقلد أبا الفتح الفضل بن جعفر بن محمد ابن موسى بن الفرات ديوان الخراج والضيايع العامة وطساسيج السواد وكور الاهواز وفارس وكرمان وسجستان وصار أبو الفتح الى ديوان الزمام . فصادف أبا الحسين على ابن الحسين الماذرائي المتقلد لهذا الديوان في مجلسه لم يعلم بمجيء أبي الفتح فلما علم أبو الحسين ذلك قام من مجلسه وجلس بمكان غيره الى أن وافوا بدابته فركب وانصرف وجلس أبو الفتح مكانه .

وأما الماذرائين قال أيضاً ان في هذه السنة تسكر لهم ابن الفرات لان ابراهيم ابن أحمد الماذرائي حج فيها فلم يكن ابن الفرات تقلد الوزارة فلما وصل الى مكة كانت أخت ابن الفرات مجاورة في مكة نازلة في بعض الدور فقصد ابراهيم بن أحمد الدار للنزول بها وحوّلها منها نحوياً قبيحاً بعد أن أسمعها مكروهاً وبسطوا ألسنتهم في ابن الفرات فلما انقضي الحج سارت الى بغداد فوجدت أخاها قد قعد في الوزارة فأخبرته بما نالها من ابراهيم فغلظ ذلك عليه وحقدته . فلما وافى ابراهيم بغداد وسار الى دار الوزير انتهت به بالوزارة فقرعه ووبخه بما كان منه فاعتذر فلم يقبل عذره . ووجد الوزير هذا السبب ذريعة الى مطالبته بمال المصادرة الذي عليه وعلى أقاربه فخطب الخليفة في أمر الماذرائين فبسط يده عليهم .

نسخة أنشأها أبو الحسن محمد بن جعفر بن ثوابه^(١) وفي فصل منه : ولما لم يجد أمير المؤمنين غنى عنه ولا للملك بداً منه وكان كتاب الدواوين على اختلاف أقدارهم وتفاوت ما بين أخطارهم مقرين برياسته مترفين بكفايته متحسين إليه إذا اختلفوا واقفين عند غايته إذا استبقوا مذعنين بأنه الحول القاب الحنيك المجرب العالم بدرّة المال كيف تحاب ووجوهه كيف تطاب انتضاه من غمده فعاد ما عرف من حده فنهد الأعمال كأن لم ينب عنها ودبر الأمور كأن لم يخل منها . ورأى أمير المؤمنين ألا يدع سبباً من أسباب التكرمة كان قدما جملة له إلا وفاه إياه ولا نوعاً من أنواع المثوبة والجزاء كان أخره عنه إلا حباه به وآتاه . نفاطبه بالتسكينة وكان وكان

وقبض ابن الفرات على أسباب علي بن عيسى وأخوته وكتابه وجميع عماله بالسواد وبالمشرق والمغرب وصادرهم سوى أبي الحسين وأبي الحسن ابني أبي البغل فانه أقرهما على ما كانا يتوليانه من أعمال أصبهان والبصرة إغناية أم موسى^(١١٠) بهما وقبض على أبي علي الخاقاني وتتبع أسبابه وألزم جميعهم مصادرة ثانية أدوها وطالب العمال المصروفين بالمصادرة وأن يظهروا المرافق ويؤدوها ونصب ديواناً للمرافق وكان ضمن للمقتدر ووالدته من هذه الجهة كل يوم ألفاً وخمسمائة دينار وكانت تنسب الى تلك الخريطة فكان يحملها ولا يمكنه الاخلال بها وكان منها للمقتدر في كل يوم ألف دينار وللسيدة في كل يوم ثلثمائة وثلاثة وثلاثون ديناراً وثلث والاميرين أبي العباس وهرون ابني المقتدر في كل يوم مائة وست وستون ديناراً وثلثاً وكان ابن الفرات قد اتسع بما كان استساقه علي بن عيسى من الخراج

فانه قد كان جبي قطعةً منه قبل الافتتاح وابتدأ بذلك قبل صرفه بعشرة أيام وأعدّ المال في بيت المال لينفقه في العيد في اعطاء الحشم والفرسان والآراك فقويت نفس كاتب^(١) ابن الفرات به وانضاف الى ذلك جملة عظيمة راجت له من مال المصادرات والضمانات وأموال سفاتج وردت من فارس واصبهان ونواحي المشرق في درج كُتب بحمول كتبت على أنها تصل الى علي بن عيسى فأطلق جميع ذلك في الفرسان والحشم والخدم ومهم النفقات له وكان الغالب^(١١١) على أمر الدواوين والأعمال في أيام وزارة ابن الفرات هذه من بين سائر كتابه أبو بشر عبد الله بن فرجويه وكان السبب في ذلك أنه سلم من النكبة وقت القبض علي ابن الفرات في الدفعة الاولى واستمر مدة وزارة الخاقاني وعلي بن عيسى . وواصل بعد ما مضت سنة واحدة من وزارة علي بن عيسى مكتوبة ابن الفرات علي يد عيسى المتطبب وكان ابن الفرات يجيبه عن رقاعه ويرسم له ما يُكاتب به المقتدر عن نفسه في معايب علي بن عيسى وكتابته وعُماله ، وأنه ليس يصادر أحدا من عماله ويقول « لا أخوّن عاملاً بعد ان ائتمنته » ويدكر تأخر أرزاق الولد والحرم والحشم حتى أنه اقتصر بالولد والحرم على جاري ثمانية أشهر في السنة والخدم والحشم بستة أشهر من السنة واقتصر بالفرسان من مائة وخمسين ألف دينار تطلق لهم في الشهر على خمسين ألف دينار . وكان المقتدر يوافق ابن الفرات على تلك الرقاع فيعيرّفه أن ابن فرجويه خبر بالأُمور وأنه صادق في كل ما ذكره فيهم المقتدر بصرف علي بن عيسى فاذا شاور مونساف ذلك أشار عليه أن لا يفعل ووصف علي بن عيسى بالديانة والأمانة .

فلما خرج مونس الى مصر لمحاربة العتوى^(١١٢) صاحب المغرب تمكن ابن فرجويه من الجدد في السبي على علي بن عيسى وكان غريب الخال ونصر الحاجب يدفعان عن علي بن عيسى لما غاب مونس . فلما تبين لابن فرجويه دفع غريب ونصر عن علي بن عيسى كتب رُقعة بخطه الى المقتدر يذكر فيها أنه إن صرف علي بن عيسى عن الوزارة وقاد مكانه علي بن محمد بن الفرات أطلق للولد والحرم والحشم ولين بالحضرة من تفاريق الفرسان مثل ما كان يُطلقه في أيام وزارته الأولى على التمام والكمال والإدراج وأن يوفر بعد ذلك من مال مُصادرات الممّال ومال مرافقهم والاستثبات في النواحي في كل شهر من شهر الاهلة خمسة وأربعين ألف دينار فواقف المقتدر ابن الفرات على هذه الرقعة فذكر ان جميع ما تضمنته صحيح وبذل خطه بضمانه جميع ذلك . فكانت هذه الرقعة من اكبر اسباب التحاقه على ابن فرجويه في وزارته هذه واختصاصه به .

واتفق له مع ذلك ان ابن الفرات اودع على يده عند جماعة من التجار والكتّاب أموالاً جليّة ولم يُقرّ ابن الفرات بما كان اودعه ابن فرجويه لانه لم يكن يعرف أسماء من اودع ذلك عنده فلما عاد الى الوزارة استخرج له ابن فرجويه جميع ما كان اودعه له من غير^(١١٣) أن يذهب له شيء منه وكان أبو علي بن مقلّة مُتعطلاً في أيام وزارة الخاقاني وعلي بن عيسى مُلازماً منزله واستتر أيام الخاقاني ثم آمنه على بن عيسى فلزم منزله فشكر له ابن الفرات واختص به لهذه الحال

﴿ ذكر ماجرى من ابن أبي الساج عند تداول الوزارة الأيدي الكثيرة ﴾
لما وقف يوسف بن أبي الساج على الخبر في صرف علي بن عيسى عن الوزارة

وكان مقيماً بأذربيجان ومقلداً أيام وزارة ابن الفرات الأولى أعمال الصلاة والحرب والمعاون والخراج والضيايع العامة بآرمينية وأذربيجان ومقاطعاً على مال يحمله في كل سنة عنها إلى بيت المال بالخرقة وكان يُزجج العلة في ذلك المال مدة أيام وزارة ابن الفرات الأولى . فلما ولي أبو علي الخاقاني الوزارة ثم علي بن عيسى طمع فاختار أكثر المال الذي كان يقطع عليه واجتمع له من ذلك ما قوى به وحمله على العصيان

(ذكر ما دبره ابن أبي الساج واحتال به)

أظهر أن علي بن عيسى أنفذ إليه اللواء والعهد عن المقتدر بالله بتقليده أعمال الحرب^(١١٤) بالرى وقزوين وأبهر وزنجان قبل صرفه عن الوزارة وسار مبادراً إليها فلما قرب منها انصرف عنها محمد بن علي صعلوك وهرب إلى نواحي خراسان وكان محمد بن علي هذا متغلباً على هذه النواحي ثم قاطع عن الضيايع والخراج مقاطعة خفيفة ولم يف بذلك أيضاً . فلما وقف ابن الفرات على ما فعله ابن أبي الساج أنهى ذلك إلى المقتدر ثم ورد كتاب ابن أبي الساج بعد أيام يعتد فيه بما فعله من إخراج محمد بن علي صعلوك عن الرى وما يلها ويبشر السلطان بفتح هذه النواحي ويصف أنه لما ورد عليه العهد واللواء من جهة علي بن عيسى سار إليها فرزقه الله الفتح والنصر فاعتناظ المقتدر بالله من ذلك وتقدم إلى ابن الفرات بمواقفة علي بن عيسى على ما كتب به ابن أبي الساج^(١١) فأخرجه من محبسه ورفق به وخاطبه بجميل وقال له : قد يجوز أن تكون دبرت بهذا الفعل على صعلوك وهذا غير منكر . خلف أنه ما ولاه ولا أنفذ إليه لواء ولا عهداً وقال : لا بدّ لواء

والعهد ان ينفذ مع خادم من خدم السلطان أو قائد من قواده وهؤلاء الخدم والقواد بين أيديكم سلوهم عن ذلك وليديوان الرسائل^(١١٥) كاتب يتقلده بكتب العهود والولايات سلوه هل كتب بشيء فأخذ منه ابن القرات خطأ بما حكاه وعرضه على المقتدر بالله فازداد المقتدر غيظاً على ابن أبي الساج وكتب ابن القرات عن المقتدر بالله وعن نفسه الى ابن أبي الساج في هذا المعنى أغلظ كتب وتوعده وأنفذ اليه من الحضرة لمحاربتة خاقان المفلحي وضم اليه الرجال وأنفذ بعده عدة من القواد مدداً له وأنفق الاموال فيهم وكان فيهم مثل محمد بن سرور البلخي وسما الخزري ونحرير الصغير وجماعة أمثالهم فواقعه ابن أبي الساج وهزمه وأسر جماعة من أصحابه وأدخلهم مشهرين الى الري. وقدم مونس الخادم من الثغر فندب لحرب ابن أبي الساج وشخص اليه وكتب الى جميع القواد في طريقه بالانضمام اليه واستأمن اليه أحمد ابن علي صملوك فأحسن قبوله وصرف خاقان المفلحي عما كان اليه من أعمال الجبل وقلد مكانه نحرير الصغير.

واتصت كتب ابن أبي الساج يلتمس الرضا عنه ويبدل سبعمائة الف دينار عن أعمال الخراج والضيايع بكورة الري وما يلها خالصة سوى أرزاق الاولياء في تلك الاعمال وسوى النفقات^(١١٦) الراتبه فلم يجبه المقتدر بالله الى ما التمسه فكتب يبذل أن يقيم بالري متقلداً أعمال المعاوين والحرب بها فقط حتى ينفذ السلطان الى تلك النواحي من يتقلد أعمال الصلاة والخراج والضيايع والاحكام والبريد والخبر والخرايط والصدقات فأقام المقتدر على انه لو بذل كل بذل لما أقره على الري يوماً واحداً لا يقدمه على ان سار لها بغير أمر فلما رأى ابن أبي الساج هذه الحال انصرف عن الري وأعمالها

بعد أن أخرجها وجي مالها السنة ٣٠٤ في مدة قرية وقلد مونس الري وقزوين وصيفاً البكتيمري . ورضى ابن أبي الساج بأن يُجدد له العهد والولاية للأعمال التي كانت إليه أولاً وأشار ابن الفرات بقبول ذلك منه وضمن أن يلزمه بهذا السبب حمل جملة من المال الى بيت المال بحسن موقعها فعارض ذلك نصر الحاجب وابن الحواري وقالوا : لا يجوز أن يقرر على أرمينية وآذربيجان إلا بعد أن يرد الحضرة ويطأ البساط . ونسبوا ابن الفرات الى مواطاته . فاقام المقتدر على أنه لا بد من محاربته أو يرد الحضرة وكتب الى مونس بالتعجيل اليه لمحاربته ^(١١٧)

فلما رأى ابن أبي الساج أن دمه على خطر حارب مونساً بسراة من بلد آذربيجان فانهزم مونس الى زنجان وقتل من قواد السلطان سيما واستأسر ابن أبي الساج جماعة من قواد مونس فيهم هلال بن بدر وأدخلهم الى أردبيل مشهرين . وأقام مونس بزنجان يجمع ليوسف وهو مع ذلك يكتبه ويراسله وابن أبي الساج يلتمس منه الصالح ومونس لا يقبل منه إلا المصير الى الحضرة . وكان ابن أبي الساج أبقى على مونس لما انهزم حتى سلم في ثلثة غلام ولو أراد ابن أبي الساج لاسر دفكان مونس يشكر ابن أبي الساج على هذه الحال ^(١)

(١) راجع صلة عريب ص ٧٧ * وقال صاحب كتاب العيون في ترجمة سنة ٣٠٦ : وفيها رحل مونس من همدان متوجهاً الى أهر يحارب ابن أبي الساج وورد عليه خبره أنه شديد الاضطراب وأنه عزم على الرحيل من الموضع الذي كان فيه وإن اخونه قد تماربوا عنه فرحل مونس وقصد أهر وقصد ابن أبي الساج أردبيل واتبعه مونس الى أن أدركه وصف مونس أخاه وصف ابن أبي الساج أخاه واقتلوا فانهزم مونس فوقف على الموضع الذي فيه المال فانحاز بين يديه واتبعه يوسف إتباعاً رقيقاً وسار مونس من

فلما كان في المحرم بعد ذلك في أيام وزارة حامد بن العباس واقع
مونس يوسف بن أبي الساج الواقعة الاخرى باردبيل فأسر يوسف وبه

بين يديه حتي صعد العقبة ولحق أواخر العسكر أصحاب سبك غلام ابن أبي الساج فوضع
فيهم السيف فقتل منهم خلقاً كثيراً وأمر جماعة وأفلت من صعد العقبة ونهب عسكر
مونس وأخذوا من الجمل والبغال ما لا يقع عليه إحصاء

وأتي مونس زنجان وخلقته الناس وأقام مونس بزنجان خمسة أيام وسار منها الى
قزوين وأقام بها شهرين . ووافت الاخبار بالقبض على ابن الفرات وكان يتم في تحرish
ابن أبي الساج ووافي الى مونس من مدينة السلام المال والكراع والهدايا والآلة والفرش
والجمال وجرّد اليه العساكر مع أمراء البلدان ثم لقيه ابن حمدان مستأمناً وسرّ الاستاذ
وخلع عليه . وتكاثر العساكر بزنجان تكاثراً ضاقت بهم أرضها وعظم الشتاء وكثر
الثلج وفرق مونس العساكر في البلدان وأقام هو بزنجان ووافي المال من بغداد مع ماهر
الخادم ومبلغه مائة ألف دينار عيناً فسر مونس بوروده .

وقال أيضا في ترجمة سنة ٣٠٧ : وفيها جد مونس السير الى ابن أبي الساج الى ان
وصل العقبة فلما كان ذلك اليوم وافت البشارة بمجيئ جوامرد غلام ابن أبي الساج في
الأمان فركب وتقدم مونس الى غلامه يلبق ان يتلقاه وأخذ مونس بالحزم وركب
العسكر وعلوا رؤوس الجبال ووافي رسول يلبق بصحة الخبر وانه اتي جوامرد معه ثلاثة
نفر فقط وكان مونس قد اتهمه فليحق بعسكر مونس فاستبشر الناس بمجيئه وأيقنوا
بالظفر وانحلال أمر يوسف وخلع عليه مونس وعلى أصحابه خلعا سلطانية وحمل اليه
عشرات آلاف دينار وفروشا . ولم يقف يوسف على خبره الى بعد صلاة العصر من
اليوم الذي هرب فيه عرّفه بعض حواشيه بوصوله عسكر مونس فعظم ذلك عليه . وضرب
مونس المصاف مع ابن أبي الساج فكسره وأنزله نحو أردبيل وأحرقه وضربه ومضى أبو الهيثجاء بن
حمدان في الطلب وأحمد بن علي أخو صعلوك والفارقي ووصيف وسراج ورجع من مضى في الطلب
وذكروا ان ابن أبي الساج سار الى باب أردبيل وعبدل عن المدينة نحو طريق ورنان
ورحل مونس نحو أردبيل فوافاه اعرابي يركض وييده سيف حليته ذهب وهو يطلب
الاستاذ فأرشد اليه فاخبر أنه وجماعة من عشيرته كانوا في طلب يوسف الى أن انتصف
وكلت دوابهم حتي أدركوا يوسف وقد تقنطر به فرسه فسقط الى الارض سقطا أوهنته

ضربات وانصرف به مونس الى بغداد فلما كان سنة ٣٠٧ حمل يوسف بن أبي

ومعه نفر يسير فلما أدركه تفرق من كان معه ولحقه اعرابي فضربه على رأسه فلما ضربه قال : أنا يوسف وعندي غناك وغنى عقبك . فاخذ سيفه ومنطقه وخاتمين ياقوتا من يده وأخذ فرسه وسلبه وهو ابن عمه وحمله على بغل كانا أخذاه في طريقهما ورجعا نحو عسكر مونس فلقاه أخو صعلوك فلما رأى يوسف رجل وقال : السلام عليك أيها الأمير . فقال له يوسف : أنت الأمير اليوم يا أبا العباس . فاخذه وأقبل الى الاستاذ فشكر لله وحده . وكان الاعرابي الذي أخذه يقال دعيجة بغل (ليراجع كتاب الاغانى ٩٧: ١١) وبه ثلاث جراحات فادخله الى مونس فكلمه باجمل كلام ووعدوا أحسن وعسد وقال : أنا استوهب من أمير المؤمنين ذنبك واجعلك صاحبي وعمدي . ودعا ماء ورد فغسله به بيده ثم أخرج الى خيمة قد أعدت له وأدخل عليه الاطباء فداؤوا جراحاته فقال يوسف ليلبق : حاجتي أن لا يدخل الى غير الطبيب لعلاج جراحاتي وغلام صغير يخدمني . ففعل ذلك

وتوجه مونس الى بغداد ومعه يوسف فلقاه أبو القاسم بن الحواري بمجلوان ومعه بشر الخادم خليفة مونس وابراهيم بن حمدان وسار حتى وصل المصلى العتيق واستقبله الوزير وارباب الدولة . وكان قد استعد ما يشهر به عجل ليحمل عليها واسعة المقعد وعلى أن يلبس المصبغات والبرانس ويشهر بطليل يجعل في عنقه ويجلس معه المحسون في العجل يطبلون ويرزون وبلغ ذلك مونس فأنكره وكتب فيه كتاباً الى المقتدر بسأله ان لا يشهر بركوب الفيل والعجل فأحيب الى ما سأل . فزينت المدينة وخرج الرجال والنساء في باب خراسان والى دار المقتدر في الشارع ودخل مونس وبين يديه يوسف على حمل وعليه الدراعة التي كانت على عمرو بن الليث والبرانس وهو مطرق الى الارض لا ينظر الى أحد وفي وجهه خف أسود فرق الناس له ودعوا بأن يعطف الله قلب المقتدر عليه فوصل الى دار المقتدر وأنزل في الفوج الأول في مرتبة لم ينزلها قبله أحد من نظرائه ثم عدل به الى الدهليز الثالث الذي منه يصل الى المقتدر الى حجرة هناك .

ودخل مونس الى الخليفة بعد أن جلس على سرير ملكه وأبو العباس ابنه عن يمينه والباقون من ولده عن يساره والوزير حماد واقف بين يديه وعلى بن عيسى دونه والناس على مراتبهم فتقدم مونس فقبل يده ورجله والبساط والسرير وتقدم بعده هلال ابن بدر وبعده عبد الله بن حمدان والناس بعدهم ثم وقف ابن أبي الساج فلما وقف بين

الساج على جبل من باب الشماسية وادخل بغداد مشهراً^(١) على رأسه برنس
وبين يديه الجيش الى أن وصل الى دار السلطان ووقف بين يدي المقتدر ثم
حبس في دار السلطان في يد زيدان القهرمانة ووسع عليه ثم خلع علي
مونس وطوق وُسُور^(١١٨) وخلع على جماعة من قواده وزيد الرجالة
نصف دينار لكل واحد في الشهر

ولما بعد مونس من آذربيجان وأنكفاً راجعاً الى مدينة السلام ومعه
يوسف بن ديوداذ غلب سبك غلام يوسف عليها . فانفذ مونس اليه محمد
ابن عبد الله الفارقي وقلده البلد وكان في حدود أرمينية فسار الى سبك
وحاربه فلم يزل الفارقي وصار الى بغداد وتمكن سبك من البلد . ثم كتب
الى السلطان يسئل ان يقاطع عن الناحية فأجيب وفورق على أن يحمل في كل
سنة مائتين وعشرين ألف دينار وانفذت اليه الخلع والمقد ولم يف بما ووقف
عليه وكان مونس لما ظفر بيوسف بن أبي الساج وقبل انصرافه عن
آذربيجان قلده على بن وهسوذان أعمال الحرب بالرى وديناوند وقزوین
وزنجان وأهر وسلمها اليه وجعل أموالها له ولرجالها وقلده أحمد بن علي صعلوك

يدي المقتدر رحي نفسه ليقبل البساط فتع من ذلك فما زال واقفا ساعة والمقتدر يتأمله ثم
يجيء من بين يديه وسلم الى بدر الحرمي . وقد كان مونس وحامد قد تحجوا من بين
يدي المقتدر وجلسوا في صفة فجىء ابن أبي الساج اليهم فقال له الوزير حامد : طب نفسا
وقر عينا فان مولانا أمير المؤمنين حسن الرأي فيك وليس يرى الا ماتحب . ثم مضى
مونس نخل عليه وقلده سيفاً وعلى هلال بن بدر بعده وعلى أبي الهيثماء بن حمدان بعده
والناس على طبقاتهم وآخر المستأمنة مثل جوامرد وغيره أياها ثم خلع عليهم بعد ذلك
فكان جميع من خلع عليه ثلثمائة وخمسة وعشرين رجلاً .

(١) قال صاحب التكملة : وشهر على الفالج وهو جبل له سنامان يشهر عليه الخوارج على السلطان

أعمال المعاونة باصبيان وقم وجعل مال الخراج والضياح بقم وساقوله ولرجاله مبلغه في كل سنة أكثر من مائتي ألف دينار

ثم وثب أحمد بن مسافر صاحب الطرم على ابن أخيه على بن وهسوذان وهو معه مقيم بناحية قزوين فقتله على فراشه^(١١٩) وهرب في الوقت الى بلده وكان أحمد بن علي أخو صـمـلوك مقيماً بقم فصار منها الى الري ودخلها فانكر عليه السلطان فعله وقتل وصيف البكتمري أعمال على ابن وهسوذان وقتل محمد بن سليمان^(١) صاحب الجيش أعمال الخراج والضياح وكتب أحمد ابن علي بالانصراف الى قم ففعل ثم جرت بينه وبين محمد بن بهاسليمان وحشة فظهر الخلاف وصرف عمال الخراج والضياح عن قم وأخذ في الاستعداد للسير الى الري وكتب نحرير الصغير وهو متقلد همدان بالسير الى الري والاجتماع مع وصيف البكتمري ومحمد بن سليمان على دفع أحمد بن

(١) هو محمد بن سليمان بن المنفق أبو علي الكاتب الذي فتح مصر على الطولونية . راجع الطبري . (٣ . ٢٢٥٢) وكتاب الولاة للكندي (٢٤٨) وفي المقفا للمقريزي في ترجمته انه أخرج معه من مصر القاضي أبا زرعة محمد بن عثمان والقاضي أبا عبيد محمد بن عبدة (وذكر هذا أيضا في الفضاة) للكندي ص ٥٢٢ س ٢٣) وموسى بن طونيق وسائر من بقي بمصر من الطولونية . وقد ران الذي حمله من مصر معه مما أخذ من سائر الناس ألف ألف دينار وأنفذ الى المكتفى من أموال بني طولون وذخائرهم وحليهم وفرشهم ونعمهم أربعة وعشرين ألف حمل ومن العين ألف ألف دينار . وأخذ لنفسه شيئاً عظيماً جليل المقدار سوى ما أخذ قواد عسكريه وسار الى حاب فوافى كتاب المكتفى الى وصيف مولى المعتضد وكان معه ان يوكل به ويشخصه الى الحضرة ففعل ذلك فاخذ المكتفى وقيد واعتقله وطالبه بالاموال التي أخفاها فلم يزل معتقلاً الى ان تقلد على بن محمد بن الفرات الوزارة للمقتدر بالله في سنة ٢٩٦ فأخرجه الى قزوين وزنجان واليا على الضياح والاعشار بها . وراجع قصة محمد بن سليمان مع أحمد بن طولون في الفرج بعد الشدة (١ ، ١٨٠)

على وسار أحمد بن علي إلى باب الريّ فواقعوه وأهزم وصيف ونحرير إلى همدان وقتل محمد بن سليمان في الواقعة وحصلت الريّ في يد أحمد بن علي فشرع في إصلاح ما بينه وبين السلطان وعنى به نصر الحاجب فقاطع عن أعمال الخراج بالريّ وديناوند وقزوین وزنجان وأبهر على مائة وستة وستين ألف دينار محمولة في كل سنة إلى الحضرة وقُلت الناحية وقُلت محمد بن خلف النيرمان الضياع بهذه النواحي وأخرج أحمد بن علي عن قُمّ وقُلت من نظر فيها (ونعود إلى حديث ابن الفرات) ^(١٢٠)

لما تبين الوزير أبو الحسن بن الفرات عداوة نصر الحاجب وأبي القاسم ابن الحواري وشفيع اللؤلؤي ونسبهم إياه إلى مواطاة ابن أبي الساج على العصيان عاداهم ومنعهم أكثر حوائجهم وصرف نصرا وشفيعا عن أكثر أعمالهم . وكان ابن الفرات قلد أبا علي ابن مقلة كتابة نصر الحاجب ثم استوحش أبو علي ابن مقلة من ابن الفرات لاجل استخدامه سعيد بن ابراهيم التستري فذكر لنصر ان ابن الفرات قد استخرج من ودائعه التي سلّمت له خمسمائة ألف دينار بعد ان حلف في وقت نكبته انه ما بقيت له وديعة لم يُقر بها فذكر نصر للمقتدر ذلك ليُعِيظه على ابن الفرات وغرّ نصر وابن الحواري أبا علي ابن مقلة واطمعا في الوزارة ليستخرجا ما عنده من أخبار ابن الفرات التي يُغزّون بها المقتدر عليه حتى ظهر الامر في ذلك واشتهر وكثرت به الاراجيف فذهب أبو الخطاب ابن أبي العباس بن الفرات إلى عمّه فشرح له ما يتحدث به الناس فقال له : ان شككت في أبي علي ابن مقلة مع تربيتي له ودفعي منه شككت في ولدي وفيك. ^(١) ثم تبين ابن الفرات بعد ذلك صحة ما نسب

الى ابن مقلة واطلع^(١٢١) أبا علي ابن مقلة على بعض ما وقع اليه من الخوض
في أمره على طريق التعجب ليصرفه عما شرع فيه فاستوحش أبو علي منه
وخاف معاجلته اياه بالنسبة فجاء في السعي عليه واعتصم بنصر الحاجب
﴿ودخلت سنة خمس وثلاثمائة﴾

وفيهما ورد رسولان لملك الروم الى مدينة السلام على طريق الفرات
بهدايا عظيمة والطاق كثيرة يلتمسان الهدنة وكان دخولهما يوم الاثنين ليلتين
خلتا من الحرم فازلا في دار صاعد بن مخلد وتقدم أبو الحسن ابن القوات بان
يُفرش لهما ويُعد فيه كل ما يحتاجان اليه من الآلات والاواني وجميع الاصناف
وان يقام لهما وليّن معهما الانزال الواسعة والحيوان الكثير والحلاوة حتى
يتسع بذلك كل من معهما. والتمسا الوصول الى المقتدر بالله ليبلغاه الرسالة
التي معهما فاعلما ان ذلك ممتدّر صعب لا يجوز الا بعد لقاء وزيره ومخاطبته
فيما قصد (١) اليه وتقرير الامر معه والرغبة اليه في تسهيل الاذن على الخليفة^(١٢٢)
والمشورة عليه بالاجابة الى ما التمسا. فسأل أبو عمر عدي بن عبد الباقي
الوارد معهما من الشعر أبا الحسن ابن الفرات الاذن لهما في الوصول اليه
فوعده بذلك في يوم ذكره له

وتقدم الوزير بان يكون الجيش مُصنّفًا من دار صاعد الى الدار التي أُقطِعها
بالمُخَرَّم وان يكون غلمانُه وحده (٢) وخلفاء الحجاب الرسومين بداره
منتظمين من باب الدار الى موضع مجلسه وبُسط له في مجلس عظيم مُذهب
السقوف في دار منها يعرف بدار البستان بالفرش الفاخر العجيب وعُلِّقت
الستور التي تشبه الفرش واستزاد في الفرش والبسط والستور ما بلغ ثمنه

ثلاثين ألف دينار ولم يبق شيء تُجمل به الدار ويُفخم به الأمر إلا فعل وجلس على مصلى عظيم من وراءه مسند عالٍ والخدم بين يديه وخلفه وعن يمينه وشماله والقواد والاولياء قد ملأوا الصحن ودخل اليه الرسولان فشهدا في طريقهما من الجيش وكثرة الجمع ما هالهما .

ولما دخلا دار العامة أجلسهما الخاجب في رواقها والرجال قد امتلأت بهم الدار ثم أخذ بهما في ممرٍ طويلٍ من وراء هذا الرواق حتى أخرجهما الى صحن البستان ثم عدل بهما الى المجلس الذي كان ^(١٢٣) الوزير جالسا فيه فشاهدا من بهاء المجلس والفرش الذي فيه وكثرة الجمع منظرًا عجيبًا جليلاً . وكان معهما أبو عمر ابن عبد الباقي يترجم عنهما ولهما وحضر نزار بن محمد صاحب الشرطة في جميع رجاله فاقاما بين يدي الوزير أبي الحسن ابن الفرات فسما وتترجم لهما ابن عبد الباقي ما قالوا فاجابهما بما ترجمه لهما . ورغبا اليه في إيقاع القداء ومسألة المقتدر بالله الإجابة اليه فاءلهمما انه يحتاج الى مخاطبته فيما ذكره ثم العمل فيه بما يرسمه والتمسا منه ايصالهما اليه فوعدهما به . وأخرجا من بين يديه وأخذ بهما في الطريق الذي دخلا منه وعادا الى دار صاعد والجيش منتظم طول الطريق بأحسن زىٍ وأكل هياة . وكان زيهما دراريم ديباج ماسكية ووقايات وفوق الوقايات قلانس ديباج محدودة الرأس .

وخاطب ابن الفرات المقتدر بالله في ايصالهما اليه وواقفه على ما يجيبهما به وتقدم الى سائر الاولياء والقواد وسائر أصناف الجند بالركوب الى دار السلطان وان يكونوا منتظمين للظهر من دار صاعد الى دار السلطان فركبوا ووقفوا في الطريق على هذا الترتيب ^(١٢٤) في الزى الحسن والسلاح التام وتقدم بان تشحن رحاب الدار والدهاليز والممرات بالرجال والسلاح وان

يفرش سائر القصر بأحسن الفرش ولم يزل يراعى ذلك حتى فرغ من جميعه
ثم أنفذ الى الرسولين بالحضور فركبا الى الدار على الظهر وشاهدا في طريقهما
من الجيش وكثرته وحسن زيئه وتكامل عُدته أمراً عظيماً . ولما وصلا الى
الدار اخذ بهما في ممرٍ يفضى الى صحن من تلك الصحنون ثم عدل بهما الى ممرٍ
آخر وأخرجا منه الى صحن أوسع من الاول ولم تزل الحجاب يخترقون بهما
في الصحنون والممرات حتى كلاً من المشى وانهرأ . وكانت تلك الصحنون
والممرات محشوة بالغلان والخدم الى ان قرُباً من المجلس الذي فيه المقتدر
بالله والاولياء وقوفاً على مراتبهم والمقتدر جالس على سرير ملكه وأبو
الحسن ابن الفرات واقفٌ بالقرب منه ومونس الخادم ومن دونه من الخدم
وقوفٌ عن يمينه ويساره . فلما دخلا الى المجلس قبلاً الارض ووقفنا حيث
استوقفهما نصر الحاجب وادّيا اليه رسالة صاحبهما في الفداء ورغبا اليه في
إيقاعه . فأجابهما الوزير عنه بأنه يفعل ذلك رحمةً للمسلمين ورغبةً في فكهم
وإشاراً لطاعة الله عز وجل ^(١٢٥) . خلاصهم وأنه ينفذ مونساً لحضور ذلك .
ولما خرجا من حضرته خلع عليهما مطارف خز مذهبة وعمائم خز وخلع
على أبي عمر أيضاً وانصرف على الظهر معهما والجيش على حاله منتظم للفداء .
فتأهب لذلك وابتيع من التمس الرُّسل ابتياعه من الروم المطلبين واطلق
له وللقواد الشاخصين معه . من بيت المال بالحضرة مائة ألف وسبعون ألف
دينار . وكتب الى العمال في طريقه بإِزاحة دلتته فيما يلتمسهُ وحمل الى كل
واحدٍ من الرسولين عشرون ألف درهم صلةً لهما وخرجا مع مونس ومعهما
أبو عمر . وتم الفداء في هذه السنة على يد مونس
وفيها أطلق أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان واخوته من الحبس في دار

السلطان وُخِّلِعَ عليهم خلعة الرضا
وفيهما مات العباس بن عمرو الفنوي وكان مثقلاً بأعمال الحرب والمعارن
بديار مضر فقلد مكانه وصيف البكنمري . فلم يضبط العمل فقلد مكانه جني
الصفواني فضبطه أحسن ضبط^(١)

﴿ ودخلت سنة ست وثلثمائة ﴾

وفيهما قبض على الوزير أبي الحسن بن الفرات وكانت مدة وزارته
هذه الثانية سنة واحدة^(١٣٦) وخمسة أشهر وتسعة عشر يوماً

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾^(٢)

كان السبب الظاهر في صرف ابن الفرات عن وزارته هذه الثانية انه
أُخْرِجَ إطلاق أرزاق الفرسان الذين مع القسواد واحتج بضيق الاموال
لأجل ما احتج اليه من صرفها الى محاربة ابن أبي الساج وأيضاً لأجل
نقصان الارتفاع بأخذ يوسف مال الري . فشغب الفرسان في أول سنة ٣٠٦
شعباً عظيماً وخرجوا الى المصلى والتمس ابن الفرات من المقتدر بالله إطلاق
مائتي ألف دينار من بيت مال الخاصة ليضيف اليها مائتي ألف دينار يُنفق
في الفرسان فغاض ذلك على المقتدر وراسله بأنه قد كان ضمن له أن يقوم
بإسائر النفقات على رسمه كان في وزارته الأولى وبحمل ما ضمن حملة الى
حضرتة مفرداً وأنه لم يظن أنه يُقدِّم عليه بطالب مال . فاحتج ابن الفرات
بما ذكرته فلم يسمع حجته وتشكر له

(١) زاد صاحب التكملة : فيها مات سبكرى بعد اطلاقه من الحبس . وفيها مات
غريب الحال وتعقد لآبئه مكانه وحضر ابن الفرات جنازته بداره بالنجمي . وفيها قلد أبو
عمر قضاء الحرمين (٢) راجع صلة غريب : ٧٢

وكان عبد الله بن جبیر لما أقام في وزارة علي بن عيسى بواسط وقد عرف مقدار ارتفاع أعمالها وما يحصل لحامد بن العباس من الفضل على الضمان شرح ذلك لابن الفرات^(١٢٧) ويُنَبِّئ له وجوهه لما عاد الى بغداد وعند عوده الى مجلس الأصل في ديوان السواد . فعظم ذلك في نفس ابن الفرات فلما أتى على ذلك مدّة استأذن ابن جبیر ابن الفرات في ان يكتب حامداً في بعض ما كان أنماه اليه من ضمان حامد فأذن له فيه اذنا ضعيفاً . فكتب من مجلسه (وهو مجلس الأصل في ديوان الخراج) الى حامد وأجاب حامد وتردّت بينهما مكاتبات في هذا المعنى . وتبع ذلك كتب بشر بن علي (وهو خليفة حامد) يعتب علي ابن جبیر لما كان يتكلم به في مجلسه . فاستوحش حامد من ذلك وتحوّف ان يكون ما يظهره ابن جبیر عن مواطاة الوزير ابن الفرات وإشياء قد عرفه من نيّته فأفسد من يسفر له في الوزارة ويخطب له نصراً الحاجب . فسمي له في ذلك وعرف نصراً سعة نفس حامد وضمن له تصحيح أموال جليّة من جهة ابن الفرات وأسبابه وراسل أيضاً السيّد في هذا الباب

ووافق ماسعى له فيه وما بذله له سوء رأى نصر في ابن الفرات وتحوّفه منه والاضاقة التي عرضت في الوقت حتى طاب ما طلب قتم لحامد ما قدره بما اجتمع من هذه الاحوال . فرُوسل حامد بالخروج الى الحضرة من واسط^(١٢٨) وان يكتب كتاباً بخروجه على أجنحة الطير . فلما وقف عليه المقتدر أنفذ نصراً الحاجب وشفيعا المقتدرى فقبضا على ابن الفرات وعلى ابنه الحسين وموسى بن خاف وعيسى بن جبیر وسعيد بن ابراهيم

التستري وأم ولد له وابنها منه ^(١) وُحْمَلُوا إلى دار السلطان فاعتقل أبو الحسن ابن الفرات وحده في يد زيدان القهرمانة واعتقل الباقر في يد نصر . ووصل حامد إلى مدينة السلام وأقام ليلته في دار الحجابة من دار السلطان وتحقق به أبو القاسم ابن الحواري .

وجلس حامد يتحدث فبان للقواد وجميع خواص المقتدر حديثه وتلة خبرته بامر الوزارة وحديث المقتدر بذلك فاستدعى أبا القاسم ابن الحواري وعاتبه على مشورته به . فوصفه ابن الحواري باليسار العظيم وباستخراج الاموال وهيبته عند العمال ونبل النفس وكثرة العلمان . وكان مع حامد لما قدم أربعمائة غلام يحملون السلاح فيهم غداة يجرون مجرى وجوه القواد وأكابر أصحاب السلطان . وأشار ابن الحواري على المقتدر في عرض كلامه بإطلاق علي بن عيسى وتقليده الدواوين بأسرها ليخلف حامداً عليها فامتنع المقتدر من ذلك إلا بعد أن يلتمسه حامد ^(١٢٦) منه فاحال ابن الحواري على حامد وقال له : التمس ذلك من المقتدر اذا وصلت إلى حضرته وعظم عليه أمر الأعمال والدواوين وحوائج الحاشية وخوفه من سوء أدهم . وصور لحامد انه ان لم يفعل ذلك ففعل مراغمة له وحلف انه ناصح له . فلما وصل حامد إلى المقتدر بالله وتقلد وزارته قبل الارض بين يديه وبمقب ذلك سأله إطلاق علي بن عيسى والأذن له في استخلافه على الدواوين والأعمال فقال له المقتدر بالله : ما أحسب علي بن عيسى يجب إلى ذلك ولا يرضى ان يكون تابعا بعد ان كان متبوعا رئيساً . فقال حامد بحضرة الناس : لِمَ لا يستجيب إلى ذلك ؟ وإنما مثل الكتاب مثل الخياط يخيط ثوباً قيمته الف دينار ويخيط

ثوباً بعشرة دراهم . فضحك الناس منه

ولما خلع على حامد خلع الوزارة صار الى دار الوزارة بالخرم فزلها وجلس فيها للتهنئة . ولم يقرر شيئاً من الدواوين فتركها مختومةً ذلك اليوم وتحقق به أبو علي ابن مقلة واختص به واستحضر حامد أبا عبد الله زنجي الكاتب فالزمه داره ورد اليه مكاتبة العمال عنه على رسمه مع ابن الفرات . وتحقق بجميع الامور ابن الحواري^(١٣٠) وصار هو السفير بين حامد وبين المقتدر بالله . وكتب عن المقتدر الى جميع أصحاب الاطراف وعمال المعاون بخبر تقليده حامدا الوزارة أنشأ ذلك أبو الحسن محمد بن جعفر بن ثوابة . ثم قرر حامد وعلي بن عيسى أمر الدواوين على إتفاق منهما جميعاً ثم ابتداء بعد ذلك يغير ما رأى تغييره

وكان علي بن عيسى في أول أيام وزارة حامد بن العباس يحضر دار حامد في كل يوم دفعتين مدة شهرين ثم صار يحضر في كل أسبوع دفعة واحدة . ثم سقطت منزلة حامد عند المقتدر بالله أول سنة ٣٠٧ وتبين هو وخواصه أنه لا فائدة في الاعتماد عليه في شيء من الأمور . فتفرّد حينئذ أبو الحسن علي بن عيسى بتدبير سائر أمور المملكة وأبطل حامداً فصار لا يأمر في شيء بته حتى قيل فيه

هذا وزير بلا سواد وذا سواد بلا وزير

فلما رأى حامد بن العباس نفسه لا يأمر ولا ينهى ولا يزيد على لبس السواد والركوب في أيام المواكب الى دار السلطان فاذا حضر لم يدخله المقتدر في شيء من التدبير وكان الخطاب كله مع علي بن عيسى شرع في تضمّن أعمال الخراج والضيايع^(١٣١) والخاصة والعامة المستحدثة والعباسية

والفراتية بالسواد والأهواز واصبهان وتردّت بينه وبين علي بن عيسى في ذلك بحضرة المقتدر مُناظرات الى أن تضمن هذه الاعمال . فضمّن حامد أبا علي أحمد بن محمد بن رستم اصبهان بزيادة مائة ألف دينار في كل سنة على ما كان يرتفع به على يده ويد ابن أبي البغل ويد أحمد بن سيّاه ولما زال ضمان حامد عقد علي بن عيسى على أبي علي ابن رستم اصبهان بهذه الزيادة ثم شرح أبو الحسين ابن أبي البغل عظيم ما يرتكب أبو علي بن رستم من الظلم لأهل اصبهان فبحث عنه علي بن عيسى حتى تحققه فاستشار ابن أبي البغل فأشار بعقد الضمان على صاحبيه له كانا يتوليان له باصبهان مدّة تقلّده اياها وهما أبو مسلم محمد بن بحر وأبو الحسين أحمد بن سعد^(١) فعقد ذلك عليهما بثمانين ألف دينار زيادة وحطّ من جملة المائة الالف عشرين الفا ليكون في ذلك ترفيه لارعيّة وسلم اليهما ابن رستم

ولما تبين حامد إضضاع حاله عند المقتدر ورأى أنه لا يأمر ولا ينهى في شيء من أمر المملّكة استأذن في العود الى واسط ليدير أمر ضمانه الأول فأذن له^(١٣٢) المقتدر في ذلك وأقام بواسط وله اسم الوزارة فقط

﴿ ذكر ما عامل به حامد بن العباس عليّ بن محمد بن الفرات وأسبابه ﴾
ركب حامد بن العباس وعلي بن عيسى ثالث يوم تقلّد حامد الوزارة الى المقتدر ووصل الناس ودخلا اليه . والتمس حامد الأذن لرجل من الجند وذكر أنه وجده قبل تقلّده الوزارة وأقرّ له بأنه كان رسول ابن الفرات الى يوسف بن أبي الساج في العصيان فأحضره كتاباً منسوباً الى ابن أبي الساج من ابن الفرات . فغلظ ذلك على المقتدر واغتاض علي ابن الفرات

وأقبل على أبي عمر القاضي وقال له ما عندك في هذا الفعل من ابن الفرات؟ قال له : يا أمير المؤمنين لئن صح أنه أقدم على هذا الفعل لقد سمى في إفساد أمر المملكة . ثم أقبل بعده على أبي جعفر ابن البهلول القاضي فقال له : ما عندك في هذا ؟ قال له : عندي أن الله عز وجل قد أمر بالتثبت ونهى عن قبول قول الفاسق . ثم ناظر ابن البهلول الرجل مُناظرة ^(١) أدت الى أنه كذب فأقرّ الرجل بالكذب فيما ادّعاها . فسلم الرجل الى صاحب الشرطة وأمر بضربه مائة سوطٍ فضرب ^(١٣٣) وحُبس في المطبق ثم نُفي الى مصر ثم ان حامداً وعلى بن عيسى أحضر أبا علي الحسين بن أحمد المادرائي ^(٢) مُناظرة بن الفرات في دار السلطان فكشف الحسين بن أحمد المادرائي ابن الفرات بأنه حمل اليه في وزارته الأولى أربع مائة ألف دينار من مال المرافق باجناد الشام وان أبا العباس ابن بسطام ^(٣) وأبا القاسم ابنه بعسده حملاً اليه ثمانمائة ألف دينار من مال الاستثناء والمرافق بكون مصر حساباً في كل سنة مائتي ألف دينار . وحضر المناظرة القضاة والكتّاب وجلس المقتدر بحيث يسمع ما يجري ولا يراه أحد واحتجّ ابن الفرات بأن قال : ان هذا العامل قد تولى أعمال مصر والشام في أيام وزارة علي بن عيسى وقد اعترف بأن هذه اموال واجبة استخراجها وادّعى انه حمل بعضها الى حيث كان متقلداً أعمال أجناد الشام وان ابني بسطام حملاً الى ما ذكره . وقد ولى

(١) راجع كتاب الوزراء : ١٠١ — ١٠٠ وارشاد الارب : ١ : ٩١ — ٨٩

(٢) المعروف بأبي زنبور . راجع كتاب الوزراء ص ٩٢ (٣) هو أحمد بن محمد وله قصة مع الوزير القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب رواها أبو الحسن علي ابن الفتح المطوق في كتابه مناقب الوزراء وهي موجودة في الفرّج بعد الشدة ١ : ١٣٢ وكذا في كتاب الولاة والقضاة لأبي عمر الكندي ص ٥٢٥

على بن عيسى الوزارة مدة أربع سنين وليس يخلو هذا المال من ان يكون
 حمل الى على بن عيسى فهو واجب عليه أو لم يحمل فهو واجب على هذا
 العامل في نفسه . ثم قد اعترف أنه قد جبي في أيام وزارتي الأولى ما قال وهو
 أربع مائة ألف دينار^(١٣٤) وادّعى حملها الى فصار مقرراً على نفسه ومسدّعيّاً
 على . وأنا أقول أنه كاذب في ادّعائه على وحكم الله تعالى ورسوله والفقهاء
 معروف في أمثاله . فأسعه حامد ما يكره وشمته شتماً قبيحاً فقال له ابن
 الفرات : أنت على بساط السلطان وفي دار الماسكة وليس هذا الموضع مما
 تعرفه من بيدٍ نفسه ولا هو مثل أكار تشتمه ولا عامل تلاكه . ثم
 اقبل على شفيع اللؤلؤى وقال له : يجب ان تكتب عني بما أقوله الى مولانا
 أيده الله ان حامداً انما حمله على الدخول في الوزارة وليس من أهلها اني
 أوجبت عليه أكثر من ألف ألف دينار من فضل ضمانه أعمال واسط
 وجدت في مطالبته بها فقدّر بدخوله في الوزارة أن يفوز بذلك الفضل وبما
 يحصله مستأنفاً وقد كان ينبغي له وهو وزير أمير المؤمنين أن يدع ضمان
 أعمال واسط حتى يتبين أمر بيع هوام مخير فيديره أبو الحسن على بن عيسى
 فانه لا يشك أحد في بُعد ما بينه وبين حامد في الصناعة والاحتياط . فأما
 وهو وزير وهو ضامن فهذا أول خيائته واقتطاعه . فأمر حامد بن العباس
 أن ينتفح لحيته فلم يمثل أحد أمره فوثب هو بنفسه اليه وجذب لحيته
 وكان^(١٣٥) الخطاب قد انتهى أن بذل الحسين بن أحمد المادرائي خطه
 بخمسمائة ألف دينار ان سلم اليه ابن الفرات وكان ذلك قبل شتيمة حامد له
 ومآذ يده الى لحيته وكان حامد أحضر أبا على ابن معلقة وواقفه على ان
 يواجه ابن الفرات بأنه قد استخرج من ودائع التي كتّمها في وزارته خمسمائة

ألف دينار فلم يبرز أبو علي صفحته لابن الفرات وراسله حامد في المجلس ان
ينفي بوعده ويواقفه في وجهه فقال أبو علي : أنا أكتب خطي بذلك فأما
ان أواجه ابن الفرات فلا أفعل . فعاظ ذلك على حامد وتنكر لابن مُقلة
منذ هذا اليوم .^(١)

وكان علي بن عيسى لا يزيد على أن يُكَلِّم ابن الفرات في مواضع
الحُجَّة بكلام جميل وحامد مشغول بالسفهِ والشتم وكان ابن الحواري يُرى ابن
الفرات أنه مُتوسِّط بينه وبين حامد وتبين في خطابه أنه متحامِل على ابن الفرات
ولما سمع المقتدر شتم حامد لابن الفرات ووقف على مدَّ يده الى لحيته أنفذ
خادماً أقام ابن الفرات من مجلسه وردّه الى مجلسه . فقال علي ابن عيسى
وابن الحواري لحامد : قد جنيت علينا بما فعلته بابن الفرات . وكان الحسين
ابن أحمد المادرائي بعد مكاشفته لابن الفرات قال له ^(٢) : ان تأدّي الى
المصادرة ^(١٣٦) تحمّلتُ عنك خمسين ألف دينار . فلما خرج من المجلس قال له
نصر الحاجب وعلي بن عيسى وابن الحواري : دخلت لتناظر الرجل فلم
تبرح حتى بذات له مرفقاً وصانعة . فقال لهم : أدخلتموني الى رجل قال
لي بعمركم لما دخلتُ اليه « انظروا لمن تُخاطب » وقال آخر « أنظروا بين
يديك » وقال آخر « الله الله في نفسك » فلم أجد شيئاً أقرب الى الصواب
مما فعلتُ بعد ان سمعتُ كلامه . فمن جميل ما عملهُ ابنُ الفرات انه لما
تقلد بعد هذا الوقت الوزارة وهي وزارته الثالثة قبض على ابن الحسين بن
أحمد المادرائي وهو أكبر أولاده فأخذ خطه بخمس وعشرين ألف
دينار كانت واجبةً عليه من مال السلطان ولم يطالبه بها واعتقله الى ان وافى

أبوه من الشام . فذكره ابن الفرات ما كان بذله من الخمسين ألف دينار التي تحملها عنه وقال له : قد كنت مُخيراً أن تفعل وإن لا تفعل وإنما وعدت وعداً وهذه رُقعة بخطّ ابنك بخمسة وعشرين ألف دينار وهي واجبة عليه حاصلة قبله ولا حجة له ولا لك فيها وقد رددتها عليك مكافأة لك على ما بذلت

وقد كان أنفذ أبو أحمد بن حماد لمناظرة ابن الفرات بحضرة شفيع الأولوى وغيره فافتح ابن حماد الخطاب بأن قال : ان^(١٣٧) الوزير والرئيس أدام الله عزهما يقولان لك « أصدق نفسك فقد وصل اليك من ضياعك وغلاتك في كل سنة الف الف ومائتا الف دينار ومن وجوه ارتفاقاتك مثلاً وهذا مال عظيم فاكتب خطك بألف الف دينار معجلة تُقدمها الى أن ينظر في أمرك حتى تسلم نفسك والّا سلّمت الى مَنْ يُعاملك بما يُعامل به مثلك من الخونة الذين دبّروا على الملكة فقد صحّ عند السلطان انك كاتب ابن أبي الساج وأمرته بالعصيان » فقال له ابن الفرات : قد كان ينبغي أن يشغلك أمرك وما عليك في نفسك عن تحمل الرسائل قد تصرّفت لعلّ بن عيسى أربع سنين واقتطعت أموالاً فلما نظرت في الأمر استترت عني وكتب الى من تصرّف مكانك باستدراكات عليك وارتفاقات لك كثيرة والكتب باعيانها في ديوان السلطان محفوظة . فاقبل شفيع على ابن حماد فقال له : لست من رجال ابن الفرات فقم الى ابنه الحسن فناظره . فقام وأخذ خطّ الحسن بثلاثمائة الف دينار ثم ناظر موسى بن خلف^(١) وسأله عن ودائع ابن الفرات وأمواله فقال له

موسى : ما له عندى وديعة ولا أعرف أخبار ودائعه ولا جرى^(١٣٨) له على
يدى مال ولا وليت له عملا سلطانيا وانما كنت أنظر في تفقات داره . وكان
موسى بن خلف شيخا كبيرا قد أتت عليه نحو تسعين سنة وكان مع ذلك
عليلا به ضرب لا فضل له المسكروه فشمته ابن حماد . وكان يتردد بعد ذلك
الى أصحاب ابن الفرات ويُنَاطِرهم فلا يرتفع له شيء وكان علق المحسن بفرد يد
من حبل الستارة فلم يصح له من جهته شيء فلما رأى ذلك استعفى منهم فأعفى .
وأحضر حامدا موسى بن خلف فقال له : دُلَّ على أموال ابن الفرات فانك
تعرفها ولا تحوج الى مكروه يقع بك . فقال له : أحلف بما شئت من الأيمان
انى لا أعرف شيئا من ودائعه . فأمر بصفه فصفه الى أن سأل على بن عيسى
فيه وأشار الى الغلمان بالكف . ثم عاوده حامدا بالمكروه مررات حتى
أحضره لیسلة بين يديه وضربه حتى مات تحت الضرب . فقيل له : انه قد
تلف . فقال : أضربوه . فضرب بعد موته سبعة عشر (سوطا) فلما علم بموته
أمر بجرّ رجليه فجرّ وتعلقت اذنه في زرّ عتبة الباب فانقلعت وحمل الى منزله
ميتا . واستحسن من فعل موسى بن خلف ووفائه انه كان يقف على أموال
مودعة لصاحبه عند جماعة فلم يقرّ عليه^(١٣٩) الى أن تلف .

وأحضر حامد المحسن وطالبه نذكر المحسن أنه لا يقدر على أكثر من
عشرين ألف دينار فأمر بصفه فصفه فرأى على رأسه شعرا كثيرا فقال :
هذا لا يتألم بالصفع هاتوا من يحاق شعره . فأخرج من بين يديه فحلق
شعره ثم أعيد اليه فصفه حتى كاد يتلف وذلك بين أيدي جماعة كثيرة .
فشفع اليه على بن عيسى وسأله أن يقتصر منه على خمسين ألف دينار فخاف
انه لا يفتق منه بدون سبعين ألف دينار فبذل خطه بها وألبسه جبّة صوف

وعذبه ألواناً ثم سلمه الى أبي الحسن الثعالبى فادى ستين ألف دينار بعد أن استباح الناس وأسلفه على بن عيسى بمشرة آلاف درهم وأقام شهوراً كثيرة يستميج الناس حتى صحح ما بذل خطه به وكثرت الشفاعات فيه فردّه حامد الى منزله

وجهد حامد في أن يسلم اليه ابن الفرات فقال المقتدر: أنا أسلمه اليك وأوكل به خادماً يحفظ نفسه. فقال حامد: اذا علم ابن الفرات أنه يحرس من المكروه تمانن. فقال المقتدر: أنا أسلمه الى علي بن عيسى أو الى شفيع اللؤلؤى فاني اثق بهما. وكان المقتدر يروى في أمر ابن الفرات فتارة تشره نفسه الى ^(١٠) المال وتارة يكره أن يتلف في يد حامد فعرفت زيدان القهر مائة هذه الحالة من المقتدر وأعلمتها ابن الفرات. فظهر ابن الفرات أنه رأى أخاه ^(١١) أبا العباس في النوم ووصاه وقال له: أَدِ المال فان القوم ليس يريدون نفسك وانما يريدون مالك. وانه قال: قد أديت اليهم جميع مالى. وان أخاه أجابه بأن قال له: لم تؤد اليهم المال الفلانى فقلت: أن معظم ذلك لورثتك فقال: أدّه فانا جمعناه من أسلافهم وأذخرناه ليثل هذا اليوم. ثم كتب الى تاجرين بحمل ما عندهما وهو سبعمائة ألف دينار الى حضرة المقتدر وكتب الى أبي بكر ابن قرابة بشيء آخر والى ابن ادريس الجمال بشيء آخر فانفذ المقتدر رقاؤه الى حامد وعلى بن عيسى فغلاظ ذلك عليهما ويئسا معها من تسليم ابن الفرات؟ وقال على بن عيسى وابن الحواري لحامد: أى شيء عندك فيما فعله ابن الفرات فقال حامد: هذا من اقبال مولانا أمير المؤمنين. فقال له على بن عيسى: هذا لا شك فيه كما قال الوزير أيده الله ولكن ما أشك أن ابن

الفرات ما فعل هذا حتى توثق بنفسه ولا سمح بهذا المال العظيم عفواً بغير
مكيدة وقد كان يجوز ان يقع منه ^(١٤١) ببعضه الا لشروعه في تضمّن أنفسنا
وأحوالنا فقال حامد وابن الحواري : هذا لاشك فيه

ثم تشاغل حامد وعلى بن عيسى باستحضار من عليه المال وأوصلوا اليهم
ريقاع ابن الفرات فاعترفوا بصحته سوى ابن قرابة فانه قال في عشرة آلاف
دينار كان أودعه أياها : قد كان أودعني هذا المال ثم ابتاع مني في أول سنة
٣٠٦ غبراً ومسكاً كثيراً أهدي أكثره الى المقتدر بالله واليسير منه لنفسه
ومعى توقيعاته بخطه بتواريخ أوقاته واستدعى أن يجمع بينه وبين ابن الفرات
فانفذه حامد الى دار السلطان وأوصله مفلح الى ابن الفرات حتى ذكر له
ذلك فصدقه وقال له : لا تلمني على ما كتبت به فقد كنت أنسيت ماجرى
فيه ولمعري لقد كنت جمعت مال الوديعة محسوباً لك في ثمن العطر . وكتب
ابن الفرات خطه بصحة ما قاله ابن قرابة فسلمت الدنانير لابن الفرات وكان
هذا الفعل من ابن قرابة أو كد أسباب تحققة فيما بعد ذلك بابن الفرات

وقد كان ابن الفرات أودع القاضي أبا عمر مالا لابنه الحسن بن دولة
فلحقت أبا عمر رهبة شديدة من حامد لبسطه يده على القضاة والشهود ^(١٤٢)
فاعترف أبو عمر القاضي ان لابن الفرات عنده وديعة لما سأله حامد هل
عنده وديعة فأمر باحضاره فأحضره وادّاه وبلغ ذلك ابن الفرات فتنكر
لأبي عمر فحكى ان أبا بكر ابن قرابة قال : لما خلع على ابن الفرات للوزارة
الثالثة كنت ^(١) أول من لقيه في دهايز الحجابة المتصل بباب الخاصة فقال :
يا أبا بكر تقرّب أبو عمر بوديعتي وعرضني (قال) فقلت : الوزير أيده الله

صادقٌ فمن أخبره ؟ فأومأ الى زيدان القهرمانة وان القاضي أبا عمر عرف
تنكر الوزير له . ووصل الى منزله وقت العشاء الآخرة فاذا بأبي عمرو وابنه
جالسين في مسجد على باب فأكبر ذلك ونزل اليهما فخلعا عليه ان يدخل
الى منزله ودخله بدخوله فقالا له : خبر المجلس عندنا فما الذي ترى ؟ فقال
لهما : ازالة الاعتذار والاحتجاج ورد المال . فاستجابا وكان مبلغ المال ثلاثة
آلاف دينار وسألاه التسكين فهدما لثلايعاجلا فبكر ابن قرابة الى ابن
الفرات فقال له : قد جاءني أبو عمر القاضي وابنه قلقين وذكر ان المال
بحاله فقال : الحمد لله رب العالمين . فلما كان في اليوم الثاني من ذلك حمل أبو
بكر الثلاثة الالاف الدينار في برنية كانت ضُمَّت الوديمة فلما رآها ابن
الفرات عجب ^(١٤٣) وأمر بتسلمها

وعدنا الى خبر حامد في وزارته . ولما رأى حامد وعلى بن عيسى تمكن
ابن الحواري من المقتدر بالله خرج توقيع حامد بخط على بن عيسى بتقليد
ابن الحواري جميع أعمال العطاء في العساكر لسائر نواحي المغرب من
حدّ هيت الى آخر حدود مصر وان يقام له من الرزق مثل ما كان يقام
لجميع من كان ينظر في ذلك في آخر أيام وزارة ابن الفرات الثانية وان
يقلد ابنه (وكانت سنة في الحال نحو عشر سنين) ويجرى عليه ما مبلغه في
الشهر مائة وخمسون دينار وقلد ابنه هذا بيت مال العطاء بالخضرة بحق
الأصل بجاري مائة وثمانين ديناراً في الشهر واستخلف له عليه المعروف
بقاطر ميز السكاتب . وزاد بعد ذلك اختصاص ابن الحواري وخدمته له في
خلواته وكان يشاوره في أموره فقلد أعمالاً أخر وأجرى عليه واستخلف له
عليها فكان يصل اليه مال عظيم ولا يباشر شيئاً من الاعمال ولا يدرى

ما يجري فيها. وصرف نزار عن الشرطة بمدينة السلام وقلد نجح الطولوني واستخلف عليها^(١) وأقام في الارباع فقهاء يعمل أصحاب الشرط في أسر الجناة بما يفتون به في أمرهم فضعفت هيبة الشرطة بذلك واستلان اللصوص والعيّارون جانب نجح^(١٤٤) فكثرت الجراحات والفتن وتفاقم الامر في اللصوص وكان العيّارون يقولون: اخرج ولا تبالي مادام نجح والى
﴿ودخلت سنة سبع وثلثمائة﴾

كان غرض حامد في الضمانات على النواحي التي ذكرناها تفرّد على ابن عيسى بتدبير المملكة وإبطاله أمر حامد فتضمن حامد بهذه النواحي ليكون له بالحضرة أمر ونهى وأيوّف من هذه الاعمال ما يطل به السوق التي قامت لعلى بن عيسى عند المقتدر بالكفاية والعنفاء. وأما لم يدخل أعمال فارس في ضمانه لأنها كانت في ضمان أبي القاسم ابن بسطام^(٢) وكان النعمان يشير على حامد بترك الدخول في الضمان فإنه زعم أنه تسقط هيئته عند الناس ويصير على بن عيسى المطالب له بالاموال والمتحكّم عليه وكان أبو عيسى أخو أبي صخرة قديم الصداقة لحامد وكان يشير عليه بالضمان ليتبين

(١) وفي صلة عريب ص ٧٦ : وليها محمد بن عبد الصمد

(٢) ليراجع فيه صلة عريب ص ٧٨ وزاد صاحب التكملة : وضمن على بن عيسى الحسين بن أحمد المادرائي أعمال مصر والشام بثلاثة آلاف ألف دينار فاوصله الى المقتدر بالله فخلع عليه وشخص الى عمله وقدم على بن أحمد بن بسطام من مصر فولاه أعمال فارس . قال أبو الفضل العباس بن الحسين وزير معز الدولة : رأيت أبا القاسم بن بسطام وقد دخل الينا فارس عاملا ومعه أثقال لم ير مثلاً ورأيت في جملة أثقاله أربعين نجيباً موفرة أسيرة مشبكة ذكروا أنه يستعملها في الطرقات للمجلس والتمس يوماً سجادة للصلاة بعينها وكان يؤلفها ففتشت رزم الفرش فكان فيها نحو أربعمائة سجادة

أثره وان يتضمن بعبرة سنى على بن عيسى خاصة ليكون ما يشيره وهو شيء
كثير وافر استدرا كما على علي بن عيسى فقال حامد الى هذا الرأي وخاطب
على ابن عيسى بحضرة المقتدر وقال له : قد تفرّدت بتدبير الامور دوني
وايس ترى أن تمشاورني في شيء تعمّاه ولا بدّ من صدق أمير المؤمنين فقد
اضمت بالسواد والاهواز وأصبهان أربع مائة ^(١٤٥) ألف دينار في كل سنة وأنا
أضمن هذه الاعمال أربع سنين بعبرة المحمول والمسبب في سنى وزارتك
وزيادة أربع مائة ألف دينار في كل سنة . فأجابته على بن عيسى بأنه لا يستصوب
تضمينه هذه الأعمال لان مذهبه في خبط الرعية وإحداث السنن وضرب
الابصار معروف ومن عمل بهذه السيرة فهو لا محالة يوفر سنة أو أكثر ثم
تخرب خرابا لا يتلافى في سنين فيبطل الارتقاع ويسىء الذكر . فتخاصما
خصوصة طويلة فقال المقتدر : هذا توفير من حامد ولا يجوز تركه فان
ضمنت أنت هذه النواحي بما ضمنه حامد ضمنتيك . فقال على بن عيسى : أنا
كاتب واست بعامل وحامد أولى بالضمان لاسيما وقد بذل ما بذل راغباً والاثـر
في ذلك بامير المؤمنين لاني قد عمرت البلدان لرفقي بالرعية وتقليدي من العمال
من أزال النون عنهم . وسنة سبع قد تناهت عمارتها وليس يقدر ان يقول أنه
بتضمينها يستزيد في عمارتها لان أيام العمارة قد انقضت منذ مدة
فأمر المقتدر بعقد الضمان على حامد وأخذ خطّه به فخرجا

وتقدّم على بن عيسى الى أصحاب الدواوين بإخراج العبر من دواوينهم
بعبر السنين القريبة لأنها أوفر ^(١٤٦) فأخرج عبـرة المحمول والمسبب مع
مال النفقات الـرايبة في نواحي السواد والاهواز لسنة من ثلاث سنين أولا هنـ

سنة ثلاث وأخراهن سنة خمس وثلاثمائة ثلاثة وثلاثين ألف ألف درهم وأخرج عبدة الضياع الخاصة والمستحدثة والعباسية والقراتية للمحمول والمسبب ثمانية ألف ألف درهم وثلاثمائة ألف درهم وأخرج عبدة مال اصبهان مع النفقات الراتبية بقسط سنة واحدة من ثلاث سنين ستة آلاف ألف وثلاثمائة ألف درهم تصير الجميع لسنة واحدة ثمانية وأربعين ألف ألف درهم ومائة ألف درهم والزيادة التي بذلها حامد وهي عن قيمة اربعمائة ألف دينار خمسة آلاف ألف وثلاثمائة ألف درهم مبلغ الجميع ثلاث وخمسون ألف ألف وتسعمائة ألف درهم

والتمس حامد بن العباس من المقتدر بالله أن يأمر بتسليم جماعة من الكتاب اليه ليؤليهم كتابته على ديوان ضمايه واختار عبيد الله بن محمد الكوازي وأحمد بن محمد بن زريق وغيرهما فتقدم المقتدر باجابه الى ما سأل به بعد أن عقد على بن عيسى عليه الضمان باسم صاحبه محمد بن منصور وأخذ خط حامد بتضمنه عنه ما عتده باسمه . واعتمد حامد بن العباس على عبيد الله بن محمد الكوازي فكان ينظم الاعمال التي يخرجها كتاب حامد ويتولي الموافقة عن ^(١٤٧) حامد في دار السلطان ويرفق في المناظرة ويستعمل الحجة فقط واعتمد على بن عيسى على الصقر بن محمد في مناظرة كتاب حامد فكان حامد اذا حضر لا يزيد على الشتم والسب لعل بن عيسى وذكره بانقيح في نفسه واسلافه واستعمل في ذلك ما فضح به المملكة وشاع في الخاص والعام الخبر به ثم أصالح المقتدر بينهما بحضرته

وأسرف على بن عيسى في الإلحاح على حامد في حمل المال واحتاج حامد الى ان يستأذن في الخروج الى الاهواز فأذن له وذكر أبو القاسم

الكاواذى انه يضعف عن مقاومة على بن عيسى عند غيبته فنصب حامد صهره أبا الحسين محمد بن أحمد بن بسطام للنيابة عنه في دار السلطان عند المناظرة ولا يغرار الكاواذى ليستوفي حجته وظهرت في ذلك الوقت صناعة الكاواذى وكفايته وصحة عمله فكان ذلك من أكبر أسباب نباهته . وجرى خلاف كثير بين كتاب حامد وبين كتاب على بن عيسى يطول ذكرها ورضى حامد بوساطة النعمان فيها وكتب بذلك وتوسط النعمان وقرّر الامر من سائر أبواب الخلاف على مائة ألف دينار بقسط سنة واحدة وكتب ابن بسطام والكاواذى الى حامد وهو ^(١٤٨) بالاهواز بصورة ما تقررت عليه الحكومة فذكر حينئذ حامد في ذلك تدبير الشيوخ المجرى بين فكتب الى المقتدر كتابا وأنفذ مع غلام له فأوصل نصر الكتاب مختوما الى المقتدر فوجده قد ذكر فيه انه لم يدخل في هذا الضمان لاستجلاب فائدة لنفسه ولا للربح على السلطان وانما أراد أن يبين عن خبرته بالاعمال وحفظ الاموال وقبح آثار على بن عيسى فيما تولاه قديما وحديثا وانه كان بذل زيادة أربعمئة ألف دينار في كل سنة وانه لما صار بالاهواز لاحت له زيادة مائتي ألف دينار في سنة سبع على أربعمئة ألف دينار فوفر ذلك وكتب كتابه بخطه حجة عليه لينضاف ذلك الى الزيادة الاولى ويثبت في الدواوين فسر المقتدر بذلك وأمر بتقوية يد حامد وان يقتصر بعلى بن عيسى على النظر في حوائج القواد والحاشية والاحتياط فيما يطاق من الاموال في النفقات فانه بذلك أبصر من حامد وبافراد حامد بحماية الاموال والنظر في النواحي . وخاف على بن عيسى ان تقوى يد حامد فيسلم اليه واتفق بعقب ذلك ان تحرر كت العامة ثم الخاصة بسبب زيادة السعر وشغبوا ^(١٤٩) شغباً

عظيماً متصلاً أشفى به الملك على الزوال وبغداد على الخراب فادعى كتاب حامد وأسبابه ومن يميل إليه ان علي بن عيسى حمل العامة وأكثر الخاصة على الشغب لان السعر لم يكن زاد زيادة توجب ماخرجوا اليه وانما بلغ الخبز الحواري ثمانية ارطال بدرهم

﴿ ذكر ما اضطرب لاجله أمر حامد بن العباس حتى فسخ ضمانه ﴾
تجمع الناس وقوم من أمائل العامة فتظلموا من زيادة السعر وضجوا في وجه علي بن عيسى لما ركب ثم نهب العامة دكاكين الجماعة من الدقائين ببغداد ثم اجتمعوا الى باب السلطان فضجوا فتقدم المقتدر الى ابن الحواري بأن يكتب الى حامد بأن يبادر الى الحضور وينظر في أمر الاسعار فيزيل التربص ببيع الغلات لتنحط الاسعار فنفذ الكتاب بذلك فخرج حامد من الاهواز وأتقذ المقتدر ماهر الخادم لاستمجاله وخرج أصحاب الدواوين والقواد لتلقيه وخرج نصر وابن الحواري فتلقياه وخرج علي بن عيسى لتلقاه ووصل الى المقتدر بالله فخاطبه بجميل وعرفه احماده اياه على ما وثره وأمر بأن يخلع عليه نخاع عليه وحمل على شهرى وانصرف الى منزله (١٥٠)

وتحرك الجند بعد ذلك اليوم في دار السلطان وضجوا لارتفاع السعر وتحركت العامة في المساجد الجامعة ببغداد وكسروا المنابر وقطعوا الصلاة بعد الركعة الأولى واستلبوا الثياب ورجعوا بالاجر وكثرت الجراحات واجتمع منهم في المسجد الجامع الذي في دار السلطان عدد كثير على نصر الحاجب فوثبوا عليه ورجوه بالاجر ثم صاروا في ذلك اليوم الى دار حامد ابن العباس فأخرج اليهم غلمانه فرموهم بالاجر والنشاب وقتل خلق من العامة فحملوا على الجنائز وشتعوا بهم ووجه حامد جماعة من غلمانه ومعهم

ديوداذ بن محمد وهو ابن أخى يوسف ابن أبى الساج فدخلوا المسجد الجامع
بالجانب الغربى على دوابهم فقتلوا جماعةً وقتل أيضاً من الجند عدّة وبات
الناس ليلة السبت على صورة قبيحة من الخوف على أنفسهم وأموالهم
وحرّهم وضعف صاحب الشرطة عن مقاومتهم لكثرة من تجمع من
العامّة فلما أصبحوا يوم السبت صار من العامّة عدد كثير الى الجسور
فأحرقوها وفتحوا السجون ونهبوا دار صاحب الشرطة ودار غيره فأنفذ
المقتدر جماعة من العلمان الحجرية^(١٥١) في شذات عدّة لمُحاربة العامّة
وركب هرون بن غريب الخال في جيش عظيم الى باب الطاق فاحرق
مواضع وتهارب العامّة من بين يديه الى المسجد الجامع بباب الطاق ووكل
هرون بباب المسجد وقبض على جميع من وجدته فيه ولم يفرق بين المستور
والعيّار وحملهم الى محاس الشرطة فضرب بعضهم بالسوط وبعضهم بالدرّة
وقطع أيدي قوم عرفوا بالافساد ثم ركب يانس الموثقى يوم الاحد
فسكن الناس ونادى فيهم وزالت الفتنة ثم ركب حامد في طيّارة يريد دار
السلطان فتصدّه العامّة ورجموه بالاجر فأمر المقتدر شفيعاً المقتدرى
بالركوب لتسكين العامّة فركب وسار في الجانب الغربى وفيه كانت الفتنة
فسكن الناس ثم قبض على جماعة من العامّة فضرب بعضهم بالسوط وقطعت
أيدي قوم عرفوا بالرجم . وضجت الرجال المصافية في دار السلطان من
زيادة السعر فتقدّم المقتدر بالله بفتح الدكاكين والبيوت التى لحامد وللسيدة
والامراء اولاد الخليفة والوجوه من أهل الدولة وبيع الخنطة بنقصان خمسة
دنانير فى السكر وبيع الشمير بحسب ذلك وبمطالبة التجار والباعة ان يبيعوا
بمثل هذا^(١٥٢) السعر فركب هرون بن غريب ومعه ابراهيم بن بطحا

المحتسب فسعر الكبر المعدل بخمسين دينارا وتقدم الى الدقاين بذلك
فرضى العامة وسكنوا وانحل السعر

وخرج توقيع المقتدر الى حامد بن العباس بفسخه عنه الضمان لاجل
الفتنة وضجيج العامة من زيادة السعر وتوقيع الى علي بن عيسى بأن يدبر
هو الاعمال بالسواد والاهواز وأصبهان وتقليدها العمال من قبله وان يكتب
عنه كتابا الى العامة يقرأ في الشوارع والاسواق ثم على المنابر بأنه قد زال
ضمان حامد بن العباس وحظر على جميع الوجوه والقواد والفلان ان يتضمنوا
بشيء من الاعمال وكتب حامد الى عماله بالانصراف من الاعمال وتسليمها
الى عمال علي بن عيسى وانزل حامد بن العباس لذلك
﴿ودخلت سنة ثمان وثلاثمائة﴾

وفيها ورد الخبر من مصر بحركة الفاطمي اليها فأخرج مونس الخادم
اليها^(١)

وفيها خلع على أبي الهيجاء عبدة الله بن حمدان وقلد طريق خراسان
والدينور وخلع على أخويه أبي العلاء وأبي السرايا
وفيها ورد رسول أخى صعلوك بالمال والهدايا فخلع^(١٥٣) عليه^(٢)
﴿ودخلت سنة تسع وثلاثمائة﴾

وفيها وردت الكتب وقرئت على المنابر بهزيمة المغربي^(٣) واستباحة

(١) زاد صاحب التكملة : ودخل صاحب السند بغداد فاسلم على يدى المقتدر بالله
وتحركت الاسعار في هذه السنة فافتن بغداد لذلك ويرد الهوا في تموز فنزل الناس من
السطوح وتذر بالاكسية والاحف (٢) زاد صاحب التكملة : وأنفذ الى ابن ملاحظ
عقد على اليمن وخلع : ليراجع فيه الكامل لابن الاثير ٨ : ٤٧ في ترجمة سنة ٢٩٨
(٣) هو عبيد الله المهدي صاحب القيروان ليراجع صلة عريب ص ٨٠

عسكره وفيها لقب مونس المظهر وأنشئت الكتبة به عن المقتدر بالله الى
أمراء النواحي وعقد له على مصر والشام

وفيها دخل رسول صاحب خراسان برأس ليلي بن النعمان الديلمي
الذي خرج بطبرستان

وفيها اشتهر أمر الحلاج واسمه الحسين بن منصور حتى قتل وأُحرق

﴿ ذكر خبر الحسين بن منصور الحلاج وما آل ﴾

(اليه أمره من القتل والمثلة^(١))

اتهى الى حامد بن العباس في أيام وزارته انه قد موّه على جماعة من
الحشم والحجاب وعلى غلمان نصر الحاجب وأسبابه وانه يحيي الموتى وان
الجن يخدمونه فيحضرونه ما يشتهيه وانه يعمل ما أحب من معجزات
الانبياء وادعى جماعة ان نصرا مال اليه وسمى قوم بالسمري وبيع
الكتاب وبرجل هاشمي انه نبي الحلاج وان الحلاج اله عز الله وتعالى
عما يقول الظالمون علوا كبيرا . فقبض عليهم وناظرهم حامد فاعترفوا بأنهم
يدعون اليه وانه قد صحّ عندهم أنه اله يحيي الموتى وكشفوا الحلاج
بذلك^(١٥٤) فجحدوه وكذبهم وقال : أعوذ بالله أن ادعى الربوبية والنسبة
وانما أنا رجل أعبد الله عز ذكره وأكثر الصوم والصلاة وفعل الخير
ولا غير . واستحضر حامد بن العباس أبا عمر القاضي وأبا جعفر بن البهلول
القاضي وجماعة من وجوه الفقهاء والشهود واستفتاهم في أمره فذكروا أنهم
لا يفتون في قتله بشيء الى أن يصحّ عندهم ما يوجب عليه القتل وانه لا
يجوز قبول قول من ادعى عليه ما ادّعا وان واجبه الا بدليل وقرار منه

فكان أول من كشف أمره رجل من البصرة تنصّح فيه وذكر أنه يعرف أصحابه وأنهم متفرقون في البلدان يدعون اليه وأنه كان ممن استجاب له ثم تبين مخرقته فقارقه وخرج عن جلته وتقرب إلى الله بكشف أمره واجتمع معه على هذه الحال أبو علي هرون بن عبد العزيز الأوارجي الكاتب الأباري وقد كان عمل كتاباً ذكر فيه مخاريق الحلاج وحياته فيه وهو موجود في أيدي جماعة والحلاج حينئذٍ مُقيمٌ في دار السلطان مُوسّع عليه مأذون لمن يدخل إليه وهو عند نصر الحاجب . وللحلاج اسمان أحدهما الحسين بن منصور والآخر محمد بن أحمد الفارسي وكان استهوى^(١٥٥) نصراً وجاز عليه تمويهه وانتشر له ذكرٌ عظيم في الحاشية

فبعث به المقتدر إلى علي بن عيسى لينظره فأحضر مجلسه وخاطبه خطاباً فيه غلظة فحكى أنه تقدّم إليه وقال له فيما بينه وبينه : قف حيث انتهيت ولا تزد عليه شيئاً والآن قلبت عليك الأرض . وكلاماً في هذا المعنى فتهيب علي بن عيسى مناظرته واستعفى منه ونقل حينئذٍ إلى حامد بن العباس . وكانت بنت السمرى صاحب الحلاج قد أدخلت إلى الحلاج وأقامت عنده في دار السلطان مدة وبعث بها إلى حامد ليستلها عما وقفت عليه من أخباره وشاهدته من أحواله فذكر أبو القاسم زنجي أنه حضر دخول هذه المرأة إلى حامد بن العباس وأنه حضر ذلك المجلس أبو علي أحمد بن نصر البازيار^(١) من قبل أبي القاسم ابن الحواري ليسمع ما تحكيه فسألها حامد عما تعرفه من أمر الحلاج فذكرت أن أباه السمرى حملها إليه وأنها لما دخلت إليه وهب لها أشياء كثيرة عدّدت أصنافها . قال أبو القاسم : وهذه المرأة كانت

حسنة العبارة عذبة الالفاظ مقبولة الصورة فكان مما أخبرت عنه انه قال لها : قد زوجتك من سليمان ابني وهو أعزُّ أولادي عليّ^(١٥٦) وهو مقيم بنيسابور وليس يملو ان يقع بين المرأة والرجل كلامٌ أو تنكر منه حالاً من الاحوال وأنت تحصين عنده وقد وصيته بك فان جرى منه شيء تنكرينه فصومي يومك وأصمدي آخر النهار الى السطح وقومي علي الرماد والمالح الجريش وأجعلى فطرك عليهما واستقباني بوجهك واذا كرى لي منه ما تنكرينه منه فاني أسمع وأرى^(١) قالت : وأصبحت يوماً وأنا أنزل من السطح الى الدار ومعى ابنته وكان قد نزل هو فلما صرنا على الدرجة بحيث يرانا ونراه قالت لي ابنته : أسجدي له . فقامت لها : أو يسجد أحد لغير الله (قالت) فسمع كلامي لها فقال : نعم الله في السماء والله في الارض (قالت) ودعاني اليه وادخل يده في كفه وأخرجها مملوءة مسكا ودفعه اليّ ثم أعادها ثانية الى كفه وأخرجها مملوءة مسكا ودفعه اليّ وفعل ذلك مرات ثم قال : وأجعلى هذا في طيبك فان المرأة اذا حصلت عند الرجل احتاجت الى الطيب (قالت) ثم دعاني وهو جالس في بيت علي بواري فقال : أرفعي جانب البارية من ذلك الموضع وخذي مما تحته ما تريدين . واوما الى زاوية البيت فبجئت اليها ورفعت البارية فوجدت تحتها الدنانير مفروشة^(١٥٧) ملء البيت فبهرني ما رايت من ذلك . فاقبعت المرأة وحصلت في دار حامد الى ان قتل الملاج

وجدت حامد في طاب أصحاب الملاج وأذكي العيون عليهم وحصل

(١) وزاد الذهبي في تاريخ الاسلام : وكانت نائمة ليلة وهو قريب مني وانتبه عندي فاحسنت به الا وقد غشياني فانتهيت فزعة فقلت : مالك ؟ قال : انما جئت لوقوفك للصلاة

في يده منهم حيدرة والسمري ومحمد بن علي القنائي والمعروف بأبي المغيث الهاشمي واستتر ابن حماد وكبس منزله فأخذت منه دفاتر كثيرة وكذلك من منزل محمد بن علي القنائي فكانت مكتوبة في ورق صيني وبها مكتوب بماء الذهب مبطنة بالديباج والحرير مجلدة بالادم الجيد . ووجد في أسماء أصحابه ابن بشر وشاكر ^(١) فسأل حامد من حصل في يده من أصحاب الخلاج عنهما فذكروا انهما داعيان له بخراسان قال أبو القاسم بن زنجي : فكتبنا في حملهما الى الحضرة أكثر من عشرين كتاباً فلم يرد جواباً أكثرها وقيل فيما أجيب عنه منها أنهما يطالبان وهتي حصلاً حملاً ولم يحملوا الى هذه الغاية . وكان في الكتب الموجودة له عجائب من مكاتبات أصحابه النافذين الى الزواحي وبوصيته اياهم بما يدعون اليه الناس وبما يأمرهم به من نقالهم من حال الى حال أخرى ومرتبة الى مرتبة حتى يلبثوا الغاية القصوى وان يخاطبوا ^(١٥٨) كل قوم على حسب عقولهم وافهامهم وعلى قدر استجابتهم وانقيادهم وجوابات لقوم كاتبوه بألفاظ مرموزة لا يعرفها الا من كتبها ومن كتبت اليه

وحكى أبو القاسم بن زنجي قال : كنت أنا وأبي يوماً بين يدي حامد اذ نهض من مجلسه وخرجنا الى دار العامة وجلسنا في رواقها وحضر هرون ابن عمران الجهمي بين يدي أبي ولم يزل يحادثه فهو في ذلك اذ جاء غلام حامد الذي كان موكلاً بالخلاج وارماً الى هرون بن عمران ان يخرج اليه

(١) قال الصفدي في الوافي بالوفيات : شاكر الصوفي خادم الخلاج ذكره أبو عبد الرحمن السلمي في تاريخ الصوفية ذكرانه من أهل بغداد وأنه كان شهماً مثل الخلاج وهو الذي أخرج كلامه للناس وضرب عنقه باب الطائي بسبب ميله الى الخلاج

فنهض مسرعاً ونحن لا ندري ما السبب فغاب عنا قليلاً ثم عاد وهو متغير اللون جداً فأناكرأبي ما رأى منه فسأله عن خبره فقال : دعاني الغلام الموكل بالحلاج فخرجت اليه فاعلمني انه دخل اليه ومعه الطبق الذي رسمه ان يقدم اليه في كل يوم فوجده قد ملأ البيت بنفسه فهو من سقته الى أرضه وجوانبه حتى ليس فيه موضع فماله ما رأى ورمى بالطبق من يده وعدا مسرعاً وان الغلام ارتعد وانتفض وحمّ فبينما نحن نتعجب من حديثه اذ خرج الينا رسول حامد وأذن في الدخول اليه فدخلنا وجري حديث الغلام فدعا به وسأله عن خبره فاذا هو محموم وقص^(١٥٩) عليه قصته فكذّبه وشتمه وقال : فرغت من نيرنج الحلاج (وكلاماً في هذا المعنى) لعنك الله أعزب عني . فأنصرف الغلام وبقي على حاله من الحمى مدّة طويلة ثم وجد حامد كتاباً من كتبه فيه : ان الانسان اذا أراد الحجّ فلم يمكنه أفرد في بيته بناء مربعا لا يلحقه شيء من النجاسات ولا يتطرّقه أحد فاذا حضرت أيام الحج طاف حوله وقضى من المناسك ما يقضى بمكة ثم يجمع ثلاثين يتيماً ويعمل لهم أسرى ما يمكنه من الطعام ويحضرهم ذلك البيت ويقدم لهم ذلك الطعام ويتولى خدمتهم بنفسه ثم يغسل أيديهم ويكسو كل واحد منهم قميصاً ويدفع الى كل واحد سبعة دراهم أو ثلاثة دراهم (الشك من أبي القاسم ابن زنجي) وان ذلك يقوم له مقام الحج (قال) وكان أبي يقرأ هذا الكتاب فلما استوفى هذا الفصل النفث أبو عمر القاضي الى الحلاج وقال له : من أين لك هذا ؟ قال : من كتاب الاخلاص للحسن البصري . قال له أبو عمر : كذبت يا حلال الدم قد سمعنا كتاب الاخلاص للحسن البصري بمكة وليس فيه شيء مما ذكرت . فكلما قال له أبو عمر « يا حلال الدم » قال

له حامد : أكتب ما قلت . فتشاغل أبو عمر بخطاب الحلاج فلم يدعه حامد يتشاغل ^(١٦٠) وألح عليه الحاحا لم يمكنه معه المخافة فكتب بإحلال دمه وكتب بعده من حضر المجلس فلما تبين الحلاج الصورة قال : ظهري حبي ودمي حرام وما يحل لكم أن تتأولوا علي بما يبيحه اعتقادي الاسلام ومذهبي السنة ولي كتب في الوراقين موجودة في السنة فآله الله في دمي ولم يزل (يردد) هذا القول والقوم يكتبون خطوطهم حتى كمل الكتاب بخطوط من حضر فأنفذه حامد الى المقتدر بالله

نخرج الجواب : اذا كانت فتوى القضاة فيه بما عرضت فأحضره مجلس الشرطة واضربه الف سوط فان لم يمت فتقدم بقطع يديه ورجليه ثم أضرب رقبته وانصب رأسه واحرق جثته . فأحضر حامد صاحب الشرطة واقراه التوقيع وتقدم اليه بتسلم الحلاج وإمضاء الامر فيه فامتنع من ذلك وذكر انه يتخوف أن ينزع من يده فوقم الاتفاق على أن يحضر بعد القتمة ومعه جماعة من غلمانه وقوم دلي بغال يجرون مجرى الساسة ليحمل على بغل منها ويدخل في غمار القوم وأوصاه بأن لا يسمع كلامه وقال له : لو قال لك « اجري لك دجلة والفرات ذهباً وفضة » فلا ترفع عنه ^(١٦١) الضرب حتى تقتله كما أمرت . ففعل محمد بن عبد الصمد صاحب الشرطة ذلك وحمله تلك الليلة على الصورة التي ذكرت وركب غلمان حامد معه حتى أوصلوه الى الجسر وبات محمد بن عبد الصمد ورجاله حول المجلس

فلما أصبح يوم الثلاثاء لست بتين من ذى القعدة أخرج الحلاج الى رحبة المجلس واجتمع من العامة خلق كثير لا يحصى عددهم . وأمر الجلاد بضربه الف سوط فضرب وما تأوه ولا استعفى (قال) فلما بلغ ستمائة سوط

قال لمحمد بن عبد الصمد : ادعُ بي اليك فان عندي نصيحة تعدل عند الخليفة فتح قسطنطينيه . فقال : قد قيل لي انك ستقول هذا وما هو أكثر منه وليس الى رفع الضرب عنك سبيل . فسكت حتى ضرب الف سوط ثم قطعت يده ثم رجله ثم ضرب عنقه وأحرقت جثته ونُصب رأسه على الجسر ثم حمل رأسه الى خراسان

وادعى أصحابه ان المضر وب كان عدوا للحلاج ألقى شبهه عليه وادعى بعضهم انه رآه وخطبه في هذا المعنى بجهالات لا يكتب مثلها . وأحضر الوراقون وأحلفوا ان لا يبيعوا شيئاً من كتب الحلاج ^(١٦٣) ولا يشتروها ﴿ودخلت سنة عشر وثلثمائة﴾

وفيهما أطلق يوسف ابن أبي الساج بمسألة مونس المظفر من الحبس وشفاعته ثم حملَ اليه مال وكسوة ^(١) ثم وصل الى المقتدر بالله وكان ركب في سواد فقبل البساط ثم يد المقتدر وخلع عليه خلع الرضا وحمل على فرس

(١) زاد صاحب التكملة . وحكي انه أنزل في دار دينار وأنه أنفذ الى مونس المظفر يستدعي منه أنفاذ أبي بكر بن الأدمي القاري فتبع أبو بكر وقال . انني قرأت بين يديه يوم شهر « وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهي ظالمة » ورأيتك يبكي فأظنه حقد على ذلك فقال له مونس : لا تخف فاني شريكك في جائزته . فمضى اليه وجلا فلما دخل وقد أفيضت عليه الخلع والناس بحضرته والغلمان وقوف على رأسه قال لهم : هاتوا كرسيّاً لأبي بكر . فأتوه به قال : اقرأ . واستفتح وقرأ قوله تعالى . « وقال الملك ائتوني به استخلصه لنفسى » . فقال : لا أريد هذا بل أريد أن قرأين يدي ما كنت تقرأه يوم شهرت . فامتنع ثم قرأ حين ألزمه . « وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهي ظالمة » . فبكي ثم قال : هذه الآية كانت سبباً لتوبتي من كل محذور ولو أمكنني ترك خدمة السلطان أتركتها . وأمر له بمال جزيل وطيب كثير . وقال أيضاً . وفي هذه السنة قلد ابن ملاحظ الحرمين وصرف عنهما نزار بن محمد

بمركب ذهب . ثم جالس المقتدر في دار العامة بمد أيام وعقد له على أعمال الصلاة والمعاون والخراج والضياح بالرى وقزوين وأبهر وزنجان وآذريجان وركب معه مونس المظفر ونصر الحاجب وشفيع ومُفْلِح وجميع من بالحضرة من القواد والغلمان وكانت الدار قد شحنت له بالرجال والسلاح واحتشد له . واستكتب يوسف ابن أبي الساج محمد بن خلف النيرمانى وقوطع عن الاعمال التى تقلدها على خمسمائة الف دينار محمولة فى كل سنة على ان عليه القيام بمال الجيش الذى فى هذه الاعمال والنفقات الراتبه . وخلص على وصيف البكتمرى وعلى ظاهر وبمقوب ابني محمد بن عمرو بن الليث

وفىها قلد نازوك الشرطة ببغداد^(١) وخلص عليه وعزل عنها محمد بن عبد الصمد وخلص على وصيف البكتمرى خلعة أخرى^(١٦٣) وضم الى يوسف ابن أبى الساج وشخص يوسف ابن أبى الساج الى عمله على طريق الموصل فلما وصل الى اردبيل وجد غلامه سبك قد مات

وفىها وصل الى بغداد هدية أبى زبور الحسين بن أحمد المادرائى من مصر وفىها بغلة معها فلو كان يتبعها ويرتضع منها وغلام طويل اللسان يالحق طرف أرنبته

وفىها قبض على أم موسى القهرمانه وعلى أختها وأخيها

﴿ ذكر السبب فى ذلك ﴾

كان السبب فى ذلك ان أم موسى زوجت بنت أخيها أبى بكر أحمد بن العباس من أبى العباس بن محمد بن اسحق بن المتوكل على الله وكان من أولاد الخلفاء النجباء وكانت له نعمة حسنة ظاهرة وكان حسن المروءة واللبسة

والدواب والمراكب وكان صديقا لعلی بن عیسی حتی قیل انه کان یُرْسِجُه للخلافة . فلما وقعت المصاهرة بینہ و بین أم موسی أسرفت فیما نثرت من المال وفيما أنفقت علی دعوات دعت فیها الصغیر والکبیر من أهل المملكة فی بضعة عشر یوما . فتمکن أعداؤها من السعی علیها ومکنوا فی نفس المقتدر بالله ووالدته السیدة انها انما صاهرت ابن المتوکل لیزیلوا المقتدر بالله عن ^(١٦٤) الخلافة وینصبوا فیها ابن المتوکل فتمت النکبة علیها وسُلمت الی ثمل القهرمانه مع أختها وأخیها وكانت ثمل موصوفة بالشر لانها كانت قهرمانه أحمد بن عبد العزیز ابن أبی دُلف وكان أحمد یسلم الیها من یسخط علیہ من جواریه وخدمیه فاشتهرت بالقسوة والسرف فی العقوبات واستخرجت ثمل منها ومن أختها وأخیها أموالاً عظيمة وجواهر نفیسة ومن الثیاب والکیسوة والفرش والطیب ما یعظم مقدارہ حتی نصب علی بن عیسی لذلك دیوانا وسماه دیوان المقبوضات عن أم موسی وأسبابها أجرى فیها أمر ضیاعهم وأملأهم وقلده أبا شجاع المعروف بابن اخت أبی ایوب أبی الوزیر وقلد الزمام علیہ أبا عبد الله الیوسفی السکاتب ویقال انه حصل من جهتهم نحو الف الف دینار . ولما قبض علی أم موسی صرف علی بن عیسی ابن أبی البغل عن أعماله بفارس وقلدها أبا عبد الله جعفر بن القاسم السکرخی وصادره ثم لما تقلد ابن الفرات الوزارة الثالثة كتب الی السکرخی بتجديد مصادرة ابن أبی البغل واعتقاله

وفیها توفي محمد بن جریر الطبری وله نحو تسعین سنة ودُفن لیلاً لان العامة اجتمعت ومنعت من دفنه نهرا وادعت علیہ الرفض ^(٢٦٥) ثم ادعت علیہ الالحاد

وفيها دعا المقتدر مونس المظفر فشرب بين يديه وخلع عليه خلع منادمة
وكانت مثقلة بالذهب

﴿ودخلت سنة احدى عشرة وثلثمائة﴾

﴿وفيها صرف حامد بن العباس عن الوزارة وعلى بن عيسى عن الدواوين﴾
﴿ذكر صرف حامد وعلى بن عيسى ورد الوزارة الى ابن الفرات﴾

كانت لذلك أسباب كثيرة منها ان حامدا شرع في تضمن على بن عيسى
لما فسخ ضمانه لتلك الاعمال والبلدان التي ذكرناها وبذل أن يقوم بالامور
ويدبر الاعمال وكان الذي حمله على ذلك ما كان يبلغه من عزم المقتدر بالله
على تقليد ابن الفرات لما كثر ضجيج الحاشية من على بن عيسى لتأخيرهم عنهم
ارزاقهم وارزاق الحرم والولد واقتصر بالخدم والحاشية والفرسان على البعض
من استحقاقهم وحط من أرزاق العمال شهرين في كل سنة ومن أرزاق
المنفقين وأصحاب الاخبار والبرد والقضاة أربعة أشهر فزادت عداوة الناس
له وخشى حامد بن العباس من ابن الفرات لما ساف^(١٦٦) منه اليه ولما عامل
به ابنه المحسن وسائر كتابه وأسبابه فأمره المقتدر أن يكتب رقعة بخطه بما
يضمنه ويبدله وبتسمية من يقلده الدواوين ففعل حامد ذلك وعرض المقتدر
بالله رقعته على ابن الفرات وهو في حبسه وشرح له أمره

فقال ابن الفرات : لو اجتمع مع حامد بن العباس الحسن بن مخلد واحمد بن
اسرائيل^(١) وسائر من شهر بالكفاية لما كان موضعاً لتدبير المملكة ولا
يضبط أعمال الدواوين وانه ان قلّد ذلك انخرقت الهيئة وزالت الحشمة
وان على بن عيسى على تصرّف أحواله أقوم منه وأعرف بالاعمال والتدبير .

ثم أنه قال : أنا أتضمن خمسة أضعاف ماضمته حامداً ان أعاده وممكنه مما يُريد فوعده المقتدر بذلك

وكان حامد مقيماً ببغداد لا يدخل نفسه في شيء من الأمور ولا يزيد على أن يحضر في أيام المواقب وينصرف وضيح حامد من مقامه ببغداد لقبح حاله في ذلك ولأنه افضح بما كان يُعامله به علي بن عيسى في توقيعاته وذلك أنه كان يوقع الى كتاب الوزير حامد والى كتاب الدواوين اذا ذكره بما لا صبر له عليه وكان يُوقع « ليطالب جهنم الوزير أسعده الله بحمل وظيفة واسط وليكتب الى الوزير أسعده الله بان يُسادر بحمل شعير السكرع » ^(١٦٧) واذا تظلم اليه متظلم من أعمال حامد وعُمل له وقع على ظهر رقعته « هذا ما ينظر فيه الوزير أسعده الله » وذكر علي بن عيسى انه يحتج في ذلك برسم قديم كان للوزراء فاستأذن حامد المقتدر في الخروج الى واسط والمقام بها لينظر في أمور ضمانه بنواحيها فأذن له وخرج

ومنها ما جرى من أم موسى وما ذكرناه من خبرها وما تحدث به الناس من أمر ابن التوكل وان ابن الحواري دبر ذلك ليل أم موسى اليه وكشفها له أسرار الخلافة

وكان بعض أسباب ابن الفرات طرح رُقعة في دار المقتدر فيها بيت شعر
يُهنيك يهنيك هذا * ياديك دار الخليفة

ولم يذكر في الرُقعة غير هذا البيت وهي آيات فاحشة ليس فيها أصلح من هذا البيت وتعمد ان جعلت الرُقعة في ممر الخليفة الي دار حرمة له فقرأ المقتدر الرُقعة وقبحت عنده صورة ابن الحراري جداً واعتقد فيه ذلك اليوم استحلال دمه وسفكه ونكبة أم موسى ويظن ان هذا البيت كان

من أوكد أسباب نكبتها ونكبتها

ومنها ان مفلح الاسود كان شديد التحقق بالمقتدر ماثراً على خدمته ثم عظم أمره حتى ^(١٦٨) أقطع الاقطاعات وملك الضياع الجليلة ووقعت بينه وبين [حامد] محادثة وذكر مفلح حامداً بالقيس وقال حامد : لقد هممت أن اشترى مائة خادم اسود وأسمي كل واحد منهم مفلحاً واهبهم لفلاني . فخذ مفلح ذلك عليه ووقف على ذلك المحسن وعلى ما يشبه ذلك فوجه الى كاتب مفلح واجتمع معه وضمن له الاعمال والاموال والولايات حتى عقد حالاً بينه وبين مفلح

وكتب المحسن رقعة الى المقتدر بالله على يد مفلح ^(١) يذكر فيها انه ان سلم منه حامد وعلى بن عيسى ونصر الحاجب وشفيع اللؤلؤى وابن الحواري وأم موسى وأخوها والمادرائون استخرج منهم سبعة آلاف الف دينار وكان أبو الحسن ابن الفرات لا يقصر وهو في الحبس في التضريب على هؤلاء وإطباع المقتدر فيهم

وكان من طريف ما عمله وعجيبه ^(٢) أن راسل المقتدر يوماً على يدي زيدان القمر مائة يلتمس منه قيمة اثني عشر ألف دينار أو هذا المقدار دنانير بعينها لشيء من أمره فتذم المقتدر مما أخذه من أمواله أن يمنعه فحملها اليه ثم سأله أن يدخل اليه اذا اجتاز بموضعه ليُلقي اليه شيئاً لا تحمله المكاتب ولا المراسلة وكان المقتدر كثيراً ^(١٦٩) ما يدخل اليه ويشاوره فدخل اليه فلما رآه ابن الفرات قام وأخذ الكيس التي فيه الدنانير ففتحه وفرغه بين يديه وقال له : يا أمير المؤمنين قد عرفتك أن أموالك تنهب وتضيّع وتقضى بها

الذمامات ماتقول في رجل واجد يرتزق في كل شهر من شهور الالهة هذا المقدار من مالك وهو اثني عشر ألف دينار؟ فاستعظم المقتدر ذلك واستهوله وقال: ويحك من هذا الرجل؟ قال له: علي بن محمد بن الحواري وهذا سوى ما يصل اليه من مال المنافع لمساكنه منك وموضعه من الاختصاص بك وسوى ارتفاع ضياعه وسوى المرافق التي تصل اليه من الاعمال التي يتولاها وسوى ورد الدنانير الى المقتدر بالله وقال: انما أردت أن تشاهد ما يصنع بك وتراه بعينك فليس الخبر كالمعاينة. فقام المقتدر بالله وقد عظم عنده أمر ما يجري واعتقد لابن الحواري غاية المكروه. فلما اجتمعت هذه الاسباب قوى عزم المقتدر على رد الوزارة الى ابن الفرات فلما كان يوم الخميس لتسع بقين من شهر ربيع الآخر وقد انجدر على بن عيسى الى دار السلطان قبض عليه وحبس عند زيدان القهرمانة في الحجرة التي كان فيها ابن الفرات فأخرج منها^(١٧٠) ابن الفرات ليقلد الوزارة

قال أبو محمد علي بن هشام. كنت حاضراً مع أبي مجلس أبي الحسن ابن الفرات فسمعتُه يتحدث في وزارته الثانية قال: ^(١) دخل الى أبو الهيثم العباس بن محمد بن ثوابه الانباري في محبسي من دار المقتدر بالله فطالبني أن أكتب خطي بثلاثة عشر ألف ألف دينار فقلت: ماجرى قدر هذا على يدي للسلطان في طول ولايتي فكيف أصدر على مثله فقال: ^(٢) اني أحلفت

(١) وزراء: ١٠٥ — ١٠٣

(٢) فليراجع هذه الحكاية كما وردت في كتاب العيون: قال العباس بن محمد (يعني أبو الهيثم ابن ثوابه): فدخلت الى ابن الفرات فوثب عن مجلسه وأقبل يزحف فناظرته على الاموال فالطأ فامرت بتقيده فقال: من عجائب ما رأينا أن تقيدني ففرقت ما أعرف من أولية أهله وان أخاه لما تزوج الينا عجب الناس فقال لي: أنت تطالبني بنار ابن

بالطلاق أن تكتب خطك بذلك. فكتبت بثلاثة عشر ألف ألف من غير أن اذكر ماهي أو ضمناً فيها فقال : فاكاتب ديناراً لتبرئني من يميني : فلما

عبدون . فقلت : يا جاهل تريد أن تعرفهم ان بيني وبين ابن عبدون قرابة ؟ ثم أمرت بعرك أذنيه بحضرتهم فالتفت اليّ وقال : اقرؤا على الوزير السلام وقولوا له « هذه سنة ردية على الوزراء من قيد حتى أقيد أنا ؟ فقلت : صاحبك الذي نوه باسمك واسم أخيك اسماعيل ابن بلبل . فامسك ثم خرجت من عنده (قال) ثم دخلت بعد ذلك فرأيت على المصلى آثار رشاش المداد فقلت : أراك تدخل اليك دواة اذا خرجت من عندك . فقال : من ابن وعلى بضعة عشر رجلاً ؟ فأمريت بأخذ المصلى والحصر والمزلة وأخليت الحجرة وضيق عليه فسمعه يقول « اليوم حبست اللهم اقبضني اليك » فدخلت عليه وقد أحدث في مكانه وقد أشرف على أمر عظيم من ثقل الحديد فأمرت بتحديدته فنك ورأيت القدر قد غلب روائحه في البيت فقلت : ليس هذا يوم مناظرة أروحه أياماً ثم أعود . فخرجت الى رسالة (بعزم على) العود غداً فعدت من الغد فأخذت خطه بثلاثة آلاف الف دينار فلما كان بعد ثلاثة أيام دخلت عليه وقد أحضرت جبة من صوف وغلا برمانة وشيثا يمنع المغلول أن يرد رأسه الى خلف وغلا بغير رمانة فأمرت من ألبسه الحيتين واحدة فوق الاخرى وغله فاشفقت من الغل الذي بالرمانة ان يتلفه فقلت : ان تلف تلف يت مال الخاصة . فنزعت احدي الحيتين فقال : يا أبا هيثم من ألبس من الوزراء جبة صوف ؟ فقلت : صاحبك اسماعيل بن بلبل . وأردت أن أذكر له دهن الا كارع وكيف فعل بابي الصقر فقال : لا تذكر شيئاً . وقدم الى السندان وقام نسيم وأخذ يلبسه فقال له : يا نسيم ليس يومي منك بواحد . فقلت لتسيم : وما يومه منك ؟ قال : أنا أزلت عزه أخذت السيف والمنطقة من وسطه ونزعت أقبته في اليوم الذي قبض عليه فيه وأنا أجره الى السندان . فخره اليها وهو يصيح . اقتلوني يا أم موسى اقتلوني هذا جزائي منك وحق خدمتي لكم ؟ فقالت له . يا فاجر قد صح عندنا انك أردت لإخراج هذا الامر من ولد العباس الى ولد أبي طالب . فوضع رأسه على السندان وهو يصيح : اقتلوني ما رأيتم مثل هذا قط . وجعل يبكي ويقول : واصيائاه . فقلت : يا أبا الحسن جزعات الاماء وفريسات الاسد ما هكذا يجب ان تكون . وانصرف

وأما أبو الهيثم ابن ثوبة وسوء عمله فليراجع ارشاد الاريب ١ : ٢٩٨ ومات بالكوفة

في الحبس سنة ٣٠٣ : صلة عريب ص ٥٩

كُتبت ديناراً ضربت عليه وأُكلت الرقعة وقلتُ : قد برئت عن يمينك ولا
سبيل لك الى غير هذا . فاجتهد جهده فلم أجبه الى شيء فلما كان من الغد
دخل الى الحبس ومعه ام موسى فطالب بذلك وأسرف في سبي وشتمى
ورماني باثراً خلفت بالطلاق والعناق والأيمان المغلظة أنى ما دخلت في شيء
من محذور هذا الجنس منذ نيف وثلاثين سنة وسمته أن يحلف بمثل ذلك
أن غلامه القائم على رأسه لم يات في ليلته تلك فانكرت أم موسى هذه
الحال وغطت وجهها حياء منه فقال لها ابن ثوابة : هذا انما تبطره الاموال التي
وراءه ومشله في ذلك ^(١) مثل المزين مع كسرى والحجام مع الحجاج بن
يوسف ^(٢) فاستأمرى السادة في إنزال المسكروه به حتى يذعن بأموال
(قال أبو الحسن يعني بالسادة المقتدر ووالدته وخالته وخاطف ودستبويه
أم ولد المعتضد ^(٣) لانهم اذ ذاك يدبرون الأمر معاً لخدانة المقتدر) قال
ابن القرات : فضت أم موسى ثم عادت فقالت لابن ثوابة : يقولون لك قد
صدقت ويدك مطلقة فيه . وكنت في حجرة ضيقة وحراً شديداً فأمر
بكشف البسواوى حتى صرت في الشمس ونجى الحصار من تحتي وانخلت
أبواب البيوت حتى حصلت في الشمس ثم قيّدني بقيد ثقيل والبسني جبّة
صوف قد نُقمت في ماء الا كارع وغائى بغل واقفل باب الحجرة وانصرف
فاشرقت على التلف

فلما مضت نحو أربع ساعات اذا صوت غامان مُجتازين في الممر
الذى فيه الحجرة التي انا فيها محبوس فقال لى الخدم الموكلون : هذا بدر
الخدم الحرمى وهولك صنيعه . فاستغثت به فصحت : يا أبا الخير الله الله فيّ

لك مكان من السادة ولى عليك حقوق وقد ترى حالى والموت أسهل على مما أنا فيه نخطب السادة^(١) و ذكرهم حرمتى وخدمتى فى تثبيت دولتهم اذ خذلهم الناس وافتتاحى^(١٧٢) البلدان المنغلقة وإتارتى الاموال المنكسرة فان كان ذنبى يوجب القتل فالموت أروح فرجع اليهم نخطبهم ورققهم ولم يبرح حتى حل الحديد كله عني ثم أذنوا فى إدخال الحمام وأخذ شعري وتغيير لباسى وتسليمى الى زيدان وترفيعى فجاءنى مبشرا بذلك فلم يبرح حتى فعل جميع ذلك وقال : يقولون لك لن ترى بعدها بؤساً

﴿ ذكر الخبر عن وزارة أبى الحسن ابن الفرات الثالثة ﴾

وتقلد أبو الحسن على بن محمد بن الفرات الوزارة الثالثة فى ذلك اليوم وخُلع عليه واستدعى المقتدر بالله المحسن ابنه من منزله بسوق العطش فخلع عليه مع أبيه ولم يوصل المقتدر بالله اليه فى ذلك اليوم أبى القاسم ابن الحوارى وظهر أولاد ابن الفرات وأسبابه واستتر بعض أسباب حامد وقبض المحسن فى طريقه على جماعة من أسباب حامد

وكان أبو على ابن مقلد يتقلد لعلى بن عيسى زمام السواد طول أيام وزارة حامد فلما تقلد ابن الفرات هذه الوزارة تجلّد ولم يستتر وصار اليه وظهر من إعراض ابن الفرات عنه ما غصّ منه ولم يقبض عليه للمودة التى بينه وبين^(١٧٣) ابن الحوارى فلما قبض بعد ذلك على ابن الحوارى قبض عليه . وانتقل ابن الفرات الى داره الاولى التى بالمحرّم وركب اليه ابن الحوارى ليهنّته فأطال عنده وأنسه ابن الفرات وشاوره وخلا به فتحقّق به وأظهر السرور بولايته معما يُبطّنه من الخوف الشديد منه وكان أسباب أبى القاسم

ابن الحواري قد أشاروا عليه بالاستتار وقالوا له : ان المقتدر بالله لم يأذن لك عند تقليده ابن الفرات مع علمه بالعداوة بينكما الا لسوء رأيه فيك . فقال ابن الحواري : لو كان كذلك لقبض عليّ قبل تقليد ابن الفرات . فلما كان يوم الاثنين ركب ابن الفرات ^(١) وركب ابن الحواري الى دار السلطان فأذن لابن الفرات ولم يؤذن لابن الحواري فاستوحش ابن الحواري . ثم صرف الامر الى ابن الفرات وقد كان شرط على ابن الفرات ان يجريه على رسمه في وزارته الثانية فانه لم يكن يصل مع ابن الحواري ظاهراً وانما كان يصل سرّاً فلما خرج ابن الفرات من عند المقتدر بالله وانفرد دخل اليه ابن الحواري فأقبل عليه وشاوره في جميع أموره وقال : قد غبت عن مجاري الامور منذ خمس سنين وأنت عارف بها وأريد ان تعاضدني وتستعمل ما يازمك بحق الودّة . فتلقى ابن الحواري ^(١٧٤) قوله بالشكر وإظهار المناصحة وانشأ ابن الفرات معه حديثاً طويلاً ونهض قبل ان يستتمه ونزل الى طياره وأنزل معه ابن الحواري وأحمد بن نصر البازيار ابن أخيه ^(٢) ومحمد بن عيسى صهره وعلى بن مأمون الاسكافي كاتبه وعلى بن خاف النيرماني وكان أخوه محمد بن خاف مصاهراً له وأظهر لجماعتهم الاكرام والاختصاص وما زال يضاهي حكمهم الى ان حصل في داره ثم أسرّ الى العباس الفرغاني حاجبه بأن يقبض على ابن الحواري وجميع أسبابه فقبض عليهم واعتقلهم في حجرة الدار واستحضر ابن الفرات في الوقت شفيعاً للؤلؤى فأنفذه الى دار ابن الحواري ليحفظها من النهب وضمّ اليه جماعة من الفرسان والرجال

(١) وزراء ٣٩ (٢) وفي ارشاد الاريب (٢: ١٢٤) في ترجمته : ابن أخت أبي انقاسم ابن الحواري

وأمر بعمالته بالجمل في مطعمه ومشربه وأفردت له داراً واسعة وفُرشت
بفرش نظيف وأفرده عن كتابه ومن يأنس به . وراسله ابن الفرات في
المصادرة وتوسط ابن قرابة بينهما وكان ابن قرابة مُحَقِّقاً بابن الفرات
وشديد الانس بابن الحواري فتقررت مصادرته بعد خطاب كثير على
سبعمائة ألف دينار في نفسه دون كتابه وأسبابه واشترط إطلاق أحمد بن
نصر البازيار لينصرف في أداء مال التعجيل^(١٧٥) وهو مائتان وخمسون ألف
دينار فأطلق وأزيل التوكيل عن دار ابن الحواري وأسبابه وسلم جميعها
إلى أحمد بن نصر

وأمر ابن الفرات بكبس مواضع فيها أسباب حامد وكتابته فأنارهم
وكان المحسن يُسرف في المكروه الذي يوقعه بمن يحصل في يده منهم حتي
انه أحضر ابن حماد الموصل وأخذ خطه بمائتي ألف دينار وسلمه إلى
مستخرجه فصفعه المستخرج صفعاً عظيماً فلم يرض المحسن ذلك وأخرجه
إلى حضرة وصفعه على رأسه حتى خرج الدم من أنفه وفمه ومات . ولم ينكره
المقتدر وقد كان أشفق المحسن من إنكاره وخافه خوفاً شديداً فلما كان
بعد أيام أنفذ المقتدر إلى المحسن خلع منادته وأجرى عليه من الرزق كل
شهر ألف دينار زيادة على رزق الدواوين فصرى المحسن على مكاره الناس
وأسرف المقتدر في استصابة أفعاله إلى ان بلغ الأمر فيه إلى ان غنى الجواري
بحضرة « أحسن المحسن أحسن »

وكان استر أبو الحسين محمد بن أحمد بن بسطام صهر حامد بن العباس
فاستخرجه واستخرج منه ستين ألف دينار وأخذ خطه بمائتي ألف دينار
بعد مكروه غليظ وغصبيه على خادم يعرف بمرج كان مشهوراً بالليل^(١٧٦) إليه

وقبض على جماعة فأخذ خدمهم وغلماهم الرُّوقة وأوقع بهم المسكاره

﴿ ذكر الخبر عن قبض الوزير ابن الفرات على حامد بن العباس ﴾

كان المقتدر قد شرط على ابن الفرات ان لا ينكب حامداً وان يناظره على ما يجب عليه من فضل الضمان فاذا وجب عليه شيء بقول الكتاب والقضاة أخذ بمضه وقال : قد خدمني ولم يأخذ مني الا رزق سنة واحدة وشرط على أن لا أسلمه لمكروه ولا أدعُ عليه حقاً . فاضطرَّ ابن الفرات الى اقراره على أعمال واسط وخاطبه بأجلٍ دعاء^(١) ثم عمل له الاعمال واستقصى عليه الحجة وخرج عليه أموالاً عظيمةً وكتب أصحابه بمطالبته والاخلاح عليه فان تقاعد بها وكُلَّ به من يطالبه بالمال الواجب عليه للمصالح والبذور اذ كان ممّا لا سبيل الى تأخيرهِ « فان أمير المؤمنين ليس يأذن في تضمينه مستأنفاً » فأظهر صاحب الوزير ابن الفرات هذا الكتاب في مجلسه وبلغ حامداً الخبر في الوقت فأظهر بواسط ان كتاب المقتدر ورد عليه يأمر فيه بالمسير الى بغداد وخرج من واسط مع جميع كتّابه وحاشيته ورجاله وحمل معه من الفرش والآلات والكسوة جميع ما كان يخدم به بعد ان احتاط^(٢) في أمواله وأمتعته الفاخرة وأودعها عند ثقائه بواسط وضرب عند خروجه بالبوقات وأجلس غلمانه وحاشيته بأسرهم في الزواريق والسُميريات . وبادر بخبره على أيدي الفيوج وعلى أجنحة الطير الى ابن الفرات

(١) وزاد فيه صاحب التكملة : فاصفي ابن الفرات على اقرار حامد على واسط وكان يتأول عليه تأولا ديوانياً وكان حامد يطالب بما حاسبه من النفقة على الشوق في أيام الخلقاني وهي مائتان وخمسون ألف دينار فكانت تأخر المطالبة جديدة الضمان ولانه شرط أن يحسب ذلك من ماله لا من مال السلطان

وقاد دوابه ودواب حاشيته وأصحابه على الشط فوصل خبره الى ابن الفرات فاستشار ابنه الحسن ومن يختصه فيما يعمل به فأشاروا عليه بأن يبادر الى المقتدر ويقرأه كتاب حامد ففعل ذلك وقال المقتدر : ما وقعت على ما عمله حامد ولا كتبت بشيء مما ادّعاه على . فقال ابن الفرات : فان كان كذلك فالصواب ان ينفذ نازوك في جمع من الغلمان الحجرية والفرسان والرجالة بعضهم في الماء وبعضهم في الظهر حتى يقبض على حامد وأسبابه . فأذن له في ذلك فانصرف ابن الفرات الى داره وأنفذ نازوك وتقدم اليه بالمبادرة حتى يقبض على حامد وعلى أسبابه حتي لا يفوته أحد منهم . فسار نازوك واخطأ بأن قبض على أول من لقيه من أسباب حامد وعلى دوابه وغلماناه وبلغ حامداً خبره فاستتر من الطريق ونهب أسباب نازوك بعض ما كان مع القوم ^(١٧٨) من الامتعة واستظهر نازوك على الكتب والحسابات والاعمال وصار بالجميع الى الحضرة

فأمر المقتدر بتسليم جميع الكتب والاعمال الى ابن الفرات وفرّق الامتعة في خزائنه والدواب في اصطبلاته ووجد ابن الفرات في الكتب المحمولة اليه عجائب من كتب من تقرب اليهم فقبض عليهم وكان حين ورد كتاب حامد بالمسير من واسط استظهر بالتوكيل بجبهذه ابراهيم الذي كان بالحضرة فلما تم قبض نازوك على أسباب حامد أمر ابن الفرات هشاماً بالرفق بهذا الجهد مرة وبالغلظة اخرى ويسئل عن ودائع حامد ففعل هشام به ذلك فأقرّ عفواً أن لحامد عنده مائة ألف دينار عينا ثم حلف على أنه ليس عنده لحامد ولا لاحد من أسبابه وديمة غير ما فآمنه ابن الفرات على نفسه وان لا يسلمه الى المحسن ولم يُطلع ابن الفرات المقتدر بالله على

خبر هذه المائة الالف الا بعد أن تسلم حامداً
 وانتشر الخبر في رجب أن حامداً إنما استتر لأن المقتدر كتب
 اليه ينكر خروجه من واسط على تلك الحال التي خرج عليها ويأمره أن
 يستتر ويوافي بغداد حتى يتوثق منه ويأخذ خطه بما بذل أن يضمن^(١٧٩)
 به ابن الفرات والمحسن وكتبهما واسباهما ليستلم الجماعة اليه فاستتر المحسن
 والفضل والحسين والحسن أولاد أبي الحسن ابن الفرات وحرّمهم واكثر
 الكتاب ولم يبق في دار ابن الفرات من كتابه الذين يحضرون مجلسه الا
 أبو القاسم بن زنجي وحده . وكانت مدة سعادة حامد قد انقضت^(١٨٠) فصار
 الى دار السلطان في زى الرهبان ومعه مونس خادمه وصعد الى دار الحجابة
 التي فيها نصر الحاجب فاستأذن له فارس بن رنداق على نصر وقال : حامد
 ابن العباس قد حضر الباب وهو يستأذن على الاستاذ . فقال : قل له يدخل .
 فلما دخل قال له قبل أن يجلس : الى أين جئت ؟ قال : جئت بكتابك . فقال له
 فالى هاهنا كتبت اليك أن تجي ؟ ولم يقم له واعتذر اليه أنه تحت سخط
 الخليفة . ووجه نصر الى مفلح يسأله الخروج اليه وكان مفلح يتولى
 الاستئذان على المقتدر اذا كان عند حرمة فخرج مفلح وكلمه نصر في أمر
 حامد وقال له : هو في هذا الوقت في حال رحمة ومثلك من استعمل معه الجميل
 ولم يؤخذ بما كان منه في تلك الامور . ثم قال حامد لمفلح : تقول لمولانا أمير
 المؤمنين^(١٨١) عني بأني أرى أن أكون معتقلاً في دار أمير المؤمنين كما اعتقل
 فيها علي بن عيسى ويأظرني الوزير والمحسن والكتاب بمحضرة الفقهاء
 والقضاة ووجوه القواد فان وجب عليّ مال خرجت منه بعد أن أكون

مالكاً لاستيفاء حُجتي ومحروساً في نفسي ولم يمكن المحسن من دمي فيجازيني على المكاره التي كنت أوقعها به في طاعة مولانا أمير المؤمنين وهو شاب وأنا شيخ قد بلغت هذه السن العالية واليسير من المكروه يتلفني . فوعده مفلح بذلك ودخل على المقتدر بالله مخاطبه في أمره بضد ما وعده به فتكلمت السيده في امر حامد وقالت : لا يضر أن يعتقل في الدار ويُناظر حتى تحرس نفسه . فقال مفلح : ان فعل هذا لم يتم لابن الفرات عمل لأن الاراجيف قد كثرت به وخربت الدنيا وبطلت الأموال فقال المقتدر لمفلح : صدقت . وأمره أن يخرج الى نصر فيأمره ان يُنفذ حامداً الى ابن الفرات فخرج مفلح الى نصر بذلك فأخذ نصر يطيب نفس حامد بأن يقول : لا بد من أن تصير الى حضرة الوزير مع ثقة لي ثم أردك الى دار أمير المؤمنين . فالتمس حامد من نصر ثياباً يغير بها ما عليه من زي الرهبان فامتنع مفلح من الأذن له في ذلك وقال : قد أمرني مولاي أن أوجه به^(١٨١) في الزي الذي حضر فيه . فإزال نصر يشفع له حتى أذن له في تغيير زيهِ وانفذه مع ابن رنداق الحاجب وبادر مفلح بانفاذ كاتبه الى ابن الفرات يُبشّره بحصول حامد وما أمر به المقتدر من تسليمه اليه وكان ابن الفرات على قلق وانزعاج لما وقف على حصول حامد في دار السلطان واستتر كتابه وأولاده كلهم فلما جاءت رسالة مفلح سكن بعض السكون وصلى الظهر وجلس وليس بين يديه غير ابن زنجي وهو ينظر في العمل نظراً خفيفاً الى أن ذكر بعض الغلمان أن طياراً من طيارات الخدمة قد أقبل ثم قدّم عند درجه داره وبادر البوابون بخبره ودخل ابن الرنداق ومعه حامد بن العباس فلما رآه ابن الفرات قال له : لم تركت عملك وجئت ؟ قال : بكتابك جئت . قال : فلم لم

تقصّد داری ان کنت جئت بکتابی ؟ قال : حرمت التوفیق .^(١) ولم یزل
یُخاطبه « بالسکاف » من غیر ذکر الوزارة . وأخرج ابن الرُنداق رُقعة
نصر الحاجب الی الوزير بانفاذ حامد الیه فألقاها الی ابن زنجی وقال : اکتب
بوصوله . فکتب وسلم الجواب الی ابن رُنداق فنهض من المجلس
فما انصرف ضعفت نفس حامد وأقبل یُخاطبُ ابن الفرات بالوزارة
ولان کلامه وبان فیه^(١٨٢) الخضوع . وأمر ابن الفرات یحیی بن عبد الله
قهرمان داره بان یفرد لحامد داراً واسعة فی داره ویفرشها فرشاً حسناً
ویتفقده فی طعامه وشرابه وطیبه حتی یُخدم بمثل ما کان یُخدم به وهو وزیر
وان یقطع له کسوة فاخرة ویجعل معه لخدمته اذا کان خالیا خادمین أسودین
أعجمیین وأمره أن یؤنسه عندالأ کل وأن یخدمه فی تلك الحال من الخدم
والفرّاشین من یوثق به ففعل یحیی ذلك

﴿ ذکر ما عومل به حامد وما عمله هو ﴾

دخل الی حامد وقت العصر من ذلك الیوم عبید الله بن فرجویه
واحمد بن الحجاج بن مخلّد صهر موسى بن خلف وقد کان حامد استعمل
معهم فی أيام وزارته من المسکارة ما لم یسمع بمثله قط فوبّخاه علی ما فعل
بهما فوجد أن یكون رأهما او وقع بصره علیهما فلما أکثرا علیه قال لهما :
قد أکثرتما علیّ وأنا أجمل القول لکما ان کان ما استعملتہ من الاحوال
التي آصفتان وما عاملت الناس به قد أثمر لی خیرا فاستعملنا مثله وزیدنا علیه
وان کان قبیحا وهو الذی أصارنی الی أن تمکنتم منی فتجنّبوه فان السعید
من وعظ بغيره .^(١٨٣) فذهبوا وأعادا ذلك علی ابن الفرات فاسترجع حامدا

وقال : ما أَدْفَعُ رُجُلَتَهُ وَلَا أَنْكَرُ دُرْبَتَهُ وَلَكِنَّهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَقْدَمُ عَلَى الدِّمَاءِ وَمَكَارِهِ النَّاسِ .

قال ثابت في كتابه في التاريخ : ومن أعجب العجب أن يقول أبو الحسن ابن الفرات هذا القول ويُصدِّق قول حامد ويستجيدهُ ويقول أنه بأفعاله القبيحة من أهل النار وهو لا يُنْكِرُ مع كرم طبعه وجلالة قدره وسلامة أخلاقه وإثاره الاحسان الى كلِّ أحدٍ على المحسن ابنه طرائقه المنكرة وأفعاله العظيمة التي أنكرها على حامد بن العباس^(١) وقد زاد عليها للواحد واحداً ولا ينهيه ولا يَعْظُهُ بالحق حامداً فيرجع « ويكون السعيد الذي وعظ بغيره » فان مَنْ يُقَدِّمُ على الله تعالى على بصيرةٍ وبعدِ التنبيه والتذكير خلاف من يقدم وهو مغترٌ غافلٌ

ثم راسل ابن الفرات حامداً بن العباس في الاقرار بحاله بمائتي ألف دينار منها المائة التي كانت له عند ابراهيم جهيزه لانه قد كان وقف على حصول هذا المال من جهة الجهيز في يد ابن الفرات وأخذ المحسن شيئاً آخر من جهة مونس خادمه الى حضرة المقتدر بالله وكتب اليه انه أخذ ذلك عفواً بغير مناظرة ولا مكروه^(١٨٤) واطمع المقتدر من جهة حامد في أموال كثيرة واستخرج من مونس بعد ذلك بعد مكروه كثير أربعين ألف دينار وصودر جماعة من حاشيته بأموال أخرى . واستحضر ابن الفرات حامد بن العباس بحضرة الفقهاء والقضاة والكتّاب^(٢) وناظره مناظرة

(١) راجع وزراء ١٠٥

(٢) زاد فيه صاحب التكملة : فهم النعمان بن عبد الله وكان قد تاب من عمل السلطان فحضر بطليسان وناظره ابن الفرات مناظرة طالت كان عمد ابن الفرات أن قال له : الضمان

طلالت واستوفى حامد حُجَّتَهُ الى أن أخرج ابن الفرات عملا وجده في صناديق غريب غلام حامد وكان هذا الغلام يتولى لحامد بيع غلاته في الفُرْضة . فوافق حامدا عليه وأحضر غريبا فاعترف بذلك العمل وكان حمله سهوا منه لان حامدا كان في كل سنة يجمع جميع حساباته ويفرّقها في دجلة فلما جرى المقدار على حامد بما جرى أنسى أن يطلب من هذا الغلام هذا العمل وكان في جملة الظهور فكان ماثبت في ذلك العمل من أثمان الغلات لسنة واحدة خمسمائة ألف دينار ونيفا واربعين ألف دينار سوى شعير الكُرَاع المحمول الى الحضرة فبان ان في الضمان من الفضل أكثر من الضعف وظهر ايضا ان اسعار تلك السنة الثانية في العمل اسعار ناقصة وان اسعار السنين التي بعدها بأسرها ازِيدُ واتَّجَهَتْ حُجَّةُ ابن الفرات على حامد

الذي ضمنته من الخاقاني سنة ٢٩٩ لا يعضيه الفقهاء والكتاب لانه ضمان مجهول وضمنت أثمان غلات لم تزرع . فقال له حامد : فقد عملت بي كذلك حين ضمنتي أعمال الصدقات والضيايع بالبصرة وكور دجلة . فقال ابن الفرات : الغلة بالبصرة بسيرة وإنما ضمننت الثمرة . فقال حامد : فمن أحل بيع الثمرة قبل إدراكها وحضرها في الزرع . فقال المحسن لحامد : هذا الكلوذاني كاتبك وكتابه يشهدون عليك بما اقتطعته . فقال : هولا . كتاب الوزير الآن (يياض في الاصل) هواه ولزمت ابن الفرات حجة حتي قال له حامد : لم أمضيت ضمانني في وزارتك الثانية ؟ فقال ابن الفرات : لهذا نقلني أمير المؤمنين الى حبسه . وذكر حامد حجبها كانت في يده فقال ابن الفرات : أنا فتشت صناديقك فلم أجد فيها ما ذكرت وأنا المقدم باحضارها وبتفتيشها . فقال حامد : أفتشها بعد أن فتشها الوزير وقبضها نازوك وفتح أقالمها ! فخيّل ابن الفرات وتعجب الناس من استيفاء حامد الحجة . وزاد فيه أيضا صاحب النكمة : وصودر محمد بن عبدالله النصراني حاجبه والحسن بن علي الحبيب كاتبه على تسعين ألف دينار واستعمل الحبيب مع حامد من المكاشفة ما لم يستعمله كاتب مع صاحب فرد ابن الفرات عليه ما صدره به

واخذ ابن الفرات خطوط القضاة والكتّاب وشفيع اللؤلؤى بما ظهر من
الحجة على حامد

وكان ^(١٨٥) ابن الفرات يرفق في المناظرة ولا يُسمعه ولا يخرق به
ولا يزيد على إيجاب الحجة عليه ويدعه حتى يستوفي منه لنفسه الحجة وكان
المحسن ابنه يشتمه بحضرة الناس اقبح شتم ويقول : ليس يخرج أئمال منك
الامثل المسكاره التي كنت تُجرىها على الناس . ويقول : انى اعطى خطى ان
سلم منى ان استخرج منه الفى الف دينار معجلة ويذل دمه ان لم يف
بذلك . . . ويستكفه ابوه وينهاه عن الشتم فلا ينتهي

فقال حامد . أيها الوزير قد أكثر من شتمى واحتملته وليس الاحتمال
له وانما أكرم مجلس الوزير وليس بعد الحال التي أنا فيها شيء يخاف أعظم من
القتل ولولا ما يلزمنى من توقيع بمجلس الوزير لرددت عليه . خلف أبو الحسن
لئن عاد المحسن لشم حامد ليستغفين الخليفة من مناظرته فحينئذ أمسك
عن الشتم ثم أعاده الى المناظرة مرّات ^(١) وكان يحصل فى آخره انه لا مال
له وكان قد باع ضياعه ومستغلاته وفرشه وداره ولم يبق له حيلة .

فلما أعت ابن الفرات الحيلة فيه خلا به فى دار من دُور حرمة من
حيث لم يحضر معهم أحد من خلق الله ورفق به وحلف له على انه ان صدقه
عن أمواله وذخائره لم يُسلمه الى المحسن ولم يُخرجه عن داره ^(١٨٦) وحفظ
نفسه فاما أقام فى داره مكرما واما خرج الى فارس متقلدا لها والى أى بلد أحب
مع خادم من خدم السلطان يحفظ نفسه ووكد اليمين على ذلك ثم قال له : أنت
تعلم انك ضمنتنى من أمير المؤمنين لأسلم اليك فاقتديت نفسى بسبعمائة

ألف دينار وأقررت بها عفواً من مالى حتى سلّمتُ منك وأنت فقد تناسيت كل جميل فعلته وفعله أخى^(١) بك والخليفة الآن مقيم على ان يُسلّمك الى المحسن وهو حدث وقد أسلفته من المكاره ما لم يستعمله أحدٌ مع وزير ولا مع ولد وزير وأنا أرى لك ان تقتدى نفسك بمالك حتى تلحقك الصيانة من التسليم الى المحسن . ووكد له الايمان فعند ذلك ركن حامد الى قوله ويمينه وأقر له من الدفائن فى البلايع احتفرها وتولى هو بنفسه دفن المال فيها بخمسمائة ألف دينار وأقر بان له عند جماعة من الوجوه والشهود نحو ثلاثمائة ألف دينار وأقر بان له كسوة وطيباً مودوعة بواسطة فاختد ابن الفرات خطه بذلك وبادر بالركوب الى المقتدر من غير ان يحضر معه المحسن ولا عرفه شيئاً من الخبر فسر المقتدر بذلك ووعدّه ان يسلم اليه كل من ضمنه من نصر الحاجب وشفيع اللؤلؤى وغيرهما وأشار ابن الفرات^(١٨٧) بافاد شفيع ليسلم هذا المال بواسطة . فخرج شفيع فوجد تلك الاموال المدفونة واستخرج تلك الودائع وصار بها الى المقتدر بالله

وما زال حامد فى دار ابن الفرات مَصُوناً الى ان توصل المحسن الى المقتدر بالله على يد مفلح فالتبس منه ان يوقع الى أبيه بان يستخلفه على سائر الدواوين وجميع أمر المملكة فتردّد مفلح برسائل من المقتدر بالله الى أبى الحسن بن الفرات وتكرّر ابن الفرات لابنه وجرت فيه ألوان مناظرات الى ان خلّع على المحسن وركب معه أبوه والقواد ثم انصرف أبوه الى داره ومضى المحسن الى داره . ثم ركب المحسن مع أبيه الى دار السلطان وخاطب

(١) ليراجع قصة حامد مع اسمعيل بن بلبل واعتماده على عناية أبى العباس ابن الفرات

الخليفة بحضرة أبيه وقال : قد بقيت على حامد جملة وافرة من مال مصادرتة وان سلمت اليّ استخرجت منه خمسمائة ألف دينار . فامر المقتدر أبا الحسن بتسليمه اليه فقال ابن القرات : قد عاهدته ان لا أسلمه اليه . فراجع المحسن المقتدر الى ان امر المقتدر أمرا لم يمكن أبا الحسن مخالفته فيه فسلمه اليه وحمله المحسن الى داره . وطالبه وأوقع به مكروها وأقام حامد على انه لم يبق له مال ولا حال فامر بصفه فصفه خمسين صفة وسقط كالغشي عليه وما زال^(١٨٨) يُصفع الي ان تسكّم وقال : أي شيء تريد^(١) مني ؟ قال : أريد المال . قال : ما بقي غير ضيعتي . قال : فاكتب بوكالة لابن مُكرم (وكان أحمد ابن كامل القاضي حاضرا) تقرّ فيها انك قد وكلته في بيعها . فكتب ذلك ووقعت الشهادة على حامد . ثم ان المحسن عامله بعد ذلك بمعاملة تجرى مجرى السخف من إذلاله والوضع منه ثم سلمه الى خادم له مع خمسة من الفرسان وعشرة من الرجال ليحذروا به الى واسط ويبيع ضياعه وأملاكه

وشاع ببغداد ان حامداً طلب ليلة انحذاره بيضا فجعل اليه وتحسّى منه وقت افطاره عشر بيضات وان خادم المحسن الموكل به طرح فيه سما فاستقر في جوفه حتى صاح ولحقه ضرب عظيم ودخل واسط وهو لما به فسلمه الخادم الى محمد بن علي البزوفري وجعله في داره وبادر الخادم بالانصراف وقام حامداً أكثر من مائة مجلس ولم يتغدّ الا بسويق السلت . وأراد البزوفري الاستظهار لنفسه فاستحضر القاضي والشهود بواسط وكتب كتاباً يقول فيه « ان حامداً وصل الى واسط وتسلمه البزوفري وهو عليل من ضرب شديد لحقه في طريقه بين بغداد وواسط وانه ان تلف من ذلك

الذرب فانما مات^(١٨٩) حتف أنفه ولا صنع للبزوفري في شيء من أمره»
ووجه بالكتاب الى حامد فظهر له حامد الاستجابة الى الاشهاد على نفسه
بما فيه فلما دخل اليه القاضى والشهود قال لهم : ابن الفرات الكافر الفاجر
المجاهر بالرفض عاهدنى وحلف لى بايمان البيعة والطلاق على انى ان اقررت
بجميع اموالى لم يسلمنى الى ابنه الحسن وصاننى عن كل مكروه واطلقنى الى
منزلى وولانى اجل الاعمال فلما اقررت له بجميع ماله مكنته سلمنى الى ابنه
الحسن فعذبني باصناف العذاب واخرجنى مع فلان الخادم واحتال على
وسقانى ايضا وطرح فيه سما فلحقنى الذرب ولا صنع للبزوفري في دمي في
هذا الوقت ولكنه فعل وصنع ثم اخذ قطعة من اموالى وامتنعتى وجعل
يمشوها فى المساور البزبون المخلفة فتباع المسورة بخمسة دراهم وفيها أمتة تساوى
ثلاثة آلاف دينار فيشتريها هو فاشهدوا على ما شرحتة لكم . وتبين البزوفري
حينئذ انه اخطأ فيما فعله . وكتب صاحب الخبر بواسط الى ابن الفرات
بجميع ما تكلم به حامد .

وتوفى حامد بن العباس ليلة الثالثة عشر من شهر رمضان سنة ٣١١^(١٩٠)

﴿ ماجرى فى امر على بن عيسى وتسليمه الى ابن الفرات^(١) ﴾

لما قبض المقتدر على على بن عيسى وجعله فى يد زيدان التهمر مائة راسله
بان يقر بامواله فكتب رُعة يقول فيها انه لا يقدر على اكثر من ثلاثة آلاف
دينار . واتفق ان ورد الخبر بدخول ابى طاهر سليمان بن الحسن الجنابى الى
البصرة سحريوم الاثنين لخمس بقين من شهر ربيع الآخر فى الف وسبعمائة

(١) ورد ذكر ما جرى فى امر على بن عيسى الى أن نفى الى مكة فى كتاب

راجل وانه وصل اليها بسلايم نصبها بالليل علي سورها وصعد الي اعلي
 السور ثم نزل الي البلد وقتل البوابين الذين علي ابواب السور وفتح الابواب
 وطرح عن كل مصرعين منها حصي ورملا كان معه علي الجمال لئلا
 يمكن اغلاق الباب عليه . وانه لم يعرف سُبُك المِفْلَحي والى البصرة الا في
 سحر يوم الاثنين ولم يعلم انه ابن أبي سعيد الجنابي وقدّر انهم اعراب
 فركب مغترًا ولقيه وجرت بينهم حرب شديدة وقتل سُبُك ووضع أبو
 طاهر في أهل البصرة السيف وأحرق المَرَبْد وبعض المسجد الجامع ومسجد
 قبر طلحة ولم يعرض للقبر . وهرب الناس الي الكلاء فكانوا يحاربونهم
 عدة أيام ثم أخذهم السيف فطرحوا أنفسهم في الماء ففرق أكثرهم . واقام
 ابو طاهر بالبصرة ^(١٩١) سبعة عشر يوما ويحمل علي جماله كل ما يقدر عليه
 من الامتعة والنساء والصبيان ثم انصرف الي بلده . فانفذ ابن الفرات في
 الوقت الذي ورد فيه خبر القرمطي بُنَيّ بن نفيس وجعفر الزرنجى الي
 البصرة وقلد محمد بن عبدالله الفارقى اعمال المعاونة بالبصرة وخلع عليه واحذر
 في الطيارات والشذات وورد الخبر بوصوله اليها بعد انصراف ابى طاهر
 الجنابي عنها فاقام فيها الفارقى رجاله وانصرف بُنَيّ والزرنجى
 وكان بُنَيّ بن نفيس انفذ جماعة من القرامطة الي بغداد ذكر انهم
 استأمنوا اليه وانهم زعموا ان علي بن عيسى كاتبهم بالمصير الي البصرة وانه
 وجّه اليهم في عدة اوقات بهدايا وسلاح فوافوا بغداد وانهى ابن الفرات
 الحال في ذلك الي المقتدر بالله

﴿ ذكر مناظرة ابن الفرات علي بن عيسى ﴾

عرض الكتاب بعينه عليه فامر المقتدر باخراج علي بن عيسى اليه

ليناظره والجمع بينه وبين القرامطة حتى يواجهوه بما قالوا فيه ففعل ابن
الفرات . فاحتجّ علي بن عيسى بان قال : انه من كان في مثل حالتي وتحت
سخط السلطان كاشفهُ الناس بالكذب ^(١٩٢) والباطل لا سيما اذا كان
الوزير منحرفا ومُغتاضا . ثم أخذ ابن الفرّات يُخاطبُه في امر الاعمال وكان
فيما ناظره عليه امر المادرائين وقال : قد اخذ ابن بسطام ^(١) خطوطهما في
ايام وزارتي الثانية صلحا عمّا وجب عليهما من خراج ضياعهما بمصر والشام
وما اخذاه من المرافق بها مدّة تقلدهما في أيامك الأولى بالفي الف دينار
وثلاثمائة الف دينار واديا في ايامي نحو خمسمائة الف دينار . فصرفت علي
ابن بسطام ساعة وليت الدواوين وتقدّت هذين العامّين المجاهرين باقتطاع
مال السلطان وأنشأت اليهما كتابا عن أمير المؤمنين أطال الله بقاءه باسقاط
ذلك بأسره عنهما . ثم ادّعت ان أمير المؤمنين أمر بذلك وقد أنهيت هذه
الحال الى أمير المؤمنين أطال الله بقاءه فقال : لم أمر بشيء من هذا ولا ظنّ
ان أحداً يقدّم عليه بمثلها . فأجاب علي بن عيسى بأنه كان في الوقت (كتاباً)
لحامد بن العباس يخفّه على العمل : وكان أمير المؤمنين أمرني قبول قوله وان
حامدا ذكر ان أمير المؤمنين أمر باسقاط هذا المال عن هذين العامّين
ووقع بذلك توقيعاً فوقعت تحت توقيع حامد بامتنال أمره كما يفعل خليفة
الوزير فيما يأمره به صاحبه . فقال له ^(١٩٣) ابن الفرّات : أنت كنت تُعارض
حامداً وتخاصمه أبداً في السير تخرجه عليه في غيره ما كان ضمنه حتى جرى
بينكما ما تحدث به الناس فكيف تركت أن تستأذن أمير المؤمنين في هذا
المال العظيم الجسيم ؟ فقال علي بن عيسى : كنت في أوّل الامر كاتباً لحامد

مدة سبعة أشهر ثم بان لا مير المؤمنين ما أوجب أن يعتمد على وكان الذي جرى من أمر المادرائين في صدر أيام حامد . فقال له ابن القرات : فلما اعتمد عليك أمير المؤمنين ألا صدقته عن خطأ حامد في هذا الباب وتلافيته ؟ فقال : أغضيتُ عن ذلك لأنني كنتُ في ذى القعدة سنة ست أوصاتُ الحسين ابن احمد الى حضرة أمير المؤمنين وأخذتُ خطه في مجلسه بما عقدته عليه من ضمان أعمال الخراج والضيايع بمصر والشام بعد النفقات الراتبية واعطاء الجيش في تلك النواحي وهو ألف ألف دينار في كل سنة خالصة لا يحمل الى بيت المال لا ينكسر منه درهمٌ واحدٌ وذلك بعد ان أخذتُ خطه بجميع ما تصرف فيه من عطاء الجيش والنفقات الراتبية في ناحية ناحية ووقفتُ عليه أيضاً في كل سنة لما ينكسر ويتأخر في هذه الاعمال مائة وثلاثين ألف دينار^(١) وخطه بذلك في ديوان المغرب وهذا غاية ما قدرتُ عليه . فقال ابن القرات : أنتَ تعملُ أعمال الدواوين منذُ نشأتَ وقد وليت ديوان المغرب سنين كثيرة ثم وليت الوزارة ودبرت أمر المملكة مدة طويلة هل رأيت من يدع مالا واجبا يُؤدَّى معجلاً ويأخذ عوضاً منه مالا مؤجلاً يُحال به على ضمانٍ ؟ وهبكَ أغضيت كما ذكرتَ ورأيت ذلك صواباً في التدبير فهل استوفيت مال هذا الضمان من هذا الضامن في مدة خمس سنين دبرت فيها المملكة ؟ فاجاب عن ذلك بأنه قد كان ورد من مال الضمان للسنة الأولى جملة ثم سار العلوي^(٢) من افريقية حتى تغلب على أكثر النواحي بمصر فنفس مونس المظفر الى مصر لمحاربه فالتصرف أكثر المال الى اعطيات الجند ونفقات المساكر وانكسر باقيه لاجل استخراج العلوي ما استخرجه

من أموال النواحي المجاورة لمصر . فقال ابن الفرات : فقد انهزم العلوي منذ صفر سنة تسم ووجب على هذا الضامن مال سنتين كاملتين بعد هزيمة العلوي فهل استخرجت من هذا الضامن ألفي ألف دينار ؟ فاجاب على ذلك مالم يحفظ ثم قال له في آخر خطابه : فقد^(١١٥) أمر أمير المؤمنين بمطالبة بالاموال التي جمعها وخنته فيها فينبغي ان تقرّ بها عفواً وتصون نفسك عن المكروه . فقال علي بن عيسى : لست من ذوى المال وما أقدر على أكثر من ثلاثة آلاف دينار

ثم ناظره على أموال الحاشية فقال لعلي بن عيسى : أنت قد أسقطت من أرزاق الحرم والولد والحشم والفرسان الذين كنت أوفّهم أرزاقهم على الادرار في أيامي الأولى والثانية مدّة خمس سنين دبرت فيها أمر المملكة ما يكون مبالغه في كل شهر مع ارتفاع الضياع التي هي ملك خاصّة خمسة وأربعون ألفاً يكون في السنة خمسمائة وأربعون ألف دينار وفي هذه المدّة ستة آلاف دينار ولست تخلو من أن تكون احتجتها لنفسك أو اضعتها . فقال علي بن عيسى : ما استغلّته من هذه الضياع ووفّرتها من أرزاق من يستغني عنه تممت به عجز الدخل عن النفقات المرفقة حتى اعتدت الحال فلم أمدّ يدي الى بيت مال الخاصّة فاما الخمسة والأربعون ألف دينار التي كنت تحملها من أموال المرافق فاني ما استصوب ما استصوبته أنت من أخذها والاذن للمال في ان يرتفقوا بل حظرتها ورفعتها فلم أعرض لها لأنها كانت طريقاً الى تلف أموال السلطان وظلم الرعية^(١١٦) وخراب البلاد وأنت كنت تعمل في النفقات على ما كنت تحوّل من بيت مال الخاصّة الى بيت مال العامة فترضي به الحاشية وتخرب به بيت المال . وتكرّر

الخطاب في هذا المعنى

ثم ناظره على ما حمله الى القرامطة من الهدايا والسلاح وما ترددت
بينه وبينهم من المكاتبات مرّة والمقاربات أخرى فقال : أردتُ استمالتهم
وإدخالهم في الطاعة وكففتهم عن الحاج وأعمال الكوفة والبصرة مدّة ولايتي
دفتين وأطلقوا من الأسارى الذين كانوا من المسلمين عدّة . فقال له ابن
الفرات : فأى شيء أعظم من أن تشهد أن أبا سعيد وأصحابه الذين جحدوا القرآن
ونبوة النبي عليه السلام واستباحوا عُمان وقتلوا أهلها وسبوا مسلمون^(١)
وتكاتبهم بذلك وتؤخر اطلاق ارزاق من يحفظ السور بالبصرة حتى أدخلوا
بمراكزم فدخلها القرمطي وقتل أهلها . فاحتج بحجج يطول شرحها .

فسأل نصر الحاجب والمحسن أبا الحسن ابن الفرات أن يدعها لمخلوان به
فدخلوا وأشارا عليه بالمصادرة فاستجاب اليها والزماء ثلثمائة ألف دينار يُعجل
منها في مدّة شهر مائة ألف دينار أولها يوم خروجه من دار السلطان الى
حيث يأمن فيه على نفسه ويصل اليه الناس^(١١٧) فأخذ ابن الفرات خطه
بذلك وانفذه الى المقتدر بالله فامضاه ثم كتب ابن الفرات كتباً عن نفسه
الى كلّ واحد من اصحاب الدواوين يذكر فيها خيانة على بن عيسى وسرقته
وما واجه به وما بذله من المصادرة

وحكى أبو الفرج ابن هشام عن ابن المطوّق أن أبا الحسن على بن
عيسى كان سأل أبا الحسن ابن الفرات أن يتجافى له عن ارتفاع ضيعته
لسنة ٣١١ ليؤديه من جملة المصادرة وان ابن الفرات قال له : هو خمسون
ألف دينار . فقال على بن عيسى : قد رضيتُ بعشرين ألف دينار . وذكر

أنه دون ذلك فلما نُفِيَ إلى مكة وجد في ضيعته نحو الحسين الألف دينار^(١)
قال أبو الفرج : فسمعتُ الهُماني الواسطي يقول : سمعتُ أبا الحسن
على بن عيسى يُؤَيِّخُ أبا عبد الله البريدي ويقول له : يا أبا عبد الله أما خفتَ
الله حيث حلفت بما حلفت به ونحن مُجْتَمِعُونَ في دار السلطان أطال الله
بقائه أن استِغْلَالَك واستِغْلَالَ اخوتك من ضيعتك بواسط عشرة آلاف
دينار وقد وجدته من حساب رفعة إلى (يعني الهُماني) ثلاثين ألف دينار .
فقال أبو عبد الله : اقتديتُ بسيدنا أيده الله حيث سأله أبو الحسن ابن
الفرات عن ارتفاع ضيعته فلم يصدقهُ وسأته^(١٩٨) وعلمتُ أنه مع دياتهِ
لولا يعلم أن التقية مباحة عند من يخاف ظلمه لما حلف بتلك اليمين . فكانه
ألقم على بن عيسى حجراً

ونود إلى تمام خبر على بن عيسى مع ابن الفرات . امتنع المقتدر من
تسليم على بن عيسى إلى ابن الفرات فذكر على بن عيسى أنه لا يمكنه أن
يؤدّي مال مصادرتِهِ إلا بعد أن يخرج من دار الخليفة وأحضره المحسن
دفعتين وطالبة ورفق به فلم يؤدّ إلا ثمن دار باعها فقيدَه المحسن فلما رأى
نصر ذلك نهض عن المجلس وطالب المحسن على بن عيسى فقال : لو كنتُ
أقدرُ هاهنا على أداء المال لما قُيِّدْتُ . فالبسه جبة صوف وأقام على أمره
فخينذٍ صفعة عشر صفعات فقام نازوك من المجلس فقال المحسن : إلى أين
تقوم ؟ فقال : ما أحبُّ أن أحضرُ مكروه هذا الشيخ . وأعيد على بن عيسى
إلى محبسه وبلغ أبا الحسن ابن الفرات ما عامل به المحسن على بن عيسى
فأقلقه ذلك وقال لابنه : قد جنيت علينا بما فعلته كان يجب أن تقتصر على

القييد . ثم كاتَبَ المقتدر بالله يشفع لعلى بن عيسى وذكر أنه لما وقف على ما جرى عليه لحقه من النعم أمرٌ لا يذكر مثله وأنه لم يطعم طعاماً منذ عرف خبره لأنه شيخ من مشايخ الكتّاب وقد خدم أمير المؤمنين ^(١٩٩) وتحرم بداره ومثله يُخطئ وأمير المؤمنين أُولَى بالصفح وسأل أن يُزال عنه القيد والجبة الصوفي فاجابهُ المقتدر بأن على بن عيسى مُستحقّ لاضعاف ما جرى عليه وأن المحسن قد أصاب فيما عامله به وأنه قد شفّعه في امره وأمر بحلّ قيده وزرع جبة الصوف عنه وتقديّم بعد ذلك بتسليم على بن عيسى الى ابن الفرات ليؤدّي مال التجيل من مُصادراته . فلما حُلّ اليه [قال] لست أحبّ أن يكون في دارى لئلا يلحقه مرضٌ وهو شيخٌ فيُنسبُ اليّ وأنا أُسئلُ أمير المؤمنين أن يأذن في تسليمه الى شفيع . فقيل للمقتدر ذلك فقال : أنا أُسلمُهُ اليك لانك الوزير فأحفظ نفسه ولا تُسلمهُ الى المحسن فأما غير هذا فانت أُولى وما تراه . فانفذ ابن الفرات الى شفيع وأحضره

وأخذ ابن الفرات في توبيخ على بن عيسى وعاتبهُ على أمر وقوفٍ وقهر أمير المؤمنين برذها عليه وان مالها كان ينصرف الى أشياء يتقرّب بها الى الله عزّ وجلّ وينصرف بعضها الى ولده وغلمايه وان ما فعله لا يجوز في الدين ولا في المروءة . فأخذ على بن عيسى يعترف بالتفريط الذي وقع منه وسأله قبول عذريه وكان المحسن حاضراً ^(٢٠٠) فاطنّب في توبيخه وتقريعه على هذا الباب فاجابه بمثل ما اجاب به والدّه وزيادة ^(٢١) وقال في عرض كلامه : انا

(١) وفي كتاب الوزراء ٣٠٣ : ودخل المحسن في القول في الزيادة من توبيخ على

ابن عيسى في فعله فقال له الخ

والله استجليك . فقامت على المحسن القيامة من هذه الكلمة وغلظت على ابيه
ايضا فاجابه المحسن بجواب فيه غلظة واقبل ابوه يسكنه ويرفق به ثم قال
لعل بن عيسى : ابو احمد كاتب امير المؤمنين وصنيعة (وأخذ يصف
محلته منه وتقويضه اليه) وأخذ على بن عيسى في الاعتذار من تلك الكلمة .
ونفض على بن عيسى مع شفيع فاجلسه شفيع في صدر طياره وحمله الى داره
وحكي ابو الحسن ابن أبي هشام انه كان حاضرا المجلس وانه رأى
الحسن بن دولة ابن أبي الحسن بن الفرات خرج في تلك الحال فقام له على
ابن عيسى وقبل رأسه وعينه فاستكثر ذلك ابن الفرات وقال له : لا تفعل
يا أبا الحسن هذا ولدك . ثم فتح دوائه ووقع الى هرون بن عمران الجهمي
أن يحمل الى أبي الحسن على بن عيسى بلا دعاء ألقى دينار يستعين به على
أمره في مصادرتة وقال لابنه المحسن : وقع أنت أيضا بشيء . فوقع بالف
دينار ثم أحضرا بشر بن هرون وكتب قبضاً لعل بن عيسى من مال مصادرتة
بهذه الثلاثة الالاف الدينار^(٢٠١) فانصرف على بن عيسى شاكرًا

ولم يقبل على بن عيسى من أحد من الكتاب معونة في مصادرتة
مع بذل جماعتهم له وحملهم اليه ما أطاق كل واحد منهم الا من ابن فرجويه
وابني أبي الحسن بن الفرات الفضل والحسين فانه قبل من كل واحد منهما
خمسمائة دينار وحمل اليه أبو الهيجاء ابن حمدان عشرة آلاف دينار فردها
وقال : لو كنت متقلدا فارس اقبلتها منك ولكني أعلم ان هذه جميع مالك
وما أحب أن أثلمك . خلف أبو الهيجاء أن لا يرجع الى ملكه فقررت
في الطالبيين وفي الصدقة على الضعفي وبذل له شفيع اللؤلؤي الف دينار
فامتنع من قبولها وقال : لا أجمع عليك موثوقي ومعونتي في مصادرتي . وقبل

من هارون بن غريب ومن نصر الحاجب وشفيع المقتدرى
فلما ادى على بن عيسى أكثر مال مصادرتة قال ابن الفرات للمقتدر :
ان فى مقام على بن عيسى فى دار شفيع ضرراً عليه فان الاراجيف قد كثرت
وان ردة الى دار السلطان زاد الارجاف . والتمس الاذن فى إبعاده الى مكة فأذن
له المقتدر فى ذلك فأطلق ابن الفرات لما قدر له من نفقته وما يحتاج اليه
سبعة آلاف درهم فخرج ^(١) اليها ثم كتب ابن الفرات بإبعاده الى صنعاء
من بلاد اليمن ^(٢٠٢) فأبعد اليها

ثم استخرج ابن الفرات من أسباب على بن عيسى وعماله وكتابه مالا
عظيماً بالمكارة وبسط يد ابنه فأنكر الناس اخلاقه وما كان يعرف من
كرمه ونبله . فأما أبو علي ابن مقله فانه كتب الى أبي عبد الله محمد بن
اسماعيل بن زنجى رقعة وكانت بينهما مودة وضمنها أبحاثاً له ما أثبتنا لاني لم
أستجدها وكتب رقعة الى ابن الفرات يذكره بحرمة وقديم خدمته
ويستعطفه وجعلها فى درج تلك الرقعة وسأله ايصالها فلما وقف ابن الفرات
عليها تقدم بحل قيده وتقرر مصادرتة علي ما ينهض به ثم خفف عنه بعد
ذلك وأطلقه

فأما ابن الحواري ^(٢) فان ابن الفرات سلمه الى ابنه المحسن فصنعه
صنعاً عظيماً فى دفعات وضربه بالمقارع ثم أخرجه الى الاهواز مع مستخرج
له فلما وصل اليها قتله المستخرج

(١) زاد فيه صاحب التكملة : فاستجار له جمالا وأعطاء نفقة وأنفذ معه ابن السكونانى
صاحبه فاراد قتل على فبلغ ذلك أهل مكة فهموا بقتل ابن السكونانى فنع على منه وحفظه
(٢) وزراء ٤٠

فأما المادرائيان^(١) فانه كتب باشخاصهما فحمل الحسين بن أحمد وهو أبو زنبور فاعتقله ابن الفرات في داره واستحضر القضاة وأصحاب الدواوين الى داره وحضر المحسن وأحضر وأعمالا عملوها لابي زنبور وناظره ابن الفرات عليها وأخذ خطه من الابواب التي نواظر عليها بألف وأربعمائة ألف دينار ثم استكثر^(٢) ابن الفرات هذا المال فقرر مصادرته على ألف الف وسبعمائة الف دينار وعرض خطه بذلك على المقتدر بالله فاستصاب فعله وتناهى ابن الفرات في معاملته بالجميل وكان يسترجله ويصف فمه ويقول انه ما خاطب عاملا أفهم منه ولا أجلد وسامه أن يواجهه على بن عيسى بانه أرفقه في أيام تقلده ديوان المغرب وفي أيام وزارته فاستغفاه من ذلك فقال له ابن الفرات : فكيف واجهتني انا بامر^(٣)ه ولا تواجهه بامر^(٤)ى فقال . ما حدثت معه تلك الحال ولا استحسنها الى أحد مع الظاهر من اساءة الوزير الى بتسليمه اياى الى ابن بسطام وبسط يده على في أيام وزارته الثانية فكيف تستحسنون لى هذه الحال في معاملة على بن عيسى مع قديم وحديث احسانه الى فاعفاه ابن الفرات من ذلك

ثم قدم محمد بن على المادرائي^(٥) ولم يكن تقلد في أيام وزارة حامد

(١) وزراء ٤٤ (٢) ليراجع ما تقدم ص ٦١ وكتاب الوزراء ص ٦٢ (٣) قال صاحب تاريخ الاسلام انه مات سنة ٣٤٥ وان مولده سنة ٢٥٧ وولى أبوه خراج مصر وقدم هو مصر شابا على والده وولى الخراج استقلالاً وله ثلاث وعشرون سنة وقد وذر أبوه أيضا لابي جيش خمارويه فلما قتل أبو جيش واجلس في مكانه ابنه هرون بن أبي الجيش استوزر ابا بكر محمد بن على فلما قتل هرون وقدم محمد بن سليمان الكاتب مصر من قبل المكتنى وازال دولة الطولونية وخرّب ديارهم حمل ابا بكر الى بغداد ثم انه وافى مصر مع مونس والعسكر في نوبة حباسة وأمر أبو بكر ونهى ودبر البلد

ابن العباس شيئا من الاعمال فناظره ابن الفرات على المال الباقي عليه وعلى الحسين بن احمد من ضمان اجناد الشام ومصر وعن حق بيت المال في ضمانه وهو حينئذ شريك للحسين بن احمد في الضمان فاحتج في بمضيه فقال له ابن الفرات : لست بأفهم من الحسين وقد احتج بأكثر ما ذكرت^(٢٠٤) فلم تثبت له حجة . وأخذ خطه بلا تهديد ولا مكروه بالف الف وسبعمائة الف دينار ثم سلمه الى المحسن وكان في داره على أتم صيانة وأقام فيها يوما واحداً وكان المحسن يتناول عليه اذا حضر ثم أطلقه وكان السبب في ذلك انه حمل اليه مالا جليلاً وثياباً فاخرة وجواهر نفيسة وخدماء رقيقة ﴿ ذكر ما دبره ابن الفرات في أمر مونس حتى أبعده ﴾

كان ورد مونس من الغزو بعد ان ظهر بالروم ظفراً حسناً فتلقاه المحسن ونصر الحاجب وشفيع ومفاح وسائر القواد ولقى المقتدر بالله فتحدث الناس ان مونساً^(١) أنكر ما جرى على الكتاب والعمال من المكروه العظيم من ابن الفرات والمحسن وما ظهر من وفاة حامد بن العباس وان أكثر الفرسان التفاريق بالحضرة قد عملوا على الانضمام الى عسكر مونس المظفر لتزوج أرزاقهم . فعلم ذلك على ابن الفرات وصار الى المقتدر بالله بعد أسبوع من قدوم مونس المظفر فخلاً به وأعلمه ما عمل مونس عليه من ضم الرجال اليه وانه ان تم له ذلك صار أمير الامراء وتغلب على أمر المملكة ولا سيما والقواد^(٢٠٥) والغلمان منقادون له . وعظم عليه الامر وأغراه به إغراء شديدا فلما ركب مونس المظفر الى دار المقتدر بالله قال له المقتدر بحضرة ابن الفرات : ما شيء أحب الي من مقامك لاني أجمع الى

الأنس بك والتبرك برأيك الانتفاع بحضورك في أمر الحضرة كله
ولكن أرزاق الفرسان برسم التفاريق عظيمة وما يتها أن تطلق أرزاقهم
على الإِدرار ولا النصف من استحقاقهم وليس يطعمون في الخروج الى
نواحي مصر والشام لانهم يحتجون بقصور أحوالهم عن ذلك وقد علمت
ان الريّ واهر وزنجان متغلقة باخي صعلوك وكذلك ارمينية وآذربيجان
يوسف بن أبي الساج وان أقت ببغداد التمس الرجال الانضمام اليك فان
لم أجبههم شغبوا واقتنوا البلد وان أقت لم يرج من مال ديار ربيعة ومضر
والشام شيء وليس يفي مال السواد والاهواز وفارس بنفقات الحضرة
ومال عسكري والوجه ان تخرج الى الرقة وتتوسط عملك وتنفذ عمالك في
اقتضاء الاموال وتستخرج ما يجب على المادرائين من الاموال العظيمة التي
بذلوا بها خطوطهم وتهابك عمال المعاوين والخراج بمصر والشام فيستقيم
امر^(٢٠٦) الملك . ورسم له الشخص من رقة في سائر الغلمان الحجرية
والساجية برسمه

فعلم مونس ان هذا من رأى ابن الفرات وتديره وعرف شدة
عداوته له فسأل المقتدر بالله ان يأذن له في المقام بقية شهر رمضان حتى
يُعَيِّد ببغداد فاجابه الى ذلك . فلما عيِّد صار الى ابن الفرات لوداعه فقام له قياما
تاماً فاستغفاه مونس وحلف عليه أن يجلس في المصلى فامتنع وسأله مونس
في عدة أمور فوقع له بجميع ما التمسهُ وأراد القيام عند خروجه من حضرته
فاستحلفه برأس الخليفة ألا يفعل ثم ودّع الخليفة وخرج الى مضر به في
يوم مطير

﴿ ما دبره ابن الفرات بعد مونس في أمر الحاشية ﴾

ولما فرغ ابن الفرات من مصادرة جميع الكتاب وأخرج مونساً
شرع في القبض على نصر الحاجب^(١) وشفيع المقتدرى فوصف للمقتدر
ما في جنب نصر خاصة من الاموال والضياع وكثرة ما يصل اليه من الاعمال
التي يتولاهم من سائر وجوه مرافقه فاجابه المقتدر الى تسليمه اليه واتصل
الخبر بنصر فلجأ الى السيدة واستغاث اليها^(٢٠٧) فكلّمت ابنها وقالت له :
قد أبعد ابن الفرات مونساً عنك وهو سيفك وثقتك ويريد الآن ان ينكب
حاجبك ليتمكن منك فيجازيك على ما علمته به من ازالة نعمه وهتك حرمة
فليت شعري بمن تستعين عليه ان أراد بك مكروهاً من خلعتك والتدبير
عليك لاسيما معما أظهر من شره واقدام ابنه المحسن على كل عزيمة ! وقد
كان نصر مضى الى منزله واستظهر بتفريق ماله في الودائع واستتر فراسلته
السيدة بالرجوع الى داره فوثق وعاد وهو مع ذلك شديد التذلل لابن
الفرات وابنه وابن الفرات يُعرف المقتدر من احواله ومن إفساده ابن أبي
الساج حتي ضيّع على الخلافة خمسة آلاف ألف دينار من ارتناع نواحيه
مايهمّ معه المقتدر بتسليمه اليه .

فلما كان في ذي الحجة من هذه السنة ورد الخبر على ابن الفرات بإيقاع
ابن أبي الساج باحمد بن علي أخى صعلوك وقتله اياه وانه أخذ رأسه وهو
على حمله الى بغداد فركب المحسن الى المقتدر والتمس من مفاح أن يوصاه
اليه من غير حضور نصر الحاجب فاوصله وبشره بالفتح وأعلمه ان نصراً
الحاجب يكره ذلك وانه عدو لابن أبي الساج وهو الذي^(٢٠٨) أفسده

على السلطان فلذلك كتّمه الخبر

﴿ ودخلت سنة اثني عشرة وثلثمائة ﴾

فلما كان بعد أيام ظهر في دار للسيدة كان المقتدر يكثر الجلوس فيها عند والدته رجل أعجمي^(١) على سطح مجلس من مجالسها وعليه ثياب فاخرة وتحتها مما يلي بدنه قميص صوف ومعه محبرة ومقدحة وسكين وأقلام وورق وسويق وحبل ويقال أنه دخل مع الصنّاع فحصل في الموضع وبقي أياماً فعمّش وخرج ليطلب الماء فظفر به وسُئل عن خبره فقال : ليس يجوز أن أخطب غير صاحب الدار . فأخرج الى الوزير أبي الحسن ابن الفرات فقال له : أنا أقوم مقام صاحب الدار فقل ماشئت . فقال : ليس يجوز غير خطابه في نفسه ومسلّته عما احتاج اليه . فرفق به فلم يغن الرفق فلما لم تكن فيه حيلة أخذ الخدم يقرّونه بالضرب والعنف فمدل عن الكلام بالعربية وقال بالفارسية « ندانم »^(٢) ولزم هذه اللفظة فلم يزل عنها في كل ما يخاطب به وأخرج فعوقب حتى تلف وهو لا يزيد على « ندانم » فصأب وأُف عليه حبل من قنب ومشاقة ولطخ بالنفط وضرب بالنار

وخاطب ابن الفرات نصرّاً الحاجب بحضرة^(٣) المقتدر في أمر هذا الرجل وقال له : ما أحسبك ترضى لنفسك أن يجري عليك في دارك مثل هذا الذي جرى على أمير المؤمنين وأنت حاجبه وحافظ داره وما تمّ مثل هذا على أحد من الخلفاء في قديم ولا حديث وهذا الرجل هو صاحب احمد بن علي أخي صملوك لا محالة والدليل على ذلك أنه أعجمي فاما ان يكون احمد بن علي قبل أن يقتل وإطالك حتى أوصلته الى هذا الموضع

واما ان تكون أنت دسسته ليفتك بأمر المؤمنين لتخوفك على نفسك منه ولاجل عداوتك لابن أبي الساج وصادقتك لاحمد بن علي ولاجل عظيم ماوصل اليك من احمد بن علي من الاموال . فقال له نصر الحاجب : ليت شعري اُدبر على أمير المؤمنين لانه أخذ أموالى وهتك حرّمي أوقبض ضياعي أو حبسني عشر سنين . فقال المقتدر : لو تم هذا على بعض العوام لكان عظيماً^(١) وتمكّن ابن الفرات منه واندفع عنه المكروه بما ورد به الخبر مما جرى على الحاج من القرمطى وسنشرحه فيما بعد فشغل ابن الفرات بنفسه وقوى أمر نصر وسلم من ابن الفرات

وفي هذه السنة ورد الكتاب بشرح الخبر في مصير ابن أبي الساج من آذربيجان الى الري ومجاربته^(٢١٠) احمد بن علي وحمل رأس احمد بن علي وجنته الى مدينة السلام

وفيهما فرق ابن الفرات على طلاب الادب مالا وعلى من يكتب الحديث مثله (٢) وكان السبب في ذلك انه جرى حديثهم في مجلسه فقيل : لعل الواحد منهم يبتغل على نفسه بدائق فضة أو دونها ويصرفه الى ثمن ورق وحب . وكان ابن الفرات موصوفاً بسعة الصدر وحسن الخلق وكان فرق في الشعراء مالا فقال لما جرى حديث هؤلاء : انا أولى من عاونهم على أمرهم . وأطلق لهم لما يصرفونه الى ذلك عشرين ألف درهم

فذكر انه لم يسبق ابن الفرات الى ذلك الا ما حدث به الضبعي عن رجاله ان مسلمة بن عبد الملك أوصى عند وفاته بالثلث من ثلثه لطلاب

(١) ليراجع ما زاد فيه صاحب كتاب الوزراء ص ٤٩ (٢) وزراء : ٢٠٢ - ٢٠١

وراجع أيضا ارشاد الارب ٢٢٨:١

الادب وقال « هم مجفونون »^(١)

وكان يستعمل كل يوم في مطبخ ابن الفرات^(٢) من لحوم الحيوان وفي دوره من الثلج الكثير ومن الاشربة التي تعرض على كل من دخل ومن الشمع ومن القراطيس ما لم يستعمله احد قبله ولا بعده وكان اذا ولي الوزارة ارتفعت أسعار الشمع والثلج والقراطيس خاصة واذا عزل رخصت . وكان اهدى الى مونس^(٣) المظفر عند موافاته من المغرب والى بشرى ويليق والى نازوك وغيرهم من الغلمان والخدم لما حضر النوروز هدايا عظيمة لم تسمح نفس احد بمثلها وقدّر انه يستكفهم بها فلم يقع موقعه الذي أراد

﴿ ذكر السبب في ضعف أمر ابن الفرات بعد تنالهيـه ﴾

في القوة والاستقامة^(٤)

اتفق أن ورد الخبر الى بغداد على ابن الفرات بان أبا طاهر ابن أبي سعيد الجنابي ورد الى الهبيرة ليمتلي حاج سنة ٣١١ في رجوعهم فوقع بقافلة فيها خلق كثير من أهل بغداد وغيرها واتصل خبره بهم وهم بنفد فأقاموا حتى فنى زاد من فيها وضايق بهم البلد فارتحلوا على وجوههم . وأشار عليهم أبو الهيجاء عبدالله بن حمدان وكان اليه طريق الكوفة وطريق مكة وبذرة الحاج لما بلغهم خبر الهجرى أن يعدل بهم من فيند الى وادى القرى لئلا يجتازوا بالهبيرة فضجوا من ذلك وامتنعوا عليه وساروا وسار معهم ضرورة الى

(١) وفي ترجمة مساهمة في مرآة الزمان لسبط ابن الجوزى سنة ١٢٣ : قال الواقدي :

أوصى مساهمة بذلك مائة لاهل الادب وقال : انها صناعة مهجورة تحفوا أهلها

(٢) وزراء : ٦٣ : ١٩٥ (٣) ومن ههنا الى مقتل ابن الفرات وابنه راجع

كتاب الوزراء : ٦٢ — ٤٩

الهبير فلما قربوا من الهبير عارضهم أبو طاهر ابن أبي سعيد الجنابي وقتلهم
فظهر بهم وقتل^(٢١٢) منهم خلقاً كثيراً وأسر أبا الهيجاء عبد الله بن حمدان
وأحمد بن كشمرد^(١) ونحرير العمري وأحمد ابن بدر عمّ السيّد امّ المقتدر
وجماعة من خدم السلطان وحرّمه وأخذ أبو طاهر جمال الحاجّ في سائر
القوافل وسبي ومن كان فيها من اختار من النساء والرجال والصبيان وسار
بهم الى هجر وترك باقي الحاجّ في مواضعهم بلا زاد ولا جمال وكانت
سنّ أبي طاهر في ذلك الوقت سبعة عشر سنة ومات أكثر من خلف من
الحاجّ بالعطش والحفا والرّجلة

وانقلبت بغداد وطُرُقها في الجائنين وخرج النساء حفاة مُنْشِرات
الشعور مُسَوّدات الوجوه يَطْمَنَ ويصرخن في الشوارع وانضاف اليهن
حُرّم المنكويين الذين نكبهن ابن الفرات وذلك في يوم السبت لسبع خلون
من صفر فكانت صورةً فظيعةً قبيحةً شنيعةً لم يُرَ مثلاً . وتقدّم ابن الفرات
الى نازوك بالركوب الى المساجد الجامعة في الجائنين ببغداد بسبب حركة
العامّة فركب في جميع جيشه من الفرسان والرجالة والنفاطين حتى سكن
العامّة . ثم قدم سابق الحاجّ فشرح الصورة^(٢١٣) لابن الفرات فركب ابن
الفرات آخر هذا اليوم وقد ضعفت نفسه الى المقتدر وشرح له الحال
واسندعي نصر الحاجب وأدخله في المشاورة وتمكن نصر من خطاب
ابن الفرات بمحضرة المقتدر وانبسط لسانه عليه وقال له : الساعة تقول «أى
شئ الرأي» بعد أن زعزعت أركان الدولة وعرضتها للزوال بابعادك
مونساً الذي يُناضل الاعداء ويدفع عن الدولة فمن يمنع الآن هذا الرجل

عن السير ومن الذي أسلم رجال السلطان وقواده وحرمه وخدمه الى
القرمطي سواك ؟ وقد ظهر الآن أمرُ الأعجمي الذي وُجد في دار السلطان
وانه انما كان صاحب القرمطي . وأشار نصر على المقتدر بمكاتبة مونس
بالتعجل الى الحضرة فأمر أن يكتب بذلك ووثبت العامة على ابن الفرات
ورجعت طياره بالآجر وركب المحسن من داره يريد طياره فرجموه
وضجت العامة في الطرقات بان ابن الفرات القرمطي الكبير وليس يقنعه
الا إتلاف أمة محمد وتحرّكت العامة فامتنعت من الصلاة في المساجد
الجامعة ذلك اليوم وارتجت بغداد بأسرها من الجانبين ^(٢١٤)

وأشار ابن الفرات بانقاذ ياقوت الى الكوفة لضبطها لئلا تردها
الهجرية ويضمّ الغلمان الحجرية ووجوه القواد اليه وان كان الهجري مقيماً
سار لمخاربتة فتقدم المقتدر الى ياقوت بالشخص والى ابن الفرات بازاحة
عنه فالتزم ابن الفرات له ولولديه وهما المظفر ومحمد وللزيادة في اقطاعهم
وموائدهم ولين ضمّ اليه أموالاً عظيمة

وخرج ياقوت بمضربه الى باب الكناسة وورد الخبر على ابن الفرات
بانصراف الهجري الى بلده فوقع الى ياقوت بالرجوع فرجع وبطل نفوذه
الى الكوفة

وأصلح المقتدر بين ابن الفرات وبين نصر وأمر الجماعة بالتضايف على ما فيه
الصالح للدولة وكفاية الهجري . ودخل مونس بغداد وتلقاه الناس فلم
يتأخر عنه احد وركب اليه ابن الفرات للسلام عليه ولم تجر له بذلك عادة
ولا لاحد قبله فلما عرف مونس خبره خرج الى باب داره وتلقاه وسأله
أن ينصرف فلم يفعل وصعد اليه من طياره حتى هنا بمقدمه فلما خرج

لينصرف خرج معه مونس الى أن نزل الى طياره^(٢١٥)

﴿ ما عامل به المحسن المنكوبين لما اضطرب أمره وأمر أبيه ﴾

استوحش المحسن بعد إيقاع الهجرى بالحاج من المنكوبين ونظر الى سقوط حشمته فخاف أن يظهر ما أخذه وارتفق به وما أسقطه من اداء المصادرين وفاز به فنصب أبا جعفر محمد بن علي الشلمغاني المعروف بابن أبي العزاق^(١) وكان هذا يدعى من حلول اللاهوت فيه ما ادّعاه الحلاج وكان المحسن قد عني بهذا الرجل فاستخلفه بالحضرة لجماعة من العمال وكان له صاحب يعرف بملازمته مقمداً على الدماء من أهل البصرة فسلم المحسن الى صاحب ابن الفرات هذا البصري وجاءة فيهم النعمان بن عبد الله وعبد الوهاب بن ما شاء الله ومونس خادم حامد وأظهر انه يطالبهم بما بقي عليهم من المال فلما حصلوا في يده ذبحهم كما يذبح الغنم . وكان جماعة مستترين فكاتب ابن الفرات اليهم كتباً جميلة حتى ظهروا ثم صادرهم واستخرج منهم أموالاً كثيرة

﴿ ذكر القبض علي أبي الحسن بن الفرات وهرب ابنه المحسن^(٢١٦) ﴾

واشتدّ الارجاف بابن الفرات حتى استتر أولاده وكتبه فراسله المقتدر على لسان نسيم . فحكى أبو القاسم ابن زنجي انه كان بين يديه اذ جاءه نسيم^(٢) فقدم اليه فادى الرسالة التي كانت معه . فسمعه يقول في جوابها

(١) ليراجع رسالة الخليفة الراضي بالله الى نصر بن أحمد الساماني بقتل العزاقري وردت في ارشاد الاريب ٢٩٨.١ في ترجمة ابن أبي العون وما رواه ثابت بن سنان في عناية المحسن به . وفي العزاقرية ليراجع قصة لوزير المهدي مع هذه الفرقة بالبصرة في سنة ٣٤٠ وردت في السكامل لابن الاثير ٨ : ٣٧٢ (٢) راجع وزراء : ١٢٥

قل له : أنت تعلم يا أمير المؤمنين اني عادتُ في استيفاء حقوقك الصغير والكبير واستخرجتُ لك المال من الدنى والشرىف وبلغتُ غاية ما أمكنتني في تأييد دولتك ولم أفكر في أحدٍ مع سلامة نيتك وما قربني منك واجتلب لي حُسن رأيك فلا تقبل في قول من يريد إبعادى عن خدمتك ويُغريك بما لا فائدة فيه ويدعوك الى ما تُذم عواقبه وبعد فطالعي وطالعك واحدٌ وليس يلحطني شيء الا يلحقك مثله فلا تلتفتُ الى ما يُقال فقد علمت الخاصة والعامة اني أطلقت للرجال النافذين الى طريق مكة ما لم يطلقهُ أحدٌ تقدّمني واخترت رؤساء الجند والقواد وشجعان الرجال وأزحت العلة في كل ما التمس مني فحدث من قضاء الله عز وجل على الحاج ما قد حدث مثله في أيام المكتفي بالله رحمه الله ^(١) فما أنكره ^(٢١٧) على وزيره ولا ألزمه جريرته ولا أفسد عليه رأيه . . . وتكلم في هذا المعنى بما يُشاكله وانصرف نسيم والغلمان بانصرافه .

واحتدت الاراجيف وكثرت بابي الحسن ابن الفرات والحسن ابنه وأراد المقتدر ان يسكن منهما فكتب اليهما رُقعة يحلف فيها علي ما هو عليه لهما وما يمتقده من الثقة بهما وانه ينبغي لهما ان يشقا بما تقرر في نفسه من مؤالتهما وأمرهما ان يظرا رُقعته اليهما لاهل الحضرة ويكتب بنسختها الى جميع عمال الحرب والخراج في البلدان

ثم ركب بعد ذلك ابن الفرات والحسن الى الدار فوصلا الى المقتدر في شهر ربيع الاول سنة اثنتين وعشرة ولما خرجا أجلسهما نصر الحاجب ^(٢)

(١) يعني في سنة ٢٩٤ فيها أوقع بالحاج ذكرويه بن مهرويه القرطبي : طبري

وكان راسل الغلمان الحجرية المقتدر في القبض عليهما فدخل مفلح برسالتهم ثم أشار عليه بتأخير الامر وقال له : ان صرف الوزير بكلام الاعداء خطر وخطأ في التدبير وإظمام للغلمان . فامره ان يقدم الى نصر باطلاقهما ويعرف الغلمان ان الامر يجري فيما راسلوه على محبتهم فقدم مفلح وقال : لينصرف الوزير . فأذن نصر للوزير وابنه في الانصراف ^(٢١٨) فقام ابن الفرات في الممرات كالمهزول حتى وصل الى طياره وكذلك ابنه الحسن فلما وصلا الى دار الوزير دخل اليه الحسن فسارّه اسراراً طويلاً ثم خرج من عنده وانصرف الى منزله وجلس فيه ساعة وتقدم بما أراد ثم خرج فاستتر . وجلس أبوه غير مكترث ينظر في العمل وبين يديه وجوه الكتاب وانصرفوا آخر النهار وقد تشككوا فيما بلغهم من صورة الامر لما رأوه من نشاطه وانبساطه وجريه على رسمه في الحديث والأنس والامر والنهي . وتحدث بعض خواصه قال : سمعته يقول في اخر الليل وهو في مرقده يتمثل بهذا البيت

وأصبح لا يدري وان كان حازماً أقدمه خير له أم وراؤه
فدل ذلك على سهره وتفكره في أمره . وجلس من الغد ينظر في أمره قال أبو القاسم ابن زنجي : فيئما هو كذلك اذ وردت رُقعة لطيفة مختومة فقرأها فما عرفت بمن هي في الوقت ثم عرفت انها كانت من مفلح . ثم وردت رُقعة أخرى من رجل يجري مجرى الجند كان ملازماً لدار السلطان فلما قرأها أمسك ^(٢١٩) قليلاً ثم دعا يحيى قهرمانه فاسرّ اليه بشيء وانصرف ثم صرف الناس ووعدهم البكور ونهض ابن الفرات عن مجلسه الى دور حُرّمه وتفرّق الناس . فلما صرت الى الروشن ذكرت شغلا على كان

شغاني به فانصرفتُ وجلستُ لذلك فاذا بنازوك قد دخل عليه سيفهُ ويده
دبوسٌ واذا يباقي يتلوه وهما بخلاف ما اعدهما من الانبساط ومع كل
واحد منهما نحو خمسة عشر غلاما بسلاح . فلما لم يجدوه في مجلسه دخلوا الى
دار حرمه فاخرجوه منها حاسرا وأجاس في طيار وحمل الى دار نازوك
وقبض معه على ابيه الفضل والحسين ومن وجد من كتابه .

ومضى نازوك ويلقى الى مونس المظفر وعرفاه الخبر وكان قد خرج
الى باب الشماسية وأظهر انه خرج للزمة فانحدر معه هلال بن بدر وجماعة
من قواده وذهب يلقي الى دار نازوك وأخرج ابن الفرات من هناك مع
ولديه وأسبابه وأخرج نازوك من داره رداء قصب وطرحه على رأسه
لانه كان حاسرا . فلما رأى ابن الفرات مونساً أظهر الاستبشار (٢٢٠)

بحصوله في يده فاجلسه معه في الطيار وخاطبه بجميل مع عتاب فتذال ابن
الفرات وخاطبه بالاستاذية فقال له مونس : الساعة تخاطبني بالاستاذية
وبالامس تخرجني على سبيل النقي الى الرقة والمطر يُصب على رأسي ثم تذكر
لمولانا أمير المؤمنين اني أسعى في فساد مملكته . وانحدر به الى دار

السلطان وتقدم بحمل ولديه وكتابه اليها وتسليمهم الى نصر

فتكاثر العامة على ابن الفرات ومعهم اسباب المنكوبين يدعون عليه
ويضجون واجتهد مونس في دفعهم فما قدر على ذلك ورجعوا طيار مونس
ليكان ابن الفرات فيه وصاحوا « قد قبض على القرمطي الكبير وبقي
القرمطي الصغير » ولما وصلوا الى باب الخاصة صعد جمع عظيم من
السميريات لرجم ابن الفرات وولديه وكتابه بالآجر حتى حوربوا واحتجج
الى رميهم بالسهام وجرح بعضهم فانصرفوا وتسلمهم نصر .

فكانت مدّة ابن الفرات في هذه الوزارة الثالثة عشرة أشهر وثمانية عشر يوماً . ثم اجتمع وجوه القواد الى دار السلطان وأقاموا^(٢٢١) على ان ابن الفرات ان حبس^(١) في دار الخلافة خرجوا بأسرهم الى المصلى وأسرفوا في التهدّد فدعا المقتدر مونساً ونصراً وشاورهما ناشراً بتسكين القواد وبان يخرج ابن الفرات ويسلم الي شفيع اللؤلؤي ويمتقل عنده فاستحضر شفيع وسلم اليه

﴿ ذكر توصل أبي القاسم عبدالله بن محمد بن عبيدالله الخاقاني الى الوزارة ﴾
كان أبو القاسم عبدالله بن محمد الخاقاني استتر في أيام وزارة ابن الفرات الثالثة وأبوه أبو علي شديد العلة وقد أسنّ وتغير فهمه^(٢) ولما اضطرب أمر ابن الفرات عندما جرى علي الحاج ماجري سعى عليه أبو القاسم الخاقاني وعلى ابنه المحسن وعمل لهما عملاً وسعى له في ذلك نصر الحاجب وثمل القهر مائة وغيرهما . وكان مونس أشار بابي القاسم الخاقاني قبل ذلك فقال المقتدر : أبوه خرب الدنيا وهو شرّ من أبيه ولكن نقلد الحسين بن أحمد المادرائي . فمرّفه مونس انه قد تمذ الى مصر وان استحضاره يبعد . ثم ساعده نصره وابن الخال^(٢٢٢) في ذلك ثم استحضره المقتدر وشافه بتقليده الوزارة والدواوين وخلع عليه وركب معه مونس المظفر وهرون بن غريب الى داره
﴿ ذكر ماجري عليه أمر ابن الفرات واسبابه ﴾

بعد تقلد أبي القاسم الخاقاني الوزارة ﴿

ذكر أبو الحسن انه سلم الى شفيع كما ذكرنا فراسله شفيع على يد المعروف بالجلل كاتبه فيما يبذله من المصادرة عن نفسه ليسلم من اعدائه

ومن تسليمه الى الخاقاني وأبي العباس بن بعد شرّ وهو كاتب الخاقاني فاجابه ابن الفرات بانه لا يفعل أو يثق من المقتدر بالله في حفظ نفسه من تسليمه الى أحد من هذه الطبقة . وقال الكاتب الملقب بالجلل : قل لصاحبك ^(١) « اني قد خلفت في يد هرون الجهمذ وابنه مائة ونيفاً وستين ألف دينار حاصلة قبلهما من مال المصادرين » ليعرف الخليفة ذلك ويتقدم بحملها الى بيت مال الخاصة من وقته هذا حتى لا يؤهم الخاقاني انه هو استخرجه ثم يصرفه في النفقات التي سبيلها ان ينفق من بيت مال العامة . فركب شفيح للوقت وأنهى ذلك الى المقتدر ^(٢٢٣) فوجه الى الجهمذين وكانا في دار الخاقاني لم يسكلمهما بعد لتشاغله بالتهنية فاحضرا واعترفا بالمال وحمله وصححاه في بيت مال الخاصة .

وتقدم المقتدر الى نصر الحاجب بتسليم أولاد ابن الفرات وكتابه وأسبابه الى الخاقاني فسلمهم اليه وأخذ خطه بتسليمهم وسلمهم الخاقاني الى ابي العباس ابن بعد شرّ فقيدهم واجلسهم على الارض في الحر الشديد . ثم أخذ خط كل واحد من ولدي ابن الفرات بمائة ألف دينار وخط سعيد بن ابراهيم ^(٢) بمائتي ألف دينار وخط أبي غانم كاتب المحسن بمائتي ألف دينار ووقع النداء على المحسن وهشام وابني فرجويه والتهديد لمن وجدوا عنده بعد النداء بالنهب واحراق المنازل وضرب ألف سوط . وواقف

(١) راجع وزراء : ١٢٤ (٢) هو التستري أبو الحسين (وقال ياقوت أبو الحسن) كان نصرانياً من صنائع بني الفرات هو وأبوه يلزم السجع في كلامه وله كتاب المقصور والمدود على حروف المعجم وكتاب المذكر والمؤنث وكتاب رسائل الفتوح كذا في الوافي بالوفيات للصفدي

أبو الحسن شافعيًا على أن يضمن عنده مالاً أن ردَّ إلى دار السلطان ولم يسلم إلى أحدٍ فذهب شافعي نخطب في ذلك المقتدر فقال له المقتدر : ان مو نسا ونصرًا وهرون بن غريب قد اجتمعوا على انه لا يمشي للخائفاني أمرًا إلا بتسليم ابن الفرات إليه وضمن ان يستخرج منه ومن ابنه واسبابه^(٢٢٤) ألفي ألف دينار .

فانصرف شافعي ووجه إلى ابن الفرات بكاتبه يشرح الصورة له فقال هذا الكاتب وهو الملقب بالجل : كنتُ أدخل إلى ابن الفرات في كل يوم لفتد أحواله فكنتُ أجده أقوى الناس نفساً وأصبرهم على نوائب الدهر (قال) ولقد سألتني عمَّن تقلد الوزارة فعرفته^(١) أنه أبو القاسم ابن أبي علي الخاقاني فقال « السلطان نكب وما نكبت أنا » وسألني عمَّن تقلد الديوان (يعني ديوان السواد) فقلت : محمد بن جعفر بن حفص . فقال « بحجَّره رُمي » وسألني عمَّن تقلد باقي الدواوين فعرفته أنهم يحيى بن نُعيم المالكي ومحمد بن يعقوب المصري واسحق بن علي القنَّائي فقال « لقد أيد الله هذا الوزير بالكفاة »

وكان المُنَاطِر لا ابن الفرات ابن بُعد شرَّ فرفق به فوعده ان يندكر ودائعة ويُمِرَّ فيه اياها فعاوده بالرفق فأقرَّ أن له عند التجار مائة وخمسين ألف دينار وكان المقتدر رسم أن يكون مال مُصادرة ابن الفرات وحده يُحصل في بيت مال الخاصة ومال مصادرة أسبابه في بيت مال العامة . ولما^(٢٢٥) استُخرج ما ذكره ابن الفرات من التجار أعاد ابن بُعد شرَّ مطالبة ابن الفرات فذكر أنه لم يبق له مالٌ فاقوع به مكروهاً يسيراً ولم يكن ابن

الفرات يَمْنَنُ يستجيب بالمكروه فتقاعداً وامتنع دفعةً واحدة من أداء
شئ . فمضى هرون بن غريب الى المقتدر وعرفه أن الخاقاني جنى على
السلطان بتسليمه ابن الفرات الى ابن بُعد شرّ وأنه كان ينبغي أن يرفق به
ويُدَارِيه فانه يَمْنَنُ لا يستجيب بالمكروه فتقدم المقتدر الى الخاقاني بان تكون
مناظرة ابن الفرات بحضرة هرون بن غريب وان يرفق به . وكان ابن
بُعد شر قد ضيق على ابن الفرات في مطعمه ومشربه حتى أنه أدخل اليه
خبز خشكار وقثاء وماء الهواء فوجه اليه بطعام واسع وشراب وثلبج
كثير وفاكهة واعتذر اليه عما جرى وحلف أنه لم يعلم بما عومل به

ثم أن الخاقاني راسله على يد خاقان بن أحمد بن يحيى برفق ومدارة بان
يقرّ بماله ولا يلاجّ السلطان فليس ذلك بمحمود فأجابه بان قال : قل للوزير
« لست حدثاً غراً فتحتال عليّ في المناظرة ولست ^(٢٢٦) أقول اني لا أقدر
على المال ولكن اذا وثقت لنفسى بالحياة فديتها بالمال وانما أثق بذلك اذا
كتب أمير المؤمنين بخطه لي أماناً وشهد الوزير والقضاة بخطوطهم ويكتب
لي الوزير أيده الله أماناً بخطه ويسلمني الى أحد رجلين إما مونس المظفر
وان كان عدوئى وإما شفيع اللؤلؤى فان لم يفعل ذلك فقد وطئت نفسى
على التلف . فوجه اليه الخاقاني : بانى لو قدرت على التوثق لك لتوثقت
ولكن ان تكلمت في هذا المعنى عاداني خواص الدولة لاجلك ثم لم تنتفع
أنت بذلك وقد ردّ الخليفة أمره الى هرون بن غريب . فتواعدوا الى
دار الخاقاني بالمخرم واستحضر ابن الفرات وناظره ابن بُعد شرّ بحضرة
فتماتن ابن الفرات فبدأ ابن بُعد شرّ يُسمِعُهُ المكروه فأنكره هرون
وزبره وقال : بهذا تريد ان تستخرج مال ابن الفرات ؟ واقبل هو على ابن

الفرات وداراه وخالبة بجميل وقال له : أنت أعرف بالامور من كل من
يخاطبك والخلفاء لا يلاجهم وزراؤهم اذا سخطوا عليهم . فقال له ابن الفرات :
أثير على أيها الامير فان من كان في مثل حالي عزب عنه الرأي . فلم يزل
معه في مناظرات الى ان أخذ ^(٢٢٧) خطه بمصادرة ألف دينار على ان
يعجل منها الربع وعلى ان يحتسب له من الربع بما أداه وما أخذ بعد ذلك
مما لعله استخرج من ودائمه بنير إقرار منه ويطلق له بيع أملاكه وما يستبيع
من ضياعه وأتمته وينقل الى دار شفيح اللؤلؤى أو غيره من ثقات السلطان
ويطلق السكوداني ليتصرف في جمع أمواله وتطلق له الدواة ^(١) ليكتب
من يرى مكاتبته . فأخذ هرون بن غريب خطه بجميع ما كتب به وحمله
الى المقندر بالله

﴿ ذكر اتفاق سيئ اتفق على الحسن حتى ظفر به وصودر وقيل ﴾
كان الحسن استتر عند حماته حنزابة وهي حماته ووالدة الفضل بن
جعفر بن الفرات فكانت تحمله كل يوم بكرة الى المقابر في زى النساء
ورده الى المنازل التي تثق بها بالليل . فضمت به يوما الى مقابر قريش في
زى النساء على رسمه وأمست فبعدها الطريق الى السكرخ . فوصفت
لها امرأة كانت معها منزل امرأة تثق بها ليس معها رجل لان زوجها مات
منذ سنة فصارت حنزابة مع النسوة والحسن ^(٢٢٨) الى هناك فقالت لصاحبة
الدار : ان معنا امرأة لم تزوج بعد وقيد عادت من مأثم وضافت عليها
فافردي لها بيتا . فافرديت لها بيتا في صفة وادخات اليه المحسن ثم ردت
عليه الباب وجلس النسوة مع المحسن في البيت . فجاءت جارية سوداء يسراج

معه فوضعت في الصفة وأدخلت حنزا إلى المحسن بسويق وسكر وكان المحسن قد نزع ثيابه فاطلمت الجارية السوداء من حيث لا يشعر المحسن ولا حنزا في البيت وعلمت أنه رجل فأنصرفت وأخبرت مولاتها فلما جن الليل جاءت مولاتها وطالعت البيت فرأت المحسن . وكان ذلك من نحس المحسن وخذلان الله إياه لأن تلك المرأة كانت زوجة لمحمد بن نصر وكيل على بن عيسى وكان المحسن طلبه فأدخل إلى ديوانه فرأى ما يلحق الناس من المكاره بحضرة المحسن فمات من الفزع فجأة من غير أن يكلمه المحسن . فمضت المرأة في الوقت إلى دار السلطان حتى وصلت إلى دار نصر الحاجب وشرحت له الصورة فأنها نصر الحاجب الخبير إلى المقتدر بالله فتقدم بالبعثة إلى نازوك ليركب إلى الموضع ويقبض على المحسن فركب نازوك من وقته إلى الموضع وكبسه وقبض على المحسن . وضربت^(٢٢٩) الدبابر لذلك نصف الليل عند الظفر به حتى ارتاع الناس ببغداد وظنوا أن القرمطي قد كبس بغداد

وحمل المحسن إلى دار الوزارة بالمخرم وتسلمه ابن بعد شر [فأوقع به ابن بعد شر وجرعه] في وقته مكروها عظيما وأخذ خطه بثلاثة آلاف ألف دينار . وحضر هرون بن غريب دار المخرم وناظر المحسن فوعده أن يتذكر ودائعه ويقربها ولحقه في يومين متواليين مكروه عظيم فلم يذعن بدرهم واحد وقال : ليس يجمع بين نفسي ومالي . وحضر بعد ذلك هرون بن غريب ومعه شفيع اللواتي وأحضر المحسن والكتاب وابن بعد شر وناظر المحسن وأوقع به مكروها عظيما وقال له : هبك لا تقدر أن توفي المال الذي أخذ خطك به لا تقدر أن توفي مائة ألف دينار ؟ فقال له :

بلى اذا أمهات وزال عني المسكرو د . فقال له : نحن نمهلك فا كتب خطك بمائة ألف دينار . وثبت بذلك خطه وانه يؤدّيها في مدّة ثلاثين يوماً فلما قرأ هرون بن غريب الرقعة قال : كأنك ترجو ان تعيش ثلاثين يوماً . نخضع له المحسن وقال له : ^(٢٣٠) افعّل ما يأمر به الامير . قال : اكتب بانك تؤدّيها في مدّة سبعة أيام . فارتجم الرقعة ليكتب بدلها فلما حصلت في يده مضغها وبلعها وامتنع ان يكتب غيرها . فقيّد وغلّ وألبس جبة صوف وضرب على رأسه بالدبايس على ان يكتب ما كان كتبه فلم يكتب فأعيد الى محبسه وعذب فيه بأنواع العذاب فلم يذعن بذرهم واحد .

فلما كان بعد ذلك حضر الاستاذ مونس ونصر الحاجب والقضاة والكتاب مجلس الوزير الخاقاني وأحضر أبو الحسن ابن الفرات وناظره الخاقاني ولم يكن الخاقاني من رجاله وكاد أبو الحسن ابن الفرات ان يأكله فكان فيما قال له : انك استغلت ضياعك في مدّة أحد عشر شهرا ألف ألف دينار . فقال : قد كانت هذه الضياع في يد علي بن عيسى عشر سنين أيام وزارته وأيام وزارة حامد بن العباس وما ارتفع له منها الا أربعمائة ألف دينار فقد ادّعت لي المعجزات . فقال له : أضفت حقوق ضياع السلطان الى ضياعك . ^(١) فقال : الدواوين لا يمكن ان يكتّم ما فيها فتتظر في ارتفاع النواحي السلطانية في أيام نظري فيها وفي ارتفاعها أيام علي بن عيسى ووزارة حامد بن العباس ووزارة أبيك التي دبرتها أنت حتى تعلم هل زادت ارتفاع ضياع السلطان في أيامي أم نقصت .

ونوخر فيمن قتل وشنع عليه بهم فقال : ليس يخلو ذلك من أحد

أمرين اما ان يقال اني أنا قتلهم فلم أغب عن الحضرة والقتل لم ينسب الى
والمدعى قتله بالبعد منها واما أن يقال « كتبت خطاك بقتلهم » وهؤلاء
أصحاب المعاون وثقات السلطان وعمال الخراج ووجوه متصرفي عمال
السلطان قد حكمهم على نفسى . فتقيل له : قد قتلهم ابنك . فقال : انا غير
ابنى وأنتم تناظرونى . فقال له ابن الفرات : هذا غير ما حكم الله ورسوله فإنه عز
فأنت قتلهم . فقال له ابن الفرات : هذا غير ما حكم الله ورسوله فإنه عز
وجل يقول : (ولا تزرر وازرة وزر أخرى) . وقال النبي عليه السلام لرجل
من أصحابه : أهذا ابنك . فقال : نعم . قال : أما انه لا يجني عليك ولا تجني
عليه . ومع هذا فهو في أيديكم سلوة فان وجب عليه قود بادعاء قتل في
موضع ناء عنه يقال فيه ان غيره تولى قتله فالحكم في هذا معروف .

فتحير القوم في الجواب فقال عثمان بن سعيد صاحب ديوان الجيش
لنصر الحاجب : ان رأى الحاجب ان يقول له : حيث كنت تقول لمن
تطالبه « ان اديت والا سلمت »^(٢٣٢) الى المحسن « أكنت تُسمه لیسقيہ
السويق والسكر أو يُعذبه ومن أطلق التعذيب فقد أطلق القتل لان
الانسان قد يتلف بمقرة واحدة يُضرب بها فضلاً عن غيرها . فخاطبه نصر
بذلك فقال في الجواب : ان الخليفة أطال الله بقاءه ولي المحسن وأنا اذ ذاك
محبوس وهو مُطَاق فضمن ماضيه وجرى ذلك على يد مفلح وتوسطه جماعة
من ثقات السلطان . ثم لما تقلدت الامر كنت أحب الرفق بالناس واذا
ناظرتهم ورفقت بهم لم يذعنوا بما يازمهم فاذا أقلموا على الامتناع سلمتهم
الى من نصبه السلطان وأمر بتسليمهم اليه . فقال له مونس : كانك تُحيل
على الخليفة في قتل الناس فان الخليفة قال « ما أمرتُ بقتل أحد سوى ابن

الحواري فقط »

ثم أقبل نصر عليه فقال له : معي رسالة من الخليفة اليك فتسلمها
وتجيب عنها . قال : وما هي . قال : يقول : سلمت اليك قوما بمال ضمنتهم
لي وأريد منك أحد أمرين اما وفيتني المال أو رددت علي القوم . فقال ابن
الفرات : اما المال فقد صبح في بيت المال واما الرجال فما ضمنت أرواحهم
ولا بقاءهم وقد تلفوا حتف انافهم . فقال له مونس المظفر : هب ان لك
في كل شيء عذرا وحجة أي عذر^(٢٣٣) لك في اخراجي الى الرقة حتى كافي
من العُمال المصادرين أو من أعداء دولة أمير المؤمنين . قال : انا أخرجك !
قال : فمن أخرجني ؟ قال : مولانا أمرني بإخراجك . قال : مولاي لم يأمر
بذلك . قال : معي حجة بخطاه كتب الى رُقعة احتفظت بها لاسها بخطه
يشكو فيها أفعالك وقتاً بعد وقت وفحك البلدان بالمؤن الغليظة ثم اغلاقك
اياها بسوء تدبيرك واثارك القبيحة . قال : وأين الرقة . قال : في أيديكم في جملة
المهمات التي أمرت بحفظها في السفط الخيزران المكتوب عليه بخطي بالتحفظ
به من المهمات وفيها الامر بإخراجك الى الرقة والتوكيل بك حتى تخرج .
فامر الخاقاني باحضار السفط فوجد هُ ختوماً بخاتم ابن الفرات ووجد فيه
الرُقعة بعينها وفيها جميع ما ذكر ابن الفرات بخط المقتدر فاخذها . وهضى
مونس من وقته الى المقتدر حتى لقيه وأقرأه الرُقعة فاغتاظ المقتدر على ابن
الفرات غيظاً شديداً فامر هرون بضربه بالسوط ففضى هرون حتى ضرب
ابن الفرات بين المنبازين خمس دُرر فقط وقال له : يا هذا اذعن بمالك .
فاعطى خطاه بمشرين الف دينار وقال : هذا مالي .

ثم أخرج المحسن^(٢٣٤) في الوقت فضربه ضرب التلف فلم يذعن

بشيء بنة فصار هرون بن غريب الى المقتدر بالله واستعفى من مناظرة ابن
الفرات وابنه وقال : هؤلاء قوم ليس في عزمهم ان يؤدوا شيئاً البتة وقد
استقتلوا . فامر بتسليمهما الى نازوك وبسط المكروه عليهما فاوقع نازوك
بالمحسن أنواع المسكاره حتى تدود بدنه ولم يبق فيه فضل لمكروه وضرب
أبا الحسن ابن الفرات ثلاث دفعات بالقلوس فلم يذعن بدرهم واحد
واستبطأ المقتدر بالله أبا القاسم الخاقاني الوزير وقال له : مارأيت شيئاً مما ضمنت
من أموال ابن الفرات وابنه صح . فقال : لانه لم يترك والتديير^(١) وان ابن
الفرات لما عدل به عن مناظرة الكتاب وسلم الى أصحاب السيوف يئس
من الحياة فزنّ بالمسال ونظر اليه ابنه فاقتدى به . وقال نازوك للمقتدر .
قد انتهيت بهؤلاء القوم من المسكاره الى الغاية حتى ان المحسن مع ترّفه قد
تدود بدنه وصبر بعد ذلك على مكاره عظام لم يُسمع بمثليها وقد مضت له الآن
أيام لم يطعم طعاماً وانما يشرب الماء شرباً يسيراً وهو في أكثر أوقاته مغشى
عليه . فقال المقتدر بالله : اذا كان الامر كذلك فلا بد من حملهما الى داري .
فاظهر معونس^(٢٣٥) والجماعة ان الصواب في ذلك وقال الخاقاني : قد وفق
الله [رأى] أمير المؤمنين . وخرجت الجماعة من حضرته

فاسرّ الخاقاني اليهم وهم بعد مجتمعون في دار السلطان وقال : ان حمل
ابن الفرات الى دار الخليفة بذل أسبابه عنه وعن ابنه الاموال واذا وثق مع
ذلك بالخليفة وحصل في داره أخرج أمواله وتوثق لنفسه ولابنه . فاذا
أمن على نفسه تضمن الجماعة وحمل الخليفة على تسليمها اليه ويطعمه في ان
يوفر أرزاقها واقطاعاتها وضياعها ويجمع له أموالاً جليّة خطيرة . والوجه

ان يقع التجمع من القواد واليمين على انهم ان وقفوا على ان ابن الفرات وابنه حملا الى دار الخليفة خلعوا الطاعة . فقال مونس : هذا شيء ان لم نفعله لم يصف لنا عيش . وتجرد لهذه الحال هرون بن غريب ونازوك فجمعوا القواد ووجوه الغلمان الحبرية وكان يلبيق يستحلفهم .

﴿ ذكر مقتل أبي الحسن ابن الفرات وابنه المحسن ﴾

ثم اجتمعوا باسرهم الى مونس ونصر وأظهروا ما في نفوسهم فإشار مونس بان يلتبس القواد نقل ابن الفرات وابنه الى دار مونس فان مات المحسن استبقى أبوه فقال له ^(٢٣٦) هرون بن غريب : اذا مات المحسن لم يصلح ان يستبقى أبوه وكيف يوثق به وقد قتل ابنه حتى يؤمن على الملك ؟ ثم كاشفوا المقتدر بالله وقالوا باجمعهم : ان لم يقتل ابن الفرات وابنه خلع الاولياء باسرهم الطاعة . وواصل هرون بن غريب مخاطبة المقتدر في قتل هذين وقال : لست آمن أن يجتمع الاولياء على البيعة لبعض بني هاشم ثم لا يتلافى الامر . وأرادت الجماعة من الوزير الخاقاني التجريد في ذلك فقال : لست أدخل في سفك الدماء وانما أشرت بالآي محملا الى دار السلطان فاما قتله نخطا لانه ليس ينبغي ان يُسهل على الملوك ولا يُحسن لهم قتل أحد فانهم متى فعلوا ذلك خف عليهم قتل خواصهم حتى يأتوا عليهم بأدنى ذنب وخطأ يكون منهم

فلما كان يوم الاحد لاثني عشر ليلة خلت من شهر ربيع الاخر قدّم الى ابن الفرات طعامه فأمر برفعه وقال : أنا صائم . وحضر وقت الافطار فقدم اليه لما حضر وقت الطعام فقال : لست أفطر الليلة . فحضر عنده من اجتهد به ان يفطر فقال : أنا مقتول في غد لا محالة . فقبل له : ^(٢٣٧) أعيدك

بالله . فقال : بلى رأيتُ البارحة أخى أبا العباس رحمه الله فى النوم وقال لى « أنت تفطر عندنا يوم الاثنين بعد غد » وما قال قط فى النوم شيئاً الاّ صحّ وغداً الاثنين وهو اليوم الذى قتل فيه الحسين بن على صلوات الله عليه : فلما كان من الغد وهو يوم الاثنين انحدر الناس الى دار الخليفة فلم يصلوا فكتب هؤلاء الرؤساء بقتل ابن الفرات وابنه فأجابهم المقتدر : ان دعونى انظر فى ذلك . فكتبوا اليه : انه ان تأخر قتل ابن الفرات وابنه عن هذا اليوم جرى على المملكة ما لا يتلافى .

وكتب المقتدر الى نازوك بأن يضرب أعناقهما ويحمل رؤسهما الى حضرته فقال نازوك : هذا أمر عظيم لا يجوز ان أعمل فيه بتوقيع . فأمر المقتدر الاستاذين والخدم بالخروج اليه برسالة با مضاء ما كتب به فخرجوا اليه بذلك فقال : لا أعمل على رسالة ولا بدّ من مشافهة بذلك . وابن الفرات يراعى الخبر فلما قيل له ان الناس قد انصرفوا وان نازوك انصرف الى منزله سكن قليلاً ثم قيل له : ان نازوك قد عاد الى دار السلطان . فاضطرب جداً وصار نازوك الى دار الوزارة بعد الظهر من ذلك اليوم فجلس (٢٣٨)

فى الحجرة التى كان ابن الفرات معتقلاً فيها ووجهه بعجيب خادمه ومعه السودان حتى ضرب عنق الحسين . وصار برأسه الى أبيه فوضعه بين يديه . فارتاع لذلك ارتياحاً شديداً وعرض هو على السيف فقال لنازوك : يا أبا منصور ليس الا السيف ؟ راجع أمير المؤمنين فى أمرى فان لى أموالاً عظيمة وودائع كثيرة وجواهر جليّة . فقال له نازوك : قد جلّ الامر عن هذا . وأمر به فضربت عنقه وحمل رأسه ورأس ابنه الى المقتدر بالله فأمر بتغريقهما ففرقا فى الفرات وغرقت الجثتان فى الثمانين ببغداد . وكان سنّ أبى

الحسن ابن الفرات رحمه الله يوم قتل احدى وسبعين سنة وشهوراً وسنُّ
ابنه المحسن ثلاثاً وثلاثين سنة وقد كان حكم العاصمي المنجم في تلك السنة
انه يخاف فيها على ابن الفرات نكبةً وتلفاً بالسيف وذكر ذلك في مولده
الذي كان بين يديه وحكم على مولد الحسين ان عمره ثلاث وثلاثون سنة
فصيح حكمه^(١)

وفي هذه السنة ورد كتاب الفارقي من البصرة يذكر ان كتاب أبي
المهيجاء ابن حمدان ورد عليه من هجر يذكر انه كلم أبا طاهر القرمطي في
أمر من استأسر من الحاج^(٢٣٩) وسأل إطلاقهم فوعده بهم وانه أحصى
من عنده منهم فكانوا من الرجال الفين ومائتين وعشرين رجلاً ومن النساء
نحو خمسمائة امرأة . ثم وردت الاخبار بورود قوم بعد قوم الى ان كان
آخر من ورد منهم أبو المهيجاء وأحمد بن بدر عم السيّدة . وقدم بقدم أبي
المهيجاء رسول أبي طاهر القرمطي يستدعي الافراج عن البصرة والاهواز
ونواح آخر فأنزل الرسول وأكرم وأقيمت له الانزال الواسعة ثم صرف
ولم يقع اجابة الى شئ مما التمس

وفيهما خلع على نجح الطولوني ورُدَّ الى أصبهان لولاية أعمال المعاون بها .
وفيهما ورد رسول ملك الروم ومعه أبو عمير ابن عبد الباقي ووصل الى
السلطان وأوصله معه هدايا والتمس الهدنة والفداء فأجيب الى ذلك بعد
الغزاة الصائفة وخلع عليهما ورجع الرسول الى بلد الروم
وفيهما خلع على جنّي الصفواني وكان ورد من ديار مضر واستدعي

(١) وفيما حكم به أبو معشر راجع كتاب الوزراء (١٦١) وأبو معشر هو جعفر بن

محاربة أبي طاهر القرمطي

وكان سليمان بن الحسن بن مَخْلَد وأبو علي ابن مقلّة مبعدين بشيراز في يد أبي عبد الله جعفر بن القاسم الكرخي فذكر أبو علي انه كان مجتمعاً مع سايمان في دار^(٢٤٠) واحدة مصوتين مُكْرَمِينَ . فورد عليه الخبر بالقبض على ابن الفرات وكان أبو الحسين ابن أبي البغل معتقلاً في يد صارفه جعفر بن القاسم الكرخي قال : فاطلعت الجماعة على الخبر وكان ابن أبي البغل قد وقف على ما كان رسمه ابن الفرات والمحسن في أمره فحين وقف على الخبر وقع في حاشية التقويم : وفي هذا اليوم ولد محمد بن أحمد بن يحيى وله احدى وثمانون سنة .^(١) ولما وقف الكرخي على الخبر أطلق أبا علي ابن مقلّة وسليمان بن الحسن وهنأ هُما بالسلامة قبل ان يرد عليه كتاب باطلاقيهما . ثم ورد كتاب الخاقاني على المسمي والكرخي باطلاقيهما ومراعاتيهما حتى لا يخرجوا من شيراز فأقام سايمان مدة أسبوع حتى أحكم أمره . ودعا المسمي جعفر بن القاسم الكرخي دعوة عظيمة وأقام على حال سرور يومين متوالين نخفي عنهما الخبر في خروج سايمان وكان خرج في زى القيوج فلما كتبنا الى الخاقاني بهرب سايمان عظم عليه واشتد الاراجيف بوزارة سليمان ودخل سليمان بغداد مُستتراً . وأقام أبو علي ابن مقلّة بشيراز الى ان توصلت زوجته الى أسباب الخاقاني وعنى به شفيع المقتدرى وأمر الخاقاني بإطلاقه^(٢٤١) والأذن له في المصير الى الاهواز وكتب له بإجراء مائتي دينار في كل شهر عليه ومنعه من الخروج فأقام مدة ثم أذن له في قدوم بغداد بشفاعات الناس له .

(١) يعني هو بنفسه أبو الحسين ابن أبي البغل وراجع وزراء : ٢٧٣

وفيهما خاطب مونس المظفر الوزير الخاقاني في أمر علي بن عيسى وان يكتب الى أبي جعفر صاحب اليمن بالاذن له في الرجوع الى مكة فكتب اليه بذلك فأذن له أبو جعفر وحمل اليه طيباً وكسوة وآلات نحو خمسين ألف دينار وعاد على بن عيسى الى مكة مع حاجّ اليمن فلما حصل بها قلّده الخاقاني بمسئلة مونس الاشراف على مصر والشام^(١). وكتب على بن عيسى لما وصل الى مكة وقبل تقلّده الاشراف على مصر والشام الى الوزير الخاقاني كتاباً يهنئه فيه بالوزارة ويعزيه بأبي علي ويُسئله صيانة أهله وولده والعناية بهم في ضيعته ومعيشتهم فأجابه الخاقاني بجواب جميل وانه قد رعى حقّه في أهله وولده وحاشيته غير مُعتدّ عليه ولا مُتعمّد به

﴿ ذكر الاسباب التي اتفقت على الخاقاني حتى صرف عن الوزارة ﴾^(٢)

كان أبو العباس ابن الخصبي وقف على مكان زوجة الحسين بنت حزاية فسأل ان يُؤلّى النظر^(٣) في أمرها واستخرج مالها ففعل ذلك واستخرج منها سبعمائة ألف دينار وصحّحها في بيت مال الخاصة فتمهدت له بذلك حال جليلة عند المقتدر ورشّحه للوزارة. وبلغ ذلك الخاقاني فحمل ابن بعلد شراً على ان بذل خطه انه يستخرج من الخصبي مائة ألف دينار معجلة وصل اليه من مال الحسين وزوجته زيادة على ما صحّحه من هذه الجهة وعرض الخاقاني الرقعة فلم تقع موقعها واتصل الخبر بأبي العباس الخصبي فكتب الى المقتدر رقعة يذكر فيها معاييب الخاقاني وابنه وكتابه وضياع

(١) وعامل مصر يومئذ الحسن بن محمد السكري وعامل الشام محمد بن الحسن بن عبد الوهاب. وزراء ٣٠٩ (٢) وأما ماجرى بينه وبين نصر الحاجب ومونس فليراجع

الاموال وفساد التدبير وسلمها الى من يعرضها على المقتدر والسيدة . وبلغ ذلك الخاقاني واشتدَّت به الارجيف وضعفت نفسه وكان عليلا فزادت عليه حتى أقام شهوراً لا يقدر على اكل لحم حمل ولا طائر وكان يأكل كل يوم وزن أربعين درهما خبزاً ثم صار عشرين درهما وظهر به ورَمٌ في بدنه ورجليه ووجهه وكان يتجلد ويركب في كل شهر مرة أو مرتين الى دار السلطان وينوب عنه ابنه في أيام المواقب . فشغب الفرسان لطلب أرزاقهم وخرجوا الى المصلّى فوعدوا به وتأخر عنهم^(٢٤٣) فعادوا وطمعوا في الذهب وأشرفت بغداد على فتنة عظيمة وخرج اليهم ياقوت بتوقيع المقتدر بالله الى الخاقاني باطلاق رزقة تامة لهم وضمن ياقوت ذلك . فراسل المقتدر الوزير الخاقاني باطلاق نفقاتهم فذكر انه لا يقدر على ذلك وكان عليلا فعاوده برسالة يأمره فيها أن يحتال في مائة ألف دينار ليضيف اليها مائتي ألف دينار ينفق فيهم . فأقام على انه لا يقدر على احتيال مائة ألف درهم وان له في توجيه مال النوبة للرجالة ومال الغلمان الحجرية والحشم وخلفاء الحجاب شغلا طويلا . فتقدم المقتدر باخراج ثلثمائة ألف دينار من بيت مال الخاصة واعتمد على ياقوت في تفرقتها

وكان مونس المظفر بواسط فاستدعاه المقتدر لما شغب الفرسان فوافي وتلقاه الامير أبو العباس والوزير الخاقاني ونصر وسائر الاستاذين والقواد ولقي المقتدر فمرَّفه ضيق الاموال وتبلَّح الخاقاني وشاوره في صرفه فأشار عليه بالتوقف ليلقاه ويؤاقره فلقى مونس فمرَّفه الخاقاني انه لا حيلة له في شيء يصرفه في المهم واحتجَّ بانه عليل لا فضل فيه للعمل فأشار مونس^(٢٤٤) لما رأى تبلَّح الخاقاني الشديد باستحضار علي بن عيسى وتقليده

الوزارة فاستبعد المقتدر ذلك فأشارت السيّدة والخالة بابي العباس الخصبي .
فقبض على الخاقاني واستتر ابنه عبد الوهاب واسحق بن علي القنّائي وأخوه
وابن بَعْد شرّ و خاقان بن احمد بن يحيى بن خاقان وظهر الباقر فكانت
مدة وزارته سنة واحدة وستة أشهر

﴿ ذكر سبب وزارة أبي العباس الخصبي ﴾

واستحضر المقتدر أبا العباس الخصبي وهو احمد بن عبيد الله يوم
الخميس لحدى عشرة ليلة خلت من شهر رمضان فقلده الوزارة والدواوين
وخلع عليه وركب معه هرون بن غريب وياقوت ونازوك وأ كثر القواد
واستكتب ثل القهرمانه مكانه على ديوان ضياع السيّدة أبا يوسف عبيد
الرحمن بن محمد وكان قد تاب من عمل السلطان فلما أسند اليه هذا العمل
الجليل كسر التوبة فسماه الناس « المرتد » واستدرك أموالا جليلة كان
الخصبي أضاعها فتنكرت ثمل للخصبي في الباطن

وكان أبو العباس الخصبي يواصل شرب النبيذ بالليل والنوم^(٢٤٥)
بالنهار في أيام وزارته كماها وإذا اتبه يكون مخمورا لا فضل فيه للعمل فردّ
فض السكتب الواردة من عمال الخراج والمعاون وقراءتها والتوقيع عليها
واخراجها الى الدواوين وقراءة السكتب النافذة والتعليم عليها الى مالك بن
الوليد ويعمل جوامع مختصرة للمهمّ مما يرد وينفذ فيمرضه عليه اذا اتبه
فربما قرأه وربما لم يقرأه فيقرأه أبو الفرج اسراييل ويوقع فيه على حسب
رأيه . وكانت الجوامع تعمل بخط أبي سعيد وهب بن ابراهيم بن طازاذ
فتبقى اياما بحضرته فاذا كثرت تقدم بأن يقرأ عليه ويتقدم بالتوقيع تحت
كل فصل بما عنده فيه ويخرج ذلك الجامع الى مالك بن الوليد فيبقى عنده

يوماً أو يومين ثم يخرج الى صاحب الديوان فيقرأه ويوقع تحته بما يراه
ويجيب عن الكتاب من الديوان بما ينفذ الى صاحب الديوان فيقرأه ويعلم
عليه والى ان ينفذ الجواب ما قد تمررت البثوق واتسعت الفتوق واحتملت
الاعراب الغلات وحدثت الحوادث المفسدة لمعنى ذلك الكتاب

فلما رأى الكلواذاني ذلك ورأى الضرر يزيد والخطأ لا يتلافى كتب
الى العمال بأن ينفذوا نسخة لما يكتبونها الى الوزير اليه^(٢٤٦) فكانوا يكتبون
اليه نسخا بما ينفذ منهم الى الوزير فيوقع على ظهرها بما يجابون به وتخرج
اليه الكتب المكتوبة عن الوزير بعد جمعة وأكثر

وتقدم الوزير الخصبي الى [أبي] الحسن بن ثوابه^(١) بأن يقرأ قصص
المتظلمين ويوقع عنه فيها في غير يوم المظالم ويجمع القصص في يوم المظالم
ويختصر ما في الرقعة فاذا قرأها وقع بحسبه وكان أكثر اعتماده على اموال
المصادر بن وكان اول المصادر بن ابو القاسم الخاقاني واعتق مونس امره
وذكر للمقتدر انه لافضل فيه للحركة وانه قد قرر امر مصادرتة عن نفسه
وابنه وكتابه المختصين به على مائتي ألف وخمسين ألف دينار . فامضى المقتدر
ذلك وأنفذ خطه به الى الخصبي ووضع الخصبي يده على العمال والكتب
وجاذفهم فيما صادرهم عليه فصادر جعفر بن قاسم السكرخي على مائة وخمسين
ألف دينار وقبض على المالكي وعلى هشام وعلى بن الحسين بن هندی وورثة
ابي احمد السكرخي^(٢) والحسن بن أبي الحسن ابن الفرات ويحيى بن عمرويه
وأبي الحسن بن مابنداذ واسحق بن اسمعيل النوبختي ومحمد بن يعقوب

(١) هو محمد بن جعفر تقدم ذكره وفي ارشاد الاريب ٢ : ٣٧ هو أبو الحسين

(٢) هو الحسن بن محمد وراجع فيه كتاب الوزراء ٨٢ - ٨١ : ١٦٩ - ١٦٨ : ٣٠٩

المصري وورثة نصر بن الفتح صاحب بيت المال^(٢٤٧) وابن عبد الوهاب
وعبد الله بن جبّير وكثرت الاراجيف بالخصبي وانه مصروف عن الوزارة
لانه حمار لا يحسن شيئا غير المصادرات وهو مشغول بالشرب واللعب وان
الامور كلها ضائعة والمهمات واقفة وأرجف بالوزارة لجماعة
وفيها كانت وقعة أبي طاهر سليمان بن الحسن القرمطي بالكوفة وأسر
قواد السلطان

﴿ ذكر الخبر عن دخول القرمطي الكوفة ﴾

كان جعفر بن ورقاء يتقلد أعمال الكوفة وطريق مكة فلما شخص
الحاج من بغداد تقدّمهم خوفا من أبي طاهر القرمطي وكان معه الف
رجل من بني عمّة من بني شيبان . ثم خرج في القافلة الاولى على صاحب البحر
وفي قافلة الشمس^(١) جني الصفواني وطريف السبكري وسياشير الديلمي
فكانت عدة من بذرق بالقوافل من أصحاب السلطان ستة آلاف رجل .
فتلقاهم أبو طاهر الجنابي وكان أول من لقي جعفر بن ورقاء فناوشه قليلا ثم
طلع على جعفر قوم من أصحاب أبي طاهر على نجب يقودون خيلا فنزلوا
عن النجب وركبوا الخيل وخالطوا جعفر بن ورقاء فلم يثبت لهم وانهمز^(٢٤٨)
بمن معه من بني شيبان فلقى القافلة وقد نزلوا من المعبة فردّهم وأخبرهم الخبر
فولّوا مبادرين حتى دخلوا الكوفة . وتبع أبو طاهر رجال السلطان
والقوافل حتى بلغ باب الكوفة فخرج قواد السلطان الذين ذكرناهم فوقع
بهم وهزمهم وأسر جنيا الصفواني . وأقام أبو طاهر بظاهر الكوفة ستة

(١) وفي صلة عريب ص ١١٩ . وأسر ملازج الخادم صاحب الشمس . . . وأخذت
القرامطة الشمس

أيام يدخل البلد بالنهار ويخرج بالليل فيبديت في معسكره ويحمل كل ما قدر على حمله فكان في جملة ما حمل أربعة آلاف ثوب وشي وثلاثمائة راوية زيت . فلما حمل كل ما قدر عليه رحل الى بلده .

ودخل جعفر بن ورقاء وجماعة المنزومين الي بغداد فقدموا لـالمقتدر بالله الى مونس بالخروج الى الكوفة لمحاربة القرمطي . واضطرب أهل بغداد اضطرابا شديدا وانتقل أكثر أهل الجانب الغربي الى الجانب الشرقي ودخل مونس الكوفة وقد رحل أبو طاهر الخناني عنها فاستخلف مونس بها ياقوتا وسار هو الى واسط . ولم يتم الحج لاحد .

﴿ ودخلت سنة ثلاث عشرة وثلثمائة ^(٢٤٩) ﴾

وفيها ورد الخبر بمسير علي بن عيسى الى مكة حاجا في هذه السنة من مصر وورد سلامة حاجبه بغداد ومعه سقايج بمائة الف وسبعة وأربعين ألف دينار وبآثار واستدراكات أثرها وكان الخصب قد أفرّ على بن عيسى على ما كان اليه من الإشراف على مصر والشام وفيها فتح ابراهيم المسمى ناحية القفص وأسر منهم خمسة آلاف انسان وحملهم الى فارس

وفي هذه السنة كثرت الارطاب ببغداد حتى عمل منها الثور وحملت الى البصرة ففسبوا الى البغى ^(١)

وفيها كتب ملك الروم الى أهل الثغور يرسم لهم أداء الخراج اليه ويقول : ان فعلتم ذلك طائمين والآقصتكم فقد صح عندي ضعفكم

﴿ ودخلت سنة أربع عشرة وثلاثمائة ﴾

وفيها دخل الروم ملطية فاخربوا وسبوا وأقاموا ستة عشر يوماً

وفيها وصل ثمل الى عملة من الثغور عند انصرافية من بغداد

وفيها مات أبو القاسم عبد الله بن محمد الخاقاني وكان أطلق الى منزله فلما ارتفعت الصرخة^(٢٥٠) بوفاته كبست داره لطالب عبد الوهاب ابنة فلم يوجد

وفيها دخل أهل ملطية بغداد مستغيثين مما نزل بهم من الروم

وفيها خرج أهل مكة منها ونقلوا خرمهم وأموالهم لا اتصال خبر

القرمطي بهم وانه قريب منهم فتخوفوا على أنفسهم وأموالهم منه .

وكتب الكلوثاني الى الخصبي بان أبا طالب زيد بن علي النوبختي جاني

قد صار مجرى مجرى أصحاب الاطراف وانه قد تغلب على ضياع السلطان

وانه يلزمه مما استغله منها ثلاثة آلاف الف درهم . وعمل بذلك عملاً حال

فيه على ما كان كتبه أبو القاسم علي بن أحمد بن بسطام وقت تقلده فارس

وكتب الى الحسن بن اسمعيل وكان شخصاً ليقرر خلافاً كان بين المسمى

والكرخي بان يصادره على مائة ألف دينار فاستدعى الحسن بن اسمعيل

أبا طالب زيد بن علي وأخذ خطه بمائة ألف دينار

﴿ ذ كر تدبير سيء دبره الخصبي أخرج به أكثر ﴾

(الممالك عن يده ولم يمكن تلافيه)

دبر الوزير أبو العباس الخصبي أن يقاد يوسف بن ديوداذ جميع

واحي المشرق ليُسلم أموالها اليه فيكون مع مال ضمانه أرمينية وآذربيجان

مصرفه الى قواده وجنوده^(٢٥١) وغلانته وكاتبته في المصير الى واسط

ليُنْفذه الى هجر لمحاربة أبي طاهر الجنابي وأشار بتكنيته وبان يكون مونس

المظفر ببغداد ليقوى بمكانه أمر الخلافة وتعمم الهيبة في قلوب الاعداء .
فلما قرب ابن أبي الساج من واسط وكان فيها مونس المظفر رحل مونس
الى بغداد ودخل ابن أبي الساج واسط . وأنفذ قبل وصوله إليها أبا علي
الحسن بن هرون كاتبه وكان يخدمه في خاص أمره على سبيل الخلافة لاني
عبد الله محمد بن خلف النيرماني كاتبه واختص به وخف على قلبه فصار الى
بغداد ليواقف الخصبي على مال رجاله وأموال الاعمال التي كانت معقودة
عليه والاموال التي جعل مالها مصروفا الى رجاله زيادة على الاموال المتقدم
ذكرها . فان الخصبي جعل أموال الخراج والضيايع بنواحي همدان وساو
وروزه وقم وماء البصرة وماء السكوفة والايغارين وما سبذان ومهر جاتندق
لابن أبي الساج لمائتيه لمحاربة الجنابي . فأعضى المقتدر ذلك وتقدم بتقليده
أعمال الصلاة والمعاون والخراج والضيايع بسائر كور الجبل وأنفذ اليه اللواء
وكنّاه فكان يوسف يتكني^(٢٥٢) على جميع الناس الا على الوزير ومونس
المظفر . والتمس الحسن بن هرون أن يجعل لابن أبي الساج مائة مبلغها في
الشهر خمسة الف دينار وقال : ليس هو بدون أحمد بن صعلوك . وكان قد
جعلت له مائة في أيام وزارة حامد بن العباس مبلغها ثلاثة آلاف دينار في
الشهر وجعل له عشرة آلاف دينار في كل شهرين من شهور الممالك
لأرزاق غلمان لا يحضرون . وسام الكتاب الحسن بن هرون ان يشرط
على نفسه أن ينفذ السلطان منفقاً ينفق أموال تلك النواحي في رجاله وغلمان
فاستجاب الى جميع ما طالبوه به وأعطى خطه الا بأمر المنفق فانه زعم ان
صاحبه لا يصور نفسه عند أصحاب الاطراف بصورة من لم يوثق به على
مال رجاله . ولما عقد لابن أبي الساج على الجبل وندب لمحاربة القرمطي عقد

لصاحب خراسان على الرىّ فصار الى الرىّ وأتخذ اليه من يخاطبه على المال الذى وُوقِفَ على حمله من الرىّ . وصار ابن أبى الساج الى الرىّ وحمل اليه المقتدر خلعاً ساطانية وسيفاً ومنطقة ذهب وخيلاً بمراكب ذهب وفضة وطيباً وسلاحاً^(٢٥٣)

﴿ ذكر الخبر عن القبض على الخصيبي وتقليد على بن عيسى الوزارة ﴾
أضاق أبو العباس اضاقَةً شديدة واضطرب أمره وأشار مونس بن علي ابن عيسى . فأنفذ ضخوة نهار يوم الخميس لاجدى عشرة ليلة خلت من ذى القعدة الى الخصيبي حتى قبض عليه وعلى ابنه وكتباه وحملوا الى دار السلطان وحبسوا عند زيدان القهرمانة . وفرّق بين الخصيبي وبين ابنه وحمل باقى المعتقلين الى دار الوزارة بالمخرم فاعتقلوا فيها وأنفذ نازوك وقت قبضه على الخصيبي حتى حفظت داره القديمة من النهب . واستدعى المقتدر أبا القاسم عبيد الله بن محمد الكاودانى وأوصله الى حضرته وعرفّه أنه قد قلّد أبا الحسن على بن عيسى الوزارة وأنه قد استخلفه له ويقدم اليه بالنيابة عنه واستحضر سلامة الطولونى وتقدّم اليه بالنفوذ فى البرية الى دمشق واستحضر على بن عيسى منها . وانصرف أبو القاسم الكاودانى من دار السلطان فى الطيار الذى قبض على الخصيبي الى دار الوزارة بالمخرم ونظر فى الاعمال وكتب الى العمال فى النواحي والى جميع الامراء وأصحاب البُرد والخبر والقضاة بما قلّد على بن عيسى من^(٢٥٤) الوزارة واستخلاف امير المؤمنين اياه . وأمر ونهى وصرف وولى

وظهر فى ذلك اليوم أبو على ابن مقلة وأبو الفتح الفضل بن جعفر ابن حنزابة وصارا الى الكاودانى وسلماه عليه

﴿ ذكر خلافة أبي القاسم السكاوذي لعل بن عيسى وتمشيته للأموور ﴾

قد كان جمع الخصيبي عنده جميع رقاع المصادرين وكفالات من كفل منهم وضمانات العمال بما ضمنوا من المال بالسواد والاهواز وفارس والمغرب وكان عنده خط كاتب المسمي عن مال فارس بما يعجّاه عن الزيادة في ضمانه وهو الف الف درهم وخط سايان بن الحسن بما استدركه على ابني عبد الوهاب وهو اربعمائة الف دينار وكسر وما ضمن حملة عن اعمال الشام وهو خمسمائة الف دينار وخطوط ضمنا واسط والبصرة وطريق خراسان والهروانات ونهر بوق والذئب الاسفل وجازر والمدينة العتيقة وغيرهم فحفظ جميع ذلك السكاوذي الى ان قدم على بن عيسى فسلمه اليه

وأدّى نصير بن علي اليه مائتي الف درهم وأحمد بن اسحاق بن زريق^(١) عشرة آلاف دينار وورد بعد أسبوع من صرف الخصيبي فيج بكتب سايان ابن الحسن وفي درجها سفاتج^(٢٥٥) بثمانين الف دينار وورد ما كان حملة على بن عيسى على الظهر من مال مصر ووصل من جهة البرجمالي من قم عشرة آلاف دينار ووردت من جهة أبي علي ابن رستم من مال الضمان سفاتج بأربعمائة الف درهم فكان ذلك سبب تمشيته للأموور . وأثق السكاوذي في سائر المرتزة وفي الفرسان قبل العيد ولم يزل أبو القاسم السكاوذي يدبر الامور وقد تمكنت الهيبة لعل بن عيسى في الصدور فاستعان بذلك على أمره . وسار على بن عيسى من دمشق الى جسر منبج ثم انحدر في الفرات الى بغداد وشخص الناس في استقباله سنة خمسة عشرة فمهم من ابعده الى الرقة

﴿ودخلت سنة خمس عشرة وثمانية﴾

﴿ذكر مادبره علي بن عيسى في وزارته هذه وما جرى في أيامه﴾

وصل علي بن عيسى الى بغداد وبدأ بدار المقدر ووصل الى حضرته بعد عشاء الآخرة ومعه مونس نخاطبة أجمل خطاب وانصرف الى منزله ووجه المقدر اليه في ليلته بكسوة فاخرة وفرش ومال يقال انه بقيمة عشرين الف دينار وخلع عليه ^(٢٥٦) من الفسود سار معه مونس المظفر الى ان بلغ داره وحلف عليه علي بن عيسى فزل في داره وسار بين يديه هرون ابن غريب وشفييع ومفلح ونسيم وياقوت ونازوك وجميع القواد حتى وصل الى داره بباب البستان

وكان قد ضرب علي بن عيسى على هشام فتأخر عنه واستوحش فكاتبه وونسه حتى حضر مجلسه ثم قال له : ما مذهبي ان اذكر اساءة لاحد من الناس ولما خلصني الله من صنعاء وعدت الى مكة عاهدت الله على ترك الاساءة الى احد من سمي علي في ولايتي ونكبتى ووكلت جميعهم الى الله ولك خدمة متقدمة توجب لك حقاً وعليك اضعافه فان كنت لا ترعى ذلك فلن ادع رعايته

وقد علي بن عيسى الكلوذاني ديوان السواد وقال له : هذا أجل الدواوين ومتى تشاغت بخلافتي اختلّ ولايس يقوم به احد كقيامك . ثم نظم الاثمال وقلد الثمال ورتب الدواوين ^(١) واعتمد على ابراهيم بن ايوب في اثبات أمر المال بحضرته وفي موافقة صاحب بيت المال على ما يطلقه وينفقه في كل يوم ومطالبتة بالروزنامات ^(٢٥٧) في كل اسبوع ليُسجّل

معرفة ما حل وما قبض وما بقي . وكان الرسم اذا عُمِلَت الختمة لم يُرْفَع الى الديوان للشهر الاول الا في النصف من الثاني .

وقلّد أبا الفتح الفضل بن جعفر بن حنّزابة ديوان المشرق وأبا بكر محمد بن جنيّ ديوان المغرب وأبا عليّ ابن مقلة ديوان الضياع الخاصة والمستحدثة وأبا محمد الحسين بن أحمد^(١) المادرائي ديوان الضياع القرائية وأبا محمد بن روح ديوان زمام الخراج والضياع العامة بالسواد والاهواز وفارس وكرمان وما يجري فيه . وقلّد أبا القاسم ابن النفاط ديوان زمام النفقات والخزائن وأبا جعفر القميّ ديوان الدار وأبا أحمد عبد الوهاب بن الحسن ديوان البرّ وديوان الصدقات وأبا الفتح محمد بن أحمد قلنسوة ديوان زمام الجيش ومحمد بن عيسى ديوان الحرم وأبا يوسف ديوان الفص والخاتم .

✽ وقلّد أيضاً كفاءة الممّال واقتصر في أرزاقهم على عشرة أشهر في كل سنة وبأصحاب البرد والمنفقين على ثمانية أشهر في كل سنة . وحطّ من مال الرجالة برسم النوبة ومن مال الفرسان وجميع أرزاق من كان يرتزق بهذين الرسمين^(٢٥٨) من السكّاب والتجار ومن لا يحمل السلاح وحطّ أولاد المرتزقة الذين في المهود وحطّ من مال الخدم والحشم وجميع أرزاق الجلّساء والندماء والمغنيين والتجار وأصحاب الشفاعات وحطّ أرزاق غلمان وأسباب أصحاب الدواوين . ولازم النظر بنفسه في العمل ليلاً ونهاراً والجلوس لأصحاب الدواوين في الليل وكان يسهر أكثر الليل حتى استقامت الامور وتوازن الدخل والخرج وكان الى أبي عبد الله البريدي في الوقت الضياع الخاصة ضمّاناً واقطاع الوزراء وكان أبو يوسف البريدي يتولى لعلّي بن عيسى الخراج

(١) هو «ابن كردى» صلة عريب ١٤٥ وقال صاحب التكملة أنه مات في سنة ٣٣٨

برامهر من سهلها وجبلها

﴿ شرح ما جرى بين الوزير أبي الحسن علي بن عيسى ﴾

(وبين أبي العباس أحمد بن عبيد الله من المناظرة)

تقدم المقتدر الى أبي الحسن علي بن عيسى بمناظرة أبي العباس الخصبى فأخرج اليه وناظره في دار السلطان بحضرة الاستاذين والقواد والقضاة مناظرة جميلة . وسأله عن مبلغ ما صح له من الخراج والضيايع وسائر النواحي فلم يعرفه وسأله عن مبلغ ما أنفق بالحضرة من بيت المال فلم يحفظه وسأله عما صح له من مال المصادرين وعن رقاعهم ^(٢٠١) بالمصادرات وعن كفالات من كفل منهم وعن ضمانات ماضية عنهم فقال : أما المصادرات فقد صح لي منها في مدة أربعة عشر شهراً توليت فيها الوزارة نحو ألف ألف دينار . فقال له : كم منها من جهة الخاقاني فان أمير المؤمنين عرّفني انك ضمتهم بخمسمائة ألف دينار . فقال : دفع عنه مونس المظفر . فردت الجماعة قوله وقالوا له : قد سلم اليك حتى شنع عليك بانك سمعته ثم أطلقته . ثم قال له علي بن عيسى : لاى شىء استحضرت يوسف بن أبي الساج الى واسط وسلمت اليه أعمال المشرق بأسرها سوى أصبهان وكيف وقع لك انه يجوز ان يخرج هو مع قوم اعتادوا الجبل والمقام فيه في طريق البر يقصدون طريق السواحل في بلدان تحو الى هجر . قال : كان عندي ان هذا صواب . فقال له : خفيث فعلت ذلك إيم لم تقتصر على ان يعرض رجاله وغلمانه ويجرى مال عسكره مجرى مال عسكر مونس المظفر فانه يسبب له مالاً ويطلق على أيدي منفيين من قبل السلطان ويرفع الحساب بذلك الى دواوين الجيش ولا يقتصرون على ديوان منها دون جميعها ولا يزاد أحد

(٢٦٠) ولا يُنقل عنه من رسم الى رسم الا على استقبال معروف ثم يوفر
المطون كل شهر من التوفيرات بسبب الغرم ولاجل سقوط من يسقط
جملة من المال ولم لم تترك الاعمال في أيدي عمال السلطان ويسبب له
عليهم مال رجاله كما يسبب مال رجال أبي الحسن مونس المظفر؟ قال : لم
أفعل هذا لانه تكلف من هذا الامر عظيماً احتيج معه الى فضل مسامحة .
فقال له : فلاي سبب ضمنت ابراهيم بن عبد الله المسمعى أعمال فارس
وكرمان؟ فقال : لاجل زيادة بذلها . فقال له : أما علمت ان حفظ الاصول
أولى من طلب الارباح؟ وهبك رغبت في الزيادة لم تستدعه الى
الحضرة فاذا وردتها وارتدت تضمينه أقام بها واستعمل على العمل خلفاءه
وأقام لك الضمنا الثقات بالمال ومضى بعد ذلك . فقال : انما رغبت في الضمان
ليعمله بنفسه . فقال على بن عيسى : أرجو ان يسلم الله . ثم قال : لم
قبضت جاري ابنك محمد الفى دينار في كل شهر وهو لا يقرأ كتاباً ولا
يحضر ديواناً ولا يحسن ان يعمل شيئاً؟ قال : سألت أمير المؤمنين له
رزق المحسن وعبد الوهاب بن الخاقاني (٢٦١) فأجابني اليه . قال : المحسن
ربى في الدواوين ودبر الامور وكان مع شره واستحلاله وقبح دياناته
كتاباً وابن الخاقاني كان ينوب عن أبيه ويأمر وينهى ويخدم وهو فهم
وابنك لا يجرى مجرى واحد منهما فاكتب خطك انك ترد ما قبضه .
فقال : كيف أرد ما قبضه ابني وأتقنه؟ فقال له : على أى شى أتقنه؟
قال : على ما ينفع مثله الاحداث .

ثم سأله عن أموال المصادرين وما صرح من جهتهم فقال : لا أحفظه
الا انه نابت في ديوان المصادرين . قال : فعنه أسألك . قال : هو عند هشام

وان سئل عنه خبر به فان رقاع المصادرين والكفالات والاعمال في يده .
فقال له : ما سبقك أحداً الى تسليم خطوط المصادرين الى صاحب ديوان
المصادرات لان سبيل الخطوط ان تكون في خزائن الوزراء محفوظة
يتسلمها وزيرٌ بعد وزير فان كنت أردت عمارة الديوان فكان ينبغي ان
تأخذ الخطوط على نسختين نسخة للديوان ونسخة تكون عندك . فلو باع
صاحب الديوان رقاع المصادرين والكفالات وضمانات الضمائم هل كان
على السلطان مضرّة ^(٢٦٢) في هذا المال أعظم منك ؟ واذا كان هذا تديرك
فيما لم تكن تحسن سواه فأي شيء دبرت غيره من أعمال الدواوين ؟ فإما
أن تكون خنت الأمانة وإما ان لم تحسن ضبط شيء من الاعمال . وكل
ذلك يخاطبه به عن غير إسماع مكروه ولا صياح

ثم قال : غررت المملكة فضرب النساء والحرم بالمقارع وهتكت
الستور بما فعلت من تسليمهن الى الرجال فلاية حال سامت بنت جعفر بن
الفرات الى أفلح وهو رجل شاب جميل الوجه يتصنع حتى تزوج بها في
حبسك ولاية حال ضربت دولة وابنها بحضرتك ثم لم ترض بذلك حتى
اعتقلت الجماعة في يد غلمانك وحجابك عدة شهور ؛ ثم قال : ارتزقت لنفسك
خمسة الاف دينار في الشهر يكون في مدة أربعة عشر شهراً سبعين الف
دينار سوى ما ارتزقه ابنك وأخذت من اقطاعك في مدة سنة وشهرين
ما ثبت في الختمات الموجودة لجهبك في ديوانك مائة وثمانين الف دينار
يصير الجميع مائتين وخمسين الف دينار . ثم أخرج عملاً بخط علي بن محمد بن
روح هذا المبلغ وبأنه انفق في كل شهر من النفقات الراتية اليه وخمسمائة
دينار تكون في أربعة عشر شهراً خمسة وثلاثين الف دينار ^(٢٦٣) وفي النفقات

الحادثة والصّلات والمؤونة مع ثمن الطيب والكسوة عشرين الف دينار
وفي ثمن عقارات أضافها الى داره مع ما أنفقته على البناء أربعين الف دينار وفي
ثمن الهدايا في النوروز والمهرجان الى الخليفة والى الأميرين أبى العباس
وهرون ابنيّه والى السيدة والخالة وزيدان ومفتاح خمسة وثلاثين الف دينار
وفي ثمن بغال ودواب وجمال وخدم وغلمان عشرة الاف دينار وفيما يحتاج
الى إنفاقه وصرفه الى من يرسم دار الوزارة من خلفاء الحجاب والبوابين
وأصحاب الرسائل وانزال الفرسان والرجالة عشرين الف دينار

فقال في الجواب : هذا عملٌ صحيحٌ وليس كل ما أنفقته
كتبته فقد كنت أضوغ الحُرْمى وأولادى وانفق نفقات أسترها عن
كاتبى وما سرقت ولا خُنت . فقال له على بن عيسى : ما يقول أحد انك
سرقت أو خُنت ولكنك أضمت وأساءت التدبير ودخلت فيما لا تحسبه
ولو أخذت أضعاف ما أخرجناه عليك لما ناظر ك أمير المؤمنين فيه لاسيما
وهو منسوب الى أرزاقك وإقطاعك ونفقات معروفة لك وكيف تُناظر ك
في ذلك وما نعيش^(٢٦١) ولا أحد من كتّاب أمير المؤمنين الا في نعمته
وإحسانه ؟ ولنا ضياعٌ استفدناها في خدمته وخدمة أسلافه رضى الله عنهم
ولم يزل يرفق به الى أن أخذ خطّه بأربعين الف دينار يؤدّيها في مدّة
أربعين يوماً بعد أن حلف أنه لا يتّجه له حيلة في غيرها وسلم على بن عيسى
رُقمته بها الى مفاح وقال له : ترضيها على أمير المؤمنين وتقول : ان هذا
وان كان قد غرّ من نفسه وأضاع وأهمل فقد تحرم بخدمة أمير المؤمنين
وحلف بايمان بيعته على أنه غاية ما يقدر عليه وليس له ذنب وانما الذنب لمن
غرك منه ولم ينصحك في أمره . ثم كتب رُقمة الى المقتدر بقبول ما بذله

الخصبي وبجمله الى ثمل القهرمانة الى أن يؤدّى ما فُورق عليه

﴿ ذكر ما دبره على بن عيسى من الأمور في وزارته هذه ﴾

لما نظر على بن عيسى في الأمور وجد أنهم ما يحتاج اليه أمر الرجال المصافية وكان مبالغ ما لهم في أيامه ثمانين ألف دينار ومال رجال مونس المظفر وهو ستمائة ألف دينار في كل سنة سوى مال الرجال معه ومال الحجرية برسمه فانه يطاق^(٢٦٥) مع أرزاق نظرائهم . وكان يُسبّب مال رجال مونس على نواح اختارها مونس فاذا ازاح العلة فيما ذكرناه نظر بعد ذلك في أمر مال خلفاء الحجاب والحشم والمتطيين والفرسان برسم التفاريق والمنجمين والفرّاشين والطباخين والساسة وسائر المرتزة من الخدم . فخرج على بن عيسى يوماً من حضرة المقتدر بالله ليركب في طياره فوثب به الخدم والحشم بالسنتهم وثوباً قبيحاً .

وورد الخبر على علي بن عيسى بأن ابراهيم بن السّمي^(١) اعتلّ علة حادة وتوفي بالنوبندجان فأشار على بن عيسى بتقليد ياقوت أعمال الحرب والمعاون بفارس وتقليد أبي طاهر محمد بن عبسد الصمد أعمال المعاوين بكرمان نخلم عليهما وعقد لهما لواء . وكتب على بن عيسى الى القاسم بن دينار بالمبادرة الى فارس وقلده أعمال الخراج والضيايع بها وقلد ما كان اليه من أعمال الاهواز أبا الحسن أحمد بن محمد بن مابنداذ وابن السلاسل^(٢)

(١) وأما ابراهيم وولده عبد الله بن ابراهيم الذي توفي سنة ٣٠٥ ليراجع صلة عريب ص ٦٩ (٢) قيل في كتاب الوزراء ٣٤٦ ان العامل يادوريا من قبل على بن عيسى هو ابن أبي السلاسل وفي تاريخ ميفارقين لاحد بن يوسف بن علي الفارقي ان والي ميفارقين من قبل المقتدر هو ابن أبي سلاسل

فحكى أبو الفرج ابن أبي هشام قال : لما بلغ أبا عبد الله البريدي ما تقلده هؤلاء من أعمال الاهواز وما حولها قال : يقلد هؤلاء هذه الاعمال ويقتصر بأخي أبي يوسف على سُرْق وبني علي ضمان الضياع^(٢٦٦) الخاصة ! خذ يا أبا هشام هذا الكتاب (يعني الكتاب الوارد عليه بما قلده) واعطه ابنك حتى يمثل عليه ويتعلم منه الخط فان اطلبى صوتا سوف تسمعه بعد أيام . وكان أبو عبد الله البريدي أنفذ أخاه أبا الحسين الى الحضرة لما بلغه اضطراب أمر علي بن عيسى ووافقه على أن يخطب له عمل الاهواز اذا تجددت وزارة لمن يرتفق : فان علي بن عيسى يعف ولا يرتفق

فلما تمت الوزارة لأبي علي ابن مقله صار أبو الحسين الى أبي أيوب السمسار وبذل له عشرين ألف دينار فقلده أخوه أبو عبد الله البريدي أعمال الاهواز سوى السوس وجند يسابور وقلده أبو الحسين الفرائية وأبو يوسف الخاصة والاسافل على أن يكون المال في ذمته الى أن يقع الوفاء لهم فوفى لهم وقبض المال وكتب أبو علي ابن مقله في القبض على أبي السلاسل فخرج أبو عبد الله بنفسه الى تستر حتى حصله وأسبابه . ووجد له في صناديقه وعند جهيزه عشرة آلاف دينار فأخذها ووافقه على أن يصك بما كان عند الجهبذ بنفقات باطلة وأخذ من كاتبه ألفي دينار ومن خليفته ثلاثة آلاف دينار^(٢٦٧) ومن حاجبه ألفي دينار . وكان أبو عبد الله البريدي احد دجالى الدنيا وشياطينها^(١) ثم كثر على أبي علي ابن مقله بأنه أهله لما لا يستحقه فصرفه بابن محمد الحسين بن احمد المادرائي وقلده اشرافا وقلده الاصل جماعة من العمال فما أحلى أبو محمد ولا أمر . وكان كاتبه علي بن يوسف وخليفته

صحبتة من الحضرة فبان من تجلفه وسقوطه ما صار به نكالا وحديثاً وحسبك ان أبا عبد الله البريدي أخذ عليه الطرقات فكان كل ما كتب به يؤخذ من رساله فما قرئ له كتاب منذ دخل الاهواز الى أن صرف عنها . ثم صرفه بعد ذلك أبو علي بابي عبد الله البريدي وقال : اغتررت بطلل ذلك الشيخ وما كل من يصلح للكتابة ينفذ في العمالة

وعدنا الى تمام حديث علي بن عيسى وما دبره به المملكة . ولما أخرج اليه الارتفاعات كان فيها مبلغ ارتفاع لضياح أقطاع الوزراء بعد نفقاتهم الراتبية مائة وسبعين ألف دينار فكتب الى المقدر بأنه غني عن هذا الاقطاع وأنه قد وفر ماله فان أمر ضيعته قد صلح وكذلك^(٢٦٨) وقفه باعادته اياه الى خدمته وأنه يُوفّر أيضاً رزق الوزارة وهو مع ألفي دينار أجريت لابن الحصيني سبعة آلاف دينار في كل شهر . وكتب اليه المقدر بالشكر وأنه لا بد من أن يقبض الرزق على الرسم خلف علي بن عيسى أنه لا يقبض رزقا لهذه الخدمة لان مذهبه ترك التنعم^(١)

وفيهما شغب الفرسان برسم التفاريق وخرجوا الى المصلي فنهبوا القصر المعروف بالثريا وذبحوا الوحش الذي في الخاير وذبحوا البقر التي لاهل القرى التي حوله وخرج اليهم مونس وضمن لهم أرزاقهم فرجعوا الى منازلهم وفيها خلع على مونس للخروج الى الشير لان ملك الروم دخل سميشاط وضرب في مسجد الجامع بالنوايس وصلى فيه الروم صلواتهم

﴿ وفيها ظهرت وحشة مونس المظفر ﴾

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كان السبب في ذلك ان خادماً من خدام المقتدر بالله حكي لمونس ان المقتدر
تقدم الى خواص خدمه بحفر زبية في الدار المعروفة بدار الشجر من دار
السلطان حتى اذا حصل مونس فيها عند الوداع اذا اراد الخروج الى
الشجر حجب الناس وأدخل مونس وحده الى ذلك الصحن فاذا اجتاز على
تلك الزبية وهي مغطاة وقع فيها ونزل اليه الخدم وخنقوه ويظهر انه وقع في
سرداب فمات . فامتنع مونس من دار السلطان وركب اليه جميع القواد
والعلماء والحاشية وعبد الله بن حمدان واخوته وأكثر العرب وخات دار
السلطان من الجنود . وقال عبد الله بن حمدان : نقاتل بين يديك أيها الاستاذ
الى أن تبت لك حلية . فوجه اليه المقتدر بنسيم الشرابي ومعه رقعة بخطه
اليه يحلف له فيها على بطلان ما بلغه فصرف مونس جميع من اجتمع اليه من
الجيش وأجاب عن الرقعة بما يجب في مثل ذلك وانه لا ذنب له في حضور
من حضر عنده لانه لم يستدعهم . وامتنع ابن حمدان من الانصراف وحلف
انه لا يرحل من دار مونس ليلاً ونهاراً الى ان يركب معه الى دار السلطان
ويطمئن الى سلامته ولازم مونساً أياماً كثيرة . وانضاف الى ذلك ان
اسحاق بن اسمعيل كان يسبب عليه مال مونس^(٢٧٠) ومال رجاله فيلج
فيها . وكان علي بن عيسى متذكراً له لاشياء بلغته عنه في غيبته فشغب
الفرسان لتأخر أموالهم فجد علي بن عيسى باسحاق بن اسمعيل واعتقله
وأخذ خطه بخمسين ألف دينار من مال ضمانه واعتقل احمد بن يحيى الجليخت
كاتبه وعدة من أصحابه حتى استوفى ذلك ثم صرفه عن أعماله
وجدت بعمال السواد حتى صبح له في مدة ثلاثة أيام ما أنفق في أصحاب
مونس . وكتب المقتدر الى جماعة من وجوه القواد بانه قد صفح عما كان

منهم في نهب الثريا وإحراقها وقرئت عليهم فشكروا وسألوا أن يضم جماعة منهم من اتهم بذلك الى مونس المظفر لينحدر معهم الى حضراته فانحدر معهم ووصل الى المقتدر بالله وقبل الارض بحضراته وحلف المقتدر له على صفاء نيته وودّعه مونس

وقرأ عليه على بن عيسى كتابا ورد عليه من وصيف البكتري بأن المسلمين عقبوا على الروم وظفروا بهم وبجميع من في عسكرهم وقتلوا منهم وغنموا غنائم جليلة . وخرج مونس من داره الى مضر به بباب الشامسية وشيعة الامير أبو العباس والوزير على بن عيسى ونصر الحاجب وهرون ابن غريب (٢٧١)

وورد رسول ملك الروم ومعه كتاب من وزير الملك وهو اللغشيط الى الوزير على بن عيسى يلتمس فيه الهدنة

﴿ ظهور الديلم ﴾

وفي هذه السنة ظهر الديلم^(١) وكان أول من غلب على الريّ منهم بعد خروج ابن أبي الساج منها ليلى بن النعمان ثم ما كان بن كاكي ودخل هذا الرجل في طاعة صاحب خراسان لانه كتب اليه واستدعاه فمضى اليه وغلب على الريّ اسفار بن شيرويه وكان مرداويج بن زيار احد قواده . وكان اسفار بن شيرويه لما غلب على قزوين ألزم أهلها مالا جليلا وعسفهم عسفا شديدا وخبطهم وأحل بهم من تسلط الديلم على مهجهم وأموالهم واستباحتهم وتعذيب عمالهم ما استعظمه هو في نفسه فضلا عن غيره ورقت القلوب منه وضائق النفوس وبلغت الخناجر ويأس الناس من الحياة وتمنّوا

(١) راجع صلة عريب ص ١٣٧

الموت فخرج الرجال والنساء والاطفال الى المصلّى مستغيثين الى الله تعالى
وراعين اليه في كشف ضرّهم فمضى لهم يومٌ على ذلك

وانهى الخبير الى أسفار فهاون بالدُعاء فلما كان في اليوم الثاني خرج
عليه مرداويج فواقعه وهزمه^(٢٧٢) فمرّ على وجهه فتبعه يومه أجمع فلم يظفر
به ولحقت أسفار مجاعة في اليوم الثاني فأوى الى رحي طحّان في قرية
وسأله أن يُطعمه فأخرج اليه خبزاً ولبناً وكان يأكل وأطّل مرداويج على
الموضع فوجد آثار الحافر قد انقطع هناك فوقف يتأمّل فرأى اكّاراً
فتشبّث به وسأله عن أسفار فانكر وأرهبه فتألّ له : ما عرفته ولكني رأيتُ
فارساً قد دخل الى هذه الرّحى وكبس مرداويج الموضع فوجده يأكل
خبزاً فاحتزّ رأسه وعاد الى قزوين فسكّن أهلها وتلافاهم وازال تلك
المطالبة عنهم ووعدهم بالجميل وانصرف عنهم ووهب دعاءهم

ثم أن مرداويج ذهب فتغلّب على الرّى واصبهمان واساء السيرة
باصبهمان خاصّة وتبسّط في أخذ الاموال وانتهاك الحرم وطغى وجلس على
سرير ذهب دونه سرير فضة يجلس عليه من يرفع منه وأقام جنده يوم
السلام عليه صفّوفاً بالبعد منه. وسام مرداويج رجاله الخسف وكانوا يرهّبونه
رهبة عظيمة وكان يقول : انا سليمان بن داود وهؤلاء الشياطين . وكان
يغضّ من الاتراك^(٢٧٣) غصّاً شديداً فساءت نيّاتهم له فطلبوا كيّداً
يكيدونه به وتمكّنت له في نفوس الخاصّ والعامّ البغضاء وضجروا منه
وضعفت نفوس أهل مملكته في أيّامه (قال) وركب يوماً في موكب عظيم
وخرج الى الصحراء وكان ينفرد عن جيشه ويسير وسطاً لا يجسر أحدٌ
على القرب منه فكان العالمُ يتمعّبون منه ومن تمرّده وطغيانه اذ اشتقّ

العسكر رجلٌ شيخٌ لا يُعرَف على دابة فقال : زاد أمر هذا الكافر واليوم
تسكنونه قبل تصرُّم النهار ويأخذه الله اليه. فلاحقت الجماعة دهشة وتبلدوا *
قال أبو مخلد عبد الله بن يحيى : وكنتُ في الموكب فنظر بعض الناس الى
بعض ولم ينطق أحدٌ منهم بحرف ومرَّ الشيخ كالريح ثم قال الناس :
لَمْ لا تتبعه ونستعبده الحديث ونسئله من أين علم أو ناخذه ونغضى به الى
مرداويج لئلا يبلغه الخبر فيلومنا على تركه . فركضوا يميناً وشمالاً الى كل
طريق وسبيل في طلبه فلم يُوجَد وكان الارض ابتلعتهُ

ثم عاد مرداويج ولم يلب على أحدٍ ودخل داره ونزع ثيابه ثم دخل
الحمام وأطال . وكان كورتكين قريباً منه وخصيصه يحرسه ويراعيه في
خلواته وحمامه فأمره ان لا يتبعه وتأخر عنه مغضباً . فتمكن منه الأتراك
(٢٧٤) وهجموا عليه في الحمام فقتلوه بعد ان مانع عن نفسه وقاتل بكرئيب
فضة كان في يده فشقَّ بعض الأتراك بطنه فلما خرجت حشوته ظنَّ
انه قد قتله فلما خرج الى أصحابه قالوا له : اين رأسه ؟ فعرفهم انه قد شق
بطنه فلم يرضوا بذلك وعادوه لحز رأسه . فوجدوه قد قام على سريرين
في الحمام وردَّ حشوة بطنه وأمسكها بيده وكسر جامعة الحمام وعاونه قيم
الحمام وهم بالخروج من ذلك الموضع الى سطح الحمام فلما رأوه كذلك
حزَّ وأرأسه . فظهر أمره بين الظاهر والعصر بخروج الأتراك الذين كانوا
معه الى رُفقاءهم وإخبارهم أيام بخبره وركوبهم الى الاصطبلات للذهب
وفيها ارتفع ذكر أبي جعفر بن شیرزاد وعنى به على بن عيسى ﴿

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كان السبب في ذلك ان ابن شیرزاد كان يكتب لهرون بن غريب

وينظر في جميع أموره فاطمع هرون فيه وقُرِفَ بجنايات عظيمة فقبض عليه يوم الثلاثاء لثمان خلون من جمادى الاولى سنة ٣١٥ وسلمه الى خادمه^(٢٧٥) مونس وأمره بالتضييق عليه ومنعه من الدواة . فتأخرت رُقعته عن أخيه أبي الحسن زكريا وكان يكتب للخالة على ديوان ضياعها فعرف الخالة صورة أخيه فشكت الخالة ذلك الى السيِّدة فوجَّهت السيِّدة بخادم لها الى هرون حتى انزعه من يده وحمله الى دار السلطان وتقدَّمت بإطلاقه . وخاطب هرون بن غريب على بن عيسى في أمر ابن شيرزاد وقال له : قد كان اقترض مني للخاقاني أموالا كثيرة وأخذ بها تسبيبات وفاز بها وقد عمل له المؤمِّل كاتبى بمال عظيم وأنا أَرْضَى بنظر ثقةٍ من ثقات الوزير في العمل . فتقدَّم الوزير على بن عيسى الى أبي يوسف كاتب السيِّدة بالمصير الى دار هرون وحضر المؤمِّل وكتبه فنظروا في العمل .

فكان أوَّل باب فيه أنه وُجد في دفتر من دفاتر ديوانه ثبت ما قبض من التسبيبات التي سبَّها الخاقاني لابن شيرزاد من مال الأروض التي اقترضها من مال هرون بن غريب وقد حكى فيه أنه قبض خمسة عشر ألف دينار وأنه لم يجد هذا المال في ختمات الجهبذ الثابتة في الديوان . وكان كاتب ابن شيرزاد على ذلك الديوان ابن أبي الميمون فقال^(٢٧٦) ابن أبي الميمون : قد صحَّ في ختمة الجهبذ ومع صاحبي خطأ الأمير بقبضه إياه لأنه حمله الى حضرته وصرفه في ثمن دار المُحسِن التي أبتيعت من وكيل الخليفة في وزارة أبي القاسم الخاقاني . فأخرجت الختمة بمينها فوجد ذلك فيها . ووجد مُحرَّر هذه الختمة قد كتب هذا المال كأنه تفصيل المال المتقدم وكان سبيله أن يكون مُخرَجاً بارِزاً عن التفصيل الأوَّل . فوجد أبو يوسف

ومحمد بن جني الأمر على ما قال كاتب ابن شيرزاد وأخرج ابن شيرزاد خط هرون بن غريب بصحة هذا المال منسوباً إلى تلك الجهة وأنه أدى في بيت المال لئمن الدار وأحضر قبض صاحب بيت المال به

ثم نظر في الباب الثاني أن المطابق لفرسان في عسكر هرون من ما لهم فيه الربع دراهم تساوي ستة عشر درهماً بدينار وأنه لم يضع الصرف من مال الرجال وأنه يلزمه منه في مدة ولايته كتابة هرون نيف وعشرون ألف دينار. فأخرجوا الخيالات فوجدوا الجهم قد احتسب بما صرفه في إعطيات الرجال ورقاً من غير أن يوضع منه شيء لفضل الصرف فاحتج كاتب ابن شيرزاد بأن فضل^(٢٧٧) الصرف في ختمة تورّد في أصول الأموال في آخر باب من أبواب الأصول وهو ما يتوفر من هذا الباب وغيره من سائر ثغرات هرون بن غريب فأخرج ذلك من الخيالات

فلما بطل هذان البابان وهما معظم ما كان في العمل نهض أبو يوسف ومحمد بن جني وقام معهما ابن شيرزاد وأقبل عليه هرون فقال: قد هتكني كاتب هذا الجاهل الناقص قبعة الله وقد جنيت على نفسي بصرفك ولكن إن تصرفت لأحد فمات وصنعت... وتهددت فذهب ابن شيرزاد وشرح لعل بن عيسى ذلك فصار ذلك سبباً لعناية على بن عيسى به واشتهر حديثه وفاض في الكتاب

وفيها ورد الخبر وكتاب الفارقي من البصرة بأنه قد اجتاز باب البصرة مما يلي البرية جيش القرمطي كثير العدد يقصد الكوفة فكتب المقتدر إلى مونس المظفر يأمره بالرجوع إلى بغداد فرجع من تكريت ودخل بغداد بعد صلاة العصر بعد أن أنفذ قطعة من جيشه إلى الثغر

وخرج ياقوت الى مضر به بالزعرانية متوجهاً الى عمله بفارس
وفي هذه السنة قبض يوسف بن أبي الساج على كاتبه^(٢٧٨) أبي عبدالله محمد بن
خاف النير ماني وقادماً كانه أبا على الحسن بن هرون وقيد محمد بن خلف بقيود
ثقال وأخذ منه يوم قبض عليه من المال والفرش والكيسوة والعلمان ما قيمته
مائة ألف دينار وأخذ خطه بخمسة آلاف دينار مصادرة عن نفسه
﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كان السبب في ذلك ما استعمله بواسط من السرف في التكبر والتجبر
والسوسع في النفقات حتى أنه جعل في داره بواسط في شراب العامة
ثلاثين غلاماً وفي شراب الخاصة عشرين غلاماً وكان يخرج من داره الى
دار صاحبه يوسف ويسكر اليه جميع قواد ابن أبي الساج ورؤساء غلمان
ورؤساء العمال ويسلمون عليه كما يفعل الناس بفسداد بالوزراء في أيام
المواكب . وكان قبل ذلك في مسير ابن أبي الساج من الري الى واسط
قد لبس القباء والسيف والمنطقة الا أنه لم يكن يركب الى دار صاحبه
بسواد فرقا بينه وبين وزير السلطان واحتمله ابن أبي الساج على ذلك . ثم
أطعم نفسه أيام مقامه بواسط في الوزارة للسلطان وتبين^(٢٧٩) عداوة
نصر الحاجب لابن أبي الساج فسكراته ووجه اليه بمن يثق به يلتبس منه
أن يشير على المقتدر بتقليده الوزارة مكان علي بن عيسى وضمن أن يستخرج
من علي بن عيسى وأخيه سليمان بن الحسن وأبنا زبور المادرائي والسكروداني
وأسيابهم ألف ألف دينار^(١) ويقوم بنفقات السلطان وأرزاق الأولياء

وسعى بصاحبه وقال انه كان يستر عنه مذهبه في الدين وأنه لما سار

الى واسط أنس به وانسط اليه فكشف له أنه يتدين بأن لا طاعة عليه
للمقتدر ولا لبني العباس على الناس طاعة وان الامام المنتظر هو العلوي
الذي بانقيروان وان أبا طاهر الهجري صاحب ذلك الامام وانه قد صح
عنده انه يتدين بدين القرامطة وأنه انما صير العلوي مُتَحَقِّقاً به وبجميع
أسراره بهذا السبب وأنه ليس له نية بالخروج الى هجر وانه انما يحتال بالوعد
بالخروج الى هجر حتي يتم له أخذ الاموال وانه قال له في شهر ربيع الآخر :
أي شيء بقي لنا على الخليفة ووزيره من الحجة وإم ليس تخرج الى هجر ولا
أرأيت تستعد لذلك . فقال له في الجواب : لِمَ لا تكون لك معرفة ^(٢٨٠) بالامور
من في نيته بالخروج الى هجر وانه قال له : فلم غررت السلطان من نفسك
ووعده بهذه الحال حتي سلم اليك جميع أعمال المشرق فأجابه بأنه يرى انتماض
الخليفة وسائر ولد العباس الغاصبين أهل الحق فرضاً لله عز وجل عليه وان طاعته
طاعة الروم أصلح من طاعته الخليفة وأنه قال : فبهك فعلت ذلك ما الذي يؤمنك
من القرمطي أن يوافي الى واسط والى الكوفة فلا تجد بداً من لقائه
ومحاربته ؟ فقال في الجواب : ويحك كيف أحارب رجلاً هو صاحب
الامام وعدة من عدده ! فقال له : فان أراد هو حربك أي شيء تعمل ؟ فقال
له : ليس لهذا أصل وقد ورد عليه كتاب الامام من القيروان بأن لا يعطأ
بلداً أكون فيه ولا يحاربني بوجه ولا سبب . وأنه ختم القول بأن قال : اني
انما انتظر أن يقبض رجالي بأسرهم أموال سنة ٣١٤ فاذا قوا بذلك منعت
أولاً من أعمال واسط والكوفة وسقي الفرات واتخذت اليها العمال فلا
بداً للسلطان أن ينكر حينئذ ما أفعله فاكشفه واخطب للامام واطهر ^(٢٨١)
الدعوة وأسير الى بغداد فان من بها من اجند قوم يجرون مجرى النساء قد

الفوا الدور على دجلة والشراب والثاج والخيش والمغنيات فأخذ نعمهم وأموالهم ولا أدع المجري يفسوز بالاسم وأكون أنا سابق الدولة الى الامام فان أبا مسلم خراز النعال لم يكن له أصل وقد بلغ ما بلغ ولم يكن معه لما ارتفع النصف ممن مى وما هو الا أن أظهر الدعوة حتى قد اجتمع مائة الف ضارب سيف. ويقول محمد بن خلف : قد صدقت أمير المؤمنين عن هذا الامر فان ولاني الوزارة اتقمع ابن أبي الساج وبطل عليه تديره وأخبب حينئذ رجاله وغلماناه فاما أسروه واما هرب طائراً على وجهه الى آذربيجان فاني اذا توليت الوزارة جددت به في المطالبة بالخروج الى هجر فان كاشف دبرت عليه

فانهى نصر الحاجب كله الى المقتدر وعرفه ان محمد بن خلف قد كتب اليه يخلف له على انه ما حملته على هذا الفعل الا الغضب للدين أولاً ثم الانفة من ان يتم لهذا القرمطى على الخليفة وسائر الخاصة والعامة مآذبه . وكان الحسن بن هرون يخلف محمد بن خلف^(٢٨٢) ويقف دائماً بين يديه على رجله ويخدمه كما يخدم ابن أبي الساج فلما رأى اختصاصه بابن أبي الساج تنكر له وعمل على التقبض عليه وإتلافه وأظهر ذلك لابي بكر ابن المتتاب وكان قد اختص به وغلب عليه . فاتفق ان شرب ابن المتتاب مع جماعة من اخوانه بواسط وفيهم عبد الله بن علي الجرجرائي عامل الصلح والمبارك^(١) فسأله عبد الله بن علي ان يشكر له أبا علي الحسن بن هرون لما يوليه من الجليل وقال له : تعرض لى رقمة على سيدنا أبي عبد الله محمد بن خلف اسأله فيها ان يمرّ به شكركى ويأمره بالزيادة فيما شكرته عليه . فقال له

(١) ابراجع كتاب كتب اليه الوزير علي بن عيسى في سياسة الرعية: وزراء ص ٣٣٩ - ٣٣٧

ابن المُنْتَاب : اتَّقِ اللَّهَ فِي نَفْسِكَ وَلَا تَفْعَلْ فَإِنْ أَبَا عَبْدَ اللَّهِ عَلَى غَايَةِ التَّنَكُّرِ
لِلْحَسَنِ بْنِ هَارُونَ وَإِنْ يَبِيدُ أَنْ يَقْبِضَ عَلَيْهِ وَيَبْلُغَهُ خَفِظَ ذَلِكَ عَبْدَ اللَّهِ بْنُ عَلِيٍّ
وَتَقَرَّبَ بِهِ إِلَى الْحَسَنِ بْنِ هَارُونَ . وَوَقَعَتْ بَيْنَ مُحَمَّدِ بْنِ خَافٍ وَبَيْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
عَلِيٍّ مُعَاهِدَةٌ فِيمَا سُبِّبَ عَلَيْهِ لِتَوْمٍ يَعْتَنِي بِهِمْ مُحَمَّدُ بْنُ خَافٍ فَشْتَمَهُ مُحَمَّدُ بْنُ خَافٍ
وَهَدَّاهُ وَأَمَرَ بِإِخْرَاجِهِ مِنْ مَجْلِسِهِ عَلَى أَقْبَحِ صُورَةٍ . فَاجْتَمَعَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ
عَلِيٍّ وَالْحَسَنِ بْنُ هَارُونَ عَلَى التَّدْيِيرِ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ خَافٍ وَنَصَبَا عَلَيْهِ أَصْحَابَ الْإِخْبَارِ
إِلَى أَنْ وَقَفَا ^(٢٨٣) عَلَى مَا عَمَلَهُ فِي السَّعْيِ فِي تَقْلُدِ الْوِزَارَةِ لِلْمُقْتَدِرِ وَسَمَاعِيَتِهِ
بِصَاحِبِهِ فَاطَمَعَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلِيٍّ ابْنَ أَبِي السَّاجِ عَلَى ذَلِكَ وَتَقَرَّبَ إِلَيْهِ .
فَنَصَبَ يَوْسُفَ بْنَ أَبِي السَّاجِ أَصْحَابَ إِخْبَارٍ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ خَافٍ إِلَى أَنْ
وَقَفَ عَلَى أَنَّ خَادِمًا لَهُ يَثِقُ بِهِ قَدْ أَنْفَذَهُ دَفْعَاتٍ إِلَى بَغْدَادٍ وَأَظْهَرَ أَنَّهُ
يَنْفِذُهُ لَا بَتِياعٍ كَسُوءٍ وَفَرَشٍ وَدَوَابٍ وَغُلَامَانِ لَهُ وَأَنَّهُ هُوَ السَّفِيرُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ
نَصْرِ الْحَاجِبِ فِي التَّدْيِيرِ عَلَى ابْنِ أَبِي السَّاجِ . فَتَقَدَّمَ ابْنُ أَبِي السَّاجِ إِلَى
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ فِي اخْتِذِ الطَّرِيقِ عَلَى هَذَا الْخَادِمِ وَإِلَى الْحَسَنِ بْنِ هَارُونَ
بِمُرَاعَاةِ الْوَقْتِ الَّذِي يَنْفِذُ فِيهِ الْخَادِمَ فَلَمَّا تَقَدَّمَ مِنْ وَاسِطَةِ عَرَفَةَ الْحَسَنُ ذَلِكَ
فَوَجَّهَ بِثِقَاتِهِ وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَرْصُدُوا الْخَادِمَ فِي الطَّرِيقِ فَإِذَا عَادَ مِنْ بَغْدَادٍ قَبَضُوا
عَلَيْهِ وَسَلَّمُوهُ إِلَى صَاحِبِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ بِمَرْجَرَايَا وَتَقَدَّمَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ
ابْنِ عَلِيٍّ بَانَ يَوْجَهُ بَيْنَ يَنْتَظِرُهُ بِمَرْجَرَايَا . وَانْفَذَتْ الْكُتُبُ الَّتِي مَعَهُ إِلَى ابْنِ
أَبِي السَّاجِ فَوَجَدَهَا بِخَطِّ كَاتِبِ نَصْرِ جَوَابَاتٍ عَنْ كُتُبِ مُحَمَّدِ بْنِ خَافٍ
إِلَيْهِ تَدَلَّى عَلَى إِشَارَاتٍ وَرُمُوزٍ وَتَرَاجِمٍ وَفِيهَا كُلُّ مَكْرُوهِ وَسَعَى عَلَى دَمِ ابْنِ
أَبِي السَّاجِ وَحَالِهِ وَإِطْلَاعٍ فِي مَالِهِ وَحَالِهِ ^(٢٨٤) وَتَحْذِيرٍ مِنْ تَأْخُرِ الْقَبْضِ عَلَى
عَلِيِّ بْنِ عَيْسَى . فَبَادَرَ ابْنُ أَبِي السَّاجِ فِي إِتْقَادِ الْحَسَنِ بْنِ هَارُونَ إِلَى الْحَضْرَةِ

بكتب ورسائل الى علي بن عيسى على رسمه ووجه تلك الكتب بعينه وقال له : تقول للوزير عني : قد سعي هذا الرجل على دمي ودمك ودماء أصحابك وأريد ان أقبض عليه وأكثر ذنوبه عندي سعيه عليك . فلما وقف علي بن عيسى على جميع كتبه ورسائله تعجب وقال له : تقول لاختي أبي القاسم : ان كنت تريد ان تفعل ذلك لتريح نفسك من هذا الرجل الخائن المستحل فالله يوفقك ويحسن معونتك وان كنت تفعل هذا بسببي فوالله ما أشكر أحداً كما أشكر من يسمي في صرفي عن الوزارة فالجس والنفي اسهل مما اقاويه منها .

وزور عبد الله بن علي عن الخادم كتباً علي انها من بغداد الى محمد ابن خلف بانه « قد أحكم أكثر ما تحتاج اليه وانه سريع العود الى واسط » فسكنت نفس محمد بن خلف الى ذلك . وصار عبد الله بن علي الى محمد بن خلف وترضاه وبذل له ان يحمل اليه من ماله مائة ألف درهم مرفقاً ليزول مافي نفسه عليه فظن محمد بن خلف ان ذلك صحيح ودعا عبد الله بن علي وواكله وشاربه . (٢٨٥)

ولم يلبث الحسن بن هرون ان عاد من بغداد فبدأ بدار محمد بن خلف ووقف بين يديه فقال محمد بن خلف : يا عاض قد بلغني انك شنت علي عند علي بن عيسى وذكرت له اني أطلب الوزارة مكانه وانك مع ذلك قد ضربت علي حاشية الامير وغلمانته ووالله يا كلب لأضربك خمسمائة سوط ولا آخذن منك ثلاثين ألف دينار قد أبطرتك . والحسن بن هرون لايزيد علي ان يقول له : الله يني وبين من أغرى مولاي ومن أنا عبده وغرسه . ومحمد بن خلف يشتمه الى ان قال له : لقيت الامير . فقال الحسن

ابن هرون : ما لقيته بعد . فقال له : فامض الى لعنة الله فالقه وعُد الى .
فمضى الى ابن أبي الساج وشرح له جميع ما وقف عليه من سعي محمد بن
خلف عليه وما خاطبه به لما لقيه بعد قدومه من بغداد .

فقال ابن أبي الساج لخازنه الذي يتسلم من محمد بن خلف : الاموال المحمولة
اليه التي ينفقها في رجاله وغلماؤه وثقاته : قد كنت أحضرتني منذ مدة مالا
نصفه غلة ودرهم بهرجة وخراسانية وذكرت ان ابن خلف حملهُ اليك لتنفقه
في الاولياء^(٢٨٦) وغيره وذكرت ان الامر مُسرف في فضل الصرف وانه
كثير فمررت في الآن الحال فيما يحمله اليك . فقال : الذي يحمله الآن شره
من كل ما تقدم وقد أخرجت من مائة الف درهم حملها اليوم الف وخمسمائة
درهم جديد والنقود درهم صحاح لاسيثة واثنين وأربعين الف درهم غلة ردية .
وعظم عليه الامر في فضل الصرف في ذلك فقال له : فاذا حضر محمد بن
خلف المشية فادخل الى واحمل المال كهيئته وعرفني ان جميع غلمائي ورجالي
قد فسدت نياتهم بهذا السبب . ففعل الخازن ذلك فقال ابن أبي الساج : يا أبا
عبد الله أنت تعلم ان هذا المال لا يجوز لاحد ان يقبض مثله واذا فوت
رجالي شهراً وأعطيهم مالا جيداً أو مقارباً للجودة كان أصالح من هذا .
فغضب محمد بن خلف وقال له : ما جرأ هذا السكاب على خطابي بحضرتك
في هذا الباب الا لانه قد وقف على فساد رأيك في وانما أفسدك على من
قدّر ان يتولي كتابتك وهو هذا العالج الحسن بن هرون وأهوّن به وبهذا
الخازن وبجميع غلمانك ورجالك على وأنا عقدت لك هذه الحال وهذا
الامر^(٢٨٧) والآن فوالله لا نظرت في شيء من أمرك فاعمل ما شئت .
ونقض يده في وجهه وخرج من مجلسه فجعل ابن أبي الساج يحلف عليه

ان يعود فلا يفعل ويحاف انه لا يرجع . فلما طال ذلك بينهما وبلغ ان يعطف الى دهليز يغيب به عن عينه قال ابن أبي الساج لغلمايه : ضعوا أيديكم في قفا الكتاب الا احد الخيزر فاسمعوني صوته بالصنع . فصنع نحو من مائة صفة وأخذ سيفه ومنطقته . واستدعى ابن أبي الساج عبد الله بن علي وأحضر للوقت فوجه به الى دار محمد بن خلف ليحفظها ويقبض على سائر غلمانهم وأسبابه وخزائنه . وكان عبد الله بن علي مشهورا بالعفاف والثقة وتقدم الى الحسن بن هرون بان يتقاد كتابته مكانه واستحافه ان يدخل الى الحجرة التي اعتقل فيها وقيده بخمسين رطلا ويلبسه قميص باياف^(١) ففعل به الحسن بن هرون ذلك فقال له : يا محمد بن خلف اخبرني أغرك اني أقول لك « يا مولاي » انما كنت أسخر منك أينما كان أبعد غورا وتديبرا انا أم أنت ؟ وأخذ الحسن بن هرون خطه بستمائة الف دينار بعد ان أهانه وصفعه وضربه بالمقارع فادى نحو خمسين الف دينار^(٢٨٨) الى ان رحل ابن أبي الساج من واسط الى الكوفة لمحاربة الهجري وحمله معه مقيداً وشغل عنه بالحرب وأسر فافلت محمد بن خلف

﴿ ذكر وقعة ابن أبي الساج مع القرمطي وما استعمله من ترك الحزم

واستهاتته بالعدو حتى أسر وما اتفق عليه بعد الاسر حتى قتل ﴾

كتب يوسف بن ديوداذ من واسط الى الوزير أبي الحسن علي بن عيسى يلتمس منه حمل مال اليه ليصرفه فيما يحتاج اليه من اعداد الانزال والعارفات بين واسط والكوفة ويحتج بان أموال المشرق متأخرة عنه وان الامر ليس يحتمل مع قرب موافاة الهجري بان ينتظر ورود مال من

الجبل ويقول انه لا يُقنعه لذلك أقل من مائة الف دينار . فعرض على بن عيسى كتابه على المقسدر فتقدم بان يحمل من بيت مال الخاصة سبعون الف دينار ويُنفذ اليه

وورد الخبر بخروج أبي طاهر من هجر بنفسه يوم الاربعاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان فنزل في الموضع المعروف بالحس وبينه وبين الاحساء مسيرة يومين وأقام به الى يوم السبت ورحل من غد . وكتب^(٢٨٩) السلطان الى ابن أبي الساج بما ورد من خبره ويأمره بالمبادرة الى الكوفة . وكتب علي بن عيسى الى عمال الكوفة باعداد الميرة والعُوفات ليوسف . وسار يوسف من واسط يوم الاربعاء ليلة بقيت من شهر رمضان نحو الكوفة وعاد سلامة الطولوني منصرفا من عنده وكان حمل اليه المال

ولما قُرب أبو طاهر الهجري من الكوفة أطلق جميع من كان معه من أسارى الحاجّ وهرب عمال السلطان من الكوفة فاخذ أبو طاهر جميع ما أعيد ليوسف من المير والعُوفات وهو مائة كرّ دقيقا والف كرّ شعيرا وقد كان خفّ ما مع أبي طاهر من الميرة ولحقه وأصحابه شدة فقوى ومن معه بما صار اليهم . ووافى يوسف الى ظاهر الكوفة يوم الجمعة لثمان خلون من شوّال وقد سبقه أبو طاهر اليها يوم واحد فقال بينهما وبينه

وحكى عن أبي طاهر انه قال ان عسكره قُرب من عسكر يوسف في الطريق بين واسط والكوفة ؟ وكان يوم ضباب فلم ير أحدهما صاحبه وانه أحسّ به ولوشاء لآ وقع به . ووجه يوسف الى أبي طاهر يدعوه^(٢٩٠) الى الطاعة فان أبي فان الوعد للحرب يوم الأحد . فخكى الرسول انه لما

صار اليه حُمْل الى موضع فيه جماعة متشاكوا الزى وقيل له : تكلم فان السيد يستمع . ولم يعرف من هو منهم فاذى الرسالة فأجيب بانه غير مُستجيب لما دعاه اليه ولا لتأخير المناجزة فكانت الحرب بينهما يوم السبت لتسع خلون من شوال سنة ٣١٥ على باب الكوفة . فيقال ان ابن أبي الساج لما عاين عسكر أبي طاهر ووقف على عزته ازرى عليه واحتقره وقال : من هؤلاء الكلاب ؟ هؤلاء بعد ساعة في يدي . وتقدم بان يكتب كتاب الفتح قبل اللقاء تهاونا به وزحف كل واحد منهما الى صاحبه .

فلما سمع الهجري صوت البوقات والذباب والزعات عن عسكر ابن أبي الساج وكانت عظيمة جدا التفت رجل منهم الى رفيق له وهو يُسأيره فقال له : ما هذا الزجل ؟ فقال له رفيقه : فُشَل . فقال له : اجل . ما زاده لفظه ورسم عسكر أبي طاهر ان لا تكون فيه بوقات ولا دباب ولا صياح . وعبى ابن أبي الساج رجاله وانفردهو مع غلمانه على عادة له في الحرب وكان ابتداء الحرب بينهما منذ ضحوة نهار يوم السبت الى وقت غروب (٢٩١)

الشمس . وما قصر ابن أبي الساج في الثبات وأثنى أصحاب أبي طاهر بالشباب وجرح منهم خلقا فلما رأى أبو طاهر ذلك وكان واقفا في عمارة له مع من يثق به من أصحابه نحو مائتي فارس بالقرب من حيطان الحيزنزل من العمارة فركب فرسا له وحمل بنفسه مع ثقاته وحمل يوسف بنفسه وغلمانه عليه واشتبكت الحرب بينهما^(١) فأسر ابن أبي الساج اخر النهار وبه ضربة على جبينه بعد ان اجتهد به غلمانه ان ينصرف فامتنع عليهم وحصل أسيرا في يد أبي طاهر مع جماعة من غلمانه بعد ان قُتل من أصحابه عدد

كثيراً وانهزم الباقون .

ولما أسرى يوسف وقت المغرب حُمِلَ الى معسكر أبي طاهر وضربت له خيمة وفُرش له فيها ووكل به . وأحضر رجل مُعالج يعرف بابن السُّبُعي فقال ابن السُّبُعي هذا : لما دخلتُ اليه الى الخيمة التي حُبِسَ فيها وجدته جالساً وعليه دُرّاعة ديباج فضي وجُرْبانها ولِبْنَتها من ديباج أحمر وقد تلَوّنت بالدم الذي سال من الضربة التي في جبينه . ووجدت الدم قد جمد على وجهه فالتمتست ماءً حارّاً فقال لي بعض أصحاب أبي طاهر : والله ما ذاك عندنا ولا عندنا ما يُسخن فيه . وكانوا^(٢٩٢) خَلَفُوا سِوَاهُمْ بِالْقُرْبِ مِنَ الْقَادِسِيَّةِ وَتَجَرَدُوا لِلْقِتَالِ فغسلت وجهه بماء بارد وغسلت موضع الضربة وعالجته . وسألني عن اسمي وبأى شيء أعرف فذكرتُ له ذلك فوجدته يعرف أهلي أيام كان بالكوفة وهو صبيٍّ مع أخيه الإفشين وكان يتقلد الكوفة . فمُجِبْتُ مِنْ ذِكْرِهِ وَفَهِمَهُ وَقَلَّةَ اكْتِرَائِهِ بِمَا هُوَ فِيهِ

وورد خبر الواقعة وأنشأ ابن أبي الساج على علي بن عيسى فراح الى دار السلطان واجتمع مع نصر الحاجب ومونس المظفر على إنهاء الخبر الى المقتدر بالله . وانتشر الخبر فدخلت الخاصة والعامة لابن طاهر هيبه عظيمه ورهبة شديدة . وعملت الجماعة على الهرب الى واسط ثم الى الاهواز وابتدأ المهزمون بالدخول الى بغداد وأخرج مونس المظفر مضربه الى ميدان الاشنان وخرج علي ان يمضي الى الكوفة . وورد كتاب العادل بقصر ابن هبيرة علي بن علي بن عيسى بأن أبا الطاهر وأصحابه رحلوا عن الكوفة يوم الثلاثاء لاثني عشرة خلت من شوال قاصدين عين التمر وورد كتابه بعد ذلك بنزولهم عين التمر . فبادر علي بن عيسى باستئجار خمسمائة سميرية وجعل

فيها ألف رجل ومعهما عِدَّةٌ ^(٢٩٣) من شذات وطيارات وحوّ لها من دجلة الى الفرات وفيها جماعة من الغلمان الحجرية لمنع الهجرى من عبور الفرات وتقدم الى جماعة من القوّاد بالمشير على الظهر من بغداد الى الانبار لضبطها .

فلما كان يوم الجمعة رأى أهل الأنبار ومن بها من القوّاد خيل أبي طاهر مقبلةً من الجانب الغربى فبادروا الى قطع جسر الانبار وأقام أبو طاهر الى أن أمكنه العبور بالسفن فعبّر يوم الثلاثاء نحو مائة رجل ولا يعلم بهم أصحاب السلطان الى أن حصلوا بالانبار ونشبت الحرب بينهم وبين جماعة من القوّاد . فلما خلا البلد من أصحاب السلطان عقد أبو طاهر جسر الانبار وعبر وخلف سواده في الجانب الغربى وفيه ابن أبي الساج . ولما علم من في الشذات من أصحاب السلطان ان أبا طاهر قد عقد الجسر ساروا اليه بالليل فضرّبوا بالنار فبقى أبو طاهر في جماعة من أصحابه في الجانب الشرقى من الفرات وسواده في الجانب الغربى منه وحالت الشذات والطيارات بينهم . ولما ورد الخبر بعبور أبي طاهر الى الانبار وقتله من بها من القوّاد خرج نصر الحاجب ومعه ^(٢٩٤) الحجرية والرجالة المصافيّة وجميع من كان بقى بغداد من القوّاد وبين يديه علم الخلافة وهو شبّه باللواء أسود وعليه كتابة بياض « محمد رسول الله »

وكان مونس قد صار بباب الانبار واجتمع مع نصر وكان عدد من معهم من الفرسان والرجالة وغيرهم يزيد على أربعين ألف رجل . وخرج أبو الهيجاء ومن اخوته أبو الوليد وأبو العلاء وأبو السرايا في أصحابه وعرابه وسار نصر وسبق مونس على قنطرة النهر المعروف بزبارا بناحية عقرقوب على نحو فرسخين من بغداد ولحق به مونس واجتمعا على النهر . وأشار

أبو الهيجاء على نصر الحاجب بقطع قنطرة نهر زُبَارَا وألح عليه في ذلك فلما
رآه يتناقل عن قبول رأيه قال له : أيها الاسناذ اقطعها واقطع لحيتي معها .
فقطعها حينئذٍ

وسار أبو طاهر ومن حصل معه من أصحابه من الجانب الشرقي من
الفرات قاصدين نهر زُبَارَا فلما صار على فرسخ واحد من عسكر السلطان
آخر يوم الاثنين لعشر خلون من ذي القعدة بات بموضعه ليلته وباكر المسير
الى قنطرة نهر زُبَارَا . وتقدم من رجاله^(٢٩٥) راجلٌ أسود يقال له صُبُح
فكان امام عسكره فما زال تُشَاب أصحاب السلطان تأخذه وهو يتقدم ولا
يهوله وقد صار بالنُشَاب كالفنئذ فلما صعد القنطرة ورآها مقطوعة رجع
وما زال أصحاب أبي طاهر يتمخون غور الماء في النهر فلما علموا انه ليس
يُخِض انصرفوا راجعين القهقري من غير ان يولّوا ظُهُورهم وصاروا الى
الحسينية فوجدوا الماء قد أحاط به لان نصرا ومونسا وجها قبل ذلك بمن
بثق هناك بُشوقا كبارا فصار ماء الخمر محيطا بعسكر أبي طاهر . فاقام هناك
يوم الثلاثاء وسار هو وأصحابه الى الانبار ولم يجسر أحده من أصحاب
السلطان ان يتبعه أو يصلح قنطرة زُبَارَا أو يعبرها . وكان ما أشار به
أبو الهيجاء من قطع هذه القنطرة توفيقا من الله فانها لو كانت صحيحة لعب
أصحاب القرمطي عليها وما هالكهم وفور عسكر السلطان ولا نهزم أصحاب
السلطان وملك القرمطي بغداد . وذلك ان أكثر أصحاب السلطان كروا
الى بغداد منهزمين لما بلغهم وصول أبي طاهر الى النهر من غير ان يروه
أو يقع عين عليهم لعظيم ما تداخل القلوب من الرعب بعد الحادث بابن أبي
الساج^(٢٩٦) ولم يحدث أحد نفسه بعد ذلك ان يجوز له ان يثبت في وجهه .

وكان مع أبي طاهر جماعة من الأدلاء فعدلوا به عن الخمر وسار نحو الانبار ولما ولي أبو طاهر وأصحابه عن موضع العسكر بزبارا ارتفع التكبير والتهليل من أصحاب السلطان ليذيع الخبر به وبادر أصحاب الاخبار الى علي بن عيسى بالسلامة وبانصراف أبي طاهر ورجوعه الى الانبار وبانه لا طريق له ولا مخاضة ولا حيلة في الوصول الى عسكره ولا الى نواحي بغداد . وطمع مونس في الظفر بسواده وباقي رجاله الذين خلفهم في الجانب الغربي من الانبار وفي تخليص ابن أبي الساج فانفذ يلق حاجبه وجماعة من القواد ومن غلمان ابن أبي الساج في ستة آلاف رجل وظنوا انه لا يتم لأبي طاهر العبور الى خيله وسواده وبلغ أبا طاهر ذلك فاحتال حتى انفرد عن رجاله ومشى مشيا طويلا حتى خرج عن الانبار الى الصحراء التي تتصل بالفرات ثم عبر في زورق صياد يقال انه دفع اليه الف دينار حتى عبر به الى سواده فلما حصل في سواده واجتمع مع أصحابه حارب يلق ومن معه^(٢٩٧) فلم يثبت له يلق وانهمز ومن معه وقتل جماعة من أصحابه . وبصر أبو طاهر في الوقت بابن أبي الساج وقد خرج من خيمته التي كان معتقلا فيها متطلعا الى الطريق لينظر ما يكون من حال الوقعة فوقع له انه أراد ان يهرب فدعا به الى حضرته وقال : أردت الهرب . ويقال ان غلمانه كانوا نادوه فقال له القرمطي : طمعت ان يخلصك غلمانك . فأمر به فضربت عنقه بحضرته وضرب أعناق جماعة كانوا في الأسر .

واحتال بعد ذلك أبو طاهر حتى عبر جميع أصحابه الذين كانوا معه في الجانب الشرقي من الفرات بالانبار فخلصوا معه في الجانب الغربي الذي يلي البرية . وعاد يلق منهزمافولا الى مونس المظفر

وحكى أبو القاسم ابن زنجي انه كان عدة أصحاب أبي طاهر الف وخمسمائة رجل منهم سبعمائة فارس وثمانمائة راجل وانه عرف ذلك من رجل انباري كان يقيم له ورجال الخبر وقد قيل انهم كانوا الف وسبعمائة قال : وسمعت بعض مستأمنة أبي طاهر وقد سُئل عن السبب في سرعة هزيمة أصحاب السلطان وثباتهم هم^(٢٩٨) فقال : السبب في ذلك ان أصحاب السلطان يُقدِّرون ان السلامة في الهرب فيقتدوا به ونحن نقدر ان السلامة في الصبر فنثبت ولا نبرح^(١)

ورتب على بن عيسى بين بغداد ونهر زُبارة المرتين وسلم اليهم مائة طير الى مائة رجل منهم يكتبون على أجنحتهم كتباً بخبر العدو في كل ساعة . وكان السبب في سلامة بغداد وأهلها يوم قصد القرمطي زُبارة مع كثرة العيارين والمتشبهة بالجنود وتشوُّفهم الى النهب ان على بن عيسى تقدّم الى نازوك بمواصلة الركوب والنطواف في جميع جيشه كل يوم غدوة وعشية في الجانبين ففعل ذلك ثم تقدم اليه في يوم موافاة أبي طاهر الى نهر زُبارة ان يُبكر الى باب حرب بجميع جيشه ويُقيم فيه الى وقت العتمة وان يُواصل النداء في الجانبين بانه : من ظهر من العيارين والمتشبهة بالجنود ومن وُجد معه حديدٌ ضرب عنقه . فأنجحر العيارون وأغلق أهل باب الحوّل ونهر طابق والقلائن وغيرهم دكا كينهم وتحرّز الناس فنقلوا أمتعتهم الى منازلهم . وأما وجوه الناس فأكثروا الزواريق وجعلوها في^(٢٩٩) الشوارع في دجلة

(١) قال صاحب كتاب العيون . وحكى أن رجلاً من أهل بغداد تقدم الى الاسود ولامه على تهجمه على ذلك الجمع العظيم فقال له . يا رجل نحن نرى الصبر راحة واتم ترون الفرار راحة فتعمدون عليه .

ونقلوا اليها أمتعتهم ومنهم من حذرهما الى واسط . ونقل قومٌ من المجريين أمتعتهم الى حلوان ليحمل الى خراسان مع الحاج ولم يكن عند أحد من الخواص والعوام شك في ان القرمطي يملك بغداد . وأقام نازوك في ذلك اليوم كما رسم له علي بن عيسى على ظهر دابته من أول النهار الى ان مضى صدر من الليل لا ينزل هو ولا احد من اصحابه عن دوابهم الا للصوات وضربت له ولهم الحميم فزلوها بالليل وكان ذلك سببا لسلامة البلد

وقصد القرمطي الى هيت وبادرهرون بن غرب وسعيد بن حمدان الى هيت لدفعه عنها فسبقا القرمطي الى هيت وصعدا الى سورها وقويت بهما قلوب أهل هيت فلما وصل القرمطي اليها قاتلوه بالمنجنيقات فقتل من القرامطة جماعة وانصرف أبو طاهر عنها . وورد الخبر بذلك الى بغداد فسكنت النفوس واطمأنت القلوب وتصدق المقتدر والسيدة لما بلغهما خبر انصرافه بمائة ألف درهم . وكان مونس ونصر أحضرا جرائد جميع الرجال الذين اجتمعوا على نهر زبارا مما يلي بغداد سوى ^(٣٠٠) الاعراب فوجدوهم اثنين وأربعين ألف رجل سوى غلمانهم وأسبابهم فانهم كانوا أضعاف هذه العدة

وكان علي بن عيسى لما بلغه أسر ابن أبي الساج بادر في الوقت الى المقتدر وقال له : انما جمع الخلفاء المتقدمون الاموال ليقمعوا بها اعداء الدين والخوارج وليحفظوا بها الاسلام والمسلمين ولم يلحق المسلمين منذ قبض النبي صلى الله عليه وسلم شيء أعظم من هذا الامر لان هذا الرجل كافر وقد أوقع بالحاج في سنة ٣١٢ هجرى ما لم يُعَد مثله وقد تمكنت له هبة في قلوب الاولياء والخاص والعام . وانما جمع المعتضد والسكتفي في

بيت مال الخاصة ما جمعوا لمثل هذه الحوادث والآن فلم يبق في بيت مال
الخاصة كبير شيء فأتى الله يأمر المؤمنين وتخطب السيدة فانها دينية
فاضلة فان كان عندها مال قد ذخرت له لشدة تلحقها أو تلحق الدولة فهذا
وقت إخراجها وان تكن الأخرى فاخرج أنت وأصحابك الى أقاصي
خراسان فقد صدقتك ونصحتك . فدخل الى والدته ثم عاد فاخبر ان
السيدة استرأته وأمرت باخراج خمسمائة ألف دينار من مالها الى بيت
مال العامة لينفق في الرجال . وسأل على بن عيسى عن مقدار ما بقى
في بيت مال الخاصة من المال فمرّقه على بن عيسى ان فيه خمسمائة ألف دينار .
وتجرّد على بن عيسى لحفظ الاموال وتقدّم الاّ يُضَيّع منها درهم
واحد في قضاء الذمامات وجمع أموال النواحي وأنفذ المستحقين الى العمال
فاجتمعت له جملة أخرى . وتنصّح الى على بن عيسى رجل من التجار بانه
وقف على خبر رجل شيرازي يتخبر للقرمطي ويكاتبه فانفذ معه جماعة
فقبض عليه وحمل الى دار السلطان . وناظره على بن عيسى بحضرة القاضي
أبي عمر والقواد وقال : انا صاحب أبي طاهر وما صحبتُهُ الا على انه على حق
وأنت وصاحبك ومن يتبعكم كفار مبطلون ولا بدّ لله في أرضه من
حُجّة وامام عدل وامامنا المهدي فلان بن فلان بن اسماعيل بن جعفر
الصادق وليس نحن مثل الرافضة الحقّ الذين يدعون الى غائب متظر .
فقال له على بن عيسى : اصدقني عن يكاتب القرمطي من أهل بغداد
والسكوفة . قال : ولمّ أصدقك عن قوم مؤمنين حتى أسلمهم الى قوم
كافرين فيقتلونهم ^(٣٠٢) لا أفعل ذلك أبداً . فأمر بصفه بحضرته وضربه
بالمقارع وقيده وغلّه بغلّ ثقيف وجعل في فيه سلسلة وسأله الى نازوك

وحبسة في المطبق فمات بعد ثمانية أيام لانه امتنع من ان يأكل ويشرب حتى مات . وشغب الجند ^(١)

* (ودخلت سنة ست عشرة وثلثمائة) *

ودخل مونس المظفر بغداد من الانبار ودخل بعد نصر وذلك يوم الخميس لثلاث خلون من المحرم وكان الجند قد شغبوا بالانبار لطلب الزيادة في أرزاقهم فأقاموا ببغداد على مطالبتهم فزيد كل واحد منهم ديناراً وأتفق فيهم على الزيادة .

وورد الخبر بدخول أبي طاهر القرمطي الدالية من طريق الفرات فلم يجد فيها شيئاً وقتل من أهلها جماعة . ثم سار الى الرحبة فدخلها بعد ان حارب أهلها ووضع السيف فيهم بعد ان ملكهم وندب مونس المظفر للخروج اليهم بالركة . وكان أهل قرقيسيا وجهوا الى القرمطي يطلبون الامان منهم ووعدهم بحميل ثم أنفذ اليهم من نادى بقرقيسيا الا يظهر بها أحد بالنهار فلم يجسر أحد بها ان يظهر ^(٢٠٣) . فعبرت سرية له الى الاعراب على جسر عقده بالرحبة فأوقع بهم وقتل منهم مقتلة عظيمة وأخذ جالهم وأغنماهم فرهبه الاعراب رهبة شديدة وصاروا لا يسمعون بذكره الا تطايروا وجعل عليهم اتاوة الى هذه الايام وهي من كل بيت دينار في السنة ثم أصعد من الرحبة الى الرقة . وسار مونس المظفر الى الموصل ومنها الى الرقة فانصرف أبو طاهر عن الرقة على طريق الفرات ووصل الى الرحبة فحمل ما معه من

(١) وفي تاريخ الاسلام : شغبوا على المقتدر وطلبوا الزيادة وشتموه ونهبوا القصر الملقب بالثريا وصاحوا : أبطلت حجنا وأخذت أموالنا وجرأت العدو وتنام نوم الجارية . فبذل لهم المال فسكنوا . وجددت على بغداد الخنادق وأصلحت الاسوار

الزاد وغيره في زواريق وأنحدر في الماء وعلى الظهر ليعاود هيتاً . وكان أهلها قد نصبوا على سورها عرّادات ومنجنيقات فخاربوه وقتلوا من أصحابه ^(١) فانصرف عنها الى ناحية الكوفة وزاد الخبر بذلك فأخرج بنى بن نفيس وهرون بن غريب على مقدمة نصر .

وجاءت خيل القرمطي ومعه ابن سنبر الى قصر ابن هبيرة وعبروا الفرات بمخاضة فقتلوا جماعة من أهل القصر فخرج نصر الحاجب ومعه القواد والرجال المصافيّة يريدون مواجهة أبي طاهر وحّم نصر حتى حادثة فلم يمنعه ذلك من المسير الى سورا . ووافى ^(٢) أبو طاهر الى شاطئ سورا وقت المغرب فلم يكن في نصر نهوض لاركوب لشدة علة فاستخلف أحمد بن كيغلف وانفذ معه الجيش فانصرف القرمطي قبل ان يلقاه أحمد بن كيغلف . واشتدت علة نصر وجفّ لسانه من شدة الحمى فردّ الى بغداد في عمارية ومات في الطريق . فخرج شفيع المقتدرى برسالة المقتدر الى الجيش الذي كان مع نصر بانه قد جعل الرئيس عليهم مكان نصر هرون ابن غريب فدخل هرون بن غريب مع الجيش بغداد ^(٣)

ذكر الحال التي أدّت الى صرف علي بن عيسى

وتقليد أبي علي ابن مقالة ^(٣)

(١) وفي تاريخ الاسلام : قتلوا أبا الدواد من خواص أصحابه (٢) وفي تاريخ الاسلام : ورجع القرمطي فبنى داراً سماها دار الهجرة ودعا الى المهدي وتفاقم الامر وكثر أتباعه وبث السرايا فهرب عمال الكوفة عنها . فسار هرون بن غريب الى واسط فظفر بسرية لهم فقتلهم وبعث الى بغداد بأسارى وبمئة وسبعين رأساً وأعلام بيض منكسة عليها مكتوب : وزيد ان نحن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين . ففرح الناس وأطمأنوا (٣) ومقالة اسمهم لهم كان أبو هار قصبها فيقول : يامقالة أيتها . فغلب عليها : ارشاد الاريب ٣ : ١٥٠

لما رأى على بن عيسى^(١) اختلال النواحي في أيام وزارة الخاقاني
والخضبي ونقصان الارتفاع وزيادة النفقات وما لحق من زيادة الرجالة بعد
انصرافهم من الانبار من حرب القرمطي وان زيادتهم بلغت مائتي وأربعين
ألف دينار في السنة مضافة إلى النفقات المقرطة هالكة ذلك واستعظمه ووجد
رجال السلطان قد ضعفوا عن القرمطي وتبين انحراف نصر الحاجب عنه
وذلك لميل مونس إليه استغفى^(٢٠٥) المقتدر من الوزارة فأمره بالصبر وقال
له : أنت عندي بمنزلة المعتضد بالله ولي عليك حقوق . فواصل الاستغفاء^(٢)
فشاور المقتدر مونساً المظفر وأعلمه أنه قد سُمي له ثلاثة الفضل بن جعفر
ابن حنزابة فلم يشربه لاجل من قُتل من آل القرات وأبو علي ابن مقله
فلم يشربه لحدائته وقال : لا يصاح للوزارة الا شيخ له ذكر وفيه فضل
ومحمد بن خاف النيرماني فلم يشربه وعرفه أنه جاهل لا يحسن ان يتهجى
اسمه وأنه متهور وأشار بمدارة علي بن عيسى . ثم لقي مونس علي بن عيسى
ورفق به وداراه فقال له علي بن عيسى : لو كنت مقياً بالحضرة لاستعنت
بك وعملت ولكناك خارج الى الرقة . وبلغ أبا علي ابن مقله ذلك فجاء في
السمي وشاور المقتدر نصراً الحاجب في أمر الثلاثة فقال : اما الفضل بن
جعفر فلا يدفع عن صناعة ومحل ولكناك بالامس قتلت عمه وبنو القرات
يدينون بالرفض وأما ابن مقله فلا هيبة له . وأشار بمحمد بن خلف لما كان
بينهما مما ذكرناه فيما تقدم فنفر المقتدر منه لما عرفه من جهله وتهوره .
وواصل ابن مقله^(٢٠٦) مداراة نصر الحاجب فأشار علي المقتدر به وقال :
يُقال فان قام بالامر كما يجب والا فالصرف العاجل بين يديه . واضطر

المقتدر الى ان استوزر أبا علي بن مقلة .

وكان ما مال به المقتدر الى أبي علي ان أبا طاهر القرمطي لما قرُب من الانبار تشوَّف الى علم خبره ولم يكن يكتب بشئ من خبره غير الحسن بن اسمعيل الاسكافي عامِل الانبار فلما عرف أبو علي ابن مقلة الصورة طلب أطياداً وأتقدها الى الانبار وكُتِب عليها أخبار القرمطي وقتاً بعد وقت فكان ينفذها الى نصر لوقته ويعرضها نصر على المقتدر ووجد بذلك نصر السبيل الى تقرِيط ابن مقلة وقال للمقتدر : ان كان هذه مُراعاةً لأمورك ولا تعلق له بخدمتك فكيف يكون اذا اصطنعتُه

﴿ ذكر القبض على علي بن عيسى وتقليد ابن مقلة ﴾

فلما كان يوم الثلاثاء للنصف من شهر ربيع الأول سنة ٣١٦ أُنقذ هرون ابن غريب للقبض على علي بن عيسى فصار هرون الى دار علي بن عيسى ومعه أبو جعفر بن شيرزاد وكان أبو جعفر متعطلاً في الوقت فوجه بأبي جعفر اليه لانه ^(٣٠٧) استجيا منه وعرفه ما أمر فيه فلما أدَّى اليه الرسالة قال له : أنا جالس متوقع له . وكان قد لبس علي بن عيسى خُفًا وعمامةً وطيلساناً وفي كُمه مِصْفً ومقراض وسأل هرون ان يصون حرمةً وولده ففعل وحملةً مع أخيه أبي علي عبد الرحمن الى دار السلطان فسلم علي ابن عيسى الى زيدان القهرمانة واعتقل عبد الرحمن عند نصر فكانت وزارته هذه سنة واحدة وأربعة أشهر ويومين .

فلما كان في آخر نهار يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر أحدر أبو علي ابن مقلة الى دار السلطان ولم يصل الى المقتدر وأقام عند نصر الحاجب في دار السلطان . وجد محمد بن خلف في طلب الوزارة

وضمن ثمانمائة ألف دينار مُعَجَّلَةً غير أموال النواحي فقلق أبو علي ابن مقلة لذلك وحضر من غد دار السلطان ولم يصل أيضاً . واجتمعت الألسُن على المقتدر بامضاء أمره وبالذمِّ لمحمد بن خلف فامضاه وحضر يوم الخميس للنصف من الشهر ووصل وخلع عليه وحمل اليه من دار السلطان طعام على رسم الوزراء اذا تقلدوا

وكان أبو الحسن^(٣٠٨) علي بن عيسى قبل صرفه عن الوزارة بعشرين يوماً كتب الى أبي عبد الله البريدي يأمره باستخراج ما كتب به ابن مابنداذ انه قد اجتمع في بيت مال الاهواز من مال الاهواز وهو الف الف وخمسون الف درهم وانضاف الى ذلك ما حمله القاسم بن دينار من مال فارس وكرمان على الظهر وهو سبعمائة الف درهم سوى ما حمله أبو علي ابن رستم من مال أصبهان وهو أربعمائة وخمسون ألف درهم فيصير الجميع ألف الف ومائتي ألف درهم . وكان في أبي عبد الله البريدي حركة ورجلة يحتاج اليهما في ذلك الوقت فكتب الى ابن مابنداذ يطالبه بالمال فكتب بأن المال حاصل . وكان ابن مابنداذ بتستر فوجه اليه يستعجله ولم ينتظره واستحضر كاتبه فحمل في الشدا آة ألف الف ومائتي ألف درهم وكتب انه ان عادت الشدا آة حمل فيها باقى المال فصرف علي بن عيسى قبل موافاة بقية المال .

وقد كنا ذكرنا انحراف نصر الحاجب عن علي بن عيسى لِمَيْلِ مونس المُظفَّر اليه فلما نكس علي بن عيسى ادعى نصر الحاجب^(٣٠٩) انه وجد رجلاً يعرف بالجوهري اقر انه صاحب القرمطى^(٣٠٩) وانه جعله سفيراً بينه وبين علي بن عيسى وحكى عنه ان علي بن عيسى كان يكتب القرمطى على يده .

وجمع بينه وبين علي بن عيسى حتى واجهه بذلك فقال له علي بن عيسى : مهتني وما خلق الله لما يقوله أصلاً . وعاون أبو علي ابن مقلّة نصر الحاجب في هذه القصة الى ان كاد يتمّ المكروه عليّ عليّ بن عيسى وهمّ المقتدر ان يضربه بالسوط علي باب العامة بمضرة الفقهاء والقضاة وأصحاب الدواوين فاحتالت السيّدة واستكشفت الحال فيما ادّعى عليه فوقفت علي بطلانه وقررت ذلك في نفس ابنها وأزالت ما كان أمره به فيه

وأخذ أبو علي ابن مقلّة خطوط العمال والضّمان بنحو مائة ألف دينار وبلغ أباعبد الله البريدى وهو بالاهواز تقلّد أبى علي ابن مقلّة الوزارة وكان بينهما مودة فأنفذ اليه من وقته سفائح بثلاثمائة ألف دينار من حملة الباقي بالاهواز بعد ما كان حملة . وكان القاسم بن دينار وأحمد بن محمد بن رستم قد حملا الى علي بن عيسى سفائح بستمائة ألف درهم فوصلت بعد صرفه فقبضها ابن مقلّة فحشى أمر أبى علي ابن مقلّة بهذه الاتّفاقات . وكتب (٣١٠) أبو علي ابن مقلّة كتاباً برفع كلّ الجنایات والمصادرات وسكّن من الناس لينبسطوا في أعمالهم^(١)

﴿ وفي هذه السنة وقعت حرب بين نازوك وهرون بن غريب الخال ﴾

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كان السبب في ذلك ان سؤاس هرون بن غريب وسؤاس نازوك تغايرا على غلام أمرد ووقع الشرّ بينهم وأخذ نازوك سؤاس هرون بن غريب وأودعهم حبس الجرائم بعد ان ضربهم . فصار أصحاب هرون بن غريب الى مجلس الشرطة ووثبوا على أبى الجود خليفة نازوك وانتزعوا

(١) وأمان تقي الدواوين وما قال في حق الوزير أبو بكر الصولى فليراجع صلة غريب : ١٣٥

أصحابهم من يده وركب نازوك الى المقتدر وشكى اليه هذه الحال فلم يكن من المقتدر انكار رضىه نازوك فانصرف محافظا وجميع رجاله . وجمع هرون ابن غريب رجاله وباتا جميعا مستعدين فلما أصبحوا زحف أصحاب نازوك الى دار هرون بن غريب وأغلق هرون بابهم وخارج الباب جماعة من غلمان هرون وأصحابه فقتل منهم قوم وفتح باب هرون حينئذ وخرج أصحابه واستحكمت الحرب بينهم واشتدت فوجه نازوك الى أصحابه بمن صرفهم . ثم ركب^(٣١١) الوزير أبو علي ومعه مفلح الاسود لتوسط القصة فبدأ بابن الحال وأدى اليه رسالة المقتدر بالكف ثم صار الى نازوك فادى اليه مثل ذلك فسكنت القصة . واستوحش نازوك وأقام في داره وفيها غلمانه وأصحابه ورجاله وظهر في ساقه توتة وقلمها وجعلها سببا في ترك الركوب وبعد ثلاثة ايام صار اليه هرون بن غريب بدراة فاصطاحا وأقام نازوك في داره وصار هرون بن غريب الى البستان النجمي فاقام فيه ليمعد عن نازوك وكثر الناس عليه وأرجفوا له بامرة الامراء . فاشتد ذلك على أسباب مونس المظفر وكتبوا به اليه وهو بالركة فاسرع الشخوص منها على طريق الموصل الى بغداد ووصل اليها ولم ينحدر الى المقتدر ولا لقيه وصاعدا اليه الامير أبو العباس والوزير أبو علي فسلما عليه وانحدر نازوك

﴿ ظهور الوحشة بين مونس والمقتدر ﴾

وأقام هرون بن غريب في دار السلطان منابذاً لمونس المظفر ودخل أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان من الجبل وصار الى مونس المظفر . وما زالت المراسلات تتردد بين مونس والمقتدر^(٣١٢)

﴿ ودخلت سنة سبع عشر وثلثمائة ﴾

﴿ ذكر فتنة نازوك وأبي الهيجاء التي أدت الى خلع المقتدر وذكر
قتلها ورجوع المقتدر بالله الى الخلافة ﴾

لما كان يوم السبت ثمان خلون من المحرم خرج مونس المظفر الى باب
الشماسية وخرج الجيش معه . وركب نازوك من داره في غلماه وأصحابه
في السلاح فلما وصل الى الجسر وجده مقطوعا فاقام بمكانه الى ان أصلح
وعبر هو وأصحابه عليه وصاروا الى مونس وخرج أبو الهيجاء ابن حمدان
اليه وسائر القوادثم انتقلوا من باب الشماسية الى المصلى . وشحن المقتدر
داره بهرون بن غريب وأحمد بن كيغلغ والحجرية والرجالة المصافية فلما
كان آخر النهار انفض أكثر من كان في دار السلطان وصاروا الى مونس
وصرف مونس تحرير الصغير^(١) عن الدينور وردها الى أبي الهيجاء مضافة
الى أعماله

وراسل مونس المقتدر بان الجيش عاتب منكره للسرف فيما يصير الى
الخدم والحرم من الاموال والضياع ولدخولهم في الرأى والتدبير ويطالبون
بإخراجهم من الدار^(٣١٣) وابعادهم وأخذ ما في أيديهم فكتب المقتدر
الى مونس رقعة نسختها : بسم الله الرحمن الرحيم : أمتنى الله بك ولا
أخلانى منك ولا أرانى سوء فيك . تأملت الحال التي خرج أولياؤنا
وصنائعنا وشيعتنا اليها وتمسكوا بها وأقاموا عليها فوجدتهم لم يريدوا
الا صيانة نفسى وولدى وإعزاز أمرى ومالكي واجتلاب الخير والمنفعة من
كل جهة وتطلبها بكل سبيل بارك الله عليهم وأحسن اليهم وأعاننى على صالح
ما أتويه فيهم . وأما أنت يا أبا الحسن المظفر لا خلوت منك فشيخى وكبرى

(١) توفي في هذه السنة بالموصل وكان يتولى معونتها : صلة عريب ١٤٦

ومن لا أزول ولا أحول عن الميل اليه والتوفر عليه والتحقق به والايجاب له
اعتراض ما بيننا هذا الحادث ام لم يعترض وانتقض الامر الذي يجمعنا أم لم
ينتقض وأرجوا الا تشك في ذلك اذا صدقت نفسك وحاسبتها وأزلت
الظنون السيئة عنها أدام الله حراستها والقوة بالله . والذي خاض لاصحابنا ^(١)
فيه من أمر الخدم والحرم الذين يخرجون من الدار ويباعدون عنها وتسقط
رسومهم في الخدمة ويمنعون منها ويرثون من نعمهم ويحال بينهم وبينها
الى ان يفرجوا عما في أيديهم من المال ^(٢١٤) والضياع ويردوها الى حقوقها
قول اذا تبينوه حق تبينه وتصفحوه كنه تصفحه علموا انه قول جاف
والبني على فيه غير مستتر ولا خاف . ولا يشارى موافقتهم واتباعى مسرتهم
ما اجبتهم الى المتيسر في أمر هذه الطبقة خاصة فاتقدم بقبض بعض اقطاعهم
وحظر تسويناتهم وبسط ايفاراتهم واخراج من يجوز إخراجهُ من دارى
ولا اطلق للباقيين الدخول في تدبيرى ورأى وأوعز بمكاتبة العمال في
استيفاء حق بيت المال في ضياعهم الصحيحة الملك دون ما يقال انه قد
لابسه الريب والشك وانظر بنفسى في أمر الخاصة والعامة وأبلغ في
إنصافها والاحسان اليها الغاية . ولا اعتمد في ذلك على وزير ولا سفير
البتة واتصب لاثارة الاموال وجعلها ووضعها في مواضعها واجبها من كل
ما يثلما وينتقضها واشمر في ذلك وأبلغ في مناهضة الاعداء قرباً وبعداً .
وهذا انما قدمتُ عنه اعتماداً عليكم وتقويضاً اليكم وثقة بانكم شركائى
وسهمائى والمخصوصون بخير أياى وشرها وحلوها ومرها . ولو علمتُ
انه يُجمل ذلك ذنباً لى وجراً ما يتجنى به على لَكُنْتُ أوّل شاخص الى

كل^(٣١٥) تعبٍ واولُ مُبادِرٍ نحوه من غير ابطاء عنه ولا ريثٍ . فأما انتم
فمعظم نعمكم مني وما كنت لا غور عليكم في شيء سمحت به لكم ورأيت
في وقته وأراه الآن زهيداً في جنب استحقاقكم وأنا بثميره اولى وبتوفيره
اخرى والله المطلع على جميل معتقدي للجماعة فيها والشاهد على محبتي
لا يصلحها الى اقصى امانها^(١) ونازوك فاست ادري من اي شيء عتب ولا
لاية حال استوحش واضطرب لاني لم الم على محاربة هرون بن غريب الخال
ولم امنعه من الانتصار منه والاخذ بثاره عنده ولا امرت بمعاونة هرون
عليه ولا قبضت يده عما كانت طويلة اليه منبسطة فيه متمكنة منه ولا غيرت
له حالا ولا حزت له مالا ولا سمع مني ولا بلغه عنى ما يسوء موقعه وينفر
منه والله يغفر لنا وله . وعبد الله بن حمدان فالذي احفظه صرفه عن الدينور
وقد كان يهياً إعادته اليها ان كان راغباً فيها فيسعف بمسئلته وان يستدعي
تعويضه من الأعمال ما هو اعظم خطراً من الدينور فلا نقصر عن ارادته وما
عندي له ولنازوك وللعصاة كلها الا التجاوز والابقاء والاعضاء وقبل هذا
وبعده فلي في اعناقكم بيعة قد^(٣١٦) وكذتموها على انفسكم دفعة بعد دفعة
ومن بايعني فانما بايع الله ومن نكث انما نكث عهد الله ولي ايضاً عليكم
نعمً وايادٍ وعندكم صنائع وعوارف آمل ان تعترفوا بها وتلتزموها ولا تكفروها
تشكروها وان راجعتم الجميل وتلافيتهم هذا الخطب الجليل وفرقتهم جموعكم
ومزقتموها وعدتم الى منازلكم واستوطنتموها واقبلتم على شؤونكم وتشاغلتم
بها واجريتم في الخدمة على عادتكم فلم تقصروا فيها كنتم بمنزلة من لم يرح
من موضعه ولم يأت بما يعود بتشعث محله وموقعه وكنت الذي تعرفونه

في الثقة بكم والا يثار لكم والسكون اليكم والاشتغال عليكم لكم بذلك عهد الله ان عهده كان مستثولاً . وان ايتم الا مكاشفة ومخالفة واثارة فتنة وتجديد محنة فقد وليتكم ما توليتكم وانعمدت سيفي منكم وتبرأت الي الله ان امدت باي الى احد منكم ولجأت في نصري ومعونتي وكفايتي الي الله عز وجل . ولم اخرج من منزلي ولم اسلم الحق الذي جعله الله لي الا كما خرج عثمان بن عفان عن داره وكما سلم حقه لما خذله عامة ثقائه وانصاره وكان ذلك حجة فيما بين الله عز وجل وبينى ومعدرة وسبباً^(٣١٧) باذن الله لما أومله من الفوز في الدنيا والآخرة . والله بصير بالعباد وللظالمين بالمرصاد وحسبي الله ونعم الوكيل .

ولما وصات هذه الرقعة الى مونس ووقف نازوك وابو الهيجاء على ما تضمنت عدلوا الى مكاتبته باخراج هرون بن غريب عن بغداد فأجابهم الى ذلك وقلد هرون الثغور الشامية والجزرية وخرج من يومه ومضى الى قطربل فأقام بها .

ولما كان يوم الاثنين لعشر خلون من المحرم دخل مونس المظفر والجيش بغداد وعدلوا عن دار السلطان كراهية لمرّة الجند . وظهر عند الناس ظهوراً يندأ وارجفوا ارجافاً قوياً ان نازوك وأبا الهيجاء واقفا مونساً المظفر على الاستبدال به ونصب غيره في الخلافة . فلما كان يوم الاربعاء لاثني عشرة ليلة خلت من المحرم خرج مونس الى باب الشامية دفعة ثانية وخرج معه أبو الهيجاء ونازوك وبنى بن نفيس وجميع القواد والجيش وزحفوا الى دار السلطان .

﴿ ذكر الخبر عن خلع المقتدر بالله وتقليد القاهر بالله الخلافة ﴾

لما زحف القوم بأسرهم الى دار السلطان هرب المظفر بن ياقوت وسائر
الحجّاب والحشم^(٣١٨) والخدم والوزير أبو علي ابن مقلة منها ودخل مونس
من باب الزاوية وحصل الجيش كله في دار السلطان . فلما كان بعد عتمة
بساعة أخرج المقتدر ووالدته وخالته وخواصّ جواريه من الدار وأصعد
بهم الى دار مونس المظفر ودخل هرون بن غريب من قطربل سرّاً الى
بغداد واستتر بها

ومضى أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان الى دار ابن طاهر ليحدر منها
محمد بن المعتضد بالله فلم يفتح له كافور الموكل بحفظ الدار وطالبه بعلامة
من مونس فلم تكن معه فانصرف . وأصعد ونازوك بعدان أخذ العلامة
وطرح في طريقه النار في دار هرون بن غريب وأحدر محمد بن المعتضد
ووصل الى دار السلطان في الثالث الاخير من ليلة السبت للنصف من
الحرم وسلم عليه بالخلافة وبايعة مونس والقواد ولقب القاهر بالله .

وأخرج مونس على بن عيسى من الحبس في دار السلطان وأطلقه الى
منزله وأحضر أبا علي ابن مقلة وقلده وزارة القاهر بالله وقلد نازوك الحجابة
مضافة الى ما اليه من الشرطة بمدينة السلام وأضاف الى ما كان الى أبي
الهيجاء من أعمال طريق خراسان وحلوان والدينور وطريق^(٣١٩) سرّ من رأى
وبزرج سابور والراذاتين ودقوقا وخانيجان [كذا] والموصل
أعمال المعاوين بهمدان ونهاوند والصيمرة والسيروان وما سبذان
وميزجانقذق وارزن .

ووقع النهب في دار السلطان ومضى بنى بن نفيس الى تربة السيدة
بالرصافة فوجد لها هناك ستمائة ألف دينار فحملها الى دار السلطان .

وخلع المقتدر بالله من الخلافة يوم السبت النصف من المحرم وأشهد على نفسه بذلك القضاة وسلم الكتاب بذلك الى القاضي أبي عمر محمد بن يوسف .

﴿ ذكر حزم استعمل وانتفع به ﴾

حدث أبو الحسين ابن أبي عمر^(١) ان أباه سلم الكتاب اليه بالخلع وقال له : يا بني احفظه واسترزه ولا يراه أحد من خاق الله عندك . (قال) فقلت له : وما الفائدة في كتابه وقد علم به الخلق ؟ (قال) فقال لي : وما الفائدة في اظهاره ومن أين تعلم ما يكون ؟ قال : فامتثلت أمره . فلما أعيد المقتدر بالله الى الخلافة بعد يومين أخذ القاضي أبو عمر ذلك الكتاب فسلمه الى المقتدر بالله من يده الى يده وحلف له على انه^(٣٢٠) ما رآه أحد من خلق الله عنده غيري فحسن موقع ذلك من المقتدر جدا وشكره له وقادّه بعد مديدة قضاء القضاة (قال) فقال لي : يا بني ماض لنا كتمان الكتاب وستره شيئا

وانصرف الناس من دار السلطان يوم السبت ولما كان من غدٍ وهو يوم الاحد جاس القاهر بالله وحضر الوزير أبو علي ابن مقلة ووصل اليه وأمره بالجلوس بين يديه وسكن النهب وكتب أبو علي ابن مقلة بخبر تقليد القاهر بالله الخلافة كتابا أنشأه الى الولاية في النواحي . وأمر نازوك الرجالة المصافية بقلع خيمهم من دار السلطان وأقام رجالاته مكانهم فاضطربوا من ذلك ثم تقدّم الى خلفاء الحجاب والبوايين الاّ يدخل الدار الاّ من كانت له

(١) هو عمر بن محمد بن يوسف بن يعقوب الازدي مالكي المذهب توفي سنة ٣٢٨ وفي كشف الغائب انه حنفى كتاب الفرج بعد الشدة . وقال الحافظ الذهبي في تاريخ الاسلام : كان أبو عمر القاضي يقول : ما زالت مرويتنا من مسألة يحيى من السلطان حتى نشأ أبو الحسين

مرتبة فاضطربت الحجرية من ذلك وتكلموا وصار ذلك سبباً لردّ المقتدر الى الخلافة .

﴿ ذكر السبب في ردّ المقتدر الى الخلافة ﴾^(١)

فلما كان يوم الاثنين السابع عشر من المحرم بكر الناس الى دار السلطان لانه يوم موكب ودولة جديدة فالتأت الدهاليز والممرات والرحاب وشاطئ دجلة^(٢٣١) منهم وحضر الرجال المصافية بالسلاح يطالبون بالبيعة ورزق سنة ولم ينحدر، ونس الى دار السلطان ذلك اليوم وأقام في منزله . وارتفعت زعقات الرجال وسمعها نازوك وأشفق أن يجرى بين أصحابه وبينهم قتال فتقدم الى غلمانهم وأصحابه الا يعرضوا لهم . وزاد شغب الرجال وشتموا يريدون الصحن التسعيني فلم يمنهم أحد لما كان نازوك تقدم به الى أصحابه ودخل منهم من كان على الشط من الروشن بالسلاح المشهور وقربت زعقاتهم من مجلس القاهر بالله وكان جالساً في رواق التسعيني وبين يديه أبو علي ابن مقله ونازوك وأبو الهيجاء فوجهه بنازوك ليخاطبهم . وكان نازوك مخموراً كالسكران قد شرب طول ليلته فلما برز الى الروشن ونظر اليه الرجال أسرعوا نحوه فخافهم لانهم شهروا السلاح عليه فولى منهم وعدا . وأطمعهم في نفسه وعدوا خلفه وانهى به الحرب منهم الى باب كان هو سده أمس

(١) وفي صلة عريب ص ١٤١ ان في الحبوسين في دار الخلافة الذين أخرجهم مونس كما تقدم الحسين بن روع بن بحر أبا القاسم القيني المتوفى سنة ٣٢٦ . وقال في حقه الحافظ الذهبي انه كان وافر الحرمة مع أهل الشيعة فجرت له خطوب مع الوزير حامد ابن العباس وقبض عليه وسجن خمسة أعوام وأطلق لما خلعوا المقتدر من السجن . فلما أعيد الى الخلافة شاوروه فيه فقال : دعوه فبخطيئته جرى علينا ما جرى

ذلك اليوم بالآجر والحصّ ولم يمكنه النفوذ ووصلوا اليه وقتلوه وقد كانوا قتلوا قبله عجيبا وصاحوا : مقتدر يا منصور. فتهارب كل من في الدار من الوزير والحجاب والحشم وسائر الطبقات حتى بقيت الدار خالية .

وصلب^(٣٢٢) الرجال نازوك وعجيباً على خشب الستارة التي على شاطئ دجلة . [ثم صار الرجال الى دار مونس يُطالبون بالمقتدر بالله وبأمر الخدم في دار السلطان فملقوا أبوابها وكان جميعهم خدام المقتدر وحاشيته وصنائه وأراد أبو الهيجاء أن يخرج من الدار فتعلق به القاهر وقال : يا أبا الهيجاء نسلمني ؟ فدخلت أبا الهيجاء الحمية والاتفة فرجع معه وقال : والله لا اسلمتك وعاد فوجد الابواب مغلقة فدخل دار السلم وارتفعت ضجة وتكبير فقال فائق وجه القصعة لبعض الخدم الصغار الرسائية : انظر ماهذه الضجة . فمضى وعاد وقال : قُتل أبو الهيجاء . فقال له : انظر وملك ما تقول . فعاد ذلك ثلاثاً فقال : أبو الهيجاء هو ذا لنا وملك . فقال الخادم : غلط قُتل نازوك . فقال القاهر لوجه القصعة : افتح لي الباب لاخرج الى الشط . فقال : ان وراءه أبواباً كثيرة يتعذر منها الوصول الى الشط ولكن نفتحهُ على كل حال . ففتح فافضى بالقاهر المشى الى درجة الدوايب المنصوبة على دجلة فوق موضع التاج فصعد بها ويده في يد أبي الهيجاء ابن حمدان وأشرفاً على دجلة فرأيا الرجال في السلاح من نهر المعلى منتظمين متراصين الى التاج والى باب الخاصة لا يحصيهم^(٣٢٣) العدد فنزل مُبادراً فقال له أبو الهيجاء : امض يا مولاي فوثرة حمدان لا فارقك أو أقتل دونك . ومضيا حتى دخلا الفردوس وخرجا من باب الفردوس الى الرحبة فلقيا غلاماً لمقبل الخادم راكباً فلما رآهما ترجل وقال له : من أين جئت قال : من

باب النبوي . فنزع أبو الهيجاء سوادهُ ومنطقته ودفعها الى الغلام وقال له : اعطني جُبَّتَكَ . وكانت عليه جبة صوف مصرى فاعطاه اياها فلبسها وركب دابة الغلام وترك القاهر مع الخدم وقال : يا مولاي قف بمكانك حتى أعود اليك . فلم يطل أبو الهيجاء حتى عاد فقال له القاهر : ما وراءك ؟ فقال : صرت الى باب النبوي فلقيني جعفر البواب فملت له : افتح الباب . فقال : لا يمكنني لأن وراءه من الرجال والجيش من لا يحصى لانه قد جئ برأس نازوك الى هاهنا . ثم قال للقاهر : هذا أمر من السماء فعد بنا . ودخلا الفردوس فجالا فيه ثم خرجا الى القرب من القلاية ثم دخلا الصحن الحسنى الصغير ثم دخلا الى دار الأترجة وخفت من معهم من الخدم وتأخر هناك فائق وجه القصعة وقال لمن وقف بوقوفه من الخدم : ادخلوا اليهما فافرغوا من عدو مولاكم . فدخل نحو عشرة منهم بعضهم بقسي وبعضهم^(٣٢٤) بدبابيس فلما رأهم أبو الهيجاء صاح بهم وجرّد سيفه ونزع الجبة الصوف التي كانت عليه فلفها على يده وأسرع نحوهم فانجفلوا من بين يديه ودهشوا وسقط بعضهم في البركة وغشيهم فرموه ضرورة فرجع ودخل بيت ساج في بستان دار الأترجة فلما حصل في البيت خرج من كان في البركة من الخدم وصاروا الى قرب البيت وأحس بهم نخرج اليهم بسيفه فولّوا بين يديه الى جانب من الصحن وفتحوا باباً من زاوية هذا الصحن فدخل منه خمارجويه^(١) أحد أكابر الغلمان الحجرية ومعه قوس ونشاب ومعه غلامان أسودان بسيفين ودرقتين وأقبل على الخدم وقال لهم : أين هو يا أصحابنا ؟ فقالوا : هو في البيت الساج : فقال لهم : تحرشوا به حتى يخرج . فشتموه نخرج كالجل المسامج

وقال : يآل تغاب أأقتلُ بين الحيطان ! أين السكيتُ أين الدهماء ؟ فرماه
خارجويه بسهم أصابه تحت نديه واتبعة بسهم آخر فأصاب ترقوته ورماه
بسهم ثالث وقد اضطرب فشكَّ نخديه .

قال بشرى وهو الخاكي لهذه الصورة عن مشاهدة : فقد رأيتُ أبا
الهيجاء وقد ضرب السهم الذي^(٣٢٥) شكَّ نخديه فقطعةً وجذب السهم
الذي أصابه تحت نديه فانتزعه ورمى به ومضى نحو البيت فسقط قبل أن
يصل اليه على وجهه فأسرع اليه أحد الأسودين فضرب يده اليمنى
فقطعها وفيها السيف وأخذ السيف وغشيته الأسود الآخر فخرَّ رأسه
فأسرع بعض الخدم فانتزع الرأس من يد الأسود ومضى مُبادراً به

وكان الرجال لما انتهوا الى دار مونس وسمع زعقاتهم قال : ما الذى
يريدون ؟ ف قيل له : يريدون المقتدر بالله . فقال : ساموه اليهم . فلما قيل
للمقتدر « امض معهم الى الدار حتى تعود الى أمرك » خاف ان يكون
حيلة عليه فامتنع فحمل حملاً على رقاب الرجال من دار مونس الى الطيار ومن
الطيار الى درجة الصحن التسعيني فحين وضع رجله فى الدار صار الى دار
زيدان التهرمانه وقال : ما فعل أبو الهيجاء ؟ ف قيل : هو فى دار الاترجة .
فدعا بدواة فباطأ بها الغلمان ولم يزل يطالبها حتى جاءوه بها فكتب له أماناً بخطه
ودفعها الى بعض الخدم وقال : ويلك بادر به لئلا يحدث عليه حادثة . فلقى
الخدمُ الخادمَ الذى معه الرأس فماد معه فلما رآه قال له : ويحك^(٣٢٦)
ما وراءك . قال : عمر الله أمير المؤمنين . فقال : ويلك من قتله ؟
فغمره مناح الاسود فقال : لا أدرى من قتله ولا يعرف قاتله فان
اخلاط الرجال قاتلوه . قال : فانا لله . واقبل يكررها وقال : ما كان

يدخل الى في هذه الايام وأنا في دار مونس من يسلمني ويظهر لي النعم حتى كانه بعض أهلي سواء هذا الى ماله ولاهله من الحقوق . وظهر فيه من السكابة أمر عظيم

فبينما هو كذلك اذ ارتفعت ضجة فشنل عن أمر أبي الهيجاء وقال : ما هذا ؟ نجاءه خادم يمدوا وقال : محمد (يني القاهر بالله) وقد أخذ وجيء به فاحضر القاهر بالله فأجلسه بين يديه واستدناه ثم جذب به اليه وقبل جبينه وقال له : يا أخي أنت لا ذنب لك وقد علمت أنك قهرت . والقاهر بارك يقول : نفسي الله الله يا أمير المؤمنين . فلما كرر ذلك قال له : وحق رسول الله صلى الله عليه وسلم لا جرى عليك سوء مني أبداً ولا وصل أحد الى مكروهك وأنا حي ولا حرص على انصرافك الى منزلك من دار ابن طاهر في هذه الليلة فطيب نفساً ولا تجزع^(١)

وأخرج رأس نازوك ورأس أبي الهيجاء وشهرا^(٢٢٧) في الشوارع ونودي عليهم « هذا جزاء من عصى مولاه وكفر نعمته » وسكن الهبيج وعاد أبو علي ابن مقلة الى وزارته وكتب عن المقتدر بالله برجوع الخلافة اليه وتجديد البيعة له الى الولاية في النواحي .

ولما تمكن المقتدر من دار الخلافة وأقرّ أبا علي ابن مقلة على وزارته أطلق للجند البيعة أمّا للرجالة فسيت نوايب وزيادة دينار لكل راجل وأمّا الفرسان فثلاث رزق وزيادة ثلاثة دنانير لكل فارس ولما نفدت الاموال

(١) زاد صاحب التكملة : وحكي ان بدر بن الهيثم القاضي ركب اثنتي عشرة رجوع الخلافة الى المقتدر بالله وقال لابن مقلة : بين ركبتي هذه وركبة ركبها مائة سنة لاني ركبتم لتعزية بوفاة المأمون سنة ٢١٧ مع أبي وقد ركب اليوم لاثنتي عشرة بمود المقتدر سنة ٣١٧ . وتوفي بدر بعد أيام وسنه مائة واثنى عشرة سنة

في ذلك أخرج مافي الخزائن من الكسوة وغيرها فباع ذلك . ثم أطلق لهم بها العهد بالأشريّة على وكيل نصبه المقتدر وهو علي بن العباس النوبختي^(١) وأشهد على نفسه بتوكيله إياه في البيع وشرط للمبتاعين في كتب الأشريّة ان يحملوا في حق بيت المال فيما اشتروه على معاملة القطائع المعشورة ثم بيع منهم بالصلة فضل ما بين المعاملتين في املاك الرعيّة وهو فضل ما بين الاستان والقطيعة ووقعت لهم الشهادة بذلك على علي بن العباس وحسبت عليهم الضياع والاملاك بأرخص الامان .

فحكى ثابت بن سنان انه حضر مجلس^(٢٢٨) الوزير أبي علي ابن مقلّة ولم يكن له شغل غير التوقيع للجند ببيع الضياع وفضل ما بين المعاملتين بالصلة ولا كان لاصحاب الدواوين عمل غير إخراج العبر لما يباع وكان الناس مجتمعين عليه وهو يُوقّع اذ استؤذن لعلّ بن عيسى عليه فاذن له فلما رآه قام له قياماً تاماً وأجلسه معه على دسّته وأقبل عليه وترك ما كان فيه . فلما سأله عن خبره رأى الناس مُسْكِبِينَ عليه فقال له : يشتغل الوزير أيده الله بشغله . واقبل أبو علي ابن مقلّة على الناس يُوقّع لهم فلمّا ح علي بن عيسى خرجاً قد اخرج بعبرة ضياع جبريل والد بختيشوع فوجد الثمن بالاضافة الى ما اشترت نزرأ يسيراً فقال : لا اله الا الله بلغ الامر الى هذا ؟ فترك ابن مقلّة ما كان في يده وأقبل عليه فقال : حدّثني شيخنا أبو القاسم رحمه الله (يعني عيسى بن داود)^(٢) ان المتوكل على الله لما غضب على بختيشوع

(١) توفي سنة ٣٢٩ : ارشاد الاريب ٥ : ٢٢٩ (٢) أما داود فقد قال الصندي في كتابه الوافي بالوفيات : داود بن الجراح بن مهاجر حسنبس بن صبار بخت بن شهریار أبو محمد الكاتب أصله من فارس كتب للمستعين وصنف كتاب التاريخ وأخبار الكتاب وكتاب الامم السالفة جامع كبير وكتاب رسائله وهو جد الوزير أبي الحسن علي بن عيسى

المتطّيب أنفذ الى داره لاحصاء ما في خزائنه فوجد في خزانه كسوته رقعة فيها ثبت ما اشتراه من الضياع وهو بيضة عشر الاف الف درهم فقد آل أمرها الى ان تُباع بهذا القدر النزر . فعجبا جميعاً من ذلك وعاد ابن مقلة الى شغلّه وقام على بن عيسى لينصرف ^(٢٢٩) فقام له الوزير أبو علي كما قام لدخوله وفي هذه السنة خلع على أبي علي ابن مقلة وكُتِبَ الى جميع النواحي . وفيها قلد أبو عمر قضاء القضاة وكتب عهده .

وفيها اوقع القرمطي بالحاج في البيت الحرام بمكة وقتل أميرها

﴿ ذكر الخبر عن إيقاع القرمطي بالحاج وتخريبه مكة ﴾

كان منصور الديلمي بذرق بالحاج في هذه السنة فسلموا في طريقهم فلما وصلوا الى مكة ^(١) وافاهم أبو طاهر الهجري الى مكة يوم التروية فقتل الحاج في المسجد الحرام وفي خفاف مكة وفي البيت قتلاً ذريعاً . وقلع الحجر الاسود وقتل ابن مجلب ^(٢) أمير مكة وعزى البيت وقلع الباب واصعد رجلاً من أصحابه ليقلع المرازب ^(٣) فتردى الرجل على رأسه ومات وأخذ أموال الناس وطرح القتلى في بئر زمزم ودفن باقيهم في مزارعهم في المسجد الحرام وغيره من غير ان يصل عليهم وأخذ أسلاب أهل مكة وانصرف الى بلده وحمل معه الحجر الاسود

وكان للجراح بنون جماعة منهم داود وابراهيم ومحمد ومحمد وكتب منهم داود ومحمد لابراهيم بن العباس الصولى (وترجمته موجودة في ارشاد الاريب ١ : ٢٦٠) وكتب له الحسن بن محمد بن الجراح : وتوفي داود سنة ٢٩١ (١) زاد صاحب كتاب العيون : وأميرها يومئذ محمد بن اسمعيل المعروف بان مجلب . نقل هذا عن تاريخ ابن الجزار الذي وردت ترجمته في ارشاد الاريب ١ : ٨١ (٢) وفي تاريخ الاسلام في ترجمة هذه السنة هو : ابن محارب (٣) في صلة عريب ١٣٧ : الميزاب

(وفيها قلد ابن رائق ^(١) شرطة بغداد مكان نازوك ^(٢))

﴿ ودخلت سنة ثمانى عشرة وثلثمائة ^(٣٣٠) ﴾

وشغب الفرسان وتهددوا بأور عزيمة فأحضر المقتدر قوادهم
وخطبهم بجميل ووعدهم باطلاق أرزاقهم في الشهر الجديد فانصرفوا
وسكنوا . وشغب الرجال فاطلقت أرزاقهم .

وفي شوال منها خلع المقتدر على الامير هرون ابنه وركب معه الوزير
والجيش وكانت ولاية فارس وكرمان وسجستان ومكران اليه . وفي ذى
القعدة منها خلع المقتدر على ابنه الامير أبى العباس وركب معه الوزير ومونس
المظفر وجميع الجند وكان مرسوماً بولاية المغرب ومونس يخلفه عليه
وفيها صرف ابن رائق عن الشرطة وقلدها أبو بكر محمد بن يافوت
﴿ وفي هذه السنة كان هلاك الرجال المصافية ^(٣) ﴾

﴿ ذكر السبب في هلاكهم ﴾

كان قد عظم الامر في تسحب الرجال المصافية وادلوا بأنهم كانوا
السبب في رد المقتدر الى الخلافة بعد ما خلع وثقل ما لهم واحتدت مطالبهم
وكثر شغبهم وزاد تعدد يومهم وبلغ ما لهم في كل شهر من شهور الالهة مائة
وثلاثين الف دينار . فاتفق ان شغب الفرسان وطالبوا بأرزاقهم وناولتهم
الرجال فقتل منهم جماعة . واحتج ^(٣٣١) السلطان على الفرسان بأن المال

(١) وفي صلة عريب ص ١٦٠ هما ابراهيم ومحمد وكانا يلقبان بنحديجة وأم الحسين

(٢) زاد صاحب التكملة : وفيها فتح هرون بن غريب شهرزور وطالبهم بخراج عشرين

سنة عصوا فيها وصالحوه على سبعة وثلاثين الف دينار ومائتى الف درهم (٣) ليراجع

صلة عريب ص ١٤٨

منصرفاً الى الرجالة فحاربوهم حتى طردوهم من دار السلطان وركب محمد بن ياقوت فنادى فيهم الا يقيموا ببغداد وكان من وجد منهم بعد النداء قبض عليه وأودع حبس الجرائم . وهدمت دُور عرفاء الرجالة وركب في ذلك ابنُ ياقوت وجدّ النداء فيهم ثم ظفر بنفر منهم فضربوا وشهروا وقبضت أملاك الرجالة المصافية وهدمت دُورهم . ثم هاج السودان بياب عمار فركب محمد بن ياقوت والقواد الحجرية فأوقعوا بهم وضربوا الصقع بالنار . وكانت لابي العلاء سعيد بن حمدان فيهم نكاية مشهورة وهربوا متفرقين ثم اجتمع منهم جماعة من البيضان من رجالة المصافية وغيرهم فكثروا عددهم وانحدروا الى واسط ورأسوا على أنفسهم رجلا من الفرسان يعرف بنصر الساجي وطردوا عمال السلطان بواسط . فاحذر اليهم مونس وأوقع بهم بواسط وقتلهم فلم يرتفع لهم راية بعد ذلك

﴿ وفيها قبض على الوزير أبي علي ابن مقلة ﴾

﴿ ذكر السبب في القبض عليه ﴾

كان المقتدر مُتِمّاً لابن مقلة لمايالة^(٣٣٢) مونس المظفر وكان مستوحشاً من مونس يظهر له الجميل وانحرف عنه ياقوت ليل مونس اليه . واتفق ان يخرج مونس المظفر الى أوانا متنزهاً وانحدرا أبو علي ابن مقلة الى دار السلطان فتغنم المقتدر بالله فيه غيبة مونس فقبض عليه . وكان محمد بن ياقوت معادياً له فلما قبض عاياه أنفذ الى داره بالليل من أحرقها^(١)

(١) أما هذه الدار فقد قال الحافظ الذهبي في ترجمة ابن مقلة سنة ٣٢٨ . وروى الحسين ابن الحسن الوائلي وكان يخدم في دار ابن مقلة مع حاجبه ان فاكهة ابن مقلة لما ولي الوزارة الاولى كانت تشتري له في كل يوم جمعة بخمسمائة دينار وكان لابد له ان يشرب

وكان المقتدر قد عمل على ان يستوزر الحسين بن القاسم بن عبيد الله فرحل مونس من أوانا ودخل بغداد وراسل المقتدر بالله بكرهته للحسين ابن القاسم وسأله ردّ أبي علي ابن مقلة فاعتاظ المقتدر وعزم على قتل ابن مقلة وكان السفير على بن عيسى فكان يداريه الى ان سكنه وقال : ما ذنب وزيرك في شفاعته مونس له . ولم يزل به حتى انصرف عن رأيه . وكان المقتدر من محبته لان يستوزر الحسين بن القاسم استحضره وبيته عنده وخلع عليه ووعده ان يصل في غد تلك الليلة بحضرة الناس ويخلع عليه الوزارة . فلما اتصل ذلك بمونس غلظ عليه ان يتردد المقتدر بهذا التدبير ولا يشاوره فيه وقد كان طعن عليه قديماً وقال : لا يصلح للوزارة . فترددت الرسائل بينه وبين^(٣٣٣) المقتدر على لسان علي بن عيسى فاستشار المقتدر على بن عيسى

بعد الصلاة من يوم الجمعة وبسط بخ يوم السبت . وحكي انه رأى الشبكة التي كان أفرخ فيها ابن مقلة الطيور الغربية قال : فعمد الى مربع عظيم فيه بستان عظيم عدة جربان شجر بلانخل فقطع منه قطعة من زاوية كالشابورة فكان مقدار ذلك جريين بشباك ابريسم وعمل في الحائط بيوتا تأوى اليها الطيور وتفرخ فيها . ثم أطلق فيها القمارى والدباسى والنويات والشحور والزرياب والهزار والبيغ والفواخت والطيور التي من أقاصى البلاد من المصوطة ومن المليحة الريش مما لا يكسر بعضه بعضا فتوالدت ووقع بعضها على بعض وتولدت بينها أجناس . ثم عمد الى باقى الصحن فطرح فيه الطيور التي لا تطير كالطواويس والحجل والبط وعمل منطاة أقفاص فيها فاخر الطيور وجعل من خلف البستان انفرلان والنعام والابل وحمر الوحش . ولكل صحن أبواب تفتح الى الصحن الآخر فيرى من مجلسه سائر ذلك

وذكر أيضا ان محمد بن عبد الملك الهمداني قال في تاريخه ان أبا علي بن مقلة حين شرع في بناء داره التي من جعلتها البستان المعروف بالزاهر على دجلة جمع ستين منجما حتى اختاروا رقناً لبنائه (قال) فأحرقت هذه الدار بعد ستة أشهر فلم يبق فيها جدار . وراجع أيضا صلة عريب ١٥٤

فأشار بردّ أبي على ابن مقلة موافقةً لمونس وذلك بعد ان سألّه ان يتقلّدها هو فامتنع فقال المقتدر : هذا غير ممكن فاذا ذكر يسواه . فذكر سليمان بن الحسن وأشار به أو عبد الرحمن بن عيسى قال المقتدر الى سليمان لما كان قدّمه من الطعن على ابن مقلة وما ظهر من عداوته له فأمر باحضاره وانصرف الحسين بن القاسم من دار السلطان واستتر وكانت مدّة وزارة أبي على محمد ابن على بن مقلة سنتين وأربعة أشهر

﴿ ذكر ما جرى في أمر الوزارة بعد أبي على وتقلّد سليمان بن الحسن لها ﴾
أحضر سليمان بن الحسن يوم الأربعاء لاربعة عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى دار السلطان ولم يوصله المقتدر بالله اليه في ذلك اليوم وعاد من غد وهو يوم الخميس فوصل وخلع عليه وتقدّم المقتدر الى على بن عيسى بالإشراف على سائر الأمور من الأعمال والدواوين وبمعاونة سليمان والّا يترأخى في ذلك فصار يصل مع سليمان الى المقتدر ولا تقلّد سليمان أحداً ولا يصرفه ولا يعمل شيئاً الا بموافقة على بن عيسى (٣٣٤)

﴿ وفيها قبض على البريديين وصودروا ﴾

﴿ ذكر الخبر عن ذلك ﴾

حكى أبو الفرج ابن أبي هشام قال : كان أبي يكتب لإحمد بن نصر القشوري وكان أحمد يطمع أن يجعل مكان أبيه نصر ويستحجب قال : فيئنا نحن بين يدي أحمد بن نصر بالأهواز وكان يتولّى أعمال المعاوين بها اذ ورد عليه توقيع من المقتدر بالله بخطه مع ركابي يعرفه سرّاً يقول فيه : يا أحمد تد عرفت ذنبك الذي جنيتّه وحرمت به نفسك رأيي وقد تيسر لك تلافيه بامثال أمري فيما أضمنه توقيعى هذا اقبض على البريديين الثلاثة

وحصلهم في دارك وإياك أن تفرج عنهم إلا بتوقيع يرد عليك بخطي كهذا الخط الذي في هذا التوقيع وثق مني بالعود لك إذا فعلت ذلك الي ما يرفع منك ويصلح حالك ويعيد منزلتك . قال : فاقرأني أحمد بن نصر هذا التوقيع وسجد شكراً لله على ثقة المقتدر به وعبر في الوقت الى دار أبي عبد الله وأنفذ حاجبه أبا يعقوب الى دار أبي يوسف وأنفذ أحمد بن مقبل الى دار أبي الحسين فوجدوهم قد خرجوا قبل ركوبه بلحظة وركبوا طياراتهم . وكان الخبر قد سبق اليهم فاظهروا أنهم يريدون مسجد (٣٣٥) الرضا المتصل بالشاذروان بالأهواز فاتبعهم وعرف أنهم ساروا الى البصرة فقامت قيامته من ذلك

وأنفذ أبا يعقوب والنلمان وراءهم فاتفق ان عصفت الريح على البريديين فنعتهم عن السير ولحقهم الطالب فأخذوا وبذل أبو عبد الله لأبي يعقوب خمسين ألف دينار على أن يفرج عنهم فما أجابه ثم سأله ان يفرج عن أحد أخويه ويقبل منه عشرين ألف دينار فأبى وردتهم وحصلوا في دار أحمد بن نصر . ولم تمض خمسة أيام حتى ارتفعت ضجة فقال لي أحمد بن نصر : أخرج فأعرف ما سبب هذه الضجة قال : وكان سالم اليهم داره الشطية واعتزل في حجرة فخرجت مبادراً فرأني أبو عبد الله فقال : قل له وبشّره أن الفرج قد أتى وان هذا كتاب الوزير بالاطلاق وإقرارى وان انظر في الاعمال . وأعطاني الكتاب وبادت به الى أحمد بن نصر فقرأه وخرج اليه والى أخويه وقال : هذه نعمة يازني فيها الشكر والصدقة والوفاء بالنذر ولكن هذا خط أمير المؤمنين اليّ بما رسمه وأريد خطاً مثله بما ينقضه . فتغيرت وجوه الاخوة

من ذلك واضطربوا حتي ظهر على وجوههم ما في قلوبهم ثم أخذوا في
مُدَارَاتِهِ وَمَسْئَلَتِهِ الرِّفْقَ (٣٣٦)

فلما كان من الغد شَغَبَ الرَّجَالَةَ بِالْأَهْوَازِ تَعْصِبًا لَهُمْ وَقَالُوا : لَا بَدْ
من إطلاقهم. وحملوا السلاح وكان مع أحمد بن نصر طوائف من البصرية
وعده كثيرة من السودان والعلمان الحجرية فجمعهم ثم حلف بالطلاق أنه إن
هجم على داره أحدٌ منهم قتلهم وأخذ رؤس الثلاثة وحملها إلى الخليفة وقال :
هذا كتاب مُزَوَّرٌ وَالْأَفْلَمُ لَا يَقَعُ تَثْبِيتٌ وَإِنَّمَا ضَرَبْتُمْ عَلَى الرَّجَالَةَ
وراسلتموهم في حمل السلاح وأخذكم من منزلي لئلا يظهر ما زورتموه
وتعجلون الخروج والهرب. فلما رأوا المصدوقة اعتذروا ووضعوا جنوبهم
له وراسلوا الرجالة في الانصراف بعد أن حلفوا أنهم يتبرعوا بالنعصب
لهم وأقاموا بمكانهم

ووافي بعد عشرة أيام ابن موسى دابجو بتوقيع مثل ذلك التوقيع
وذلك الخط فتسلمهم وحملهم وعلم أنهم كانوا زوروا واحتالوا وتأكدت الوحشة
بينهم وبين أحمد بن نصر القشوري ولم يزالوا عليها حتى فرق بينهم الدهر
ولما ورد البريديون الحضرة نواظروا على المصادرة فقال أبو زكريا
يحيى بن سعيد السوسى وكان في الوقت عدواً لهم : بكرتُ إلى أبي جعفر
محمد بن القاسم الكرخي وقلتُ له : الأَهْوَازُ (٣٣٧) خِطْلَةُ الْقَاسِمِ أَبِيكَ
وهي دارك ودار أخيك وأنتم تتصرفون فيها منذ ستين سنة فلم
تركتموها لهؤلاء الفعلة الصنعة وهَلَّا سَمِعْتِ عَلَى سَحْقِهِمْ وَسَجْبِهِمْ حَتَّى لَا
يَبْقَى لَهُمْ جَنَاحٌ يَطِيرُونَ بِهِ ؟ فقال : يَا أَبَا زَكْرِيَا مَا الَّذِي تَقْدَرُهُ فِي
مصادرتهم التي تؤدِّيهم إلى هذه الحال ؟ فقلتُ : معظماً ثلثمائة ألف دينار

يزهق الله به نفوسهم. فقال لي: يا أخ قم بنا حتى نعبث الى دار الوزير. (وكان يومئذ أبو القاسم سليمان بن الحسن) نخرجت معه فنزلنا الطيار فلما وصلنا وتوسطنا الدار وجدنا أبا القاسم السكوذاني في جانب منها والبريديين بين يديه والكتّاب فقال لي أبو جعفر: ترى أن نقضى حقّه ونعرج عليه ونعترف الصورة من أمرهم فنبنى ما نخاطب الوزير به بحسبه؟ فقلت: صواب. فعد لنا الى أبي القاسم وجلسنا عنده فقال لأبي جعفر: قد فصلنا أمر أصحابنا وأنت وجه الحضرة وتاجها وحرثها وهم اخوتك وما أحقك بمعونتهم فقال: ان أيسر ما يكون لهم أيدهم الله مشاركتهم في الحنة فأما المعونة فما أقنع من تقسى بها فعلى كم انفصل أمرهم؟ فقال: على تسعة آلاف ألف درهم. قال أبو زكريا: ^(٣٣٨) فنظر الى أبو جعفر وقد بهت. ونهضنا فقال: يا أبا زكريا هذا خلاف ما كان عندك. فقلت: هذا الأمر يراد والله ما يملكون هذا المال فاني أعرف بمكاسبتهم ولكن لأبي عبد الله نفس أبية وهمة عالية فعرفت نفسه على سلطانه فأعطاه أكثر مما اطمع فيه ومما سعى به أعداؤه متربصاً بالأيام والأوقات ومتوقفاً للدوائر وان يسمع الخليفة التزامه هذا المال الجليل فيستكثر قدره ويرغب في تجديد الصنيعة عنده وما كل أحد يغري هذا التغير وما هذا آخر أمره وسيكون له شأن عظيم كفانا الله شره. قال أبو زكريا: وعدت منذ ذلك اليوم الى مداراته وخدمته واستصلاحه

وتقدّم المقتدر بالله الى سليمان بن الحسن وأبي الحسن علي بن عيسى بناظرة أبي علي ابن مقلّة فاختارا لذلك أحمد بن محمد بن صالح العكبري وانفذاه الى دار السلطان فناظره ولم يزد على تويخه ومواقفته على قبيح

آثاره . فالتمس أبو علي ابن مقله أن يكون المناظر له علي بن عيسى فاجتمع
الوزير سليمان وعلي بن عيسى علي مناظرته في دار الحجة بحضرة ياقوت
الحاجب فاغلظه سليمان في الخطاب^(٣٣٩) والتخطة والاختصار ونسبه الي
التضريب بين السلطان وأوليائه الي أن قرّر علي بن عيسى أمره علي مائتي
ألف دينار علي جعل يُعجل منها النصف ويودّي الباقي في نجوم المصادرات
وكانت تلك النجوم انما هي رسم لا يطالب من يؤخذ خطه بها . فكتب
مونس المظفر الي المقتدر يشفع لابن مقله ويسئله ان يعفيه من المصادرة
وأن يكون معتقلاً في يد مرشد الخادم فأجابه الي ذلك

(ودخلت سنة تسع عشرة وثلثمائة)

وفي هذه السنة استوحش مونس المظفر زيادة استيحاش .

﴿ ذكر السبب في استيحاش مونس وخروجه ﴾

كان محمد بن ياقوت منجرفاً عن سليمان ومائلاً الي الحسين بن القاسم
ومونس المظفر وأسبابه يميلون الي سليمان لمكان علي بن عيسى وثقتهم به
وينحرفون عن الحسين بن القاسم وقوى أمر محمد بن ياقوت وقلد مع
الشرطة الحسبة واستضمّ رجالاً وقويت بهم شوكتُهُ فشقّ ذلك علي مونس
وسأل المقتدر صرفه عن^(٣٤٠) الحسبة وتقليد ابن بطحاء^(١) ففعل ذلك .

(١) وأما أبو اسحق ابراهيم بن البطحاء فقد وردت في تاج العروس (٦ : ٣٧٨) رواية
من تاريخ الخطيب في ترجمة المتقي بالله : اجتمعت في أيامه اسحاقيات وانسحقت خلافة
بني العباس في زمانه وانهدمت قبة المنصور الخضراء التي كان بها فخرهم . وذلك انه كان
يكسّي أبا اسحق ووزيره القراريطي كان يكسّي كذلك وكان قاضيه أبو اسحق الحرقي
ومحتسبه أبو اسحق بن بطحاء وصاحب شرطته أبو اسحق بن أحمد بن أمير خراسان

وتقدم مونس الى أصحابه بالاجتماع اليه فلما فعل ذلك جمع ياقوت وابنه الرجل في دار السلطان وفي دار محمد بن ياقوت . وقيل لمونس ان محمد بن ياقوت قد عمل على كبس داره بالليل وما فارقه أصحابه حتي أخرجوه الى باب الشماسيّة وخرجوا معه . وصار اليه على بن عيسى فعرفه خطأ هذا الرأي وأشار عليه بأن يعود الى داره فلم يقبل منه وأقام على أمره .

وطالب بصرف محمد بن ياقوت عن الحسبة والشرطة وياقوت عن الحجبة وإبعادهما عن الحضرة فوجه المقتدر قاضي القضاة أبا عمر وابنه الحسن وابن أبي الشوارب وجماعة من شيوخ الهاشميين أصحاب المراتب الى مونس برسالة يرفق فيها ويستلّه الرجوع الى داره . فقال قاضي القضاة : الوجه ان يكتب رُقعة بما حملناه من الرسالة نرجع اليها ونثني الكلام على معانيها فانا جماعة والقول يختلف والنسيان غير مأمون . فقال الوزير : وما معنى هذا ؟ فقال على بن عيسى : هذا هو الصواب . وكتب بذلك رُقعة .

وقعد الوزير وعلى بن عيسى في دار السلطان ينتظران عود الجماعة فعادوا وذكروا انهم^(٣٤١) لم يصلوا الى مونس وانهم اجلسوا في الحديدى وراسلهم مونس في إعلامه بما وردوا فيه فذكروه له فصار اليهم كتاباً يخاطبونهم خطاباً جميلاً عنه . فبينما هم كذلك اذ هجم الجيش على الحديدى فكادوا يغرّقونه وقالوا : لا نرضى الاّ باخراج ياقوت وابنيه . وتسكّموا بكلام قبيح فراح في آخر النهار الوزير سليمان بن الحسن وعلى بن عيسى ومن

وكانت داره القديمة في دار اسحق بن ابراهيم المصعبى وكان الدار نفسها لاسحق بن كنداج ودفن في دار اسحق في تربته بالجانب الغربي

معهما من خدم الخاصة الى باب الشماسية فشافهوا مونساً بالرسالة فلم يبعد^(١)
عليهم وخرجوا من عنده فقبض عليهم عند مغيب الشمس وحبسهم في
الحديدى . فخرج ياقوت في تلك الليلة ونزل المدائن ومعه ابنه فلما كان من
غمد ذلك اليوم وعرفت المونسية ان ياقوتاً وابنيه قد خرجوا عن الحضرة
أفرجوا عن الوزير والجماعة وانصرفوا الى منازلهم

وقلّد المقتدر ياقوتاً أعمال الخراج والمعاون بفارس وكرمان وكتب الى
أبى طاهر محمد بن عبد الصمد بالانضمام اليه وانضم اليه وخاطبه بالاستاذية
وقلّد المظفر بن ياقوت أصبهان وتقلّد ابن اريق ابراهيم ومحمد مكان ياقوت
وأقام ياقوت بشيراز مدة . وكان على بن خلف^(٢) بن طناب متضمناً
أموال الضياع والخراج بها فتنظفروا وتعاقدا فقطعوا الحل عن السلطان الى ان
ملك على بن بويه الديلمى فارس يوم السبت سنة ٣٢٢

وفيهما دخلت قوافل الحاج من مكة سالمين مع مونس الورقائى
فاستبشر الناس بتمام الحج وانفتاح الطريق وضربت له القباب ببغداد
وفيهما قبض على الوزير سليمان بن الحسن^(٣)

﴿ ذكر السبب فى ذلك ﴾

كان السبب فى ذلك ان سليمان أضاق اضافة شديدة وكثرت عليه المطالبات
وبأبح واتصلت الرقاع ممن يلتمس الوزارة بالسعاية فقبض على سليمان
ابن الحسن وأبى القاسم عبيد الله بن محمد السكاوذانى فشق^(٤) من ذلك
وجزع جزعاً عظيماً وحمل الى دار السلطان . وكان المقتدر شديد الشهوة لتقليد

(١) لعله لم يبعد (٢) راجع صـ ١٦١ (٣) اعله فشق عليه والاصل

الحسين بن القاسم الوزارة فامتنع عليه مونس وأشار بتقليد السكوداني فاضطر
المقتدر الى تقليده وكانت مدة وزارة سليمان سنة واحدة وشهرين وأياماً
واستحضر المقتدر أبا القاسم عبيد الله بن محمد السكوداني من دار
مونس يوم السبت لخمس بقين من رجب وخرج اليه ^(٣٤٣) مفلح برسالة
المقتدر بأنه قد قلده وزارته ودواوينه ولم يوصله اليه وتقدم اليه بأن ينحدر
اليه يوم الاثنين ليخلع عليه . نخاف السكوداني من حيلة تمّ للحسين بن
القاسم في تقلده الوزارة لأنه بلغه ان الحسين قد جدّ بعد القبض على سليمان
وراسل مونساً المظفر وقال : لا يؤمن ان يحتجّ الخليفة في تأخر الخلع على
السكوداني بانه لم تعد له الخلع . وأشار بأن يوجه مونس بخلع من عنده الى
دار السلطان ليخلعها عليه ففعل مونس ذلك وخلع المقتدر على أبي القاسم
عبيد الله بن محمد السكوداني يوم الاثنين وخاطبه بتقليده الوزارة والدواوين
وتقدم اليه بأن يقلد الحسين بن القاسم ديواناً جليلاً ليظهر ويزول عنه
الاراجيف بالوزارة . ووصل على بن عيسى بوصول السكوداني فأمره
المقتدر بحضرة السكوداني بأن يجري على عادته في الاشراف على الامور
والحضور معه وعرفه انه قد أفردّه بالنظر في المظالم دون السكوداني فركب
السكوداني في الخلع من دار السلطان الى داره فأخذ خط سليمان بن الحسن
بمائتي ألف دينار

وقدم أبو الفتح الفضل بن جعفر ^(٣٤٤) من الشام وأبو جعفر محمد بن
القاسم بن عبيد الله من نواحي جند قنسرين والعواصم وكان أبو الفتح
منصرفاً الى ناحية قومس فأشار مونس بتقليده ديوان السواد فقلده
السكوداني مكرها وانقطعت بتقليده مواد كانت تصل الى السكوداني

وأبى الفياض من أرزاق قوم لا يحضرون وتسبيلات باسماء قوم لم يخلقوا
وما كان يسبب للعلماء والوكلاء في الدار والحاشية برسم الفقهاء والكتّاب
وما كان يستطلق لهم من الورق والقراطيس ويتنازع بينهم ما يحتاج اليه
وأشياء تشبه هذه ولم تنبسط يد السكوداني على قوم لعناية مونس
المظفر بهم.

وكان أبو بكر ابن قرابة متحققا بمفلاح الاسود فأوصله مفلاح الى المقتدر
وجعله واسطة للمرافق التي أخلق بها الخلافة. وكان ابن قرابة ذكر له ان
الوزراء كانوا يرتفقون بها وان الضمناء قد بذلوا ان يرفقوا به الخليفة ليصرفه
في مهمّ نفقاته لشدة الاضاعة. وكان ابن قرابة يظهر للمقتدر ولمفلاح
الاسود انه يمشي أمر الوزارة وان الوزراء لا يتم أمرهم من دونه وكان
يلزم دار السكوداني ويقرضه عن ^(٣٤٥) بنى البريدى وغيرهم بربح درهم في
كل دينار فاقرضه مائتي ألف دينار. شى بها أمر السكوداني وبمال المصادرات
وفيها ورد الخبر بوقعة كانت بين هرون بن غريب وبين مرداويج
بنواحي همدان وان هرون انهزم وملك مرداويج الجبل بأسره الى حلوان.
ونزل هرون بدير العاقول

وفيها قصد لشكري الديلمي أصبهان وحاربه أحمد بن كيغلف فانهزم
أحمد وملك لشكري أصبهان وهذا لشكري من أصحاب أسفار بن شيرويه
فلما قصد هرون بن غريب ابن الخلال أسفار استأمن اليه لشكري ثم لما
انهزم ابن الخلال انهزم لشكري بانضمامه الى قنشرين فلما تأهب ابن الخلال
نائياً وجيزت اليه العساكر من بغداد لحرب مرداويج أنفذ لشكري الى
نهاوند من الدينور مع جماعة من العلماني ليجل مال اليه ورسم أن يحمل المال

الى همدان و يقيم بها حتى يلحقه هناك فلما صار لشكري الى نهاوند رأى
يسار أهلها وكثرة أموالها وطمع فيهم وصادهم على نحو ثلاثة آلاف
ألف درهم واستخرجها في مدة أسبوع وأثبت جنداً ثم خرج الى الكرج
فعمل مثل ذلك ^(٣٤٦) واتصل الخبر بابن الخال فطلبه فرحل من بين يديه
وسار حتى وقع الى اصبهان والوالى عليها أبو العباس أحمد بن كيغلف
﴿ ذكر اتفاق حسن لأحمد بن كيغلف بعد هزيمته ودخول ﴾
﴿ أصحاب لشكري اصبهان ﴾

حكى أبو الحسن المافروخي أنه كان باصبهان في الوقت وان أحمد بن
كيغلف انهزم أتبعه هزيمة ثم لجأ الى بعض القرى في ثلاثين نفساً معه وراء
حصنها . ودخل أصحاب لشكري اصبهان ونزلوا في الدور والخانات
والحمامات وتأخر لشكري بنفسه عن العسكر ثم سار قليلاً ونزل عن دابته
لإهراق ماء فرأى كوكبة أنكرها وقال : ما هذه ؟ فقيل : شرذمة من
الكيغلفية . فركب في الوقت يريدوها فلما قرب منها أسرع أحمد بن كيغلف
اليه بعد أن علم أنه هو فتناوشا وكاد لشكري يستأسره فخرج أهل تلك
القرية فزعقوا به فضمفت نفس لشكري وتقارب هو وأحمد فضربه أحمد
بسيفه ضربة قد المغفر والخوذة ونزل السيف في رأسه فقتله وخر
لشكري ساقطاً فنزل أحمد اليه وحز رأسه وعرف أصحابه الخبر فطاروا
هاربين وكان فتحاً طريفاً واتفاقاً عجيباً وكانت سن أحمد بن كيغلف
^(٣٤٧) ومثد تجاوز سبعين سنة .

وفيهما صرف الكاوداني عن الوزارة وتلدها الحسين بن القاسم
﴿ ذكر السبب في تولد الحسين بن القاسم الوزارة وما تم له من الحيلة فيها ﴾

كان أبو القاسم ابن زنجي يحكي في توصل الحسين بن القاسم الى الوزارة خبراً طريفاً ويقول : كان أبو علي الحسين بن القاسم يُعرف بأبي الجمال وكان لي صديقاً يسكن الى ويستدعيني الى الموضع الذي كان مُستتراً فيه ويشاورني فالزمني بذلك حقاً وحرمة فاجتهدت في السعي له والتوصل بكل سبب وحيلة الى أن تقلد الوزارة . فكان من أنجع ما عملته أن رجلاً بمدينة السلام يُعرف بالدانيالى كان يلزمني ويبيت عندي ويخرج الى بسرّه ويحدثني أنه يظهر كتباً ينسبها الى دانيال بخط قديم ويودع تلك الكتب أسماء قوم من أرباب الدولة على حروف مُقطعة اذا جُمعت فهمت واستوى له بذلك جاء وقامت له به سوق . ووصات اليه جملة من القاضى أبي عمر وابنه أبي الحسين ووجوه الدولة وغلب على مفلح واختص به^(٣٤٨) لأنه عرفه أنه وجد في الكتب أنه من ولد جعفر بن أبي طالب بن جاز ذلك عليه ووصل اليه منه برّ كثير . فافتتح لي ان سألتُه إنبات فصل في كُتب يكتبها بشرح ما أسأله فأجابني الى ذلك فوصفت له الحسين بن القاسم واقتصرت من وصفه على ذكر قامته وآثار الجدرى في وجهه والعلامة التي في شفته العليا ويخفة الشعر هناك وانه ان وزر للثاني عشر من خلفاء بني العباس استقامت أموره كلها وعلا على أعدائه وانفتحت البلاد على يده وعمرت الدنيا في أيامه . ودفعت النسخة الى الدانيالى ووافقني على عمل دفتر يذكّر فيها أشياء ويجمل هذا الباب في تضاعيفها فسألتُه تقديم ذلك ولم أزل أطلبه حتى أعلمني أنه لا يستوي على ما يريد حتى لا يشك في قدمه وعتقه في أقل من عشرين يوماً وانه يحتاج أن يجعله في التبن أياماً ثم يجعله في الخُفّ ويمشي فيه أياماً وانه يصفر ويمتق . فلما بلغ المبلغ الذي

قدّر صار الى وهو معه وأراينه فوقفتُ على الفصل ورأيتُ دفترًا لولا ما عرفتُه من الأصل فيه لحلفتُ على أنه قديم^(٣٤٩) لا شك فيه . ومضى بذلك الى مفليح فقرأه عليه في جملة أشياء قرأها فقال له مفليح : أعد على هذا الفصل . فأعاده ومضى مفليح الى المقتدر بالله فذكر له ذلك فطلب الدفتر منه فأحضره اياه فقال له : من تعرف بهذه الصفة ؟ وأقبل المقتدر يكررها فذكر مفليح أنه لا يعرف أحداً بها وحرص المقتدر على أن يعرف انساناً يوافق هذه الصفة صفته فقال مفليح : استأعرف بهذه الصفة إلا الحسين بن القاسم الذي يقال له أبو الجمال . فقال له المقتدر : ان جاءك صاحب له برقعة نخذها منه وان حملك رسالة فمرّ فيها واكتب مايجرى في أمره ولا تعلم أحداً به . وخرج مفليح الى الدانيالى فقال له : هل تعرف أحداً بهذه الصفة ؟ فأنكر ان يعرف ذلك وقال : انما قرأت ما وجدته في كتب دانيال ولا علم لي بغير ذلك .

وانصرف الى فحدثني بهذا الحديث فقمْتُ من فوري الى الحسين بن القاسم فاعدته عليه فسر به غاية السرور وابتهج نهاية الابتهاج وظهر في وجهه استبشارٌ عظيم وقال لي : اعلم ان أبا بشر الكاتب^(٣٥٠) كان أمس عند مفليح برسالة لي اليه فانصرف كاسف البال ظاهر الانخزال مغموماً بما شاهدته من اعراضه عنه فغمي ذلك . فقلت : الآن يتبين لنا صدق الدانيالى من كذبه ابعث بأبي بشر في غد الى مفليح برسالة منك فانه سيتبين له فيما يعامله به صحة ما حكاه من بطلانه . فدعا أبا بشر النصراني كاتبه وحمله اليه رسالة ووكد عليه في البكور اليه فلما كان من غد آخر النهار مضيت اليه اتعرفُ خبره وما جرى فدعا أبا بشر وقال له : اعد عليه خبرك . فأعلمني

انه دخل اليه وفي مجلسه جماعة فرفعه عليهم فاجاسه الى جانبه وأقبل عليه
يحدثه ثم استدناه وسأله سرّاً عن خبر الحسين بن القاسم واستمع رسالته وقال
« تقرأ عليه سلامي وتعرفه تكفلي بأمره وقيامي به » وكلاما في هذا المعنى
وان ينفذ اليه رُقعة ليوصلها وينوب معه . قال لي أبو بشر : وانصرفت
وأنا في نهاية قوة النفس والثقة بالله عز وجل وبتمام ما يسفر فيه . فاعلمتُ
الحسين ان الرجل قد صدق فيما ذكره وقد بان لنا أثره .

قال : ^(٣٥١) ثم ان الدانيالى طالبني بالمسكافاة فطيتُ نفسه واستمهلتُه
الى ان تقلد الحسين الوزارة فاذا كرتة حق الرجل فقلده الحسبة ببغداد وأجرى
له مائة دينار في كل شهر واختصّ به وكان يحضر مجلسه فيجلسه الى جانب
مِسْوَرته ثم مضت أيام فقال : لا يقنعني ما أجرى لي . وسأل زيادة
فكلمتُ الحسين بن القاسم في أمره فأجرى له مائة دينار أخرى تسبب
برسم الفقهاء . وكان ما ذكرته من حديث الدانيالى من أوكد الاسباب
في تقليد الحسين الوزارة مع كثرة الكارهين له والمعارضين في أمره .

وانضاف الى هذا الخبر الذي أخبر به أبو القاسم ابن زنجي ان
الكاوذاًنى عمل عملاً لما يحتاج اليه من مُهم النفقات وأخذ خط صاحبي
ديوان الجيش والنفقات باعمال آخر مفردة عملوها لما يحتاج اليه بزيادة مائتي
الف دينار على ما عمل هو حتى تبين للمقتدر بالله وقوع الاحتياط منه فيما
عمل واقتصر عليه فكان العجز سبعمائة الف دينار وعرض ذلك على المقتدر
وقال له : ليس لي معولٌ الا على ما يطلقه أمير المؤمنين ^(٣٥٢) لا تقهقه .

فعظم ذلك على المقتدر فلما بانغ الحسين بن القاسم خبر العمل الذي عمله
الكاوذاًنى كتب رُقعة الى المقتدر يضمن فيها القيام بجميع النفقات من غير

ان يطالب منه شيئا وانه يستخرج سوى ذلك الف الف دينار يكون في بيت مال الخاصة . فانفذ المقتدر رُقعته الى الكلوذاني وقال : هذه رُقعة فلان ولست اسومك الاستظهار بالمال وما أريد منك الا القيام بالنفقات فقط . فقال الكلوذاني : قد يجوز ان يتم لهذا الرجل ما لم يتم لي . وسأله تقليد من ضمن هذا الضمان فاعفاه من الامر . فلما وقف المقتدر على تبليح الكلوذاني وحصل في نفسه ما بذله الحسين بن القاسم عمل على ان يستوزره وعلم شدة كراهية مونس المظفر لذلك فراسله على يد مفلح بأن يجتهد في إصلاح أعدائه . فابتدأ الحسين بنى زائق فكان يمضي بنفسه الى كاتبهم ابراهيم النصراني ويضمن لهم الضمانات حتى صالحوه له ثم فعل ذلك بأبي نصر الوليد بن جابر كاتب شفيع ثم فعل مثله باصطق بن يعقوب كاتب مونس وقال له : ان تقلدت الوزارة فانت قلدتنها . فأشار عليه بملازمة ^(٣٥٣) أبي علي يحيى بن عبد الله الطبري كاتب يلبق ففعل ذلك وكان يلبق قد سمع انه متهم في دينه شرير فجمع أبو علي الطبري بينه وبين يلبق حتى حلف له الحسين بكل يمين يحلف مسلم ومعهده انه مكذوب عليه في كل ما يطعن به عليه في ديارته أولا ثم في عداوته لمونس وخاصة وأصحابه لا ينوى لاحد من الناس سوا ولا يأخذ الاموال الا من بقايا صحيحة على تجار ملا كسروا مال السلطان من أثمان الغلات ومن ضُمنا قد ربحوا ربحاً عظيماً . وضمن الحسين ليلبق ضياعاً جليلاً كذلك لكتابه فسمى له يلبق وسأل مونساً في أمره وسأل مونس المقتدر فتقررت الوزارة له وبلغ ذلك الكلوذاني فواصل الاستعفاء .

واتفق ان دخل خمسمائة فارس كانوا مقيمين بالجبل في ماء الكوفة

وحلوان وهذه نواح لم يتغلب عليها مرداويج وكانت أرزاقهم قد تأخرت فطالبوا الكلوذاني وأمرهم الكلوذاني بالرجوع لينفق فيهم هناك فلم يسمعوا ورجعوا بالآجر وهو منصرف في طياره . فجعل ذلك حجة وأغلق بابه وحلف على انه لا ينظر في أعمال^(٣٥٤) الوزارة فكانت مدة وزارته شهرين وثلاثة أيام .

وكتب المقتدر الى الحسين بن القاسم توقيماً بتقليد الوزارة وركب اليه وجوه الكتاب والعمال والقواد وبلغ ذلك أبا الفتح الفضل بن جعفر فصار اليه مع قاضي القضاة أبي عمر محمد بن يوسف وابنه والقاضي ابن أبي الشوارب^(١) وكتب عن المقتدر بخبر تقليده الوزارة الى خراسان وجميع النواحي والأطراف وكان تقلده للوزارة يوم الجمعة ليلتين بقيتا من شهر رمضان . فعزل عن الجلوس للتمنيّة وتشاغل بالنظر في أمر المال وما يحتاج اليه في ثقة العبيد ولزمه الفضل بن جعفر وهشام بن عبد الله لانهما كانا يتوليان ديوان المشرق وزمامة وديوان بيت المال وأخذ خطوط عدة من العمال والضمان بسبعين ألف دينار . وصار اليه علي بن عيسى آخر النهار فهناؤه وقد كان الحسين شرط لنفسه الا ينظر علي بن عيسى في شيء من الامور ولا يجلس للمظالم فأجيب الى ذلك .

وتبسط كاتب بني رائق وكل من كان سمي له في الوزارة في طلب الأموال حتى قبضوا على شذاة وردت من الأهواز^(٣٥٥) فيها مال الأهواز واصبهان وفارس فكتب الحسين الوزير الى المقتدر يشكو هذه

(١) هو أبو محمد الحسن بن عبد الله بن أبي الشوارب كذا في تاريخ الاسلام في ترجمة سنة

الحال فلم يُنكر كلَّ الإنكار فوقم الاتفاق بين الحسين وبين ابني رائق على أن يأخذوا من المال النصفَ ويفرجوا عن الباقي ففعلوا ذلك وكانت دِمْنَة جارية المقتدر حظيَّةً عنده وكانت تُوصِل رِقَاع الحسين الى مولاهما وتقوم بأمره فحمل اليها جملة عظيمة من المال وبعث الى ابنها وهو الأمير أبو أحمد اسحق أيضاً جملة ^(١) واستأذن المقتدر أن يستكتب له أبنه القاسم بن الحسين فأذن له في ذلك وضمن لِدِمْنَة أن تحمِل الى ابنها في كلَّ يوم مائة دينار وتدفع عن صرفه

واختصَّ به بنو البريدى وأبو بكر ابن قرابة وقدَّم له جملة من المال عن الضمَّاء برمح درهم في كلَّ دينار علي رسمه . واختصَّ به من القوَّاد جعفر بن ورقاء وأبو عبد الله محمد بن خاف النيرمانى وقلدهُ أعمال الحرب والخراج والضيايع بمُحْلوَان ومرج القلعة وماء الكوفة والبسةُ القباء والسيف والمنطقة وتسمى بالأُمارة وخوطب بها وضمن أن يجمع الرجال ويفتح أعمال كُور ^(٢٥٦) المشرق وينزعها من يد مرداويج وكان قد احتجج بأموال السلطان من بقايا ضمان كانت عليه في أيام سليمان بن الحسن لأعمال الضيايع والخراج الخاصة والعامة وكانت جملة عظيمة . وكان تقلد كرمَان في بعض الأوقات واستخرج من مالها شيئاً كثيراً فحملها وانصرف فكتب صارفهُ أنه ما اتفق منها درهماً واحداً وافقت له أشياء تجرى هذا الجرى . وتجرَّد الحسين بن القاسم لالخراج على بن عيسى وأخيه عبد الرحمن الى مصر والشام فراسل المقتدر على بن عيسى في ذلك ودفع عنه مونس

(١) قال صاحب التكملة أنه كان يخدمها ويخدم ابنها في كل يوم مائة دينار . وابنها هو والد الخليفة القادر بالله

المُظَفَّرُ وقال : هذا شيخٌ يُرجَعُ الى رأيه ويُعتَضَدُ بمكانه . الى آن تقرر أمره علي أن يخرج الى الصافية فخرج^(١) وابتدأ مونس في الاستيحاء والتسكير في يوم السبت لثلاث خلون من ذي الحجة

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كان السبب في ذلك ما بلغه من اجتماع الوزير الحسين بن القاسم مع جماعة من القواد على التدبير عليه . وبلغ الحسين تنكر مونس له وأنه عزم على كبسه بجماعة من خواصه في الليل للقبض عليه^(٣٥٧) فتنقل في مدة عشرة أيام في نحو عشرة مواضع وكان لا يُعرَف له دار ولا موضع يلقاه فيه أحد وكان لا تلقاه أصحاب الدواوين الا اذا طلبهم ثم ختم الأمر بأن أقام في دار الخليفة . وراسل مونس المظفر المقتدر بالله في صرف الحسين بن القاسم عن الوزارة فأجابه الى صرفه والتقدم اليه بلزوم منزله فلم يقنع مونس بذلك وطالب بالقبض عليه وتفيه الى عُمان فامتنع المقتدر من ذلك وترددت بينهما فيه رسائل . وأوقع الحسين بن القاسم للمقتدر أن مونساً قد عمل على أخذ الأمير أبي العباس من داره بالخُرَّم والخروج به الى مصر والشام ليعقده له الأمر في الخلافة هناك وأشار برَد الأمير أبي العباس الى داره من دار الخلافة ففعل المقتدر ذلك . ووقف الأمير أبو العباس على ما فعله الحسين ابن القاسم فخقه عليه في نفسه الى أن أفضت اليه الخلافة فانزل به من المكروه ما سنشرحه في موضعه ان شاء الله

وكتب الحسين بن القاسم الى هرون بن غريب وهو بدير العاقول

(١) وفي صلة غريب ص ١٦٥ انه أخرج الى دبرقنا

بعد هزيمته من بين يدي مرداويج بالمبادرة الى الحضرة فزادت وحشة
مونس بهذه الاحوال وصحَّ عنده أن الحسين بن القاسم^(٣٥٨) في تدبير
عليه فخرج من داره لحس خلون من المحرم وجلس في حديدى وامتدَّ الى
باب الشماسية وخرج أكثر رجاله وضربوا مضاربهم هناك . وكتب
مونس الى المقتدر بأن مفلحاً الاسود مطابقاً للحسين بن القاسم في التدبير
عليه وان نفسه لا تسكن الا بانفاذ مفلح اليه ليُقَادَهُ اجلّ الاعمال ويخرج
فكتب المقتدر بأن مفلحاً خادماً يثق به في خدمته وانه ليس ممن يُدخل
نفسه فيما ظنَّ به . وبلغ مونس أن الحسين قد جمع الرجال والغلمان الحجريّة
في دار السلطان وانه قد ابتدأ بالنفقة فيهم وان هرون بن غريب قد قرّب
من بغداد فأظهر الغضب وسار الى الموصل . ووجهه يُشرى خادمه
ليؤدى رسالة الى المقتدر فلما حصل بشرى في دار السلطان بحضرة الحسين
ابن القاسم قال له الحسين : هات الرُقعة التي معك . فقال له : ليس معي
رُقعة وانما معي رسالة . قال : فتذكرها . فقال : قد أمرتُ الا أذكرها الا
للخليفة . فوجه الحسين الى المقتدر بالله وعرفه ذلك فوجه المقتدر الى
بشرى يأمره أن يؤدى الرسالة الى الحسين فقال بشرى : حتى أمضى
واستأذن صاحبي^(٣٥٩) في ذلك واعدود . فشتّم الحسين وشم صاحبه
وأمر به فقبض عليه وضربه بالمقارع وقال : لا أرفع عنك الضرب أو
تكتب خطك بثأمة ألف دينار . فكتب وأمر به الى الحبس ثم وجه
للوقت الى داره وقبض على أمراته وصادرها وحمل ما فيها . ولما بلغ مونس
ما جرى على خادمه بشرى امتدَّ واصعد ومعه من كان برسمه من قوادِه
وأصحابه وكتب الحسين بن القاسم الى من كان معه من القواد والغلمان

بالانصراف عنه والمصير الى باب السلطان فانصرف عنه جماعة منهم^(١) ومضى مونس في خواصه وغلمانه مسرعاً الى الموصل . ووقع الحسين بقبض أملاك مونس وضياعه وضياع أسبابه وأفرد لها ديواناً سماه ديوان الخالفين وردّه الى محمد بن جني

وزاد محلّ الحسين بن القاسم عند المقتدر وأنفذ اليه طعاماً من بين يديه وأمر بأن يكتنّى ويلقب عميد الدولة وان يضرب لقبه على الدنانير والدرهم ففعل ذلك وخلع عليه يوم الاثنين لاربع بقين من المحرم وانشأ في ذلك كتاباً نفذ الى جميع الاعمال والاطراف . وصرف قوماً وقلد قوماً فكان فيمن قلّد^(٣٦٠) أبو يوسف يعقوب بن محمد البريدى وذلك بمسئلته فقلده أعمال البصرة من الخراج والضياع والمراكب وسائر وجوه الجبايات بها فضمنه ذلك بمقدار نفقات البصرة وفضل له بعده ثلاثون ألف دينار وقع بتسببها على مال الاهواز . فلما وقف أبو الفتح الفضل بن جعفر على ذلك استعظم الايني ارتفاع البصرة بنفقاتها حتى يحتاج الى ان يسبب على غيرها وتقدم باخراج الجماعات والحسابات اليه وتقدم الى كل واحد من أصحاب المجالس ان يخرج اليه ما عنده من ارتفاع البصرة لثلاث سنين وأخرجت الجماعات اليه وهو ينظر فيها وفي أعمال كتاب المجالس ويضيف من عمل الى عمل ويعمل بيده من صلاة الغداة الى بعد العتمة الى ان انتظم العمل على ما أراد . ثم احضر أبا يوسف البريدى وواقفه عليه ولم يتهيأ له انكار شيء مما أخرجته فاعطاه خطّه بالقيام بجميع ما يجب للاولياء وان يثبت لحفظ

(١) وفي صلة عريب ص ١٦٧ كان ممن رجع عنه أبو دلف القاسم بن دلف ومحمد

السور الف رجل زيادة على رسم من يحفظه ومن ينضم اليه وسائر النفقات
الراتبة ويحمل اليه بعد ذلك كله ستين الف دينار الى بيت المال^(٣٦١) بالحضرة.
فصار الفضل بن جعفر بالخط الى الوزير الحسين بن القاسم متبججا به
وعرضه عليه وعرفه ما جرى بينه وبين ابن البريدى حتى تقرر على
ما كتب به خطه.

فلم يقع ذلك من الحسين بن القاسم الموقع الذى قدره الفضل وتبين
منه تكره له وطنه انه كالتوبيخ والتقريع وكالزيادة على عمله فلما تبين
الفضل الصورة راسل المقتدر بما فعله فوق ذلك عنده احسن موقع وشاع
ما عمله فى الدواوين وتناقلته الرؤساء والكتّاب بينهم . واتصل ذلك بالحسين
فعلظ عليه وأراد ان يضع منه فواقف ابن جبير على مهارته فى المجلس
والنض من قعمل ابن جبير ذلك حتى تكلم بما لم تجر العادة بمثله والحسين
ممسك عن الجميع لا يكف أحدهما عن الآخر فلما تبين أبو الفتح ذلك
وعرف الغرض نهض عن المجلس وقال : ليس المسكلم لى أنت بل المسكلم
غيرك . فلما ولى خارجا عرف الحسين الخطأ فيما جرى فقال لابی عبد الله
زنجى : ان أبا الفتح صديقك وهو يطعمك وما أحب ان يخرج على هذه
الجملة فأحب ان تلحقه وترضيه وترده . فبادر اليه أبو عبد الله وما زال
يرفق به حتى^(٣٦٢) رده واعتذر اليه الحسين من خطاب ابن جبير له .
وانصرف وهو مستوحش واستتر عند أبى بكر ابن قرابة وبقي ديوانه
شاغرا الى ان يئس الحسين من ظهوره فقلد أبا القاسم الكلوزانى الديوان
ولم يزل أبو الفتح يسمي له فى طلب الوزارة حتى تم له كما سند كره .

ولما لم^(١) يعدد مونس الى بغداد وجه الحسين الى ابن مقلة فصادره وكان معتقلا فاعطى خطه بمائتي الف دينار وأنفذ الى علي بن عيسى وهو بالصافية يستحضره وأطعم المقتدر من جهته في مائتي الف دينار فلما وصل الرسول الى الصافية وجد بها هرون بن غريب وكان هرون شديد العناية بعلي بن عيسى فمنعه من حمله وقال : انا اخاطب أمير المؤمنين في أمره . فلما وقف الحسين على عناية هرون بعلي بن عيسى أمسك عنه .

ولما وصل هرون بن غريب الى دار السلطان وصل اليه في خلوة وانصرف الى داره فقصدته الوزير وابنا رائق ومحمد بن ياقوت ومفلح وشفيع وعظم أمره . فخاطب المقتدر في أمر علي بن عيسى فأعفاه من المصادرة وخاطبه في أمر أبي علي ابن مقلة فخط من مصادره خمسين ألف دينار وأمر بحمله اليه . ثم لم يستصوب ذلك^(٢٦٣) وخاف ان يكتب مونساً أو يرأسله فسأل ابن مقلة هرون ان يعاود الخطاب في بابه ويستحلفه بإيمان مغلظة الا يكتب ولا يرسل مونساً ولا أحداً من أسبابه ففعل ذلك وحمل اليه قال : فخذنا أبو علي ابن مقلة في وزارته للراضى انه أخذ في استباحة الناس وأدى المال كله بما وصل اليه من المال من الجهات وفضل له عشرون ألف دينار وانه اشترى بها ضياعاً باسم عبد الله بن علي النفرى^(٢) ووقفها على الطالبيين .

وكتب الحسين الى ياقوت بالقبض على الخصبي وحمله وكان بشيراز فبادر خليفة علي بن محمد بن روح بالخبر اليه فخرج من يومه من شيراز مستتراً حتى وافى بغداد واستتر عند أبي بكر ابن قرابة وكان الفضل بن

(١) بالأصل ولما يعد (٢) وفي التكملة «المقرى»

(٢٢٦) (سنة ٣١٩ هجرية) (٣٦٤ و ٣٦٥) ثمرة الأصل

جعفر مستترا عنده أيضا فلم يعلم أحدهما خبر صاحبه وقدم محمد بن ياقوت من الاهواز . وقُبض على محمد بن المعتضد بالله وعلى أبي أحمد ابن المكتفي بالله وحذرا الى دار السلطان واعتقلا فيها ولم تقصر السيّدة في التوسّعة على محمد بن المعتضد وفي اكرامه وأهدت اليه عدّة من الجوارى .

وابتداً أمر الحسين الوزير بالاضطراب ^(٣٦٤)

(ذكر السبب في ذلك)

اشتدت الاضائة فباع الحسين من الضياع نحو خمسمائة ألف دينار واستسلف من مال سنة ٣٢٠ شطره قبل افتتاحها بشهور ولم يبق له وجه حيلة ليّتام نفقات سنة ٣١٩ الخراجيّة . وعرف هرون بن غريب ذلك فصدق المقتدر عنه فعزم على تقييد الخصيبي الوزارة وكتب له أمانا فظهر نفوطب في تقلد الوزارة فذكر انه لم يبق للسلطان في النواحي من مال سنة ١٩ ثيء وقد بقي منها نحو ثلاثة أشهر وان الحسين قد استسلف من مال سنة ٢٠ قطعةً وافرةً وانه لا يفرّ السلطان من نفسه . فاشار عليه هرون ان يتقلّد أزمّة الدواوين من قبل المقتدر وتسكون دواوين الاصول في يد الحسين ليضبط الاموال مُستأنفاً فرضى الحسين بذلك وتقلّد الخصيبي دواوين الازمّة وأجرى عليه وعلى كتابه الفى وسبعمائة دينار في كل شهر وخلع المقتدر على الحسين ليزول عنه الارجاف

ثم ان الحسين بن القاسم عمل أعمالاً أخذ فيها ^(٣٦٥) خطوط أصحاب الدواوين الاصول والازمّة بصحّتها وفيها ارتفاع الاموال من النواحي وما يُرجى حصوله منها . وقدّر النفقات تقديرًا مُتقاربالارتفاع فسكن بذلك قلب المقتدر فسألم المقتدر ذلك العمل الى الخصيبي وأمره بتتبّعه فوجد

الخصيبي الحسين بن القاسم قد احتال بان أضاف الى ما يقدر حصوله من النواحي أموال نواحٍ قد خرجت عن يد السلطان بتغلب من تغلب عليها مثل الديلم على أعمال الري والجليل ومونس على أعمال الموصل وديار ربيعة وما لم يُحمل من ديار مُضروم ومن مصر والشام منذ أربع سنين وذلك جملة عظيمة وأسقط من النفقات الزيادات التي زادها هو للجند والحاشية وغيرهم ولم يُسقط من الاموال التي يقدر حصولها من النواحي ارتفاع ما باع من الضياع فعمل الخصيبي عملاً عرضهُ على المقتدر فامر المقتدر ان يواقف عليه الوزير فاجتمع الكتاب وأمره المقتدر بمناظرتهم . فلما خاطبوه أخذ في التشنيع عليهم وانهم سعوا به وقال : في أي شيء غالطت السلطان ؟ أليس هذه خطوط الضمائم ؟ فقالوا : معاذ الله ان يقول ^(٣٦٦) أحد في الوزير ذلك ولكن العمل أخرج بما اضطر الوزير أيده الله الى التسبب به على مال سنة ٣٢٠ من الاموال المستحقة في سنة ١٩ وقد رفع الضمائم الى ديوان الزمام أعمالاً لما أطلقوه من مال سنة ٢٠ وما كانوا ضمنوا اطلاقه من مال هذه التسببيات عند ادراك الغلات ولهذا احضرنا . فقال الحسين : أفتعلم كم مبالغه ؟ فقال : نعم . واحضر عملاً كان عمله بمبلغ ذلك فوجد ان الذي سبب على مال السواد والاهواز وفارس لسنة ٣٢٠ قبل افتتاحها بشهور أربعون ألف ألف درهم وان الذي يبقى الى آخر سنة ٢٠ على الضمائم الى افتتاح سنة ٣٢١ عشرون ألف ألف درهم . وقد كان قيل في العمل ان هذا ما لم يجر به في قديم الدهر ولا حديثه رسم بمثله .

فلما وقف الحسين على ذلك استعظمه وأراد ان يقطع المجلس بالمشاغبة وقال : يكتب في الاعمال التي عملت ما لم يعمل أحد من الوزراء قط ثم

يُعرض عليّ . فقال هشام : هذا غلط كتب علي سبيل السهو وليس مما يزيد في المال ولا ينقص منه . وضرب علي تلك الحكاية وقال : انما احضرنا لنتنظر في أمر المال^(٣٦٧) ونصدق الوزير عنه . فعدل الى الخصيبي يهاتره فترك الحجة فنهض الخصيبي عن المجلس لما ظهرت الحجة على الحسين وصار مع الضملاء ومع أبي جعفر ابن شيرزاد الى هرون بن غريب فشرحواله ما جرى . وأعيد المجلس كهيئته الى المقتدر ثم شاقه الخصيبي بمثله الحسين بحضرة المقتدر فانحل أمر الحسين وقُبض عليه فكانت وزارته سبعة أشهر

(١) وزارة أبي الفتح الفضل بن جعفر

واستوزر أبو الفتح الفضل بن جعفر وخلع عليه يوم الاثنين لليائتين بقيتا في شهر ربيع الآخر فركب في الخلع وركب معه القواد وخواص المقتدر . وسام المقتدر الحسين بن القاسم الى الوزير أبي الفتح الفضل بن جعفر فاجل عشرته وقرر أمره على أربعين ألف دينار فلما أداها استأذن الوزير أبو الفتح المقتدر في تقليده الاشراف على مصر والشام فأذن له في ذلك . ثم ظهر انه أراد ان ينقُب الموضع الذي كان فيه وقال الخصيبي : هذا رجل في جنبه لاسطان مال عظيم وليس يصلح ان يخرج وان يدبر شيأ من الاعمال . فتأخر أمره وصودر أيضا ثم تسلمه الوزير فبقى عنده مدة ثم أبعده الى البصرة وأقام له في كل شهر خمسة آلاف درهم

وفي هذه السنة حضر من ناظر عن مرداويج بن زيار والشمس^(٣٦٨) ان يُقاطع عن الاعمال التي غلب عليها من أعمال المشرق وتكفل هرون بن غريب بأمره فقرره على ان يسلم الى السلطان أعمال ماه الكوفة وهمذان

وَيُقَالُ بَاقِي الْأَعْمَالِ وَيَحْمِلُ عَنْهَا مَالًا وَكُتِبَ لَهُ الْعَهْدُ وَأَنْقَضَ إِلَيْهِ الْأَوَاءُ وَمَعَهُ يَخْلَعُ

ثُمَّ إِنَّ الْمُقْتَدِرَ هَمَّ بِتَقْلِيدِ أَبِي عَلِيٍّ ابْنِ مَقْلَةَ الْوِزَارَةِ وَبَلَغَ ذَلِكَ هَرُونَ بْنُ غَرِيبٍ فَفَكَرَهُ ذَلِكَ لَيْسَ أَبِي عَلِيٍّ إِلَى مَوْنَسٍ فَاجْتَمَعَ مَعَ الْوَزِيرِ أَبِي الْفَتْحِ وَأُلْزِمَا . أَبَا عَبْدِ اللَّهِ الْبَرِيدِي مِائَةَ أَلْفٍ دِينَارٍ وَسَلَّمَا ابْنَ مَقْلَةَ إِلَيْهِ فَحَسَى أَمْرُ الْوَزِيرِ أَبِي الْفَتْحِ وَحَمَلَ ابْنُ مَقْلَةَ إِلَى شِيرَازٍ مَعَ رَشِيقِ الْأَيْسَرِ

وَفِيهَا مَاتَ أَبُو عَمْرِو الْقَاضِي فَاغْرَى أَبُو بَكْرُ ابْنَ قِرَابَةَ بِدَعْوَتِهِ أَغْرَاءَ شَدِيدًا وَقَالَ لِلْمُقْتَدِرِ : يَنْبَغِي لِابْنِهِ أَنْ يَحْمِلَ مِائَةَ أَلْفٍ دِينَارًا فَآتَاهُ مِنْ وَرَائِهَا وَالْأَخْضَرُ مَنْ يَتَقَلَّدُ قَضَاءَ الْقُضَاةِ وَبُوفِرَ هَذَا الْمَالُ مِنْ جَيْبِهِ . فَرَسَمَ الْمُقْتَدِرُ لِهَرُونَ بْنِ الْخَالِ أَنْ يَنْفِذَ كَاتِبَهُ وَلِلْوَزِيرِ أَنْ يَضُمَّ اللَّهُ ثَقَّتَهُ حَتَّى يَصِيرَا مَعَ ابْنِ قِرَابَةَ إِلَى أَبِي الْحُسَيْنِ ابْنِ أَبِي عُمَرَ وَيَخَاطِبَهُ بِحَضْرَتِهِمَا . فَحَضَى أَبُو بَكْرُ ابْنَ قِرَابَةَ وَمَعَهُ أَبُو جَعْفَرُ ابْنُ شِيرَازٍ وَأَبُو عَلِيٍّ أَحْمَدُ بْنُ نَصْرِ الْبَازِيَارِ فَلَمَّا حَصَلُوا عِنْدَ أَبِي الْحُسَيْنِ الْقَاضِي وَجَدُوا عِنْدَهُ مَالًا مِنَ النَّاسِ مُعَزِّينَ لَهُ فَعَزَّوهُ وَجَلَسُوا وَأَمْسَكُوا ^(٣٦٩) كَمَا يَحْسُنُ أَنْ يَعْمَلَ فِي الْمَصَائِبِ فَقَالَ ابْنُ قِرَابَةَ : مَا لِهَذَا حَضَرْنَا قُمْ يَا أبا الْحُسَيْنِ مَعَنَا حَتَّى نَخْلُو . فَهَضَّ وَاسْتَوْفَى عَلَيْهِ ابْنُ قِرَابَةَ اسْتِيفَاءً شَدِيدًا فَقَالَ أَبُو الْحُسَيْنِ : إِنْ نَعَمْتُ وَنَعِمَ وَالَّذِي مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُقْتَدِرُ وَلَسْتُ أُدْخِرُ دُونَهُ شَيْئًا . وَسَأَلَ أَنْ يَمْلَأَ يَوْمَهُ حَتَّى يُحْصَلَ أَمْرُهُ وَيَبْكُرَ فَيَصْدُقُ عَنْهُ وَكَانَ شَهْرُ رَمَضَانَ فَلَمَّا جَنَّ اللَّيْلُ قَصَدَ أَبُو بَكْرُ ابْنَ قِرَابَةَ وَقَتَ الْإِفْطَارِ فَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ وَدَخَلَ وَالْمِائَةُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَدَعَاهُ إِلَى الْإِفْطَارِ فَغَسَلَ يَدَيْهِ وَسَمَّى وَأَكَلَ وَمَصِيبَتُهُ طَرِيقَةٌ وَأَمَّا

ليوممه ولكنه ليستكفي شره^(١) فلما انقضى الإفطار قال له : يا سيدي قد
جئتك مُستسلماً اليك فدبرني بما تراه . فقال له : قم فامض بسلام وما بك
حاجة الى أن توصيني ولا تفكر في أمرك فاني أفصله وأعمل فيه
مايرضيك . وكان على مائدة أبي بكر ابن قرابة أبو عبد الله وأبو يوسف
أبنا البريدي فلما فرغوا من الأكل قرّب البريديان من القاضي أبي الحسين
كالمتوجعين له ووصفا مشاركتهم اياه واستصوبا قصده أبا بكر وإفطاره
معه وقالاه : أنت مقبل . وعرض عليه أبو يوسف ثلاثة آلاف دينار
وقال : ان احتجت اليها فخذها وافقد نفسك وان أوجبت الصورة أن
تستتر^(٣٧٠) فانفقها في استتارك فلم ينفد حتى يأتيك الفرج . ولم يحتج أبو
الحسين الى الاستتار وتعطف عليه المقتدر بالله وعاونه البريديون واخوانه
أحسن معاونة فقلده قضاء القضاة فقويت نفسه ومشى أمره

ثم ان المقتدر وصف لابن قرابة الاضاقه فقال له : يا أمير المؤمنين لِمَ
لا يُعاونك هرون بن الخال وعنده آراج مملوءة مالا . فاعاد المقتدر ذلك
على ابن الخال فقال . يا أمير المؤمنين ان كنت أملك ما قال فلست أبخل
عليك به لاني أسلم بسلامتك وفي جيشك أنفقه واليك معاده وابن
قرابة معه من المال مالا يحتاج أبداً اليه وأنا استخرج لك منه خمسمائة ألف
دينار وليس بينه وبين أمير المؤمنين الذي يجمعني وياه فلم يُترك عليه وأنا
أودّيها من ماله اليك . فقال له : اذهب فتسلمه . فقبض عليه وجري عليه
من المكروه ما اشفى به على التلف حتى قتل المقتدر بالله فتخلص ولا عجب
من أمر الله

(١) وفي التكملة : فأكل قاصداً لاستكفاء شره .

وكان قد وقع الوزير أبو الفتح بأن يعمل لابن قرابة عمل بما صار اليه من الربح في الاموال التي قدّمها عن الضمّاء وبقايا مصادره في أيام عبد الله الخاقاني وما يجب عليه من الفضل فيما ابتاعه من الضياع فأخرج عليه من هذه الجهات ^(٢٧١) ألف ألف دينار فصّح له من هذه الجملة تسعون ألف دينار . ثم شغل الوزير وهرون بورود الخبر عليهما بالحداد مونس من الموصل وكان هرون قيّده وسلّمه الى حاجبه وعدّة من غلمانہ ليخرجوه الى واسط فقتل المقتدر في ذلك اليوم فهرب من كان موكلاً به وبقي معه غلامان كان هو اشتراهما لابن الخال فمُنيا به وصارا معه الى فرضة جعفر وأدخلوا الى مسجد وأحضرا حداداً وحلاً قيوده وأطلقاه فشي الى منزله بسوية غالب ووهب لهما خمسمائة دينار

وحكى ثابت بن سنان ^(١) في كتابه أن اباه سنان بن ثابت كانت بينه وبين أبي بكر ابن قرابة مودة . فصرنا اليه لنُنشئه بخلاصه فقال لوالدي : يا أبا سعيد قد اجتمع لي فيك المحبة والعقل وجودة الرأي وأريد أن أستشيرك في أمري . فقال له أبي : قل فاني امحضك النصيحة . فقال : أنت تعلم اني كنت في بحار من التخليط وكانت علي تبعات فيما كنت أدخل فيه وأقدّمه من مالي عن الضمّاء لم يكن على أحد مثلها وقد غسّلت هذه النكبة وما أدّيت فيها من المصادرة دون ما كنت فيه وقد حصل لي الآن ما يرتفع منه عشرون ألف دينار خالصة وحصل لي من البساتين ^(٢٧٢) والمستغلات بعد ذلك ما ليس لاحد مثله ولى من الفرش والآلات والبلور والمخروط والصيني والجوهر والطيب والكسوة ما ليس لاحد مثله ومن

الرقيق والخدم الروقة والعلمان والكراع ما ليس لاحد مثله ولى بعد ذلك كله ثلثمائة ألف دينار صامت لا احتاج اليها . وبينى وبين هذا الوزير (يعنى أبا على ابن مقله وقد كان القاهر استوزره وهو بفارس) مودة وكيدة فهل ترى لى اذا قدم ان اقتصر على لقائه فى الاوقات لمهارة الحال بينى وبينه ولا ادخله ولا اعاود ما كنت فيه أو اعاود وارجع الى التخليط ؟ فقال له والدى : ما رأيت أعجب من هذه المشاورة وانما يشاور فى المشكل من الامر فأما الواضح فيستغنى فيه عن الرأى . انظر أعزك الله فان كان ذلك التخليط اثم لك ما تحب فارجع اليه وان كان اثم ما تكره وعرضك لزوال المهجة وزوال النعمة فلا تعاوده . ومع هذا فان الانسان انما يكذب ويكدر ويتعرض للمكاره ليحصل له بعض ما حصل لك فاحمد الله وتمتع بالنعمة وقد حصل لك من الجاه ما يحرسها واربح الصيانة وحسن العافية . فسمع ذلك كله [و] قال : قد علمت والله انك قد نصحت وبالغت ولكن لى نفساً مشؤمة لا تصبر^(٢٧٢) وسأعاود ما كنت فيه . فقال له والدى : خار الله لك . وانصرفنا فقال لى والدى : يا بنى ما رأيت قط اجهل من هذا الرجل ولا يموت مثله الا مقتولاً أو فقيراً بأسوأ حال .

فكان الامر على ما قدّر وادّاه التخليط الى ان قبض عليه القاهر فزال نعمته وقبض أملاكه وهدمت داره وأراد قتله حتى زال أمر القاهر ثم عاد أيضاً الى التخليط ومضى الى البريديين لما خالفوا السلطان ثم مضى الى أبى الحسين أحمد بن بويه لما غاب على الاهواز ثم وقع أسيراً لما انصرف الأمير أبو الحسين من نهر دىالى وصودر حتى لم يبق له بقية واضطر الى ان يخدم ناصر الدولة أبا محمد ابن حمدان برزق مائة دينار فى كل شهر فكثرت

في عينه . وكان ينفق مثلها كل يوم ومات بالموصل ونموذ بالله من الجهل والادبار

﴿ ودخات سنة عشرين وثلثمائة ﴾

﴿ فيها انحدر مونس من الموصل الى بغداد وقتل المقتدر بالله ﴾

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كان السبب في ذلك ما ذكرناه من استيحاش مونس فلما تم له الانصراف الى الموصل كتب الحسين بن القاسم الى داود وسعيد ابني حمدان والحسن بن عبد الله بن حمدان بمحاربة مونس ودفعه عن الموصل فانه عاص . وكان مونس يكتب في طريقه الى رؤساء العرب في ديار ريعة بأن السلطان أنفذه لمحاربة بني حمدان يريد بذلك ان يقعدهم عنهم^(١) فامتنع داود من لقاء مونس لاجل حسانه اليه فانه كان عظيماً جداً فما زال أهله به حتى فثؤوا رأيهم وقالوا له : نحن بعد ما غسلنا قبيح ما عمله الحسين بن حمدان ثم ماعمله أبو الهيجاء بالامس نريد ان نعمل لنا حديثاً ثالثاً . وما زالوا به حتى استجاب على تكرهه شديد وقال : يا قوم بأي وجه القى مونساً مع احسانه العظيم الى ؟ وكان يعدّ دهاشم يقول : والله ما آمن ان يجيئني سهم عائر فيقع في هذا الموضع مني (يعني حلقه) فيقتلني . (قال) فوالله ما هو الا ان لقيه مونس حتى أتاه السهم العائر فوقع في موضع أصبعه فذبحه ولم يقتل غيره .

وكان بنو حمدان في ثلاثين ألفاً ومونس في ثمانمائة رجل فانهمزوا وقتل داود وكان مونس اذا قيل له : قد أقبل داود لمحاربتك . يهيج ويقول : يا قوم يلتقاني داود وفي حجرى طهر ولى عليه من الحق ما ليس لوالده . فلما ملك

(١) وأما ما جرى بين مونس وبني حمدان فليراجع ص ١٦٩ وفيها قصة الواقعة رواها الفرغاني يعني أبو محمد عبد الله بن أحمد في تاريخه المواصل بتاريخ الطبري

مونس أموال بني حمدان وغلاتهم وضياعهم^(٢٧٥) واستولى على أعمال الموصل خرج اليه الناس من الاولياء ارسالاً وكثروا عنده فخلوه على الخروج من الموصل وقصد بغداد وكان أقام بالموصل تسعة أشهر . فأنحدر مونس وبلغ الجند بالحضرة ذلك فشغبوا وطالبوا بالرزق فأطلق المقتدر المال وجلس في الجوسق وأتفق فيهم وأخرج مضرباً له يسمى مضرب الدم الى باب الشماسية . ووافى مونس وأصحابه الى باب الشماسية^(١) وكان المقتدر قد وجه أبا العلاء سعيد بن حمدان وصافياً البصري في خيل الى سر من رأى ثم أنفذ أبا بكر محمد بن ياقوت في النفي فارس ومعه العلمان الحجرية [الى العشوق] . ثم أنفذ مونساً الورقائي على سبيل الطلائع فلما قرب مونس أقبلوا يراجعون حتى اجتمعت الجماعة بعكبرا فلما قرب مونس من عكبرا انكفأت الجماعة مع محمد بن ياقوت الى البردان فلما نزل مونس عكبرا انكفأت الجماعة الى باب الشماسية فمسكروا هناك واضطرب الامور وتقاعد الضملاء والعمال بحمل الاموال . واجتهد المقتدر بهرون ان يشخص الى حرب مونس فتقاعد واحتج بان معظم أصحابه ممن انضم اليه من رجال مونس أو ممن كان معه في وقت محاربتهم مرداويج^(٢٧٦) في المشرق أو من استأمن اليه من عسكر الديلم وقد عرف محاربتهم وانهم ينهزمون ولا يثبتون للحرب ولا يس يثق باحد منهم لانه يعلم انهم يستأمنون ويسلمونه ودافع بالخروج الى ان صار أصحاب مونس بباب الشماسية بازاء عسكر محمد ابن ياقوت . فجاء محمد بن ياقوت الى الوزير الفضل بن جعفر فأنحدر الى

(١) وفي صلة عريب ص ١٧٥ : كتب مونس الى المقتدر كتباً سر بها المقتدر ولكن راجعه القواد عن رأيه فيه

المقتدر ومعهما ابنا رائق ومفلح فشرح محمد بن ياقوت الصورة وقال له : ان الرجال لا يقاتلون الا بالمال وان اخرج استغني عن القتال واستأمن أكثر رجال مونس ودفعت الضرورة مونساً الى الهرب أو الاستتار . وقال له : ان الوزير أطلق مالا لم يعم . وسألوه ان يحتمل مائتي ألف دينار من جهته وجهة والدته ليصرف في المهم فعرّفه انه لم يبق له ولا للسيدة حيلة في مال يطلق وتقدم الشذات والطيارات لينحدر هو وحرمة الى واسط ويسلم البلد الى مونس ويكتب من واسط الى من بالبصرة والاهواز وفارس يستنجدهم ويستحضرهم لقتال مونس ودفعه . فقال له محمد بن ياقوت : اتق الله يا أمير المؤمنين في جماعة غلمانك وخدمك ولا تسلم بغداد بغير حرب . وجعل يفشأه عن رأيه ^(٣٧٧) ويشير بان يخرج بنفسه الى المعسكر حتى يراه الناس ويقاتلون وقال له : ان رأك رجال مونس أحجموا عن محاربتك . فقال له المقتدر : أنت والله رسول ابليس . ثم أمر هرون على لسان الوزير الفضل ابن جعفر ان يخرج ووبخه فمضى اليه ووافقه على ان يخرج يوم الاربعاء لثلاث بقين من شوال الى دار السلطان . وركب المقتدر وهم معه وعليه البردة التي توارثها الخلفاء ويده القضيبي وبين يديه الامير أبو علي ابن المقتدر والانصار ومعه المصاحف المنشورة والقراء يقرؤون القرآن وحوله جميع الحجرية رجاله بالاسلح وخلفه جميع القواد مع الوزير . واشتق بغداد الى الشماسية وكثر دعاء الناس له جسداً وسار في الشارع الاعظم الى المعسكر . فلما وصل اليه أشير عليه ان يقوم الى موضع عال بعيد عن موضع الحرب واشتدت الحرب بين أصحاب مونس وأصحاب المقتدر بالله وكان مونس مقيماً بالراشدية لم يحضر الحرب وثبت محمد بن ياقوت وهرون بن

غريب واشتبكت الحرب . وصار أبو العلاء سعيد بن حمدان الى المقتدر بالله
برسالة هرون بن غريب ومحمد بن ياقوت بأن يحضر الحرب وقال له : ان
رآك أصحاب مونس استأمنوا . فلم يبرح من موضعه ومضى أبو العلاء^(٣٧٨)
ووافاه صافى البصرى فقال له مثل هذا القول فلم يسمع منه ثم حضر محمد بن
أحمد القراريطى كاتب محمد بن ياقوت فاستدعى الوصول الى المقتدر بالله
فأوصل اليه وهو واقف على ظهر دابته فقبل الارض وقال له : يا أمير
المؤمنين القواد وعبدك محمد بن ياقوت يقول « يا مولانا أمير المؤمنين الله
الله سير بنفسك الى الموضع فان الناس اذا رأوك انفلوا » فلم يبرح وبقي
واقفاً على دابته وخلفه الوزير أبو الفتح ومفلح الاسود وجماعة من العلمان
الخاصة . فهم على تلك الحال اذ وافت رسالة القواد المحاربين فتقدم بعضها
بأن ينادى بين يديه « من جاء بأسير فله عشرة دنانير ومن جاء برأس فله
خمسة دنانير » فنودى بذلك . ثم جاءت رقعة فسلمت اليه فقرأها ثم
استدعى مفلحاً والقراريطى فسارهما ثم استدعى الوزير فسارّه وأجابه بشئ
ما سمع به ثم وردت رقعة أخرى فقرأها ثم وافته الرسائل علانية من
القواد تؤدى اليه ويسمع الناس ان الرجال فى الحرب يقولون « نريد ان
نرى مولانا حتى نرمى بأنفسنا على هؤلاء الكلاب » ولم يزل^(٣٧٩) القراريطى
وغيره يسهلون عليه ويستلونه المسير حتى سار مع مفلح ومن بقي معه . وتخلف
الفضل بن جعفر عنه وسار نحو الشط وانكشف أصحاب المقتدر وانهزموا
من قبل ان يصل المقتدر الى موضع المعركة وكان آخر من ثبت وحارب
حرباً شديداً محمد بن ياقوت واستؤسر أحمد بن كينلغ وجماعة من القواد .
ولقى على بن يلبق المقتدر وهو فى الطريق لم يصل الى المعركة فى

صحراء منبسطة فلما وقعت عينه عليه ترجل وعليه سلاحه وقال : مولاي أمير المؤمنين . وقبل الارض ثم قبل رُكبتيه . ووافى البربر من أصحاب مونس فاحاطوا بالمقتدر وضربة رجل منهم من خلفه ضربة سقط منها الى الارض وقال : ومحكم أنا الخليفة . فقال البربري : اياك اطلب . وأضجعه فذبحه بالسيف ^(١) وكان معه رجل من خلفاء الحجاب طرح نفسه عليه فذبح أيضاً ووقع رأس المقتدر على سيف ثم على خشبة وسلب ثيابه حتى سراويله وترك مكشوف العورة الى أن صر به رجل من الأكرّة فستر عورته بحشيش ثم حفر له في الموضع ودُفن حتى عفا أثره ^{(٢) (٣٨٠)}

ونزل يلبق وعلى ابنه في المضارب وأتخذ لالوقت الى دار السلطان من يحفظها وانحدر مونس من الراشدية الى الشامية فبات بها ومضى عبد الواحد بن المقتدر ومفلح وهرون بن غريب ومحمد بن ياقوت وابنا رائق على الظهر الى المدائن . فكان ما نعمة مونس من ضربه وجه المقتدر بالسيف وقتله اياه ودخوله بغداد على تلك السبيل سبباً لجرأة الأعداء وطمعهم فيما لم تكن أنفسهم تحسد بهم من الغلبة على الحضرة والنخوت الهيبة وضعف أمر الخلافة منذ ذلك وتفاقم حتى انتهى الى ما نشرحه فيما بعد ان شاء الله .

(١) وفي تاريخ الاسلام للحافظ الذهبي رواية عن الصولي : قتل المقتدر البربري وقيل كان غلاماً ليلبق وكان بطالاً شجاعاً تعجب الناس منه يومئذ مما فعل من صناعات الفروسية من اللعب بالرمح والسيف . ثم حمل على المقتدر وضربه بحربة أخرجهما من ظهره فصاح الناس عليه فساق نحو دار الخلافة ليخرج القاهر فصادفه حمل شوك فزحمه وهو يسوق حمل الشوك الى قنار الحمام فعلقه كلاب وجرح الفرس في مشواره من تحته فمات فخطه الناس وأحرقوه بالحمل الشوك . (٢) وفي تاريخ الاسلام : ذكر المسيحي ان العامة لم تزل تصلي على مصرع المقتدر وبني في ذاك المكان مسجد

وحكي ثابت حكاية في تبذير المقتدر الاموال ما رأيت ان أثبتته مشروحاتلا يفتتر أحد من الملوك ومدبري أمر المملكة بكثرة الاموال فيترك تثيره ويعدل عن التعب به الى الراحة اليسيرة فانه حينئذ يتندر ولا يلحق . ويكون مثله مثل البشق الذي ينفجر بمقدار سعة الدرهم ثم يتسع فلا يضبط .

قال صاحب الكتاب : ولقد وعظت انا بذلك بعض مدبري الملك فأكثر عليه فتبسم تبسم المدل بكثرة الذخائر والاموال^(٣٨١) فما أتت عليه سنتان حتى رأته في موضع الرحمة حيث لا ينفعه الرحمة . وسأشرح خبره وحاله اذا انتهيت اليه بمشيئة الله .

فأما المقتدر فانه أتلف نيفاً وسبعين الف الف دينار سوى ما أنفق في موضعه وأخرجه في وجوهه وهذا أكثر مما جمعه الرشيد وخلفه ولم يكن في ولد العباس من جمع أكثر مما جمعه الرشيد فان القاسم بن عبيد الله قال للمعتضد وقد سأله عن مقدار ما خلفه واحداً واحداً من ولد العباس من المال انه لم يكن فيهم من خلف أكثر مما خلفه هرون الرشيد فانه خلف في بيت المال ثمانية وأربعين الف الف دينار . وهذه نسخة لما أثبتته بعض كتاب أبي الحسن ابن الفرات لما وزره المقتدر بالله ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الذي كان في بيت مال الخاصة لما تقاد المقتدر الخلافة : أربعة عشر الف الف دينار . وافتتح أبو الحسن ابن الفرات أعمال فارس وكرمان سنة ٢٩٩ فارتفع من مال الخراج والضيايع العامة والمعروف بالامراء في كل سنة : ثلاثة وعشرون الف الف درهم وثمانمائة الف درهم . منها من مال فارس : ثمانية عشر الف الف درهم . ومن مال كerman : خمسة آلاف الف درهم^(٣٨٢) يكون ذلك

في مدّة احدى وعشرين سنة آخرها سنة ٣٢٠ الخراجية بعد وضع ثمانمائة ألف درهم كانت تنكسر في كلّ سنة من مال البقايا : أربعمائة ألف الف درهم وثلاثة وثمانين ألف درهم. وإذا وضع من ذلك ما كان يحمله من يتغلب على فارس وكرمان الى بيت مال العامة بالخضرة وهو نحو أربعة آلاف ألف في السنة ومبلغه في هذه السنين : ثلاثة وثمانين ألف الف درهم. كان الباقي بعد ذلك أربعمائة ألف الف درهم قيمتها ثمانية وعشرون ألف الف دينار ومن أموال مضر والشام في هذه السنين زيادة على ما كان يحمل منها في أيام المعتضد : ثلاثة آلاف ألف وستمائة ألف دينار

وأخذ المقتدر من أموال علي بن محمد بن الفرات في مصادره ومصادرات كتّابه وأسبابه : أربعة آلاف ألف وأربعمائة ألف دينار. منها في الدفعة الأولى : ألف الف وثلاثمائة ألف دينار. وفي الدفعة الثانية : ألف الف ومائة ألف دينار. وفي الثالثة مع ما أخذ من زوجة المحسن دولة : تسعمائة ألف دينار. وما حصل من ارتفاع ضياع ابن الفرات الملك سوى الاقطاع والاينار في مدّة سبع عشرة سنة مع ما انصرف في ذلك من المبيع والمقطع والموغر للحاشية حساباً^(٣٨٣) في السنة : مائتي وخمسين ألف دينار. أربعة آلاف ألف ومائتي وخمسون ألف دينار .

وما صحّ مما أخذ لابي عبد الله الجصاص الجوهري دون ما كان يذكره وهو يتكثر به من العين : ألف الف دينار

وما حصل من ضياع العباس بن الحسن بعد قتله في مدّة أربع وعشرين سنة حساباً في السنة : مائه وعشرين ألف دينار. ألف الف وثمانمائة ألف دينار .

وما أخذ من أموال حامد بن العباس وأسبابه ومع ما يرتفع من ضيائه
الى ان ردت على ولده النفي الف ومائتي ألف دينار .

وما أخذ من أموال الحسين بن أحمد ومحمد بن علي المادرائين في أيام
وزارة أبي علي الخاقاني ووزارات ابن الفرات الثلاث وأيام أبي القاسم الخاقاني
وأبي العباس الخصب وأبي الحسن علي بن عيسى الثانية وأبي علي ابن مقلة:
الف الف وثلاثمائة ألف دينار .

وما أخذ من أموال علي بن عيسى وابن الحواري وسائر الكتّاب
ووجوه العمال المصادرين: الف الف دينار .

وما أخذ من تركة الراسبي: خمسمائة ألف دينار .

وما أخذ من تركة ابراهيم المسمعي: ثلاثمائة ألف دينار

وما حصل من ثمن المبيع في أيام الوزراء وازداده الفضل بن جعفر:
ثلاثة آلاف الف دينار

وما حصل من أموال أم موسى^(٣٨٤) وأخيها وأختها وأسبابها:

النفي الف دينار

فصار الجميع من العين: ثمانية وستين الف الف وأربعمائة وثلاثين الف
دينار. وضع من ذلك لارتفاع ما خرج من المبيع منذ سنة ٣١٧ الى آخر سنة
٣٢٠ حسابا في السنة على التقريب: تسعمائة الف دينار. ثلاثة آلاف الف
وستمائة الف دينار

الباقى بعد ذلك مما حصل في خزانة المقتدر زائداً على ما كان يحمل الى
بيت مال الخاصة في أيام المعتضد والمكفي من أموال الضياع والخراج
بالسواد والأهواز والشرق والغرب: أربعة وستين ألف ألف وثمانمائة

وثلاثين ألف دينار. وقد كان كل واحد من المعتضد والمكتفي يستفضل في كل سنة من سني خلافته من أموال النواحي بعد الذي يُصرف في أعطيات الرجال والعلماء والخدم والحشم وجميع النفقات الحادثة مما كان يحصله في بيت مال الخاصة : ألف ألف دينار .

وكان سبيل المقتدر ان استفضل مثلها فيكون مبلغه في خمسة وعشرين سنة : خمسة وعشرين ألف ألف دينار. فيكون جملة ما يجب أن يحضر في بيت مال الخاصة للمقتدر بالله في هذه السنين الى آخر سنة عشرين : ^(٣٨٥) تسعة وثمانين ألف ألف دينار وثمانمائة ألف وثلاثين ألف دينار . خرج من ذلك ما ليس يجرى مجرى التبذير وهو ما أطلق في البيعة ثلاث دفعات وما أُنفق على فتح فارس وكرمان : بضعة عشر ألف ألف دينار . وبقي بعد ذلك ما بُذِر وأُتلف نيف وسبعون ألف ألف دينار

وكانت مدة وزارة أبي الفتح الفضل بن جعفر للمقتدر خمسة أشهر وتسعة وعشرين يوماً

خلافة القاهرة بالله أبي منصور

﴿ محمد بن المعتضد سنة عشرين وثمانمائة ﴾

لما قُتل المقتدر بالله وحمل رأسه الى بين يدي مونس بكى وقال : قتلتموه والله لنتلن كلنا فأقل ما يكون أن تظهروا بأن ذلك جرى بغير قصدٍ منكم ولا أمر به وأن تنصبوا في الخلافة ابنه أبا العباس فإنه تريتي وإذا جلس في الخلافة سمحت نفس جدته والددة المقتدر واخوته وعلماء

أبيه باخراج المال . فعارض هذا الرأي أبو يعقوب اسحق بن اسمعيل النوبختي لحسنه وما سبق له في حكم الله تعالى وقال : بعد السكد استرحنا من له والده وخالة وخدمهم فنعود الى تلك الحلة ! وما زال بمونس^(٣٨٦) وأسبابه حتى فشا رأيهم عن أبي العباس وعدل به الى محمد بن المعتضد بالله ليم المقدار من جرني قتله على يده . وحضر فائق وجه القصعة الحرمي فذكر لمونس ان والده المقتدر لما بلغها قتل ابنها أرادت الحرب وأنه وكل بها وتوثق منها وذكر ان محمد بن المعتضد ومحمد بن المكنفي معتقلان في يده فوجه به مونس وأمره باحضارهما وأصعد بهما الى دار مونس بعد ان أطلق بشري خادمه .

وابتداً مونس بخطاب محمد بن المكنفي فامتنع من قبول الامر وقال : عمي أحق به . فخاطب حينئذ محمد بن المعتضد فاستجاب واستخلف لمونس المظفر ويليق ولعل ابنه وليحي بن عبد الله الطبري كاتب يلبق . فلما توثقوا منه بالايمن والعهود بايعوه وبايعه من حضر من القضاة والقواد ولقب القاهر بالله وكان ذلك سحر يوم الخميس لليلتين بقيتا من شوال . وأشار مونس بأن يستوزر له علي بن عيسى ووصف سلامته واستقامة أموره ومذهبه ودينه فقال يلبق وابنه : الحال الحاضرة لا تحمل أخلاق علي بن عيسى وانه يحتاج الى من هو أسمح منه وأوسع أخلاقاً . فأشار بأبي علي ابن^(٣٨٧) مقله وبأن يستخلف له الى أن يقدم من فارس أبو القاسم الكلوزاني فأمضى مونس ذلك وكتب الى أبي علي ابن مقله بالاسراع والى ياقوت بحمله وتعجيله وانحدر القاهر الى دار الخلافة وصعد الدرجة وانحدر مونس وأسبابه الى دورهم وصرف محمد بن المكنفي الى داره في دار ابن طاهر واستحجب القاهر بالله علي بن يلبق واستكتب علي بن يلبق أبا علي الحسن بن هرون .

ووجهه مونس المظفر فاستقدم على بن عيسى من الصافية فراسله القاهر على يد الحسن بن هرون واستدعاه فلقى مونساً ثم انحدر الى القاهر فوصل اليه وخاطبه بجميلٍ وذلك قبل ورود ابن مقلة . واستحضر مونس أبا القاسم الكاوذاني وانحدر معه الى دار السلطان وأوصله الى القاهر فعرفه انه قد استوزر أبا على ابن مقلة واستخلفه له الى أن يقدم وأمره أن ينتقل الى دار مفاح ليقرب عليه اذا طلبه ففعل ولقيه أصحاب الدواوين وهنؤوه وأمر ونهى . وتشاغل القاهر بالبحث عن استر من أولاد المقتدر وحرمه وبمناظرة والدته وكانت في علة عظيمة من فساد مزاج وابتداء^(٣٨٨) استسقاء ولما وقفت على ما لحق ابنها من القتل وانه لم يدفن جزعت جزعاً شديداً ولطمت رأسها ووجهها وامتنعت من الطعام والمشرب حتى كادت تلف ورفق بهارفاً كثيراً الى أن اغتدت بيسير من الخبز والمالح وشربت الماء . ثم دعاها القاهر فقررها بالرفق مرة وبالتهديد مرة فخلقت له على انه لا مال لها ولا جوهر الا صناديق فيها صياغات وثياب وفرش وطيب وان هذه الصناديق في دار متصل بالدار التي كانت تسكنها من دار السلطان ووقفت على تلك الدار وتلك الصناديق وقالت : لو كانت^(١) عندي مال لما سلمت ولدي للقتل . فضربها حينئذ بيده وعلقها^(٢) بفرد رجل وأسرف في ضربها على المواضع الغامضة من بدنها ولم يرع لها احسانها وقت اعتقال المفتدراياها ولما أوقع بها المكروه لم يجد زيادة على ما اعترفت به طوعاً . فلما كان مستهل ذي القعدة حضر يابق وعلى ابنه ومعهما أبو القاسم الكاوذاني دار السلطان فأوصلهم الى حضرته فطالبوه بحمل مال الى مونس المظفر لينفق في صلة البيعة

(١) كذا بالاصل ولعله حكاية كلامها (٢) في التكملة : بحبل البرادة

فخدمهم بما فعله بوالدة المقتدر^(٣٨٩) وانه ضربها بيده مائة مكرعة ضرب
التقرير على المواضع الغامضة من بدنها فما أقرت بدرهم واحد غير ما كانت
أقرت به عفوا وقال لهم : هي بين أيديكم . ثم أدخلهم الى الدار التي فيها
الصناديق فاذا فيها ثياب وشى وديباج رومي وتستري مثقاة بالذهب وفرش
ادمي وخز رقم وديباج وصناديق فيها ثياب فاخرة وصياغات يسيرة ذهب
وصياغات كثيرة فضة وطيب كثير من عود هندي وعنبر ومسك وكافور
وتماثيل كافور قيمة ذلك نحو مائة وثلاثين ألف دينار وقيمة التماثيل نحو ثمانمائة
الف درهم فتسلم أكثر ذلك مونس المظفر ليباع فتركوا بمضه ليعدم به القاهر .

وصودر جميع أسباب المقتدر وظهر الفضل بن جعفر فعنى به مونس
ويلبى وابنه وخاطبوا فيه القاهر فقال : هذا كان وزير المقتدر ولا بد من
مصادرتة . فبذل عشرين ألف دينار عاجلة فقال مونس : أنا أزن هذا المال
عنه فانه ثقة عفيف كاتب دين . ورسم أن يقلد ديوان الضياع المقبوضة عن
والدة المقتدر وديوان أولاد المقتدر وما قبض عنهم وعن سائر الاسباب
وأكرم كل أكرام وصار الى^(٣٩٠) الكلوذاني فقام له لما حضر ولما
انصرف ووقع له القاهر بجميع تلك الدواوين التي ذكرتها فتسلم الدواوين
ولم يؤثر فيها شيئا لانه لم يستحسن وكان بالامس وزير المقتدر أن يتقلد اليوم
ديوان المقبوضات عن والدته وأولاده وأسبابه فاستحضر الكلوذاني هشاما
وقلده ذلك أمانة وقلد أبا محمد المادرائي ديوان الاصول فكانت مدة ولاية
الفضل هذه الدواوين سبعة عشر يوما

وكانت مصادرة أبي بكر ابن ياقوت قد اشتهرت وانه لم يؤد منها الا
تسعين ألف دينار فطواب بتمامها . وأخرج القاهر والدة المقتدر لتشهد على

نفسها القضاة والعدول بأنها قد حلت وقوفها ووكلت في بيعها على بن العباس النوبختي^(١) ونظرت على ذلك فامتنعت منه وذكرت انها وقفته على مكة والنغور على الضعفاء والمساكين ولا أستحل حلها «فأما أملاكى الطالق فقد وكت على بن العباس في بيعها» فنهض القاضى عمر بن محمد والشهود الى حضرة القاهر فاشهدهم على نفسه بأنه قد حل وقوفها ووكل في بيعها على بن العباس النوبختي وفي بيع سوى ذلك من الضياع الخاصة والفراشية والعباسية^(٢٩١) والمستحدثة والمرتجعة وما يجرى مجراها في سائر النواحي ووكل أبا طالب النوبختي واسحاق بن اسماعيل وأبا الفرج جلتخت في بيع المستغلات بالحضرة المقبوضة وما أمكنهم بيعه من فضل ما بين المعاملتين . ورأى أسباب مونس انه لا يتم البيع الا بأن يبتدئوا بالشراء منهم فابتاعوا أشياء بنحو خمسمائة ألف دينار

وقدم أبو على ابن مقله من شيراز في يوم النحر وكان كتب الى القاهر بالله ويسأله أن يجلس له في الليل لانه كان اختار لنفسه أن يلقاه بطالع الجدى وفيه احد السعدين والآخر في وسط السماء فوصل في الوقت الذي قدره وصادف القاهر ينتظره فلقيه وخرج من عنده وقد أعدت له دار هرون بن المقتدر وفرشت فدخلها ووقع فيها بتقليد قوم وخلع عليه من الغد خلع الوزارة وصار الى دار مونس المظفر فسلم عليه وانصرف الى داره . وحضر الناس للتهنئة وراح اليه في آخر النهار على بن عيسى فلم يقم له واستقبح الناس له

(١) مات في سنة ٣٢٤ وقد قارب ثمانين سنة وكان حسن الادب والشعر وكان

ابنه الحسين يكتب لابن رائق ويدبر أمره : كذا في الاوراق لابن بكر الصولى وترجمته

موجودة في ارشاد الاربيب ٥ : ٢٢٩

ذلك وصار اليه أبو بكر ابن قرابة ووفى بوعده في مداخلتيه اياه والعود الى التخليط كما كنا شرحناه من أمره ^(١)

ودخلت سنة احدى وعشرين وثلثمائة ^(٣٩٢)

كان أبو علي ابن مقلة عاتباً على الكلوزاني وذلك انه لم يعرف خبر احد من اخوته وولده وحرمة وأسبابه بعد تقليده خلافته ولا صار الى داره ولا قلد أحداً من أسبابه شيئاً من الاعمال ولا تفقد حرمة وولده بشيء واعظم من هذا كانه ان أبا عبد الله ابن ثوبة استأذن أبا القاسم الكلوزاني في وقت خلافته أبا علي في ذكر كنيته على الكتب النافذة الى المال فلم يأذن له . فقبض على الكلوزاني وأسبابه وكان هذا أول ما وبخه به وأخذ خطه بمائتي ألف دينار ونقله مع كاتبه وأسبابه الى أبي بكر ابن قرابة ثم قبض على جماعة من المال وكتاب الدواوين وقبض على اسحاق بن اسماعيل النوبختي وعلى بني البريدي وضمن أعمالهم من محمد بن خلف النيرماني بما كانت عليهم وزيادة ثلاثمائة ألف دينار وضمن أيضاً أن يصادرهم على ستمائة ألف دينار وتسلمهم وحملهم الى داره وجميع ذلك بتوسط ابن قرابة فاعتقلهم محمد بن خلف في داره وفرق بينهم . وجمع أبو علي ابن مقلة لمحمد بن خلف مع هذه الاعمال أعمال المعاون نخاف اسحاق بن اسماعيل وبنو البريدي على أنفسهم لما يعرفونه من شدة اقدام محمد بن خلف وقهوره فأما أبو عبد الله البريدي ^(٣٩٣) فانه دأرى محمد بن خلف ورفق به وأوهمه انه يعمل من قبله ويقوم بمال النواحي

(١) زاد فيه صاحب التكملة : وظهر شفييع المقتدرى بأمان وقرر عليه خمسون ألف دينار وكان مملوكاً لمونس فحلف أن لا يد من يبعه فتودي عليه فبلغ ثمنه سبعين (ألف) دينار فابتاعه الكلوزاني باسم القاهر وشهد الشهود في العهد

وبالزيادة التي بذلها وأن يطيعه في المال كله ويعمل بما يأمره فيه ولا يخالفه
فرفه من بين الجماعة وأوقع بأخويه وعلق عليهما الجرار المملوءة ودهقهما فلم
يذعنا بشيء وضيق على اسحاق بن اسماعيل ولم يوقع به مكروها

وكانت بين أبي جعفر ابن شيرزاد وبين اسحاق بن اسماعيل مودة
وكيدة فخاطب أبو جعفر الوزير أبا علي في لقاء اسحاق وقال : احتساج أن
أواقفه على ما سبب لصاحبي هرون بن غريب عليه في أيام المقتدر وما أطلقه
حتى لا يحيل علي بما لم يطاقه . فوجهه معه بحاجب من حجاب الوزارة فأوصله
الى اسحاق فلما وقعت عين اسحاق عليه قال له : يا سيدي الله الله في أمري
بادر الى الاستاذ المظفر ولا تفارقه حتى يخلصني من يد هذا المجنون .
فمضى أبو جعفر الى مونس ولم يزل يسئله حتى دعا يلبق وأمره أن يمضي
الى أبي علي ابن مقلة ويخاطبه في أمره فان أطلقه والا انتزعه من يد محمد
بن خلف وحمله اليه . فمضى يلبق الى ابن مقلة فخاطبه فلم يجد ابن مقلة بدا
من الاستجابة لتقريب أمر اسحق

فحكى أبو الفرج ابن أبي هشام عن أبي سعيد ابن قديسة أن السبب
فيما لحقهم عتب أبي بكر ابن قرابة^(٣٩٤) عليهم لتأخيرهم مالا كان له عليهم
وهو الذي قدمه عنهم فتقاعدوا عن الوفاء له فهاهد محمد بن خلف يوم
تضمنهم من أبي علي ابن مقلة بستمائة الف دينار على أن يستوفي له من جماعتهم
ما قدمه عنهم ويرده عليه فلما حصلوا في يد محمد بن خلف استخرج من أبي
عبد الله وأخويه عشرين الف دينار وأنفذ قبض بعض الصيارف بدرب عون
الى أبي بكر ابن قرابة بها وجعل ذلك من دينه عليهم وجد بهم . واستسلم له
أبو يوسف وأبو الحسين ولحقهما منه مكاره عظيمة وأطمعه أبو عبد الله اطماعاً

لم يصح ورفق به . فلما كان في اليوم الثالث ركب محمد بن خلف الى أبي علي ابن
مقلة فقال له أبو علي : يا أبا عبد الله غررتنا والقوم في يدك فنفذت مخاريقهم
عليك وذهبت بربحك . نفجّل محمد واعتاظ وقال : قد حملت من جهتهم
عشرين ألف دينار وإنما ضمنت المال في مدة ثلاثة أشهر فأى عتب للوزير
عليّ حتي يخاطبني بهذا الخطاب البشم ! فقال الوزير : ماسمعت بهذا إلا
منك فإلى من سلمت المال ؟ قال : الى ابن قرابة . فدعا بان قرابة وهنأ له
عما ذكر محمد بن خلف فقال : انفذ أيها الوزير هذا الخط ووالله ما قبضت
ماله من الصيرفي وزعم انه من دين لي عليهم ولو قال انه من الحمل لأهيت^(٣٩٥)
حاله في الوقت واذ قد بدا له فيها هي الرقعة بارك الله له فيها . وسامها الى
محمد بن خلف فقال محمد : لا والله ما جمعتها من دينك وكيف يجوز أن
أقدم مالك على مال الساطان ؟ فاستوحش كل واحد منهما من صاحبه وبلغ
أبا عبد الله البريدي خبر المجلس فسرّى عنه واجتهد في أن يكتب رقعة الى
ابن قرابة يسئله فيها المصير اليه فلم يجد دواة ولا من يحملها واتفق ان أنفذ
أبو سعيد ابن قديدة غلامه أحمد ليُشاهد حاله فاستأمن اليه أبو عبد الله ورغبه
في الاصطناع والاحسان ووعدّه أن يغنيه اذا أوصل رُقعة له الى ابن قرابة
فاستجاب له الغلام واحتال له في جوفة جعل فيها كرسفا وأحضره قلما صغيرا
وقطعة من كاغد فسكّاب أبا بكر ابن قرابة وحلف له انه ان أخذته اليه
وفاء ماله عن آخره وخدمه أحسن خدمة . فبكر أبو بكر ابن قرابة الى
محمد بن خلف وأظهر له انه قد قصده لمعاتبته حتى استوفى المفاوضة معه ثم
قال له : أخرج ابن البريدي الىّ فانه يستقيم الى كلامي حتى أقرر مصادرتة
وأعرف ما عنده^(٣٩٦) في ديني . فاخرج اليه أبا عبد الله فقال أبو عبد الله :

أول اقبالى ان قلت لمحمد بن خلف « لم يبق من السحر الا السرار فيتفضل الامير ويخلى لنا مجلسنا » فنهض محمد بن خلف من مجلسه وسلمه الى برفاعته وقال : أنا داخل الى دار الحرم . فتخاطبنا وجلست مجلسه وقعدت مقعده فتفاءلتُ وقلتُ « هذا مجلس كان لى فانتقل اليه وقعداد الى » فاستصلحتُ أبا بكر ابن قرابة ووعدنى بتخليصى ووفى ومضى ففصل أمرنا وضمن الوفاء عنا . فلما كان فى اليوم الثانى رضى عنا أبو على ابن مقله واستدعانى واخوتى فدعانا محمد بن خلف وسكن بنا وأنفذنا اليه فلما أردتُ الخروج قلتُ لمحمد ابن خلف : أيها الامير أبو يعقوب اسحق بن اسمعيل خادمك ومونس يعتنى به وسينفذ الساعة من يأخذه فدعنى حتى أستصلحه لك وأعقد بينك وبينه عهدا وعينا . فقال : افعل . فخلوت باسحق بن اسمعيل وقلتُ له : قد سخرتُ من هذا النفس وأنا منصرف فعاقده واحلف له ثم قل له « بيننا الآن عهد ولا بد من صدقك ابن مقله يبعضك ويتهمك بأنك تطلب الوزارة وانما أراد أن يستنفر لك الاعداء ويأخذ أموالنا بيدك ثم يحملنا على أن نتضمنك وقد ضمنك أبو عبد الله البريدى ^(٢٩٧) بثلاثمائة الف دينار وحدثنى بهذا فلا تركب أياما فان كان الوزير سأل عنك فقد حماك منه الخليفة وان طلبك فانما يريد أن يسلمك اليه » ثم انعطفتُ الى محمد بن خلف وقلتُ : قد فرغتُ من القصة والرجل يخدم الامير كما يريد . وخرجنا فأعاد عليه اسحق ما سمعه منى فانصرف قبل العصر بعدى

فلما جلس محمد بن خلف فى منزله ولم يركب الى أبي على ابن مقله مضى أبو عبد الله البريدى الى ابن مقله وقال له : قد عرفتُ من دار محمد انه يطلب

الوزارة وأن رسله منبثون الى أسباب مونس والى القاهر فلا تدعه يقيم في البلد . وكان ابن مقله جباناً فطلبه وكان ذلك القول الاول قد تقدم الى محمد بن خلف فوثب بخدم ابن مقله وغلماؤه وحاجبه وضربهم وحصلهم في بيت وقفل الباب عليهم وتسور السطوح وهرب فلم يظهر الا في وزارة أبي جعفر محمد بن القاسم بن عبيد الله للقاهر بالله . وكان أبو عبد الله البريدي مقبلاً بالاهواز وعرف محمد بن خلف من بعد ان الحيلة تمت عليه فقال لمن بلغ أبا عبد الله البريدي : ظننت بك ظناً جميلاً ولم أعلم انك في الحيلة على . وكنت قد صدقت عنك فلم أقبل . ^(٣٩٨) فقال أبو عبد الله البريدي لابي على الكاتب : اكتب الى فائق الغلام أن يقول لمحمد بن خلف : هذه الحيلة يجوز أن تخفى عليك فقد خفى مثلاً على من هو اكبر منك ولما كان أعظم من ذلك انه كان لنا من الموضع الذي حبسنا فيه طرق الى دور حمرك وذهبت عليك ولم تعرفها فاحترس منها في المستقبل .

وتوسط أبو بكر ابن قرابة أمور الجماعة وفصلها مع ابن مقله فوقع ابن مقله باعادة ابني البريديين الى أعمالهم فاستقامت أمورهم . ولما بطل ضمان محمد بن خلف ما كان ضمنه من ضمانات البريديين واستحق بن اسمعيل صرف أيضاً عن أعمال المعاونة في هذه النواحي وطلبه ابن مقله (وكان من وتوبه برسله وحاجبه واستتاره ما ذكرناه) ووجه ابن مقله الى دار محمد بن خلف ثم فتح الباب عن خدمه وغلماؤه وحاجبه وانصرفوا .

وكان أبو علي ابن مقله يعادى أبا الخطاب ابن أبي العباس ابن الفرات ولم يكن يجد الى القبض عليه طريقاً ديوانياً لانه كان ترك التصرف عشرين سنة ولزم منزله وقنع بدخل ضيعته وكان سبب عداوة أبي علي له انه كان

استسغفه أيام نكبته فاعتذر بالاضاقة ولم يسغفه. ^(٣٩٩) ثم ان أبا الخطاب طهر أولاده فتجمل كما يتجمل مثله ودعا أولاد أبي علي بن مقلة فشاهدوا مروّة تامة وآلات جليلة وصياغات كثيرة وكان بعضها عارية فانصرفوا وحدثوا أباهم الحديث وعظموا وكثروا وصار أبو الخطاب ابن أبي العباس ابن الفرات الى الوزير أبي علي ابن مقلة علي رسمه يوم الموكب للسلام عليه فقبض عليه . فحكى أبو الفرج ابن أبي هشام ان أبا زكريا يحيى بن أبي سعيد السوسى حدثه انه كان حاضرا حين قبض علي أبي الخطاب وان الوزير أبا علي أتقذ اليه وسائط وانه كان فيهم وطالب بثمائة الف دينار وان أبا الخطاب قال : بماذا يتعلق الوزير عليّ وقد تركت التصرف منذ عشرين سنة ولما تصرفت كنت عفيفاً سايما ما أذيت أحدا ولى علي الوزير حقوق وليس يحسن به أن يتناساها مع اشتهاره بالكرم ويقبح بي أن أهجنه بخطوط له عندي قبل هذه الحال الغالية فقولوا له « أيها الوزير أبو علي ذكرك بما لو طالتك برعايتها أو بالمجازاة علي ما أسلفتك في أوقات انحراف الزمان عنك أو سألتك ولاية أو اماحة أو احسانا في معاملة في ضيعة أو ارفاد ^(٤٠٠) وهل من الجميل الا اجد عندك اذا رفقتك من هذا كله سلامة في نفسى فيما قد ركبته مني مما اذا صدقت نفسك خفت العقوبة من الله عز وجل ثم قبح الاحدوثة من الناس اما ما ظننته عندي فما الامر كما وقع لك لان هذا المال ان كان موروثا عن ابي رحمه الله فليست وارثه وحسدى ولو كان لاقتسمناه ونحن عدة فلم يكن بد من ان يشيع ويعرف خبره وان ظننته من كسبي فتصرفي وما وصل الى منه معروف وما خفيت عنك زارته ومن يحضرتك من اصحاب الدواوين يشهدون لي بأني ما حظيت ببعض مروفتي وان ظننته

من استغلال فما استغلّه مقسوم بين الورثة وان رجعت اليهم بالمسئلة لم تجد ما يخصني في زمان تصرفي الا بعض ما اتصرف الى مؤنتي ومروعتي . وقد خاف الوزراء والا كبار أولادا مثلي في كفايتي ودوني فتعرضوا لمواقف واستشرفوا لرُتب وراسلوا وروسلوا فهل رأيتني الا في طريق التسلم وراضيا بامتداد ستر الله تعالى والزهد في هذه الدنيا ؟ فأى شيء تقول لله تبارك اسمه ثم لعباده اذا أسأت الى ؟ فلما أعيد هذا الكلام على ابن مقلّة من غير جهتنا (فانه كان ^(٤٠١) انفذ من يتسمع) خجل وتبلد وتخير ثم قال : هذا يدل على بالفرائية وأمير المؤمنين ليس يمكنني من رعاية حقوق أمثاله وأنا أنفذ الى الخصبي فانه أعرف بدوائه . فقمنا وجئنا الى الخصبي فخدمته بما جرى في المجلس وقلت له : أعينك بالله أن تنتصب للتشرُّع على الناس وأن يقال ان النعم تزل بك وأنت وزير ابن وزير وقد رفع الله قدرك من ذلك وأجلاك بصناعتك وعفافك وأبوتك . فقال : أحسن الله جزاءك ستعلم اني أردته اليه بعد ان أعزرت باليسير اليه .

ثم ان أبا علي ابن مقلّة استدعى الخصبي وسلمه اليه بعد ان اضطرّه الى كتب خطه بثمائة الف دينار يصححها في مدة عشرين يوماً فاحضر له الخصبي صاحب الشرطة وجرده وضربه عشر دررٍ وخُاع تخليعاً يسيراً ثم ضربه بالمقارع فأقام على انه لا مال له وان ضياعه قد وقفها ولا يمكنه بيعها فاستغنى الخصبي منه وردّه الى دار ابن مقلّة فحبسه . ثم سلمه الى المعروف بابن الجعفرى النقيب واحضر له غلاماً من غلمان القاهر وذكّر له انه قد أمر بضرب عنقه ان لم يودّ صدرّاً من المال فما زال يعلمهم الى آخر الوقت ولم يودّ ^(٤٠٢) شيئاً . فلما حضر الوقت احضره السيف وشدّ رأسه وعينه

فقال له أبو الخطاب : وجهني رحمتك الله الى القبلة . فوجهه ثم قال له : برفق .
وتشاهد فبادر بالخبر ابن الجعفرى الى ابن مقلة فقتل ابن مقلة : لا يجوز ان
يكون بعد هذا شئ . وقال مونس المظفر لابن مقلة : أى طريق على رجل
لم يعمل عملاً منذ آخر سنة ٢٩٩ ؟ فأخذه ابن مقلة وسامه الى حاجبه وأمره
ان يعتقله فأقام فيه يومين وحضر أبو يوسف البريدى فشكا اليه ابن مقلة
ما أقام عليه أبو الخطاب من التجلد ووسطه بينه وبينه فصار اليه أبو يوسف
وقرر أمره على عشرة آلاف دينار خلف أبو الخطاب الا يودى منها
درهماً ولو قتل أو يطلق الى منزله فوجه اليه ابن مقلة بخزمة من ثيابه وحمله
على دابة بركب واستدعاه ووثب اليه حتى كاد ان يقوم له ثم قال له : كثر
على الخليفة في أمرك وعزير على ما لحقك فامض مصاحباً الى منزلك . فانصرف
وآدى المال فى مدة عشرة أيام وأطلق ضياعه وأملا كه^(١)

وأحضر ابن مقلة اسحق بن اسمعيل وأخذ خطه بأن يحمل^(٢) فى
كل شهر من شهور الالهة مثل ما كان يحمله الى المقتدر بالله لخريطته على
سبيل المرفق وهو الف دينار وأخذ خط أبى عبد الله البريدى بحمل ثلاثة
آلاف دينار فى كل شهر على هذه السبيل وخط أبى يوسف وأبى الحسين
أخويه بألف وخمسمائة دينار فى كل شهر

﴿ ذكر ما جرى فى أمر الذين هربوا من قواد المقتدر وما آل أمرهم اليه ﴾
كتب هرون بن غريب الى أبى جعفر محمد بن يحيى بن شيرزاد من
واسط بأن يقطع أمره على مصادرة ثلثمائة الف دينار على ان يطلق له ضياعه

(١) وفى تاريخ الاسلام انه فى سنة ٣٣٨ توفى العباس بن أحمد بن محمد بن الفرات
أبو الخطاب والد المحدث أبى الحسن وكان صدراً نبيلاً أريد على الوزارة فامتنع تديناً .

المَلِكُ في سائر النواحي ومستغلاته دون الاجارات والوقوف التي كانت في يده وعلى ان يودى حقوق بيت المال على الرسوم القديمة ويرتجع اقطاعاته وعُني به مونس المظفر وأسبابه وكتب له القاهر أماناً وقبلت مصادره التي بذلها وقلد أعمال المعاون بماه الكوفة وما سبذان ومهرجا نقذق .

وخرج عبد الواحد بن المقتدر ومحمد بن ياقوت الباهلي وابنا رائق وسرور ومفلح من واسط مفارقين^(٤٠٤) لهرور بن غريب من واسط الى السوس وجنديسابور فأفسدوا أمر الأعمال هناك وعاثوا وخرّبوا ومدّوا أيديهم الى التناء والتجار ثم خرجوا على الظهر الى سوق الاهواز فلما طال مقامهم بالاهواز شخص يلبق والجيش معه نحوهم فلقبه هرون بن غريب بـجرجرايا ثم نفذ لحرب القوم

فأما ما حكاه أبو الفرج ابن أبي هشام عن مشاهدة وعيان فانه قال : ان الهاريين من قواد المقتدر مع عبد الواحد ابنه دخلوا سوق الاهواز من طريق الطيب وما دخلوا السوس ولا جنديسابور واستبد محمد بن ياقوت بالامور على ابني رائق والجماعة . وقد أبا اسحق القراريطي كاتبه النظر فاستخرج وأمر ونهى وكانت الاموال تنصب الى ابن ياقوت ويعطى منها ابنا رائق وغيرهما ما يريد فتغيرت له القلوب واعتقدوا الخلاف عليه

وتحقق أبو عبد الله البريدي بأبي علي ابن مقلّة وكانت الكتب ترد عليه من الاهواز بجميع ما يجري فأشار بأن يتلاحق أمرهم وقال : ان القوم متخاذلون وابن ياقوت مستبد عليهم وقلوبهم شتى وان ابني رائق صديقه فان أخرج اليهم جيش^(٤٠٥) اختلفت كلمتهم وان تركوا قويت شوكتهم بأموال الاهواز وعقدوا لعبد الواحد الخلافة وطلبوا الحضرة . فأنفذ أبو علي ابن

مقلة أبا عبد الله البريدى الى مونس حتى شافه بذلك كله فقال مونس : قد ترى الحيرة فى مال البيعة وقد استحق الناس رزقة لان الحادثة بالمقتدر منذ ثلاثة أشهر فمن أين المال ؟ فقال أبو عبد الله البريدى : أنا أضمنه ويسبب على وأقدم بالحضرة ثلاثين ألف دينار وأصحح بالسوس خمسين ألف دينار وبتستر عشرين ألف دينار والباقي بالاهواز . وأحضر صاحب ديوان الجيش وعمل جريدة لمن تجرّ دمع يلبق واجمل ما لهم فبلغ مائتى وخمسين ألف دينار فحمل أبو عبد الله الثلاثين الالف الدينار التى ضمن تعجيلها بالحضرة وخوطب القواد وتكاثرت المساكر مع يلبق وأبو عبد الله البريدى معه . وخرج بدر الخرشنى فى الماء وكوتب أحمد بن نصر القشورى وكان يتقلد البصرة ان يسير معه فلما تحصات الجيوش بواسط تغيرت القلوب على محمد بن ياقوت وتبين ذلك فقال للجماعة : أنا واحد منكم ولست أخالفكم فى رأى ولكن الوجه أن نجتمع بتستر^(١٠٦) فانها حصينة منيعة وندير أمرنا بما يوفق الله عز وجل له ولا نحارب . ووافقهم على مال يعطيهم وساروا للوقت الى عسكر مكرم وأفرجوا عن قصبة الاهواز فعمل القراريطى بها مالا يعمل به الدمستق وفتح الدكاكين بالليل وبث اليها البغال وحمل منها أمتعة التجار وصادر الاسود والابيض . ولما ورد الخبر بنزول يلبق السوس نفذت الجماعة الى تستر وورد البريدى وسلك طريق القراريطى وزاد وما زال يخال حتى وفى الخمسين الالف الدينار ثم وافى يلبق والجيوش جسر تستر فوجده مقطوعا وحال بينه وبين تستر دُجِيل .

خُفِي عن أبي عبد الله البريدى بمد ذلك انه قال : هممت بالتغلب ووضعت فى نفسى الامرة وتدير الرجال منذ ذلك لما رأيت انحلال يلبق

وسقوط ابن الطبرى كاتبه لاني رأيتهما متخلفين ساقطين . وكان الشارد قد طار وضجّ يلبق واضطرب رجاله فهم بالانصراف فثبتته أبو عبد الله البريدى وما زال يتردد الى القواد ويهزهم ويهاديهم ويسكنهم ويكاتب ابني رائق بالمودة ويشير عليهما بمفارقة ابن ياقوت ويذكر لهما سوء اخلاقه وشدة عجبه وتطاوله^(٤٠٧) عليهما حتى استجابا الى تقلد البصرة والانصراف عن تستر . فما عرف ابن ياقوت الخبر حتى ضربا بالبوق بكرة ورحلا فلم يكن له بهما يدان لانه لو كاشفهما لعبور العسكر الذى بازائه اليه وقتل أو أسر ولما توجه ابنا رائق الى البصرة استأذن مفلح وسرور فى العبور بعبد الواحد الى يلبق وقالوا لمحمد بن ياقوت : قد ضعفت نفوسنا وأنت معتصم برجالك ونحن فلا عدة لنا ولا أصحابنا الا غلماننا . فردّ الاختيار اليهم كاتبوا وتوثقوا لنفوسهم من يلبق وعبروا اليه وتحير محمد بن ياقوت فراسل يلبق فى أن يحلف بسلامة نيته اذا لقيته ليعبر اليه ويناقضه ويعود الى معسكره فأجابته وحلف له على ذلك وعبر اليه محمد بن ياقوت بدراة بيضاء وعمامة وجهشاك فى رجله ومعه غلام واحد وقت العصر فقام له يلبق وتفردا وتطاولا حديثا ما عرف فى الوقت . واشتعلت النيران فى ثياب البريدى وتردد دفعات الى ابن الطبرى يشير بالقبض على ابن ياقوت وراسل ابن الطبرى يلبق بذلك وقال له : البريدى خليفة الوزير وثقة الاستاذ مونس يشير بذلك وليست أقول أنا شيئا . فقال يلبق : ما كنت بالذى أخفر أمانتى^(٤٠٨) وأحسث فى يميني ولو ذهبت نفسى . وحضر وقت الصلوة فقام محمد بن ياقوت تحت الفازة فى موضع فسح فأذن وأقام وتقدم للصلوة يلبق واكثر العسكر وراءه ولما استتم المكتوبة اتنى الى يلبق معانقا له فقام اليه وودع كل

واحد منهما صاحبه وعاد محمد بن ياقوت الى عسكره . وظهر السر وكان تعاتبهما أولا ثم تحالفا وتعافدا واصطلحا على أن يسيرا الى الحضرة بشروط الامان على أن يكرن بينهما في المسير منزل فمزل

ورحل محمد بن ياقوت بعد ثلاثة أيام من تستر الى عسكر مكرم ودخل يلبق تستر فعمل بها البريدى أعظم مما عمل القراريطى بكثير لان الناس توقوا منه فلما رأوا اصحاب السلطان أنسوا . فأتى البريدى عليهم وكبس اليهود وهم معظم التجار وتجاوز كل قبيح ووفى بالمائة الالف دينار وسار يلبق الى الاهواز وأهلها هاربون من محمد بن ياقوت فسلموا لانهم مضوا الى البصرة . وابتلى البريدى أهل عسكر مكرم واستر فأيسر ما عمل ان ركب الى دور الصيارف فأخذ ما وجد من الاموال لهم ولم يضاربهم وخسف بالسواد حتى صحح ليلبق مائتى الف دينار ^(١١١) وبقيت على البريدى خمسون الف دينار وعنى به ابن الطبرى لان البريدى خدمه خدمة تامة حتى انه كان يحضر أبواب البيع في البلدان ويجلس على غاشيته ينتظر خروجه فاذا خرج - أله أن يعطيه برشائه فاذا اعطاه قبله وجعله في مكه واشهد له بضياع ارتفاعها عشرة آلاف دينار فكان ذلك سبب غناية ابن الطبرى به . وخاطب له يلبق وقال له : أبو عبد الله ثقة ونجمل هذه الخمسين الالف الدينار فيما يخص الأمير (وكان ماله في الجملة) وقد خدم ويض وجه الأمير فيما خدم ودبر وبدد شمل هولاء . وانه لأحق بمجلس أبى على ابن مقلة منه وأنفذ في التدبير والامور . فأجابه يلبق الى ما سأل وخلف غلاما عند البريدى يقال له ايتاخ

ورحل ابن ياقوت الى شابرزان وتبعه يلبق ودخلوا مدينة السلام .
وأطلقت أملاكُ ابني رائق ومحمد بن ياقوت ومُفلح وسرور دون اقطاعهم
وأطلق لعبد الواحد بعض أملاكه القديمة وأعفى هو ووالدته من المصادرة
وعادت يد ابن البريدى الى عمالة الاهواز واستقامت الامور . وخلق القاهر
على يلبق وطوقه وسورَه^(١٠) بطوقين وسوارين مرصعين بالجوهر
وخرج أمر القاهر ببيع دار المحرم التي كانت برسم الوزارة وكانت
قديمًا لِسليمان بن وهب فقطعت وبيعت من جماعة من الناس بمال عظيم لان
ذرعها يشتمل على أكثر من ثلثمائة ألف ذراع وصرف ثمنها في مال الصلة
لبعثة القاهر بالله

وورد الخبر بموت تكين الخاصة بمصر^(١١) فآشار الوزير أبو علي ابن مقلة
بانفاذ علي بن عيسى اليها للاشراف عليها فابتدأ بالاستعداد للخروج ثم صار
الى أبي علي ابن مقلة في بعض العشايا وصادفه خاليًا فعرفه كبر سنه وضعف
حركته ونقصان قوته وانه لا يستشفع اليه بغير كرمه ولا يوسط بينه وبينه
أحدًا غيره وحلف على موالاته إيمانًا أكدها وسأله اغفاه من الشخصوس
وتذلل له وانكب على يدده ليُقبلها فمنعه من ذلك وخاطبه بمعرفته بحقه وعلمه
بمكانه فاعفاه من الشخصوس فانصرف علي بن عيسى شاكرًا . وورد كتاب
محمد بن تكين يخطب مكان أبيه فاجيب الى ذلك وحمل اليه الخلع والعهد .
وكتب القاهر رُقمَةً بخطه الى أبي علي ابن مقلة بالنسكية وزيادة في
التشريف والرتبة وأمره^(١٢) ان يكتب بذلك الى الامصار والاعمال كلها
ففعل ذلك ثم حمل اليه خلعة بعد خلعة للمنادمة وحمل اليه صينية فضة مذهبة

فيها ندى وعنبر وغالية ومسك وصينية أخرى فيها رطلية بلور فيها شراب مطبوخ عتيق وقدح بلور وكوز ومغسل فضة .

وشغب الجند بمصر على محمد بن تـكـين فقاتلهم وهزموه

وفي هذه السنة استوحش مونس المظفر و يلبق وعلـى ابنه والوزير

أبو علي ابن مقله من القاهر بالله فضيقتوا عليه وعلى أسبابه

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كان السبب في ذلك انحراف الوزير أبي علي ابن مقله عن محمد بن ياقوت فـسـكـن في قلب مونس المظفر و يلبق وعلـى ابنه انه في تدبير عليهم مع القاهر بالله وان عيسى المتطبب يترسل للقاهر اليه فوجه مونس بعلى بن يلبق الى دار السلطان وسأل عن عيسى فعرف انه بمحضرة القاهر فهجم عليه غلمان على ابن يلبق فوجدوه واقفا بمحضرة القاهر فقبضوا عليه وأخرجوه اليه فنفاه من وقته الى الموصل . واجتمع رأى مونس و يلبق وابنه والوزير أبي علي على الايقاع بمحمد بن ياقوت والنداء في أصحابه^(٤١٢) الا يقيموا ببغداد .

فلما كان يوم الاربعاء ليلة خلت من جمادى الآخرة خرج على بن يلبق في الجيش ومعه طريف السبكري لايقاع بمحمد بن ياقوت وبلغ محمد ابن ياقوت ذلك فأنكشف من معسكره من ميدان الاشنان وطلبه على بن يلبق فلم يقف على خبره وذلك انه دخل الى بغداد واستتر بها وتفرق رجاله وانصرف على بن يلبق من فوره الى دار السلطان وأوقع التشدد على القاهر ووكل بالدار أحمد بن زيرك وأمره ان يفتش كل من يدخل ويخرج من الرجال والنساء والخدم ويفتش كل ما يدخل الى القاهر ففعل أحمد بن زيرك ما أمر به حتى بلغ الامر به أن فتش لبناً حمل الى القاهر وأدخل يده فيه لئلا

يكون فيه رقعة . ونقل على بن يلبق المحبوسين في دار السلطان الى داره من والده المقتدر وغيرها ومنع القاهر أرزاق حشمه وأكثر ما كان يقام له وطالب على بن يلبق القاهر ان يسلم اليه ما بقي عنده من الفرش وأمتعة والده المقتدر وابن الخال فسلم ذلك اليه وبيع وحصل ثمنه في بيت المال وأطلق للجند . وباع أبو على ابن مقله من الضياع وأملاك السلطان تمام^(١٣) الصاة للبيعة بألف وأربعمائة ألف دينار مع ما باعه الكلوذاني أيام خلافته أيّاه قبل قدومه من شيراز . ومكثت والده المقتدر عند والده على بن يلبق مكرمةً صرفته مدة عشرة أيام وماتت لست خلون من جمادى الآخرة لزيادة العلة عليها ولما جرى عليها من مكاره القاهر ختمت الى ثرتها بالرصافة ودفنت فيها .

وفيها هم على بن يلبق والحسن بن هرون كاتبه باع معاوية بن أبي سفيان على المنابر فاضطربت العامة من ذلك وتقدم على بن يلبق بالقبض على البربهاري^(١) رئيس الحنبلية فنذربه وهرب وقبض على جماعة من كبار

(١) هو الحسن بن علي بن خلف أبو محمد البربهاري الفقيه العابد شيخ الحنابلة بالعراق ومات سنة ٣٢٩ كذا في تاريخ الاسلام للحافظ الذهبي وفي ترجمته انه كان شديداً على المبتدعة له صيت عند السلطان وجماله وكان عارفاً بالمذهب أصولاً وفروعاً وصحب سهل بن عبد الله التستري وانه لما قبض على أصحابه استتر هو وأعاده الله الى حشمته وزادته . ثم لم تزل المبتدعة يوحشون قلب الراضى بالله عليه (وهذا في سنة ٣٢٢ كما سيأتي ذكره) فاخفى البربهاري الى ان توفي مستتراً ودفن في دار أخت ٣٣ زون مختلفاً . فقيل انه لما كفن وعنده الخادم صلى عليه وحده فنظرت من الروشن ست الخادم فرأت البيت . لأن رجالاً بياض يعض يعضون عليه نخافت وطلبت الخادم تهدده كيف أذن للناس خلف ان الباب لم يفتح . ويقال انه تنزه عن ميراث أبيه لم يأخذه وكان سبعين ألفاً .

أصحابه وجعلوا في زورق مطبق وأحذروا الى البصرة
وفيها نفذت حيلة القاهر على مونس المظفر وانعكس ما دبره الوزير أبو علي
ابن مقلة من القبض على القاهر حتى قبض على مونس ويلبق وابنه وهرب
أبو علي بن مقلة والحسن بن هرون

﴿ ذكر انعكاس هذا التدبير ﴾

لما ضيق على بن يلبق على القاهر وعومل بما ذكرناه أخذ القاهر في
الحيلة على مونس وأصحابه وابنه فساد نية طريف السبكري وبشرى ليلبق
وابنه^(١٤) ومنافستهما إياهما على مراتبهما الجليلة ثم علم أن مونساً ويلبق أكثر
اعتمادهما إنما هو على الساجية وكانا وعداهم بالموصل إذا دخلا بغداد أن يجملاهم
برسم الحجريه وأنهما ماوفيا لهم بذلك وإن نياتهم متغيرة لهما. فراسل القاهر
الساجية وهزّبهم على مونس ويابق وضمن لهما أن ينقلهم الى رسم الحجريه
(وكان الساجية يقبضون في كل ستين يوماً برسم الممالك والحجريه يقبضون
في كل خمسين يوماً) وإن يلحقهم في النزل والعلوفة بالحجريه .

وكان بين اختيار القهرمانة وبين أبي جعفر محمد بن القاسم بن عبيد الله
معرفة قديمة وبينها وبين والدته مخالطة فأشارت على القاهر بمكاتبتة وأن
يعده بوزارته ليعاونه على التدبير على مونس وأصحابه وأشارت على محمد بن
القاسم بأن يكتب القاهر ويصدقه عن تدبير أبي علي بن مقلة وابن يلبق عليه.
وكانت اختيار هذه تخرج من دار السلطان الى دار القاهر القديمة التي في دار
ابن طاهر وتظهر أن خروجها في حوائج حرم القاهر وولده فاذا كان بالليل
صارت الى محمد بن القاسم ولقيته . وبلغ أبا علي ابن مقلة أن القاهر قد جدّ
في التدبير عليه وعلى مونس ويابق وابنه^(١٥) والحسن بن هرون وحملهم على

الجد والمبادرة الى خلعه من الخلافة واتفق رأيهم على تقليدها أبا أحمد ابن
المكتفى بالله وواقفوا شاذ مروز حماة ابراهيم بن خفيف صاحب ديوان
النفقات وكانت متحققة بابي أحمد على ما دبروه وعقدوا الامر سرّاً لابي أحمد
ابن المكتفى بالله وحلف له يلبق وابنه وأبو علي ابن مقلة والحسن بن
هرون ثم كشفوا ما فعلوه لمونس فقال لهم مونس : لست أشك في شر
القاهر وقد أسرفتم في الاستهانة به وأخطأتم في تقليده الامر فلا تعجلوا
الآن وترفقوا حتى تؤنسوه ويأنس وينبسط اليكم ثم حينئذ تقبضون عليه.
فقال علي بن يلبق والحسن بن هرون : الحجة الينا والدار في أيدينا وما نحتاج
ان نستعين باحد في القبض عليه لانه بمنزلة طائر في قفص. وعملوا على معاجلته
فاتفق ان ركب يلبق الى الميدان فصدمه خادم له فسقط واعتل ولزم
منزله وتمكن علي بن يلبق من متابعة ابن مقلة وحسنوا الامر عند مونس
وهو نوه عليه وعلى يلبق حتى أذنا فيه . فلما كان يوم السبت سلخ رجب
انصرف أبو علي ابن مقلة من دار السلطان واجتمع اليه كتابه وأخوه ومن
جرى عادته بمواكلته^(٤١٦) وفيهم أبو بكر ابن قرابة فلما فرغ من طعامه
التفت الى أبي بكر ابن قرابة فقال له : قد وافى صديقك الترمطي الى
الكوفة في ثلاثة آلاف راحلة ومعه صاحبه فلان ودخل الكوفة ونادى
بانه قد آمن الرعية سوى أصحاب المعروف بمحمد الملقب بالقاهر . فقال ابن
قرابة : أيها الوزير هذا باطل لان ابن بسر الكوفي جاري واليوم كان عندي
وقد وقعت عليه أطيأر باخبار السلامة . فقال أبو علي : سبحان الله أنت وابن
بسر أعرف من صاحب المعونة بالكوفة وقد سقط من عنده طائر علي أبي
الحسن ابن يلبق وقد جاءني سعيد بن حمدان ومعه رجل من الاعراب قد قتل

نفسه وقطع عدة من الافراس نخبر عن معاينة وشاهدة . وكان ابن مقلة قد واطأ سماعيل بن حمدان على ذلك . ثم دعا بالدواة وثلاث قرطاس وكتب بخطه الى القاهر رُقعة يقول فيها : ان القرمطي الهجري المعروف بابي طاهر قد وافى الكوفة في ثلاثة آلاف راحلة فنزلها وسقط على من عامل الخراج وعلى علي بن يلبق من عامل المعونة طائران بكتابين بتاريخ يومنا هذا بنزوله ونزول أصحابه بها واني انا ويلبق سترنا ذلك عن القواد^(١١٧) والجند وخواص الدولة لئلا يذيع الخبر وتضعف قلوب الاولياء وقد اتفقت مع مونس على اخراج علي بن يلبق مع أكثر قواده وقواد أيه الى نواحي الكوفة ليدفع القرمطي عن الرحيل منها الى بغداد وهو يخرج في سحر غد ماراً الى حصر من حيث لا يضرب بباب بغداد مضرباً حتى يلحق به الرجال وقد وجهه النقباء في عشية يومنا وقد وافقت علي بن يلبق على الرواح الى دار مولانا أمير المؤمنين ليصل اليه ويودّعه وعملت على التأخر لئلا يشيع الخبر بحضورى في غير وقت حضور مثلى الدار وينسد التدبير في خروج علي بن يلبق بكرة غد وأنهيت ذلك الى أمير المؤمنين ليقف عليه ويسكن الى ما دبرته وينعم بايصال علي بن يلبق اذا حضر العشية ان شاء الله . وأتخذ الرقعة ونام فكتب القاهر في جوابها : وانه استصوب فعله وبانه يوصل ابن يلبق اذا حضر . ولما انتبه ابن مقلة من النوم لم ينتظر ورود جواب رقته الى القاهر وأعاد اليه رُقعة ثانية بمثل ما كتب به فلما وصلت الثانية الى القاهر ولم تكن الحال تقتضيها لنفوذ جوابه عن الاولى استراب وخاف ان تكون حيلة عليه . ثم نم اليه^(١١٨) الخبر من جهة طريف السبكرى بما عمل عليه علي بن يلبق من القبض عليه اذا أوصله اليه فاخذ القاهر حذرته وراسل

الساجية بالحضور وعرفهم ان علي بن يلبق يحضر لحياسة يوقعها فحضروا متفرقين . فلما كان بعد العصر حضر علي بن يلبق وفي رأسه نبيذ ومعه عدد يسير من غلمانة بسلاح خفيف في طياره وأنفذ جماعة من غلمانة بسلاح الى دار السلطان وصعد من طياره في الروشن وراسل القاهر يسأله ايصاله اليه فدافعه القاهر الى أن حضر الساجية كلهم بالسلاح . فبرزوا اليه وشتموه وعملوا على القبض عليه وحامى عنه غلمانة وحاجبه ابن خندقوقي وحالوا بينه وبينهم ونادى بهم وطرح نفسه من الروشن الى الطيارة وعبر واستتر من ليلته . وبلغ ابن مقله الخبر فاستتر من ليلته واستتر الحسن بن هرون وأبو بكر ابن قرابة وانحدر يلبق الى دار السلطان وانحدر بالانحداره جميع من حضر دار مونس من القواد . وقدّر يلبق انه يمسح القاهر ويعتذر لابنه فلما حصل في الدار قبض عليه وحبس وقبض على أحمد بن زيرك وعلى يمن الاعور صاحب الشرطة وحصل الجيش ^(١٩) كله في دار السلطان .

فراسل حينئذ القاهر مونساً وسأله الانحدار اليه ليشاوره فيما يعمل وقال له : أنت عندي كالوالد وما أحب أن أعمل شيئاً ولا أمضى عزماً الا عن رأيك فاعتذر مونس بثقل الحركة عليه وألح القاهر في طلبه وسأله الحمل على نفسه فاستقبح له طريف السبكري التأخر وحمله على الانحدار فلما حصل في الدار قبض عليه وحبس

﴿ وزارة أبي جعفر محمد بن القاسم ﴾ ^(١)

فسكانت وزارة علي ابن مقله للقاهر تسعة أشهر وثلاثة أيام ووجهه القاهر الى أبي جعفر محمد بن القاسم بن عبيد الله فاستحضره يوم الاحد

مستهل شعبان فلقية وقلده وزارته ودواوينه وخلع عليه من غد وهو يوم الاثنين خلع الوزارة ووجه القاهر من يومه بمن استقدم عيسى المتطبيب من الموصل وطرحت النار في دار أبي علي ابن مقلة بباب البستان وأحرقت ووقع النهب ببغداد . وظهر محمد بن ياقوت وصار الى دار السلطان وخدم في الحجة يومه ذلك ثم وقف على كراهية طريف السبكرى والساجية والحجرية اياه فاحتال الى ان تم له الهرب واستتر وانحدر الى أبيه وهو بفارس (٢٠) فلم يتجاوز كورة ارجان ولا لقي أباه . وكان جالس في الماء بزي أصحاب البحار (١) وركب البحر ووافى مرويان وجاء ليلا الى ارجان فنزل على أبي العباس ابن دينار . وحمل اليه أبوه مالا وكسوة ودواب وكانت له على فارس تسبيبات فاستوفاهما وخلق به رجاله وكاتبه القاهر بما يسكنه منه وأعلمه انه عجل على نفسه واستوحش وقلده المعاون بكور الاهواز فاقام بارجان حتى اعتل وكان يفسد مزاجه ثم انتقل الى رامهرمز . وكان القاهر قد كاتب مر داويج بالاخراج عن أصبهان ليقلده الري والجل ويصير في جملة الاولياء ويزول عنه العصيان فاتم له . وكاتب وشمكير بالانصراف عن أصبهان فانصرف وبقيت شاعرة سبعة عشر يوما خالية من مدير وكاتب القاهر محمد ابن ياقوت بتقليده أصبهان وأمره ان يسير اليها وكان ذلك بمقرب هزيمة المظفر بن ياقوت وبمسد انصراف علي بن بويه من أصبهان . فاخذ محمد بن ياقوت في التأهب فبقى هو كذلك اذ ورد عليه الخبر بخلع القاهر فانتكث أمره . ولما استتر علي بن يلق وهرب محمد بن ياقوت استعجب القاهر

(١) وفي التلملة : بزي الصوفية

سلامة الطولوني وطلب المستترين وقلد أبا العباس أحمد بن^(٤٢١) خاقان الشرطة
ببغداد وطلب أبا أحمد ابن المسكتفي فوجده مستترا في دار عبد الله بن الفتح
فقبض عليه وتقدم القاهر بان يقام في فتح باب ويسد عليه بالحص والآخر
وهو حتى فعمل^(١) وأمر بنهب دور بني مقلّة ودار الحسن بن هرون ودار
أبي بكر ابن قرابة . ووجد علي بن يلبق مستترا بقرب باب المقبرة وكبس
وأخذ من تنور كان دخله لما أحس بالسكاس وأطبق على نفسه بغطاء التنور
وقد كان خفي أمره وخرج من كان يفتش عنه حين لم يجده فاتفق ان تأخر
بعض الرجال لطلب شيء يأخذه من الدار فأنتهى الى التنور وطلب فيه خبزا
يابسا فلما كشفه وجد علي بن يلبق فصاح حتى رجع القوم وأخذوه وحملوه
الى دار السلطان . وضرب بحضرة القاهر ضرباً مبرحاً فافر بمشيرة آلاف
دينار فوجدت وصححت في بيت المال ثم أعيد الضرب عليه فلم يوجد له
غيرها وحبس

وكان الحسين بن القاسم بن عبيد الله مستترا فراسله أخوه الوزير محمد
ابن القاسم بن عبيد الله وسأله ان يظهر ويعينه حتى يقامه ديوان السواد
وديوان الجيش وديوان النفقات ويستخلف له السكاواذى وابراهيم بن
خفيف وعثمان بن سعيد^(٤٢٢) وحلف له بحضرة السفير الذي كان بينهما بالله
العظيم وبسائر ايمان البيعة بعق ممالكه وبطلاق نسائه على صحة ضميره له

(١) وفي تاريخ الاسلام في ترجمة سنة ٣٢١: قال ثابت بن سنان : قبض المقتدر على أبي
أحمد بن المسكتفي واعتقله لانه بلنه ان جماعة سمعوا في خلافته . وذكر أيضاً عن الصولي أن
القاهر ضربه ضرباً مبرحاً يقرره على المال فما دفع اليه شيئاً ثم أمر به فلف في بساط الى
أن مات رحمه الله

وبأن باطنه له مثل ظاهره فيما بذله له وكتب له بذلك رقعة بخطه أشهد فيها الله على نفسه وتسلم ذلك السفير وحمله الى الحسين فأعاد عليه ما جرى ولم يزل محمد يتوقع أخاه الى آخر النهار . فحكي ابن أخيه القاسم بن الحسين ان عمه الوزير أبا جعفر صار في الليلة الى الحسين أخيه وليس معه غلام نخطابه في الظهور وسأله معاوته بنفسه وأعاد عليه تلك الايمان حتى وعده بالروح اليه وعرف الحسين أصحابه فاجتمعوا بالعشي له وركبوا بركوبه وصار الى أخيه وكان الوزير أخوه قد أعد له زورقا مطبقا فلما حصل عنده أمر بتحصيله في الزورق . فوقفت والدته على خبره فجاءت حتى وقفت له على شاطئ دجلة في الموضع الذي ينزل منه الى طباره وهناك خلق من الناس فاستغاثت اليه وكشفت شعرها بين يديه وأظهرت ثديها وحلقته بكل حق لها عليه ان يطلق ابنها فلم يلتفت اليها ولا يفكر فيها وجلس في طيآره وانحدر الى دار السلطان فلم يبق أحد ممن حضر^(٢٢٣) الا استتبع فعله ودعا عليه وذهب حكي للقاهر انه انما طالب أخاه الحسين ونفاه الى الرقة لما كان يمتد من مذهب ابن أبي العزاقروانه خاف منه على الدولة . فوكل القاهر بدور بني بسطام لما كان يذكر عنهما في اعتقادهما لدين ابن أبي العزاقر

﴿ ذكر مقتل مونس ويليق وعلی ابنه ﴾

اضطرب حال مونس ويليق وشغبوا وشغب معهم سائر الجيش وخرجوا الى الصحراء ثم قصدوا دار الوزير أبي جعفر محمد بن القاسم وأحرقوا روشنه ونادوا بذكر مونس فكان ذلك سبب القتل لمونس . ودخل القاهر الى الموضع الذي كان فيه مونس ويليق وابنه معتقلين فدُبح على بن يلبق بحضرته ووجه برأسه الى أبيه فلما رآه جزع وبكى بكاء عظيما

ثم ذبح يلبق ووجه برأسه ورأس أبيه الى مونس فلما رآهما لعن قاتلها فأمر به فجرت برجله الى البالوعة وذبح كما يذبح الشاة والقاهر يراه . وأخرجت الرأس الثلاثة في ثلاث طسات الى الميدان حتى شاهدها الناس وطيف برأس علي بن يلبق في جانبي بغداد ثم رُدَّ الى دار السلطان وجعل مع سائر الرؤس في خزانة الرؤس^(٢٤) على الرسم^(١)

قال ثابت : فحدثنا سلامة الطولوني الحاجب انه لما أخرج اليه رأس مونس ليصاحبه فرغ الدماغ منه ووزنه فكان ستة أرطال وسمعت انا ذلك من الجفني وكان حاضره

ومما جرى في ذلك انه كبس جماعة من الفرسان والرجالة أبا بكر ابن نباتة العدل الدقاق في درب الريحان وأظهروا أن السلطان وجه بهم لطلب الحسن بن هرون وأخذوا من منزله ثلاثين ألف دينار وطرحوا منديلا على رأس واحد منهم وأخرجوه وأظهروا انه الحسن بن هرون فركب أحمد بن خاقان في طلب القوم فظفر بواحد منهم وقرره فاقر على جماعة ظفر ببعضهم ووجد اليسير من المال وقتل من وجد من هؤلاء الكباشين.

(١) زاد صاحب تاريخ الاسلام . ثم ذبح يمن وابن زيرك ثم أطلقت أرزاق الجنود فسكنوا واستقامت الامور للقاهر وعظم في القلوب وزيد في القابه « المنتقم من أعداء دين الله » ونقش ذلك على السكة . ثم أحضر عيسى المتطبب من الموصل وأمر أن لا يركب في طيار سوى الوزير والحاجب والقاضي وعيسى المتطبب . وقال أبو بكر الصولي في كتاب الاوراق : حدثني الراضي قال : لما قتل القاهر مونساً وباق وابن يلبق أنفذ رؤسهم الى مع الخدم يهددني بذلك وأنا في حبسه لأنني كنت في حجر مونس ففطنت لما أراد وقت « ليس الا مغالطته » فسجدت شكر الله وأظهرت للخدم من السرور ما حملهم على ان جعلوا التهديد بشارة وجعلت أشكره وأدعوله فرجعوا بذلك

وفيهما خرج أمر القاهر بتحريم القبان والخمر وسائر الانبذة وقبض على من عرف بالغناء من الرجال والمخانيث والجواري المغنيات فنفي بعضهم الى البصرة وبعضهم الى الكوفة ويبيع الجواري على انهن سواذج^(١) وكان القاهر مع ذلك مولعا بشرب الخمر ولا يكاد يصحو من السكر ويسمع الغناء ويختار من جواري القيان من يريد

وسعى بابي عبد الله ابن مقلّة^(٢) ^(٢٥٠) فوجد وقبض عليه ووجد عنده خطوط أخيه أبي علي في رقاع فحمل الى دار الوزير أبي جعفر فسأله عن من كان يوصل اليه الرقاع فذكر ان أبا عبد الله محمد بن عبدوس الجهشياري^(٣) كان ينفذها اليه فقبض عليه وعلى أخيه وسئلا عما يعرفان من خبر أبي علي بن مقلّة فحلفا انهما لا يعرفان له خبراً منذ استتر وعرف القاهر انهما من قواد السلطان وسئل أمرهما فأطلقا ولم يستترا وكانا يركبان في أيام المواقب الى دار السلطان .

(١) ساذجة غير بالغة : كذا في لسان العرب ٣ : ١٢١ (٢) وردت ترجمته في كتاب ارشاد الارب ٣ : ١٥٠ (٣) هو مذكور في كتاب الفهرست ص ١٢٧ وفيه انه صنف كتاب الوزراء ذكره هلال الصابي في كتاب الوزراء ص ٢ ونقل منه أبو علي التنوخى في الفرج بعد الشدة ١ : ١٠٨ وتوجد نسخة كتاب الجهشياري في كتيبخانة بن وقال في حقه أبو بكر الصولى في كتاب الاوراق (في سنة ٣٢٤ في وزارة أبي جعفر الكرخي) : وقبض على أبي عبد الله ابن عبدوس وصودر على مائتي ألف دينار فتكلم سعيد بن عمرو في خطبته والوزير يخالفه حتى شق الامر بينهما فكان ذلك سبب زوال الكرخي وقال أيضاً انه في سنة ٣٢٦ هجم الوزير الفضل بن جعفر بن الفرات بعقب خروجه الى الشام على أبي عبد الله ابن عبدوس وطواب بمال عظيم ثم تقرر أمره على خمسة عشر ألف دينار وأخذت منه بالوف منها جارية حسنة كانت له وترك له من أجلها الباقي

وقبض الوزير أبو جعفر على أبي جعفر محمد بن شيرزاد واحتج عليه بأنه قد تقلد أعمالاً جليلة وابتاع من المبيع ضياعاً كثيرة وان ارتقاه قد بلغ الف الف درهم في السنة فتوسط بينه وبينه اسحاق بن اسماعيل وأخذ خطه بعشرين الف دينار وأطلق الى منزله من يومه

﴿ ذكر السبب في تقليد أبي العباس الخصبي الوزارة ﴾

كان بنو البريدي بعد استتار ابن مقلّة والجماعة استتروا فقلد الوزير مكانهم على أعمالهم أبا جعفر محمد بن القاسم السكرخي فتوسط اسحاق بن اسماعيل أمرهم فأخذهم^(٢٦) اماناً من الوزير حتى ظهروا: ثم أشار اسحاق على الوزير أبي جعفر بأن يخاطب القاهر في أمر بني البريدي ويعرفه أن الوجه ردهم الى ضماهم بالبصرة والاهواز فقبل الوزير مشورته وخاطب الخليفة وعرفه انه ذامّ ل محمد بن القاسم السكرخي لتقصيره في أمر استخراج الاموال وحملها وان البريديين أقوم بذلك وأطمعه في أن يزداد عليهم في مقدار مال الضمان فوعده القاهر وقال: حتي أنظر في ذلك . واستدعى القاهر عيسى المتطبب وأعاد عليه ما جرى وكان عيسى كارها للوزير محمد بن القاسم لانه لم يكن له مدخل في تقليده الوزارة اغييته بالموصل فطعن على هذا الرأي وعلى الوزير أبي جعفر وأشار بتقليد الخصبي الوزارة فأمره القاهر بلقاء الخصبي ومسلته عما عنده في أمر البريديين وغيرهم فصار اليه وتقرر الامر معه وضمن استخراج أموال جليلة

وكتب الى القاهر على يد عيسى انه متى ظهر انه تقلد الوزارة استتر من عنده الاموال التي وعد باستخراجها وان الوجه أن يتقدم الى الوزير بالقبض على جماعة سماهم على مهل فاذا قبض عليهم وجه القاهر فحملهم الى داره وانزعهم

من يد الوزير فتركهم معتقلين أياما ثم قبض على الوزير محمد بن القاسم .
فجعل القاهر ذلك ^(٢٧) وتقدم الى سابور الخادم بالمصير الى دار الوزير والقبض
على بني البريدي واسحاق بن اسماعيل فوجه سابور بثمة له الى دار الوزير
لينظر هل يجد فيها بني البريدي واسحاق بن اسماعيل فيرجع اليه بالخبر . وكان
بنو البريدي قد نصبوا أصحاب أخبار على سابور وسلامة وأصحاب القاهر
فبلغهم ما تقدم به سابور الى الرجل الذي وجه به يتعرف أخبارهم فاستتروا .
وكان سابور قد قال لثقافته : ان الخليفة امرني بتفتيش دار اسحاق لانه قد
بلغه أن جواريه قد سترن جماعة من جوارى القيان . وأمرهم أن يستعدوا
للكوب معه فبلغ الخبر اسحاق من وقته ولم يقع له ان ذلك لمكروه يراه
به فقال لجواريه . ان صار اليكم سابور بطلب المغنيات فلا تمنعوه ودعوه
يفتش . وانحدر هو الى دار الوزير وصار سابور الى دار الوزير أبي جعفر
فوجد اسحاق بحضرته فقبض عليه وحمله الى دار السجن

ووجه القاهر بمن كبس دُور البريديين فلم يوجدوا وكبست دُور اسحق
في النوبختية وعلى شاطئ دجلة وتهارب حرّمه وولده وسلموا وقبض على
أحمد بن علي الكوفي كاتبه . واستحضر القاهر على بن عيسى وعرفه انه
ليس ^(٢٨) لوزيره نظراً في أعمال واسط وسقي الفرات وكانت في ضمان
اسحق وقلده هذه الاعمال واعتمد في تدبير المماون فيها عليه ووقع له بخطه
فتقلده على بن عيسى

وورد الخبر بموت أبي علي أحمد بن محمد بن رستم باصهبان ^(١) وان المظفر

(١) وفي ارشاد الارب ٦ : ٤٢١ انه رتب مكانه أبو مسلم بن بحر (المتقدم ذكره ص ٦٠)
ف عزل هو بدخول على بن بويه اصبهان بعد هزيمة المظفر بن ياقوت (سيأتي ذكرها)

ابن ياقوت مدّ يده الى ماله ودوا به خازنها لنفسه وكان المظفر اليه اعمال
المعاون باصبهان فتشكر القاهرة له ولا يسه ولا خيه . وسعى بأبي يوسف
البريدي فكبس عليه واخذ وحمل الى دار الوزير محمد بن القاسم فأجل
عشرته وكتب القاهرة الى الوزير بأن يقرّر معه مصادرتة ومصادرة أخوته
فأحضره الوزير وخاطبه وسامه ان يقرّر الامر معه في مصادرتهم فقال له
أبو يوسف : اذا وثقنا بأن الامر لك وانك مقرّ على الوزارة قررنا الامر
معك فاما ونحن نتحقق ان الوزارة لغيرك فلا يجوز فصل الامر معك . فلما
كان يوم الثلاثاء لثلاث عشرة خلت من ذى القعدة انكشف القمر وقبض
القاهر على الوزير محمد بن القاسم أنفذ اليه ساجور الخادم فأخذه وأخذ من
وجد في داره وفيهم أبو يوسف البريدي وغيره فنقلهم الى دار السلطان
فكانت ^(٤٢٩) مدّة وزارة أبي جعفر محمد بن القاسم بن عبید الله بن سليمان
للقاهر ثلاثة أشهر واثني عشر يوماً .

ووجه القاهرة الى اسحق بن علي القنائي وأحضره وأحضر معه عبد
الوهاب بن عبد الله الخاقاني على ان يقلّد أحدهما الوزارة والاخر الدواوين
فلما حضرا قبل القواد أيديهما وجلس بين أيديهما سلامة الحاجب فلم يابث
ان خرجت رسالة القاهرة بالقبض عليهما وإدخالهما الحبوس الغامضة .
ثم وجه القاهرة الى سليمان بن الحسن واستحضره للوزارة وحضر في طياره
وتلقاء القواد والناس وقبلوا يده وجلس الاستاذون بين يديه في دار السلطان
ووجه القاهرة من قبض عليه وأدخله الحبوس الغامضة . ووجه الى الفضل
ابن جعفر الوزارة وقد ظهر ما عمله بالخاقاني وبسليمان فاستتر الفضل ولم
يقرّر الوزارة لاحد في ذلك اليوم .

فلما كان من الغد تقدّم القاهر الى عيسى المتطّيب ان يحضر الخصبي يوم الخميس ويأمره بالتأهب للوزارة وان يحضر بسوادٍ وسيف ومنطقة فراسله عيسى بذلك فحضر كما رُسم له وخلع عليه خلع الوزارة وركب فيها الى داره ولقيه الناس فهتّوه^(٣٠) ونظر في الدواوين وقلدها من استصلاحه. ونصب ديواناً للمبيع واحضر الناس وناظرهم والزمهم لفضل ما بين المعاملتين خمسين ألف دينار وكتب لهم شروطاً ووقع لهم فيها بالامضاء وصادر الناس وقبض على خلق.

وتوسط عيسى وسلامة الحاجب أمر البريديين بعد مكاره عظيمة لحقت أبا يوسف على اثني عشر ألف ألف درهم وكتبت الامانات لـ احمد وعليّ ابني البريدي بخط الخليفة والوزير واشهدا القضاة والعدول فيها على أنفسهما فظمرا. فحكى أبو زكريا السوسى وأبو سعيد ابن قديدة ان أبا عبد الله البريدي حضر عند أبي العباس الخصبي بطليسان وعمامة وخفّ وهما معه فاستخلاه المجلس فاخلاه له فعاتبه عتاباً طويلاً وذكره بحقوق كثيرة وضروب من الخدمة خدّمه بها في أوقات مختلفة عند نكبات كانت للخصبي وقال له في آخر كلامه : انما اعددتك بجميع هذا للدنيا لا للآخرة وأنت معذور في أمر المال لانك تزعم انه بأمر الخليفة وطاعته واجبة وفي ضربك أبا يوسف لانه تمان عليك لم ذكرت أمّ أبي يوسف وهي أمي ولم استحسنّت قدّرها اما استحققت عليك بجميع^(٣١) حقوقى هذه ان تصونها عن الذكر بالقبيح لاجلى ، فحجل الخصبي وقال : صدقت كان يجب ان أفعل ذلك ولكن لم أضبط نفسى عند الغيظ وأنا معتذر اليك ودع

ما مضى الخليفة مقيمٌ على انه لا بدّ من الف الف دينار وقد وصفتك لأُمير المؤمنين وقلتُ « أبو يوسف حرجُ الصدر وأبو عبد الله أخوه رَحْبُ الصدر ولا يخالف أمير المؤمنين » ولولا ذلك لَنقل أبا يوسف اليه ولما امنتُ عليه فأحبُّ ان تكفيني امركا فحسبي حيائي مما مضى واكتب خطك بزيادة ألفي درهم . فقال أبو عبد الله : لقد أغنيتني أيها الوزير وما قصرت وأحسنّت العذر والتلافى . فقال له : بحياتي لما كتبت . فقال : أكتب وأنا آمن أيها الوزير مما أقول والله ما املك ولا اخواني هذا المال فان عطف الله بقلب الخليفة وقلبك علينا تصرّفنا واذينا وان حررنا ذلك استدفعنا القتل الى مدّة فان الله قد أجرى عادتنا بالكفاية ونحن نرجو تفضله . فتمسك الخصبي ولم يكن في المجلس الاّ أبو زكريا وابن قديدة مستخرجُ الخصبي : يا أبا عبد الله قد قسمت ووفيت الرأي^(١) وضحك وأخذ خطه بألفي درهم زيادة وانصرف .^(٤٣٢)

وكان أبو عبد الله البريدي قد تحقّق بأبي بكر محمد بن رائق وتناهى أبو بكر في إكرامه وواقفه أبو بكر على ان يتنجز تسببياته وتسببيات رجاله على الاهواز ويخرج اليها ويتغلب عليها . وشخص هو عن البصرة لثلاثيّم هذا الرأي بمقامه عنده فينسب اليه فلما وافى واسطا وجد بها أبا الحسن على ابن عيسى وقد عمّر واسطا فعقدّها عليه القاهر (لانه كان من قبله لا من قبل الوزير) بثلاثة عشر الف الف درهم . واشهد على أبي عبد الله البريدي بالضمان واستخلف أبو عبد الله أبا الحسن محمد بن حمد بن حمدون الواسطي وأقام مدّة خمسين يوماً بالنعمانية ينظر في أعمال الموفقي ثم مضى الى بغداد .

وركب يوماً هو وأخوه الى سوق الثلاثاء ينتظرون خروج الخصبى فراسله عيسى المتطبيب بأن القاهر قد عزم على القبض عليهم فأنحطوا عن دوابهم وغيروا زيهم واستتروا فما ظهروا حتى خلع القاهر من الخلافة وتقلدها الراضى بالله

وفي يوم الاثنين لاربع خلون من ذى الحجة من هذه السنة ورد كتاب على بن خلف بن طناب الى الخصبى يذكر فيه مصير رجل من وجوه قواد الديلم الذين كانوا مع مرداويج الى نواحى ارجان يقال له على بن بويه^(٤٣٣) وان هذا الرجل كان ضامناً لنواحى ماء البصرة فانكسر عليه مال لمرداويج ففزع منه وعصى عليه وصار فى أربعمائة من الديلم الى ارجان وتغلب عليها .

﴿ ذكر السبب فى ظهور على بن بويه والاتفاقات التى

اتفقت له حتى ملك ما ملك ﴾

كان أبو الحسن علي بن بويه وأخوه أبو علي الحسن بن بويه من قواد ما كان بن كاكي ولم يزل الحال بين ما كان وبين مرداويج جيلاً منذ اتفقا على قصد اسفار بن شيرويه وانصرافه عن قلعة سميران بالطرم . وكانا يتهاديان ويتلاطفان الى ان قتل مرداويج أسفار كما كتبنا أخبارهما فيما تقدم وملك نواحى الري والجيل واستعلى أمره وقوى بالمال والرجال . وقصد ما كان نواحى آمل وطبرستان فملكها وامتد الى نيسابور عند انصراف نصر بن أحمد صاحب خراسان عنها واشتغاله بأخويه الخارجين عليه فلما فرغ من استصلاح خراسان عاد الى نيسابور وراسل ما كان يسأله ان يعود الى مكانه وان يفرج عن نيسابور ويلطف له ويستبقى الحال بينهما ففعل ما كان ذلك وعاد الى جرجان وطبرستان

وابتدأت الحال^(١) تنقذ بينه وبين مرداويج على طريق التحاسد والتباغى فاستدعى^(٢) مرداويج خلفاءه بالجليل وأصبهان وسائر نواحيه وجميع جيوشه وسار الى ما كان فثبت له ما كان واستظهر عليه مرداويج وهزمه وملك طبرستان ورتب فيها بلقسم بن بالحسن^(٣) وكان اسفهلارده ومدبر جيشه وكان رجلاً نجداً جيد الرأي في الحرب . ثم مضى الى جرجان وكان فيها من قبل ما كان شيرزيل بن سلار وباعلى بن تركى فهربا جميعاً وملكها مرداويج ورتب فيها سرخاب بن بلوس على خلافة بلقسم بن بالحسن لان سرخاب خال ولد بلقسم فجمع لبلقسم جرجان وطبرستان وعاد الى أصبهان ظافراً غانماً . ثم قصد ما كان أبا الفضل الثائر^(٤) مستنجداً له فأكرمه وعظمه ثم سار معه بنفسه الى طبرستان وبها بلقسم بن بالحسن وكان مستعداً لهما فبرز اليهما وتحاربوا فانهزم الثائر وما كان جميعاً . فأما الثائر فعاد الى بلده بالدليم وأما ما كان فامتدّ على طريق الساحل مفلولاً ضعيفاً حتى ورد جرجان ثم منها الى نيسابور قاصداً بها أبا على أحمد بن محمد بن محتاج صاحب جيش خراسان فدخل في طاعته واستنجد به . وأقام بلقسم بن بالحسن بجرجان الى ان بلغه مسير أبي على أحمد بن محمد بن محتاج اليه مع ما كان فكتب الى مرداويج يستمدّه^(٥) فامدّه بأكثر عسكره ووجوه أصحابه وبالغ في تقويته

(١) لعله النار (٢) كذا بالاصل وفي كتاب العيون : أبو القاسم بن أبي الحسن (٣) هو أبو الفضل جعفر بن محمد الثائر بن أبي عبد الله الحسين الشاعر المحدث بن أبي الحسن على العسكري بن الحسن بن علي الاصغر بن عمر الاشرف العلوي الحسيني والحسين المحدث هو أخ لابي محمد الحسن الناصر الكبير الاطروش امام الزيدية وملك الديلم المتوفي سنة ٣٠٤ وكان وفاة جعفر بن محمد الثائر في سنة ٣٤٥ كذا في كتاب عمدة الطالب لاحمد بن علي بن عتبة : لکن مؤ ص ٣٠١

ووافى ابن محتاج وما كان فبرز اليهما وواقعهما فظهر عليهما وهزمهما فانصرفا الى نيسابور . ثم كرّ ما كان كرة أخرى على نواحى الدامغان طامعاً فى ان يستولى عليها وكان فيها من قبل مرداويج الجيش بن اوميدوار فسار اليه بلقسم بن بالحسن حتى اجتمعا على دفع ما كان فانهمز ثانياً ويثس من هذه الأعمال فانفذه صاحب خراسان الى كرمان وقتله اياها وكان بها أبو على محمد بن الياس بن اليسع وواقعه وهزم أبا على وملك كرمان على طاعة صاحب خراسان .

فأما أبو الحسن على بن بويه وأخوه أبو على الحسن فانهما عند هزيمة ما كان الاولى وضعفه انحازا الى مرداويج بعد ان استأذناه وقالا : ان الاصلح لك مفارقتنا اياك لتخفّ عنك مؤوتنا ويقع كلنا على غيرك فاذا تمكنت عاودناك . فأذن لهما واقتدى بعلى بن بويه جماعة من القواد لما صار على بن بويه وأخوه أبو على الى مرداويج فقبلهما وأكرمهما وخلع عليهما وقتل كل واحد من قواد ما كان ناحية من نواحى الجبل أما على بن بويه فانه قتله السكرج وأما الاشكرى بن مردى فانه رده الى عمله وكان متقلداً ديناوند وأما^(١٣٦) سليمان بن سركله فانه قتله همدان وكذلك سائر القواد

﴿ ذكر سبب تمّ به لعل بن بويه ولايته وصرف الباقيون ﴾

﴿ بأجمعهم قبل وصولهم الى أعمالهم ﴾

كان السبب فى ارتفاع على بن بويه وبلوغه ما بلغ سماحة كثيرة كانت فى طبيعه وسعة صدره . واقترن بهذا الخلق الشريف خالق آخر اشرف منه وهى شجاعة تامة كانت له واتصل بجميع ذلك اتفاقات محمودة ومولد سعيد . فمن ذلك انه لما قتله السكرج وقتل الجماعة المستأمنة معه النواحى التى ذكرناها

وكتبت لهم اليهود ووردوا الرى وبها وشمكير وأبو عبد الله الحسين بن محمد الملقب بالعميد (وهو والد أبي الفضل ابن العميد وزير ركن الدولة) وكان ناظراً في الامور بالرى فعرضت عليه بغلة حسنة كانت لعلی بن بويه أراد بيعها والاستمانة بثمنها وكان ثمنها ثلاثة آلاف درهم قيمتها مائتي دينار فاشترها وحمل المال اليه فظهر لعلی بن بويه أنها تشتري لأبي عبد الله العميد فقادها اليه وحلف ألا يأخذ ثمنها ثم تابع ذلك بملاطفات كثيرة الى ان غمره بالبر. ثم أوجب الرأى عند مرداويج ان يتعقب ما أمر به من تولية^(٤٣٧) أولئك القواد وكتب الى أخيه وشمكير والى أبي عبد الله العميد بمنعهم من الخروج من الرى وان كان بعضهم خرج مُنْع من بقي . وكانت الكتب تصدر أولاً الى العميد فيقف عليها ثم تعرض على وشمكير جملها فحين وقف على الكتاب تقدم الى على بن بويه سرّاً أن يبادر الى عمله فسار من وقته وساعته وطوى المنازل وأصبح العميد من الغد فأظهر الكتب فلما عرضها على وشمكير كان قد صار على بن بويه على مسافة بعيدة فمُنْع من لم يكن خرج من أولئك القواد . وفاز على بن بويه بالولاية التي كانت سبب ملكه وتمكنه وليس يُعرف لجميع ذلك بعد قضاء الله عز وجل سبب الآسقاء وسعة صدره . فلما وصل الى السكرج ابتدأ بالاحسان الى الرجال وملاطفة عامل البلد فكان العامل يكتب يشكره وضبطه الناحية وحمايته . واتفق ان افتتح قلاعاً كانت في أيدي الخرمية في تلك الاطراف ووقع بين أربابها خلاف فأنحاز بعضهم اليه وأظهره على ذخائر جليمة صرفها كلها الى استمالة الرجال واستعطاف القلوب . فلما عاد مرداويج الى الرى سبب أموال جماعة من

قوّاده^(٤٣٨) على ناحية الكرج وفيهم ابراهيم بن سياره^(١) المعروف بكاسك وجماعة أكبر منهم فاستمالهم على بن بويه وأفضل عليهم حتى أوجبت الجماعة طاعته . فأتصل ذلك بمرداويج فأوحشه ذلك وندم على إخراج أولئك القوّاد الا كابر اليه وكاتبه بالمصير اليه وكاتب القوّاد بمثل ذلك . فدافعه وتعال عليه ورفق به الى ان أخذ اليهود والمواثيق عليهم وعلم استيحاء الجماعة وخوفهم من غدر مرداويج وسطوته فحينئذ خرج بهم عن الكرج وجمع أكثر ما قدر عليه من المال . واستأمن اليه من جرباذقان شيرزاد أحد قوّاد الديلم في أربعين رجلاً فقويت نفسه وعرض رجاله فكانوا ثلاثمائة رجل وكسرا لسكرتهم أعيان ونخب مستظهرين بالآلات والمدد وتوجه الى أصفهان وبها أبو الفتح ابن ياقوت في نحو عشرة آلاف وأبو علي ابن رستم يلي الخراج فتقدم اليهما كتباً جميلة وعرفهما انه ينحاز اليهما داخلا في طاعة السلطان فدافعا عن ذلك . وكان أبو علي بن رستم أشد الناس كرهاً له وانكاراً لقدمه . واتفق موت أبي علي ابن رستم وبرز أبو الفتح ابن ياقوت^(٤٣٩) حتى صار من أصفهان علي ثلاثة فراسخ . وكان في أصحاب ابن ياقوت ديلم وجيل كثير مقدارهم ستمائة رجل وكانوا يسمعون فضل علي بن بويه وعطاءه وسعة صدره فاستأمنوا اليه وواقعه الواقعة وانهمز ابن ياقوت لما ضعف بالتمان هؤلاء ولما ظهر له من ثبات الديلم واضطراب أصحابه ومضى نحو فارس . وملك علي بن بويه أصفهان فقوى شأنه وكبر في عيون الناس لانه هزم بمائتين من أصحابه ألوفاً والوفاء من أصحاب السلطان وبلغ ذلك مرداويج فأقلقه ودبر في أمرهم تدبيراً لم يتم له

﴿ ذكر حيلة مرداويج التي لم تتم له ﴾

أشفق مرداويج أن يستأمن أصحابه إلى علي بن بويه لما يسمعون من اقباله ولما انتشر من صيته وفيض عطائه ولأن سيرة مرداويج كانت سيرة صعبة لا يسكن إليها أحد ولا يصبر عليها من له نفس أبية فرأى أن يرسل إلى بن بويه بعتاب وتأنيس ويرفق به ويستدعي جوابه وضمن ضمانات له يرغب في مثلها ووجه في أثره أخاه وشمكير في عسكر عظيم كشيء قوي فلم على بن بويه أن الرسالة لا تشبه التأهب له ^(٤٤٠) فنذر به فرحل عن أصبهان بعد أن جباها شهرا وتوجه إلى أرجان وبها أبو بكر ابن ياقوت فاهزم بين يديه إلى رامهرمز من غير حرب ودخلها علي بن بويه واستخرج منها أموالا قوى بها .

ووردت عليه كتب أبي طالب زيد بن علي النوبندجاني يستدعيه ويشير عليه بالمسير إلى شيراز ويهون عنده أمر ياقوت وأصحابه أهوره في جباية الأموال وكثرة مؤناته ومؤنة جنده وثقل وطأتهم على الناس مع فشلهم وخورهم . فاشفق على بن بويه أن يلتقي ياقوتا مع صيته وكثرة رجاله وأمواله وحصول ابنه أبي بكر بن ياقوت من ورائه فابى على أبي طالب وتمنع عليه ولم يقبل مشورته . فشجته أبو طالب وأعلمه أنه أن توقف لم يأمن أن يتفق بين ياقوت ومرداويج أمر يجتمعان له عليه وإن أعداءه كثير ومتى اجتمعوا عليه لم يقيم لهم وتمكنوا بطول الزمان من التدبير عليه وربما لحق مدد السلطان فتجتمع الجيوش من كل وجه والصواب لمن كان في مثل صورته أن يبادر ويماجل من بين يديه ولا ينتظر بهم الاحتشاد وإنشاء التدابير عليه ولم يزل يرسل إلى بن بويه ويهون عليه الخطب أن يبادر ويعظمه

ان تواني^(٤١) وتأخر الى ان سار نحو النوبندجان. وسبقه مقدمة ياقوت وهي في نحو النفي رجل وفيهم وجوه أصحابه وشجعانهم مثل المعروف بكور مرد الخراساني وابن خر كوش وكانا شديدين مذكورين بالباس ومعهما أشباههما من أهل النجدة فوافقهم على بن بويه الى النوبندجان فلم يثبتوا وانهزموا الى كركان وجاءهم ياقوت وأصحابه الى هذا الموضع. فنصب أبو طالب النوبندجاني وكلاءه وثقاته لخدمة على بن بويه وتنجي نفسه الى ضيعة له مغالطة لياقوت وراسل ياقوتا ان الخوف الذي شمله والناس ألقاه الى الحرب واتباعه واستشاره فيما يعمل وهو مع ذلك مجتهد في نصيحة على بن بويه وارشاده الى صواب الرأي واهداء الاخبار اليه ودلالته على المسالك والطرق. وأقام لمؤنته وانزاله من يزيح غلته في الجميع حتى أضافه وجميع عسكره أربعين يوما ولزمته مؤونة عظيمة يذكر ان مبلغها مائتا الف دينار. وأنفذ على بن بويه أخاه أبا علي الى كازرون وغيرها من أعمال فارس فاستخرج منها أموالا عظيمة وأثار ذخائر جلييلة كانت للأكاسرة يتوارثها قوم هناك فزاد^(٤٢) استخراجهم على استخراج أخيه. وأنفذ ياقوت عسكرا ضخما الى الحسن بن بويه فواقعهم بالنفر اليسير الذين معه فهزمهم وصار موفورا الى أخيه على بن بويه. ثم اتفق أن تتم عليه مواطاة ياقوت ووشمكير ومرداويج وبلغه من ذلك ما أوجب ان يسير الى كرمان فتوجه من النوبندجان الى اصطخر ومنها الى البيضاء وياقوت يتبعه بجميع عسكره ويتقدم أثره وانتهى بعلي بن بويه المسير الى قنطرة كان الطريق عليها الى كرمان فسبقه ياقوت الى القنطرة وحال بينه وبين عبورها واضطره الى الحرب

﴿ دخلت سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة ﴾

وابتدأت الحرب يوم الثلاثاء لثلاث عشرة بقيت من جمادى الآخرة سنة ٢٢ وأصبحوا يوم الاربعاء على أشد ما تكون الحرب . فاستدعى على ابن بويه أصحابه ليلة الخميس وأعلمهم انه يترجل معهم ويقاتل كأحدهم ووعدهم ومنّاهم واستوثق منهم الايمان في الثبات والجهاد والجد ﴿ ذكر اتفاق جيد اتفق لعل بن بويه وردى جداً ﴾

﴿ على ياقوت مع تدبير سيئ وتسرع ﴾

(من ياقوت غير صواب)

أما التدبير السيئ الذي استعمله ياقوت وتسرع فيه فانه استأمن اليه من أصحاب على بن بويه ^(٤٤٣) رجالان من وجوه الديلم خفيين وقفت عينه عليهما أمر بضرب أعناقهم وتيقن الديلم انه لا أمان لهم عنده فشحن ذلك بصائرهم وجاهدوه جهاد المستقلين . وأما الاتفاق الذي اتفق عليه فانه باكر الحرب يوم الخميس وقدم على مصافه رجاله كثيرة من أصحابه يحاربون بمزاريق النفط والنيران فانقلب الریح واشتدت للوقت فاحترق شيء من مصاف ياقوت وأكب الديلم على أولئك الرجال فقتلوهم وانهزم الفرسان وزحف الديلم على تعبيتهم .

﴿ ذكر تدبير دبره ياقوت في حال الهزيمة فلم ينفذ له ﴾

﴿ واحترز منها علي بن بويه فظفر ﴾

لما أشرف الديلم على سواد ياقوت عند هزيمته وهزيمة أصحابه طلب نشزاً من الارض عالياً في طريقه فصعد اليها وركز عليها رأيته فاجتمع اليه نحو من أربعة آلاف رجل . وظن أن الديلم يتسرعون الى خزائنه ويستغلون

بالنهب فيضطرب نظامهم ويكرّ عليهم (وهذه لعمرى مكيدة طال ما صارت سببا لظفر قوم بعد هزيمتهم) فقال لاصحابه : لا تفرقوا وتأهبوا للكرّة فانها الظفر لا محالة . وأحسن علي بن بويه بذلك فبرز أمام مصافه ونادى أصحابه وقال لهم : لا تبعّدوا ولا تنقضوا تعييتكم فان الخصم ^(٤٤٤) واقف ينتظر اشتغالكم بالنهب ثم يمطف عليكم ولم يبق له غير هذه المكيدة . وأعلمهم أن العنيفة لا تفوت فلما رأى ياقوت ثباتهم وامتناعهم من النهب واحترازهم من مكيدته مضى على وجهه منهزما وملك علي بن بويه جميع ذلك السواد . ووجد لياقوت صناديق فيها برانس وقيود وما أشبه ذلك كان أعدها للأسارى فآشار جماعة من قوّاد علي بن بويه بأن يجعل ذلك لأسارى رجال ياقوت وأن يجعل البرانس على رؤسهم والقيود في أرجلهم ويشهر بهم في المعسكر ثم في البلد فابى ذلك علي بن بويه وقال : بل نعدل عن هذا الى العفو عمن أظفّرنا الله بهم من أعدائنا ونشكر الله على هذه النعمة فانه ادعى للعز يد وأبعد من البغى والطغيان .

ثم امتد الى الزرقان يوم الجمعة والى الديسكان يوم السبت وتولّت المستأمنة والشحنة وأكابر الناس اليه وتابَعوا فتقبل الجميع وأحسن اليهم قولا وفعلا وصفح عن كل من بلغه عنه خَشٌّ في الخطاب أو اساءة في عمل وأحسن في سيرته حتى اطمأن اليه الناس وأمنه أعداؤه . وعسكر بظاهر شيراز ونادي فيها بيت العدل ^(٤٤٥) وأمان للناس من جميع ما يكرهون وأمر العامة بالانتشار في معائشهم والخروج الى مصالحهم آمنين ففعل الناس ذلك

ثم اضطرّ بعد ذلك الى سيرة أخرى لكثرة مطالبات الجند وافتراحتهم

وبلغ من أمره ما سنكتبه في موضعه بمشيئة الله وعونه
وفيهما ورد كتاب أبي جعفر محمد بن القاسم الكرخي وكان يتقلد أعمال
الخراج والضياح بالبصرة والاهواز بتاريخ يوم الثلاثاء لاربع خلون من
المحرم بان السكتب وردت عليه بدخول أصحاب مرداويج اصبهان وانه
خرج من جملة مرداويج قائد جليل كان يتقلد ماه البصرة وفاز بمال جليل
وهرب الى أرجان يقال له علي بن بويه وانه كتب اليه انه في طاعة السلطان
وهو يستأذن الوزير في ورود الحضرة أو النفوذ الى شيراز لينضم الى ياقوت
مولى أمير المؤمنين

وفي هذه السنة صار أصحاب أبي طاهر القرمطي الى نواحي توج
وسينيز في مراكب وخرجوا منها الى البلد فلما بعدوا من المراكب أحرقها
صاحب ياقوت كان يتقلد البلد ثم اجتمع مع أهل البلد ووقع بالقرامطة وقتل
منهم وأسر ثمانين رجلا فيهم رجل يعرف بابن النمر .^(٤٤٦) فقدم رسول
محمد بن ياقوت بهؤلاء الاسارى فادخلهم مشهرين فوضع على رأس ابن
النمر منهم قرونا وكانوا على جمال بدراربع ديباج وبرانس حتى دخلوا دار
السلطان فاعتقلوا بها

وفيهما قتل القاهر اسحاق بن اسماعيل وأبا السرايا نصر ابن حمدان

(ذكر السبب في ذلك)

كان السبب في قتله اسحاق انه كان أراد شراء الجارية المعروفة برتبة
قبل الخلافة وكانت موصوفة بالجمال والغناء فزايدة اسحق بن اسماعيل فيها
واشترها . وسبب قتله أبا السرايا انه كان أراد شراء جارية أخرى قبل
الخلافة فاشترها أبو السرايا . فحكى ثابت عن خادم حضر قتلها قال : جاء

القاهر فوقف على رأس بئر كانت في موضع ذكره ثم استحضر اسحاق فأحضر وهو مقيد فأمر بطرحه في تلك البئر فرمينا به فيها بقيده وهو حي . ثم أمر باحضار أبي السرايا فأحضرناه وهو مقيد فأمر بطرحه في تلك البئر فما زال أبو السرايا يتضرع اليه ويستله العفو وهو لا يلتفت اليه وتعلق بسعف نخلة كانت بقرب البئر فأمرنا بضرب يده فضربناها فخلى عن السعفة ودفعناه^(٤٤٧) في البئر ثم أمر بطم البئر فطرحنا عليهما التراب حتى امتلأت وهو واقف . فسبحان الله العظيم ما أعجب أمر المقادير ! أراد مونس لما قتل المقتدر أن ينصب في الخلافة أبا العباس بن المقتدر فما زال اسحاق بن اسماعيل مجتهداً قائماً قاعداً إلى أن عدل بها إلى القاهر بالله وهو لا يعلم انه إنما يسعى في حثف نفسه ليتم الامر المقدور

وفيها حضر دار سلامة الحاجب أبو بكر بن مقسم وقيل انه ابتدع قراءة لم تعرف للقرآن . وأحضر ابن مجاهد^(١) والقضاة وناظروه فاعترف بالخطأ وتاب فأحرقت كتبه .

وفيها خرج رجل من الصفد يعرف بابي علي محمد بن الياس واجتاز بكرمان حتى بلغ باب اصطخر وأظهر لياقوت انه يريد أن يستأمن اليه ثم عرف لياقوت ان ذلك حيلة منه فخرج اليه لياقوت فلم يثبت له ابن الياس وانسكفاً راجعاً إلى كerman وصار اليه من قبل صاحب خراسان ما كان بن كاكي الديلمي فواقعه وانهمزم ابن الياس وصار إلى أعمال فارس فواقعه

(١) هو أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس البغدادي شيخ العراق في عصره توفي سنة ٣٢٤ كذا في تاريخ الاسلام . وأما ابن مقسم فهو محمد بن الحسن بن يعقوب توفي سنة ٣٥٤ ورجعته موجودة في ارشاد الاريب ٦ : ٤٩٨

ياقوت وانهزم ابن الياس .
وفيها استوحش الحجرية والساجية من القاهر فدبروا عليه وتم لهم
القبض عليه ^(٤٤٨)

﴿ ذكر السبب في القبض على القاهر ﴾

كان السبب في ذلك ان أبا علي ابن مقله كان يرسل الساجية والحجرية
في استناره ويضربهم على القاهر ويوحشهم منه والحسن بن هرون يفعل
مثل ذلك ويلقاهم بالليل وهو يتزيا بزى السؤال وفي يده زبيل وفي وقت
بزى النساء الى ان شجذ نياتهم وجمع كلمتهم على قصد القاهر والفتك به
وحذرهم منه وعرفهم انه قد بنى لهم المطامير واحتل من جهة منجم كان
لسيما ^(١) حتى لقنه ان يقول لسيما من جهة النجوم انه يخاف عليه من القاهر
ويحذر منه . وأعطى الحسن بن هرون هذا المنجم مائتي دينار فملا عينه
حتى مكّن في نفس سيما الخوف من القاهر وكان سيما يقبل منه ويستحسن
إصاباته ثم دسّ اليه من جهة منامات يدعيها أشياء حتى اشتدّ خوف سيما
من القاهر . فلما كان يوم الاثنين لاربع خلون من شهر ربيع الآخر وقع
بين الغلمان الحجرية وبين الغلمان الساجية خلاف وذكر الساجية أن القاهر
يريد أن يفتك بسيما وهو رئيس الساجية وخرج سيما من دار السلطان مبادراً
الى داره واجتمع اليه الساجية بأسرهم والقواد في السلاح ^(٤٤٩) وأقاموا
عنده الى آخر النهار ثم انصرفوا وباكروه فاجتمع قواد الساجية مع قواد
الحجرية وتحالفوا ان تكون كلمتهم واحدة ثم استخلفوا باقي الحجرية
والساجية . واتصل ذلك بالقاهر والوزير وبالحاجب فوجهوا من يسلمهم

(١) وفي الاوراق للصولي : هو سيما المناخلي ولم يعيش بعد هذا الا أقل من مائة يوم

عما أوحشهم فقالوا : قد صحَّ عندنا ان القاهر عزم على القبض على سيما وعلى حبسنا في مطامير قد بناها لنا . وكان الفضل بن جعفر يتولى بناء مطامير من ماله ويحتسبها من مال مصادرة عليه فعرف القاهر ما يقولونه فتقدم الى سلامة بالخروج اليهم . وحلف القاهر له على انه لم يفعل ذلك ولا هم به وانما بنى حمامات رومية للحرم وخرج سلامة لذلك .

وخلا الخصبي وعيسى المتطبب بالقاهر فذكر له ان الآفة في هذا كله الفضل بن جعفر وانه هو الذي قال للساجية والحجرية ذلك لانه شيء لم يعرفه غيره . وكان سلامة أشار بالفضل حتى أعفى من المصادرة عنايةً به واقتصر منه على ما ينفقه على المطامير فتقدم القاهر بالقبض على الفضل بن جعفر وطالبه الوزير الخصبي بحضرة عيسى بثلاثمائة ألف دينار فقال الفضل : لو كنت ذا مالٍ لكانت لى ضياع ودور^(١٠٠) وخدم ومرؤة بحسبها . فاغتاظ الخصبي وظن انه قد عرض به وخاطبه بمخاطبة فيها جناء فاستوفى الفضل عليه الجواب . فهمم الوزير الخصبي ان يوقع به فقال سابور الخادم : أمرتُ بصيانتِهِ والا يلحقهُ مكروهٌ . وردَّهُ الى دار السلطان وحبس في الموضع الذي كان اسحق بن اسمعيل محبوباً فيه .

وورد يوم الثلاثاء الخمس بقين من جمادى الاخرى كتاب أبي جعفر السكري وكتاب أبي يوسف عبد الرحمن بن محمد انتهى كان يكتب للسيدة بأن أصحاب ابن رائق كبسوا سوق الاهواز وانهم استولوا على سائر عمل الاهواز وصار كل من يتقاد المعاون في أعمال الاهواز من قبله سوى محمد بن ياقوت فانه كان يتقاد المعاون بالسوس وجنديسابور فلم ينفذ لابن رائق لانه نظيره فكتب الخصبي رُقعة بما ورد عليه من ذلك الى القاهر .

وكان القاهر قد ابتداءً بشرب فدعا بسلامة وأقرأه الكتاب وقال له :
 امض الى الخصبي واجتمع معه على التدبير في ذلك . وعاود شربه فمضى
 سلامة وعيسى معه الى الخصبي وأطالا عنده الى نصف الليل ولم ينقر لهم
 رأى على شيء فانصرف ^(٤٥١) سلامة الى منزله لعلمه بأن القاهر قد سكر
 ولا فضل فيه باقى ليلته . وصدر نهار الغد وبكر سلامة الى الخصبي فوجد
 عنده عيسى المتطبب وبلغهم خبر الساجية والحجرية واجتماعهم لقصد دار
 السلطان فتقدم الخصبي الى عيسى بأن يبادر الى دار السلطان ويعرف القاهر
 الخبر ليتحرز وان وجده نائما أنه فمضى عيسى واجتهد في أنباه القاهر فلم
 تكن فيه حيلة وقيل له كان يشرب الى ان طلعت الشمس وانه لو أنه لما
 فهم عنه ما يقوله لشدة سكره .

وكانت الحجرية والساجية قد اجتمعوا عند سيما وتحالفوا على اجتماع
 الكلمة في كبس دار الخليفة والقبض على القاهر فقال لهم سيما : ان كان قد
 صح عزمكم على هذا فقوموا بنا الساعة حتى نخضيه . فقالوا : بل نؤخره
 الى غد فهو يوم الموكب ويظهر لنا فنقبض عليه . فقال لهم سيما : ان تفرقتم
 الساعة وأخرتموه الى ساعة أخرى اتصل الخبر به فتحرز ودبر علينا فأهلكنا
 كلنا . فقبلوا رأيه وركبوا معه الى دار السلطان بالسلاح فرتب سيما على كل
 باب من أبوابها غلاما من الساجية وغلاما من الحجرية ومعهما قطعة
 وافرة ^(٤٥٢) منهما فلما أحكم أمر الابواب كلها وقف على باب العامة وأمر
 بالهجوم فهجموا كلهم من جميع الابواب في وقت واحد . وبلغ سلامة
 والخصبي الخبر وهما مجتمعان في دار الخصبي فخرج الخصبي في زى امرأة
 واستتر وانحدر سلامة الى مشرعة الساج واستتر

ولما دخل الساجية والحجرية الدار لم يدخلها سيما وأقام بمكانه من باب العامة الى أن قبض على القاهر فلما قبض عليه دخل .

ولما علم القاهر بحصول الغلمان في الدار اتبعه من سكره وأفاق وهرب الى سطح حمام في دُور الحرم فاستتر فيه ولما دخل الغلمان الى المجلس الذي كان فيه لم يجدوه وأخذوا من كان بالقرب مثل زيرك الخادم وعيسى المتطبب واختيار القهرمانة فوكلوا بهم . ووقع في أيديهم خادماً صغيراً فضربوه بالطرزينات حتى دلم على موضعه فدخلوا فوجدوه على سطح الحمام على رأسه منديل ديبقى وفي يده سيف مجرد واجتهدوا به على سبيل الرفق أن ينزل اليهم وقالوا : نحن عبيدك وما نريد بك سوءاً وإنما نتوثق لأنفسنا فأقام على الامتناع من النزول الى أن فوق اليه واحد منهم بهم^(٤٥٣) وقال : ان لم تنزل وضعته في نحر . فنزل حينئذ وقبضوا عليه وكان ذلك ضجوة نهاريوم الاربعاء است خلون من جمادى الآخرة سنة ٣٢٢ وصاروا به الى موضع الحبوس وقصدوا البيت الذي فيه طريف السبكري ففتحوه ووجدوا فيه طريفاً فكسروا قيده وأطلقوه وأدخلوا القاهر الى موضعه وحبسوه فيه ووكلوا بالباب جماعة من الساجية والحجرية ووقع النهب ببغداد وانتقضت خلافة القاهر بالله

خلافة الرازي بالله أبي العباس

(محمد بن المقتدر في سنة ٣٢٢)

واستدل الغلمان الساجية والحجرية حين قبضوا على القاهر على الموضع الذي

فيه أبو العباس ابن المقتدر فدلهم عليه خليفة لزيك الخادم ففتحوا عنه الباب ودخلوا عليه وسلموا عليه بالخلافة وأخرجوه وأجلسوه على السرير وبايع له قواد الساجية والحجرية وطريف السبكري وبدر الخرشني ولقب الرازي بالله . وتقدم باحضار علي بن عيسى وأخيه عبد الرحمن وأحضرا فوصلا اليه وشاورهما واعتمد عليهما فيما يعمل . فمرّفه علي بن عيسى ان سبيله ان يعقد لواء لنفسه على الرسم في ذلك ^(١٠٤) فاستحضر اللواء وعقده بيده ثم أمر بالاحتفاظ به . وأشار عليه بتسلم خاتم الخلافة فسلمها من كان في يده وهو خاتم فضة فضة من حديد صيني وعليه كتابة ثلاثة أسطر : محمد رسول الله . وأشار عليه بتسلم خاتم الخلافة من القاهر بالله فوجه اليه الرازي ثم فتح عنه الباب وطالبه بخاتمه فسلمه وكان فضة ياقوتا أحمر وعليه منقوش : بالله محمد الامام القاهر بالله أمير المؤمنين يثق . وصار به الى الرازي فأمر ان يسلم الى حاذق من حذاق الخزاة ليمحو ذلك النقش منه ففعل ذلك ونقش له خاتم آخر عليه : الرازي بالله .

وتقدم علي بن عيسى بأن يحضر القاضي أبو الحسين عمر بن محمد والقاضي أبو محمد ابن أبي الشوارب ^(١) والقاضي أبو طالب البهلول ^(٢) وجماعة من الشهود ومن يقرب من دار السلطان فحضروا . فحكي القاضي أبو الحسن محمد بن صالح الهاشمي ابن أم شيبان ^(٣) انه لما استدعى القاضي أبو الحسين

(١) وفي ترجمة هذه السنة في تاريخ الاسلام هو الحسن بن عبد الله وكذا في التكملة

(٢) هو محمد بن احمد بن اسحاق بن البهلول أبو طالب الانباري وفي تاريخ الاسلام

انه كان ينوب عن أبيه في قضاء مدينة المنصور توفي سنة ٣٤٨

(٣) وردت ترجمته في ملحق لاستيفاء أخبار القضاة لأبي عمر الكندي ص ٥٧٣

عند القبض على القاهر بالله وجم وجمع اطرافه وأخذ معه خمسين ديناراً في
حجرة سراويله استظهاراً واستخلفه في داره ومضى وانصرف بعد ان مضى
أكثر الليل الى ^(٤٥٥) منزله قال : فقال لي : أنا أعرف ضيق صدرك
وتألمك الى معرفة حديثنا فاسمعه اعلم اني مضيت فادخلت الى حجرة فيها
القاهر بالله ومعى ثلاثة من الشهود وطريف السبكري فقال له طريف :
تقول يا سيدي . وكرر ذلك دفعات فقال له : اصبر . ثم التفت الى فقال :
أست تعرفني ؟ فقلت : بلى . فقال : أنا أبو منصور محمد بن المعتضد بالله
رحمة الله عليه ثم القاهر بالله بيعتي في عنقك وأعناق أهلي وسائر الاولياء
ولست ابرئكم منها ولا أحللكم بوجه ولا سبب فلمضوا : فقمنا فلما بعدنا
عدلت طريفاً ولنته . لأمأ كثيراً وقلت : أي رأى كان احضارنا الى رجل
لم يوطأ ولم يؤخذ خطه ويشهد عليه الكتاب والجند ؟ كان ينبغي ان تقدم
ذلك ثم تحضرنا له . وعدل بنا الى علي بن عيسى فسألنا عما جرى فحدثنا به
فقطب وجهه ثم قال : يخلم ولا يفكر فيه فان افعاله مشهورة وأعماله معروفة.
وما يستحقه غير خاف . فقلت له : بنا لا تعقد الدول وانما يتم بأصحاب
السيوف ونصلح نحن ونراد لشهادة واستيثاق وقد سمعت من الرجل
ما حدثتك به ولم يكن الرأي ان يجمع بيننا وبينه الا بعد احكام ^(٤٥٦) أمره
فتغاضب وحضر وقت الصلاة فقمنا . فقال القاضي أبو الحسن محمد بن
صالح : فسمعت ذلك منه وبكرنا الى دار السلطان فقبل له ان القاهر
سمل البارحة ^(١)

(١) قال أبو بكر الصولي في الاوراق : ولما قبض على القاهر جالس في بيت وطولاب
بأموال فلم يقر بشيء وكأنه عرف ما له عند الراضي لسوء ما كان يعامله به فعذب عسداً

فلما حضر أبو علي ابن مقلّة استئذينا وكنتُ مع القاضي أبي الحسين وثلاثة من الشهود واجتمعنا بحضرة الراضى بالله فاوماً الى مفلح الاسود فاحضر ثلاثة من اخوته فأجلسهم عن يمينه وأخرج أبو علي ابن مقلّة قرطاساً من كُمّه ونشره فاستحلّهم على البيعة . ثم أوماً الراضى الى مفلح إيماءً ثانياً فاحضر اثنان آخران من اخوته فأجلسهما عن شماله واخذت البيعة عليهما . ثم أعطى أبو علي القرطاس القاضي أبا الحسين فأخذ عليه البيعة وكتبنا خطوطنا في ذلك القرطاس على من بايع وانصرفنا .

وكان سيما أشار بسمل القاهر تلك الليلة فستر الراضى ذلك عن علي بن عيسى واستحضر بخيشوع بن يحيى المتطبب وسأله عمن يحسن ان يسمل فذكر له رجلاً فاحضره وسمل القاهر

وما زال علي بن عيسى يوم الاربعاء الى الليل يأخذ البيعة للراضى بالله على القضاة والقواد وكتاب الدواوين والعلمان وطالبه الراضى ان يتقلد الوزارة^(٤٥٧) فامتنع وذكر انه لا يفي بالامر فأشار سيما بأبي علي ابن مقلّة قال : هو يضمن ان يقوم بسائر الامور . فقال علي بن عيسى : قد اشترتُ به علي أمير المؤمنين وما يصلح للوقت غيره^(١) وكان علي بن عيسى يسأل

شديداً فما أنعم بشئ فأمر بعض الناس فكلمه فاعماه وتزيد المكروه عليه فما أقر بشئ ووجد له مال يسير وآلة فأخذت . وفي تاريخ الاسلام : قال القاضي أبو الحسين : فدخلت على الراضى وأعدت ماجرى سرّاً وأعلمته أي أرى أمانيه فرضى فقال : انصرف ودعني وإياه .

(١) وفي الاوراق : فاستحضر (الراضى) . أبا الحسن علي بن عيسى ومعه أخوه أبو علي عبد الرحمن بن عيسى بالنظر في الامور وأرادته للوزارة فاحتج بكبر وضعف فاوماً

في الفضل بن جعفر فاطلق بمسئلته ووقع الراضي الى أبي علي ابن مقله^(١) فبكر يوم الخميس لسبع خلون من جمادى الأولى سنة ٣٢٢ وحضر علي بن عيسى وأخوه عبد الرحمن ووقفوا بين يديه يستحلفان من يحضر ويأخذان البيعة عليه وتأخر الفضل بن جعفر والحسن بن هرون . وخلق علي أبي علي ابن مقله خلع الوزارة وركب معه سيما وطريف السبكري وسائر القواد والفلان والخدم الخاصة . وظهر الحسن بن هرون وأبو بكر ابن قرابة وصاروا الى أبي علي ابن مقله ثم انصرفوا الى منازلهم .

واستأنف أبو علي ابن مقله سيرة حسنة وقال : قد عاهدت الله في

الى أخيه بذلك وان يكون الاسم والخدمة له ويتولى هو النظر في أمر الملك وتدير الناس وجباية الاموال على كره منه لذلك . وتقلب لما رأى من تعذر مال البيعة الا انه كتب بالبيعة الى النواحي ونظر في المهمل الذي يوجب له الوقت ومعه أخوه مغرم له ما يعمل ومستأذنا له فيه الى ان وافت رقعة أبي علي ابن مقله الى سيما المناخلى يتضمن له ان يحتال في وقته خمسمائة الف دينار يصرفها في الرجال للبيعة ويتضمن له ان أتم ذلك خمسمائة الف دينار لنفسه . وكان المتولى لا يصلح الرقعة الى المناخلى كاتب له حدث يعرف بعلي بن جعفر وضمن له الف دينار معجلة واضعافها مؤجلة فصار المناخلى وادى ما بالرقعة بضمان الخمسمائة الف الدينار الى الراضي بالله فلما وقف عليها أحضر علي بن عيسى وأقرأه اياها فقال له : أمير المؤمنين في هذا الوقت محتاج الى زكاة هذا المال وما عندي وجه لبعضه والصواب ان صح هذا المال ان يمضي أمر هذا الرجل ويستكتبه . وانصرف فجلس في منزله فكان الراضي بعد ذلك يقول : لم يتحصل لنا من الخمسمائة الالف الدينار درهم واحد من أموالنا وأموال الناس مثلها .

(١) وفي التكملة : وهو في دار ابن عبدوس الجهشيارى

استتارى الا اسيء الى أحدٍ ونذرت نذوراً^(١) فوفى وأطلق كل من كان في حبس القاهر من كاتب وجندي وأطلق عيسى المتطبيب واسحق بن علي القنأى وكان الراضي أنفذهم اليه . ثم تعقب الرأى في عيسى المتطبيب فصادره

(١) زاد فيه صاحب التكملة : وقال ابن مقلة لما أتاه الناس : كنت مستتراً في دار أبي الفضل بن ماري النصراني فسعي بي القاهر قبل زوال أمره بشهرين وعرف موضعي وأنى لجالس وقد مضى نصف الليل أحدث مع ابن ماري فاخبرتنا زوجته ان الشارع قد امتلأ بالمشاعل والشمع والفرسان فطار عقلي وادخلني ابن ماري بيت تبين وكبست الدار وفشوها ودخلوا بيت التبن وفشوه بأيديهم فلم أشك اننى مأخوذ وعاهدت الله تعالى على انه ان نجاني من يد القاهر بالله أن أنزع عن ذنوب كثيرة واننى ان تقلدت الوزارة أمنت المستترين واطلقت ضياع المنكوبين ووقفت وقوفا على الطالبين فما استتمت نذرى حتى خرج القوم وانتقلت الى مكان اخر . وما نزع من الخلع حتى وفي بالنذر وكتب ابن ثوبة في خلع القاهر كتاباً قرئ على المنابر . وكان زيرك القاهري قد أجل عشرة الراضي وقت اعتقه فكافأه بأن قلده أمر حرمة وأكرمه .

وقلد ابن مقلة أبا الفتح الفضل بن جعفر خلاقه على سائر الاعمال وقلد أبا عبد الله البريدى خوزستان وقلد اخوته البصرة والسوس وجند ديسابور وكور دجلة وبادوريا والانبار ونهر سير وقطربل ومسكن وكتب الى علي بن خلف بن طناب باقراره على فارس وكرمان وقلد الحسن بن هرون ما قلده على بن عيسى من أعمال واسط بمائتي الف كرّ شعير وعشرة آلاف كرّ ارز وأربعمائة كر سسم والف الف وأربعمائة الف درهم وقلد القراريطى كتابة ابن ياقوت والزمام وديوان الفرات فسفر حينئذ لصاحبه محمد بن ياقوت في الحجة وحمل الى سبأ خمسة عشر الف دينار حتى عرف الراضي بالله انهم لا يريدون غير محمد بن ياقوت وأنفق هذا الوجه بحجة على القواد مائة الف وعشرين الف دينار . فغاض ابن مقلة لانه استدعى ابن رائق وهو بالبليسان لذلك ولم يمكنه تغيره فلما صار ابن رائق بالمداين أمره الراضي بالانحذار الى واسط وأضافها الى أعماله من البصرة وغيرها . وكان ابن رائق برامهرمز عاجزاً على التوجه الى أصبهان فكتب بالأصعاد فالتقى ابن ياقوت في طباره وابن رائق في حديدية فسلم كل واحد منهما على صاحبه ايماء من غير قيام . وتلقى ابن ياقوت الحجزية والساجية ودخل على الراضي فخلع عليه وقلده الحجة وصار اليه الناس الى داره بالزاهر ولم يبق لاحد الا لابن مقلة ولعلي بن عيسى

(٤٥٨) وكان القاهر قد اعترف بوديعة أودعها آياه من العين والورق والطيب فاستخرج كله منه . وسأل في أمر أبي العباس الخصبي فكتب له أماناً وقّع الراضي فيه بخطه وتسلمه الوزير أبو علي وأنفذه في درج رقعة منه بخطه الى الخصبي وخاطبه أجمل مخاطبة وظهر الخصبي فقاده دواوين الضياع الخاصة والمستجدثة والعباسية والفراية والمقبوضة عن أم موسى ونذير وشفيع اللؤلؤى وضياع المخالفين وضياع البر وضياع الجدة والدة المقندر ودواني زمام المشرق والمغرب وأجرى عليه لنفسه سوى أرزاق كتابه في هذه الدواوين ألف دينار في كل شهر وقلد الراضي بدرّاً الخرشني الشرطة بمدينة السلام .

ولما تقلد الراضي الخلافة وردت كتب أبي جعفر السكرخي وأبي يوسف كاتب السيدة بتخلصهما من الاهواز الى نواحي دُور الراسبي هارئين من محمد بن رائق . وكان بنو البريدي يستترون في أثمار الاهواز نهر بعد نهر ووصل الخبر الى ابن رائق وهو بالباسيان ان القاهر خلع من الخلافة وتقلدها الراضي بالله وانه قد ندب للاحجية فرجع منكفئاً الى واسط ولم يدخل (٤٥٩) البصرة ورجع السكرخي الى البصرة ثم عاد الى غيلة بالاهواز فنظرَ وعمل الى ان ضمن ابن مقله بنو البريدي أعمال الاهواز

﴿ ذكر ابتداء أمر أبي الحسن علي بن بويه الديلمي ﴾

كنا كتبنا فيما تقدم أن أبا الحسن علي بن بويه لحق بمرداويج وهو في حدود طبرستان فقوده وضمّ رجالا اليه فلما أنفذه الى الري (وكان أخوه وشمكير بها) اتفق أن غايل السكرج طمع في مالها فانفذ علي بن بويه ليتلافى أمر السكرج ومعه دون مائة رجل من أصحابه فأقام بها .

وتلقى اليه من الاطراف ديلم فصار في نحو ثلاثمائة رجل فانكر مرداويج أمره وكاتبه بالانصراف فتأخر ورؤوسل فتعالم وكان قد استخرج من مال الكرج نحو خمسمائة ألف وفوقها في مدة يسيرة واستوحش مرداويج وهدده ففزع وأخذ مرداويج ووشمكير في تدبير القبض عليه

وكان على بن بويه قد استخلف بحضرة وشمكير وهو بالرى عند خروجه أحمد حاجبه (وهو والد أبي اسحق الطبري الشاهد ^(١)) في هذا الوقت فكتب اليه أحمد بما فيه مرداويج ووشمكير من الخوض في سيئه وكان مرداويج قد صار الى عند أخيه بالرى بهذا السبب ولتسريب الجيوش اليه نخرج من الكرج الى اصبهان خائفاً ^(٢) ليستأمن الى المظفر بن ياقوت وكان عند المظفر بن ياقوت في الوقت سبعمائة رجل من الديلم ووجههم فناخسره والد الحسن الديلمي الذي كان ببغداد ونظر في الشرطة بها فلما قرب من اصبهان خرج اليه المظفر ليمتعه ومعه نحو أربعة آلاف رجل فتخاذل أصحابه ووقع بين أصحابه من الديلم خلاف لان فناخسره كان له عدو من الديلم يضاره فتقاعد المولدون أيضاً وافترقت كلمتهم وانهمزم المظفر بن ياقوت الى فارس وبها أبوه ياقوت . واستأمن الى على بن بويه نحو من أربعمائة رجل من الديلم فصارت عدته سبعمائة رجل وملك اصبهان وهو في ثلثمائة رجل . وبلغ الخبر مرداويج فسير أخاه وشمكير لطلبه في الوقت لما قرب من اصبهان رحل عنها على بن بويه وصار الى أرجان وكان قد تهيأ لحصوله بين ياقوت وهو بفارس وبين ابنه محمد وهو برامهرمز فصور عنده بالمهانة واضطراب الرأي والرجال فدخل أرجان واستوطنها وكاتب

ياقوت واستخرج من مال أرجان خراجاً نحو ألف درهم ووصل مع ذلك الى ودائع ونظم أمره للمسير الى كرمان وبها ما كان بن كاكي الديلمي ليستأمن اليه . فلم يجبه ياقوت عن كتابه ولم يقبله ^(٦١) فسكراته على بن بويه وخاطبه بالامارة والتعبد وعرفه أنه يسئله احد أمرين اما أن يقبله أو يأذن له في المصير الى باب السلطان فلما لم يقبله ياقوت وسار اليه مع ابنه المظفر ليحاربه سار على بن بويه الى النوبندگان وقدّر أن تكون الحرب بها وقدّم كتبه اليه وطلب منه الامان واستغفاه من الحرب فحذره ياقوت وخشى أن يفتاله وكان قيل له ان على بن بويه يريد الحيلة عليه ليحصل بفارس ويخذه عنها . وكان على بن بويه قد حصل أيام مقاومته بكازرون وبلد سابور وذلك عند خروجه من أرجان نحو خمسمائة ألف دينار مع كنوز كثيرة وجدها فقويت شوكته وزاد رجاله فلما صار الى النوبندگان قام بأمره أبو طالب زيد بن علي وتكفل بنفقته فلزمه عليه في كل يوم خمسمائة دينار وأقام عنده مدة فلما خرج اليه ياقوت تهيّبه هيبة شديدة . وذلك أن جيش ياقوت كانوا سبعة عشر ألف رجل من جميع الأصناف ساجية وحجرية والرجالة المصافية وغيرهم من الديلم وأصناف العسكر وعلى بن بويه في ثمانمائة رجل فسأله أن يفرج له عن الطريق لينصرف عنه ويجتاز الى حيث يجتاز فنه ^(٦٢) ياقوت وطمع فيه لقلّة عدده ولوفور ما وصل اليه من المال . فلم يثبت له على بن بويه وسار الى البيضاء فنه ياقوت وواقعه على باب اصطخر يومين فكانت لياقوت . فاشتد طمع ياقوت فيه وزاد تهيّبه على بن بويه وحنق عليه المسئلة في الافراج له لينصرف عنه فامتنع عليه فلما كان يوم الخميس لاثني عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة سنة ٣٢٢ واقعه مستقتلاً

فحدثني من شهد الواقعة من الديلم أنه ترجل ستة نفر من الديلم وصفوا
تراسهم وتقدموا زحفاً واستأخروا من واجههم من أصحاب ياقوت فاشتلموا
وتقدموا وحمل أبو الحسين أحمد بن بويه في نحو ثلاثين رجلاً فانهزم ياقوت
وجميع من معه وذلك وقت الظهر من ذلك اليوم وانصرف إلى شيراز .
فقدّر علي بن بويه أن انصرافه مكيدة منه لاهزيمة فتوقف في موضعه ولم
يتبعه إلى وقت العصر فلما أصبح عنده أنها هزيمة سار إلى شيراز فنزل أول
منزل قرية يقال لها الزرقان على ستة فراسخ من شيراز وبكر منها يوم السبت
فنزل قرية يقال لها الديكان وعنده أنه سيجارب عن البلد ويدفع عنه لأن
الجيش الذي انهزم عنه كانوا قد انصرفوا^(٤٦٣) عنه موفورين لم يحاربوه ولا
وقفوا بين يديه . فنزل على فرسخ من شيراز في مضاربه وبلغه أن ياقوتاً
وعلى بن خلف بن طناب قد خرجا عن شيراز والبلد شاغرا خال فوجه
بجماعة من الديلم والخلاط من الجند إلى شيراز للمقام بها وضبطها فبادر اليهم
العامّة بشيراز مع جماعة من الرجالة السودان ومماليك للثناء . وكان الديلم
قد تفرقوا في الاسواق فقتلوا منهم نحو سبعين رجلاً فبلغ علي بن بويه ذلك
ووجه بأخيه أبي الحسين أحمد وكان سنه اذ ذلك تسع عشرة سنة وهو أمرّد
وهو حينئذ صحيح اليدين وأنفذ معه ثمانين رجلاً من الديلم فقتل من السودان نحو
ألف رجل ونادى في البلد الا يقيم فيه أحد من أصحاب ياقوت ولا من
الجند وان من وجد بعد النداء فقد اباح دمه وماله فلم يبق في البلد أحد منهم .
ودخل علي بن بويه شيراز واتفقت له بها ضروب من الاتفاقات عجيبه كانت
سبباً لثبات ملكه . فنها ان أصحابه اجتمعوا وطالبوه بالمال ونظر فاذا
القدر الذي معه لا يرضيهم وأشرف أمره على الانحلال فاشتغل قلبه واغتم

غما شديداً ، فينبأ^(٦٤) هو مفكره قد استلقى على ظهره في مجلس ياقوت من داره وقد خلا فيه لفكرة والتدبير اذ رأى حية قد خرجت من موضع من سقف ذلك المجلس ودخلت موضعاً آخر منه وخاف ان تسقط عليه وهو نائم فدعا بالفرّاشين وأمرهم بإحضار سلم وإخراج تلك الحية ففعلوا . ولما صعدوا وبحشوا عنها وجدوا ذلك السقف يفضى الى غرفة بين سقفيْن فمرّ فوه ذلك فأمرهم بفتحها ففتحت ووجد فيها عدّة صناديق فيها من المال والصياغات خمسمائة ألف دينار فاستوى جالساً وحمل الى بين يديه ذلك المال فسرّ به وأنفقهُ في رجاله وثبت أمرهُ بعد ان أشفى على الانحلال

وحكى أبو أحمد الفضل بن عبد الرحمن الشيرازي ان علي بن بويه أراد قطع ثياب وسأل عن خياط حاذق فوصف له خياط لياقوت فأمر بإحضاره وكان أطروشاً ووقع له انه قد سعى به اليه في وديعة كانت لياقوت وانه طلبه بهذا السبب فلما خاطبته حاف انه ليس عنده الا اثنا عشر صندوقاً لا يدرى ما فيها . فعجب علي بن بويه من جوابه ووجهه معه بمن حملها فوجد فيها أمراً عظيماً من المال والثياب

والذي كان يكتب لعلّ بن بويه في ذلك الوقت رجلاً نصراني^(٦٥) من أهل الري يعرف بأبي سعد اسرائيل بن موسى ثم قتله بعد مدّة بسبب سنفرده له خيراً واستكتب مكانه أبا العباس أحمد بن محمد القمي المعروف بالحنّاط . وسفر الامير أبو الحسن علي بن بويه بعد تمكنه من البلد في ان تقاطع السلطان عنه ويتلذّذ من قبل الراضي فأجيب الى ذلك وقنع منه بما بذل وهو في كلّ سنة بعد جميع المأون والنفقات الراتبية والحداينة ثمانية آلاف ألف درهم خالصة للحمل . وكتب الى الوزير أبي علي ابن مقلة يخلف له

باغاظ الايمان على موالاة الوزير أبي علي ابن مقلة وابنه أبي الحسين ومعاذتهما وما يقال في هذا المعنى وأكده . فأنفذ اليه الوزير أبو علي بالخلع واللاء في شوال سنة ٣٢٢ ورسم للرسول وهو أبو عيسى يحيى بن ابراهيم المالكي الكاتب الأيسلم اللواء والخلع الأبعد ان يتسلم المال ووقف عليه . فلما قرب المالكي من البلد تلقاه علي بن بويه على بعد وسار معه الى ظاهر شيراز وطالبه بأن يسلم اليه اللواء والخلع فعرفه مارسم له وانه لا يمكنه من ذلك الا بعد تسليم المال الذي ووقف عليه فخاشنه علي بن بويه وازهمه حتى سلم اليه الخلع ولبسها ودخل بها الى شيراز وبين يديه اللواء وأقام المالكي مدة يطالب^(١) بالمال فلم يدفع اليه شيئا بقة وحصل على المواعيد والمطل والتوقف ثم اعتل المالكي ومات بشيراز وحمل تابوته الى بغداد في سنة ٢٣ وافتتح لعلي بن بويه وجوه الذخائر والودائع ووزير [هـ] أبو سعد النصراني فضمن له بقايا مال السنة أبو الفضل العباس بن فسانجس وابن مرداس وأبو طالب زيد بن علي وغيرهم من وجوه البلد بأربعة آلاف الف درهم واستخرجت له الذخائر وافتتحت له كنوز وودائع عمرو بن الليث ويعقوب بن الليث^(٢) وياقوت وابنه وعلي بن خلف ورجال السلطان وكثرت أموال علي بن بويه وعمرت خزائنه واستأن من اليه رجال ما كان من كافي من كرمان وكثر جمعه واستفحل أمره . وانهى خبره الى مرداويج فقامت قيامته ووافي أصحابان وبها وشمكير أخوه لانه لما خلع القاهر من الخلافة وتأخر محمد بن ياقوت عنها وبقيت سبعة عشر يوما خالية أعاد مرداويج

(١) ما من آل الصفار مات يعقوب سنة ٢٦٥ وخلفه أخوه عمر وأسره اسمعيل بن أحمد الساماني سنة ٢٨٧ وحبس ببغداد ومات بالحبس سنة ٢٨٩ (طبري ٣ : ١٩٣١ و ٢٢٠٨)

أخاهُ إليها فلما استقرَّ بها وورد مردوايج لتدبير علي بن بويه عند استعصائه عليه ردَّ أخاهُ وشمكير إلى الرىّ لخلافته عليها. وأنفذ شيرج^(١) بن ليلى أسفه سلاّره مع حاجبه الشابشي ومعهما القان وأربعمائة رجل من الجبل والديلم ووجوه القوّاد مثل بكران واسماعيل الجيلي^(٤٦٧) إلى الأهواز وكان غرضه أن يملكها فيأخذ الطريق على علي بن بويه ويحجز بينه وبين السلطان حتى إذا قصده بعد ملكه الأهواز لم يكن له منفذ إلا إلى تخوم كرمان والتيز ومكران وأرض خراسان

ولما نزلت عساكر الجبل أيدج خاف ياقوت أن يحصل بينهم وبين علي ابن بويه فوافى الأهواز ومعه ابنه وقلّده السلطان أعمال الحرب والمعاون بها. وارتسم أبو عبد الله أحمد بن محمد البريدي بكتابة ياقوت مضافة إلى ما إليه من أعمال الخراج والضيايع بالأهواز وصار أخوه أبو الحسين يخلف أخاه وياقوتا بالحضرة. وحصل رجال مردوايج براهرمز في غرة شوال من سنة ٣٢٢ وصلّوا إليه بها وخطبوا للمردوايج وساروا إلى الأهواز فعمسك ياقوت بقنطرة أربق وقطعها والماء الذي تحت هذه القنطرة حاد الجرية. فأقام رجال مردوايج بأزاء ياقوت أربعين يوماً لا يمكنهم العبور إليه وسار ياقوت إلى بغداد على طريق دُور الراسبي وسار علي بن خلف بن طناب في البحر من ساحل مهروبان إلى البصرة. ورحل جيش مردوايج عن قنطرة أربق وضمن لهم طائفة من العيارين أن يعبروا بهم نحو المسرقان بعسكر مكرم حتى يصير الطريق بينهم وبين الأهواز جديداً فعدّوا إليها. واجتمع البريدي^(٤٦٨) وياقوت فتشاوروا وقرّر الرأي على إنقاذ مونس غلام ياقوت

في أربعة آلاف رجل الى عسكر مكرم لدفعتهم عن عبور المسرقان وكانا حسبا
ان القوم بعد منزلة أربعين يوماً قد ضجروا وانصرفوا وانهم لا يلبثون بعسكر
مكرم الا يومين أو ثلاثة فلما حصلوا بها عملوا أطوافاً من خشب وشاشا
من قصب وعبر منهم خمسون رجلاً عليها فأنهزم وونس لوجهه وعاد الى مولاه
فاخبره الخبر . وكان قد ورد اليه مدد من بغداد وخيل عظيمة فرحل لوقته
من قنطرة أربق بعد اجتماع الجبل اليه بيومين وصاروا بأجمعهم الى قرية
الريح وهم بالحقبة قد حصلوا من أمرهم على الريح . وصار ياقوت ومن تبعه
وهم عدة وافرة كثيرة الى باذاورد ومنها الى واسط فافرج له محمد بن رائق
عن غريبها فنزله بعسكره . وعرف علي بن بويه حصول عسكر مرداويج
بالاهواز وشرح ماجري وتلقى الكاتب مرداويج واستصلحه وأقام الخطبة
وواقفه على مال وأنفذ اليه رهينة فسكن مرداويج وقلد علي بن بويه أرجان
بعد انصراف ياقوت وعلي بن خلف عنها ابراهيم بن كاسك .

واستقرت كتابة ياقوت لابي عبد الله البريدي^(٤٦٩) فورد عليه الخبر
وهو بالبصرة في بستان المؤنما يريد المسير في طياره الى واسط بقتل مرداويج
في الجمام باصبيان فاتفق للوقت أبا عبد الله بن جنى الجرجرائي الى الاهواز
بخلافه عليها وقال له : اقصد ظاهر البلد بل اقم على فرسخ منه فاذا صح
عندك خروج الجبل والدلم فادخله واثبت عند دخولك الفرسان والرجال
فاني أنفذ من واسط أبا الفتح ابن أبي طاهر وأبا أحمد الجستانی في ألف رجل
لضبط البلد وكور الاهواز . ثم وافى أبو علي غلام جوذا ب كاتب البريدي
في طريق الماء وترتب ابن أبي طاهر بالاهواز وأبو أحمد الجستانی بعسكر
مكرم . ووافى ابراهيم بن كاسك من أرجان الى رامهرمز طمعا في الاهواز

لما خلت فكتابه على بن بويه بالتوقف والايرحها حتى يمدده بالجيش فمن قبل ورود الجيش عليه من فارس ما وافى ياقوت الى عسكر مكرم على طريق السوس فلما بلغ ابراهيم بن كاسك خبره رحل من رامهرمز الى أرجان . وكانت مع ياقوت قطعة من الديلم والأتراك والخراسانية فظن أنهم يشتون وانه مستظهر بهم ووافاه أبو عبد الله البريدى والتقى بعسكر مكرم وانفق فيه وفي رجاله ثلثمائة الف دينار على يد ابن بلوى وابن سريج المنفقين وسيرهم الى أرجان^(٧٠) ووافاه على بن بويه وحاربه بها فانهمزم ياقوت هزيمة ثانية لم يفلح بعدها ولا شد منها حزاما ولم ينفعه عدد العجم والديلم ولا عجب من أمر الله . وتبعه على بن بويه الى رامهرمز وخيف على الأهواز منه فراسله أبو عبد الله البريدى فى الصلح فاستجاب وكاتب الوزير أبا على ابن مقلة فيما قرره من الصلح فعرضه على الراضى بالله فامضاه . فانصرف على بن بويه الى شيراز وعقدت فارس على علي بن بويه بما ذكرناه وتفقد اليه أبو عيسى المالسى باللواء والعهد وكان من أمره ما قدمت ذكره

﴿ و قتل أبو الحسن على بن بويه أبا سعد اسراييل كاتبه ﴾

﴿ ذكر السبب فى ذلك ﴾

كان السبب فى ذلك ان أبا سعد كان مكينا عند على بن بويه يتبرك به ويكرمه جدا وكان يقوم الجيش وله غلمان أتراك ولبس القباء والسيف والمنطقة وكان قد حارب فى وقت ياقوتنا فهزمه . فكان أبو العباس الخنط القمى يضرب عليه دائما ويجهد فى افساد رأى صاحبه فيه فلا يقبل منه وينهاه عن ذكره فلا ينتهى الى ان قال يوما وقد أكثر عليه فى الاغراء به : يا هذا ان هذا الرجل صعبى وحالى صغيرة وقد بلغت ما ترى والست

أدري هل^(٧١) ما وصات اليه بدولته أم بدولتي وليس الى تغيير أمره طريق
فيا لك أن تعاودني فيه . فما أغني ذلك منه ولا انتهى عن الواقعة فيه وثله .
وكان بين أبي سعد هذا وبين حاجب لعل بن بويه يقال له خطاخ
(واليه مع الحجة رئاسة الجيش) عداوة فاتفق ان دعى أبو سعد دعوة
عظيمة دعا فيها على بن بويه والقواد وأتفق فيها في الخلع والخلان ما له قدر
كثير ودعا خطاخ فلم يستجب الى المصير اليه واجتهد به فلم يكن له فيه حيلة
وأصبح أبو سعد من غد يوم الدعوة فأقام على أمره ودعا من يانس به . واتبه
خطاخ من نومه وهو مغتاظ يزعم أنه لا بد له من أن يركب الى أبي سعد
فيقتله لانه رأى في نومه أبا سعد يريد قتله فاجتهد به خواصه في أن يؤخر
ذلك فامتنع وحمل في خفه دشنيا وركب . وقيل لأبي سعد ان خطاخ قد
ركب علي ان يجيئه فانكر ذلك لانه كان دعاه فامتنع فلم يعرف لحيثه اليه بغير
استدعاء وجهاً فاستعد ليستظهر وقال لغلمانه : تأهبوا بالطبرزيات وكونوا
مستترين في المجالس حوله فان أنكر من خطاخ أمراً صاح بهم فخرجوا
ووضعوا عليه . وحضر خطاخ فتلقاه أبو سعد وجاء حتى جلس^(٧٢) وأخذ
يتجنى ويغرد الى ان ضرب يده الى خفه وأخرج الدشني فصاح أبو سعد
بالغلمان فخرجوا بالدبابيس والطبرزيات ووضعوا على خطاخ ووقع في رأسه
دبوس فدوخه وسقط وقدّر انه مات وحمل الى منزله فمات يومين ومات .
فبادر أبو العباس الخنّاط الى الامير في الوقت فوجده نائماً فقال للغلمان :
انبهوه . فلم يجسروا فصاح وجلب الى ان أنبهه ودخل اليه وقال له : ان أبا
سعد قتل حاجبك خطاخ . فلم يصدقه وانتهره فقال : وجه وانظر . فورد
عليه الخبر بصدقه فاستعظم ذلك ووجم ساعة . ودخل أبو سعد فلم يظهر له

انه أنكر شيئاً ولا انه استوحش وسأله عن السبب فيما فعله فمرّفه الصورة واستشهد من حضر فاستصوب ما فعله . وخاف أبو سعد ووجد أبو العباس الحناط فرصته وأقبل يقول : هو ذا ياخذ البيعة على القواد وهو خارج عليك لا محالة . فوجه الامير الى أبي سعد فأنسه غاية التأنيس وحلف له ايماناً مؤكدة على ثقته به وانه لا يلحقه سوء من جهته . واتفق ان يخرج أبو سعد صناديقه من البيوت الى صحن داره ليسترها استظهاراً وخلاً بموسى فيأذة يشاوره فمضى الحناط الى الامير على بن بويه^(١٧٣) فقال له : قد استخلف أبو سعد قوادك وآخر من استخلفه موسى فيأذة وها هو قد أخرج صناديقه وهو خارج الساعة . فوجه الامير بمن عرف خبره فرأى الرسول الصناديق وموسى فيأذة خارجاً من عنده فعاد اليه بالخبر فلم يشكّ الامير حينئذ في صحة قول الحناط . فقبض عليه وعلى جميع ماله من سائر الاصناف واعتقله . وكان في الاعتقال الى ان ورد بعض قواد الأتراك من بعض أعمال فارس فواطأه الحناط على الدخول مع أصحابه وهم خمسون رجلاً مخرقي الثياب مسودّي الوجوه يضجّون بما جرى على خطائخ من أبي سعد ويهددون ان لم يقتل أبو سعد ففعل القائد ذلك ودخل والامير على شرب فامر بقتل أبي سعد ثم وقعت الندامة عند الصحو وبعد فوت الامر . واستكتب الامير بعده أبا العباس الحناط وبقي معه الى ان مات الامير على بن بويه . ونعود الى ذكر الاحوال الجارية بمدينة السلام . لما حصل محمد بن ياقوت بالحضرة وحصلت له الحجة ورياسة الجيش أدخل يده في تدبير أعمال الخراج والضيايع ونظر فيما ينظر فيه الوزراء وطالب أصحاب الدواوين بحضور مجلسه والآي تبلاوا توقيماً بولاية^(١٧٤) ولا صرف ولا غير ذلك من

سائر الاحوال الابلعد ان يوقع فيه بخطه . وتجلد أبو علي واحتمل ذلك والزم نفسه المصير اليه فاذا صار اليه دفعتين صار هو اليه دفعة واحدة . فكان أبو علي كالمعتقل لا يعمل شيئا ملازما لمنزله ويجيئه أبو اسحق القراريطي كاتب محمد ابن ياقوت فيطالعه بما يجري وما يعمل ^(١)

﴿ وفي هذه السنة قتل هرون بن غريب الخلال ﴾

﴿ ذكر السبب في قتله ﴾

كان سبب ذلك انه لما بلغ هرون بن غريب تقليد الراضي الخلافة وكان مقبلا بالدينور وهي قصبة أعمال ماء السكوفة وهو متقلد أعمال المعاون بها وبما سبذان ومهر جاذق وحلوان وتدبر أعمال الخراج والضيايع بها وهي النواحي التي كانت بقيت في يد السلطان من نواحي المشرق بعد الذي غلب عليه مرداويج) رأى انه أحق بالدولة من كل أحد فكاتب جميع القواد بالخضرة وانه ان صار الى الحضرة وتقلد رئاسة الجيش وتدبير الامور أطلق لهم أرزاقهم على التمام ولم يؤخر عنهم شيئا منها . وسار الى بغداد حتى وافى خاتمين فغلظ ذلك على الوزير أبي علي ابن مقلة وعلى محمد ابن ياقوت وعلى الحجريه والساجية والمونسية وخاطبوا ^(١٧٥) باجمعهم وقال الراضي : أنا كاره له فامنعوه من دخول الحضرة وحاربوه ان أحوج

(١) وقال فيه أبو بكر الصولي في كتابه الاوراق : وتمزق الامر بين محمد بن ياقوت ومحمد بن علي بن مقلة واستبد ابن ياقوت بالامر دونه ولم يمض امرا الا بتوقيعه ونظر في الاموال ورمى باكثر أمره الى كاتبه محمد بن أحمد القراريطي الى أن أظهر الوزير اطباق دواته وترك النظر في شئ البتة . واذا اضطر ان يوقع في أعمال أو ينظر في أمر مال عرضت توقيعاته على ابن ياقوت فما أراد امضاه ورضيه وقع فيه بامضائه وما لم يرده لم يوقع فيه فبطل ولم يلتفت الى توقيع غيره . فما زال الوزير يعمل في أمره حتى قبض عليه وأنا أذكر ذلك في حوادث السنين ان شاء الله

(١) الى ذلك

فلما كان يوم السبت لسبع خلون من جمادى الآخرة استحضر أبو بكر ابن ياقوت أبا جعفر بن شيرزاد وأوصله الى الراضى بالله حتى حمّله رسالة الى هرون بن غريب بأن يرجع الى الدينور وكتب معه كتابا فنفذ من وقته ووجد هرون قد صار الى جسر النهر وان وأدى الرسالة وأوصل الكتاب فاجاب هرون بأنه قد انضم اليه من الرجال من لا يكفيهم مالُ عمله وعاد أبو جعفر بالجواب وأدّاه الى الراضى بالله بحضرة الوزير أبي علي والحاجب أبي بكر محمد بن ياقوت . فبذلوا له ان تقلدوه أعمال طريق خراسان كلها ويكون مالها مصروفا اليه زائدا على ما يأخذه وقال الراضى بالله : سبيله ان

(١) وفي الاوراق لابن بكر الصولى : وما كان يصافي النية له لان الراضى بالله كان فى حجر موانس المظفر وكان العباس بن المقتدر فى حجر الخاك ثم فى حجر ابنه هرون بعده فكان يهتم به بايثاره عليه ولأنه أيضا كان منحرفا عن جدته شغب أيام حياة أبيه . ثم رأيت من ذكره لها فى خلافته وتحننه عليها ما كنت أسمع ضده منه فى أيام امارته وكذلك عاد منه كل تشعبيث كان رعا فقتله فى أبيه مدحا وتقرضا ووصف محاسن . واني لا ذكر يوما فى امارته وهو يقرأ على شيا من شعر بشار وبين يديه كتب لغة وكتب أخبار اذ جاء خدم من خدم جدته السيدة فاخذوا جميع ما بين أيدينا من الكتب فجعلوه فى منديل أبيض كان معهم وما كلونا بشيء ومضوا . فرأيت قد وجع لذلك واغتاض فسكنت منه وقلت له « ليس ينبغي ان ينظر فى مثلها فاجبوا ان يتجنّبوا ذلك » وقد سرّنى ذلك لبروا كل جميل منه . ومضت ساعتين أو نحو ذلك ثم ردوا الكتب بحالها فقال لهم الراضى : قولوا لمن أمركم بهذا « قد رأيت هذه الكتب وأعلمها هى حديث وفقه وشعر ولغة وأخبار وكتب العلماء ومن كمله الله بالنظر فى مثلها وينفعه بها وليست من كتبكم التى تبالغون فيها مثل عجائب البحر وحديث سندباد والسنور والفأر . وخفت ان يؤدى الخادم قوله فيقال « من كان عنده » فيذكروني فيلحقني من ذلك ما أكره (الى ما لى عندهم مما سأذكره والسبب فيه فى موضعه من أخباره ان شاء الله) ففتمت الى الخدم فسألهم أن لا يعيدوا قوله فقالوا : والله ما نحفظه فكيف نعيد !

يقتصر على بعض من معه من الرجال . فنفذ أبو جعفر ومعه أبو اسحق القراريطي بهذا الجواب فلما اذيا اليه الرسالة امتنع وقال : ان الرجال لا يقنعون بهذه الزيادة. ثم قال: ومن جعل ابن ياقوت أحق بالحجة والرياسة مني ؟ الناس يعلمون انه كان في آخر أيام المقتدر يجلس بين يدي ويمثل أمرى ومن جعله أخص بالخليفة مني وأنا نسيب أمير المؤمنين وقريبه وابن ياقوت ابن غلام من غلمانه؟^(٤٧٦) فقال القراريطي : لو كنت تُراعى ما بينك وبينه من القربة لما عصيته . فقال : لولا انك رسول لأ وقعت بك قم فانصرف . ووضع هرون يده في الاستخراج فاستخرج أموال طريق خراسان وقبض على عمال السلطان وجبي المال بعسف وخبطٍ وظلم وتهور وكان الوقت قريبا من الافتتاح . فلما اشتدت شوكتهُ شخص محمد بن ياقوت من بغداد في سائر الجيوش بالحضرة ونزل في المضارب بنهرين واستظهر بأنفاذ أبي جعفر محمد بن شيرزاد دفعةً ثانية برسالة جميلة ووعدهُ ان يوافقه على عدة الرجال الذين يتقرر الامر معه على كونهم في جملة وينظر في جرائدهم وأرزاقهم لسنة خراجية فان وفي مال أعماله بماله ومالههم رجع الى الدينور والأ سبب له بالباقي على أعمال طساسبيج النهروانات ونفذ اليه بهذه الرسالة يوم الاثنين . وقد وقعت طلائع عسكر هرون على طلائع عسكر محمد بن ياقوت وأصحاب هرون هم المستظهرون وكثر مضى الجند من عسكر محمد ابن ياقوت الى هرون بن غريب مستأمنة اليه فتيين أبو جعفر من هرون انه أتهمه بالميل الى محمد بن ياقوت وابن مقلة فلما رأى منه ذلك استأذنه في الانصراف بالجواب فقال : انى أخاف عليك^(٤٧٧) منه ان يعتقلك وانما بيننا وبين الوقعة وانكشف الامر بيننا ليلة واحدة

فاما كان في يوم الثلاثاء لست بقين من جمادى الآخرة تراحف
العسكران وكان المبدأ من أصحاب هرون واشتد القتال واستظهر أصحاب
هرون لان عددهم أضعاف عدد ابن ياقوت وانهمز أكثر أصحاب ابن ياقوت
وقطعة من العلمان الحجرية ونهب أصحاب هرون أكثر سواد ابن ياقوت
ونكسوههم عن دوابهم وأثخنوا فيهم الجراحات وقتلوا منهم عدة فركب
حيثنذ محمد بن ياقوت وسار حتى عبر قنطرة نهريين . ولم تزل الحرب غليظة
الى ان قارب انتصاف النهار وركب هرون بن غريب مبادرا وسار منفردا عن
أصحابه على شاطئ نهريين يريد قنطرتة لما بلغه ان ابن ياقوت قد عبر القنطرة
وقدر انه يقتله أو يأسره فنقطر به فرسه فسقط منه في ساقيه فلقته يمن
غلامه فضربه حتى أثخنه بالطبرزيات ثم سل سيفه ليذبحه فقال له هرون:
يا عبد السوء أنت تفعل هذا وتتولى بيدك قتلى أى شئ أذنت به اليك؟
فقال له : نعم أنا أفعل بك هذا . وحز رأسه ورفع وكبر فتبدد رجال
هرون ودخل بعضهم من طرق آخر الى بغداد ونهب سواد هرون وأصحابه
وأسر قوم^(١٧٨) وسار محمد بن ياقوت الى موضع جثة هرون فامر بحملها
الى مضربه فحملت وأمر بتكفينه ودفنه وأنفذ بمن يحفظ دار هرون من
النهب ودخل بغداد وبين يديه رأس هرون وعدة من قواده فأمر الراضي
بنصب الرأس على باب العامة^(١) وخلع على ابن ياقوت وطوق وسور

﴿ ودخلت سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة ﴾

وفيهما قلد الراضي ابنه الامير أبا جعفر وأبا الفضل المشرق والمغرب

(١) وفي الاوراق : فجيء برأسه الى الراضي فاظهر سرورا بذلك وسلمه الى أهله

فدفن بقرب قبر أبيه في قصر عيسى بن علي في الكرخ في الجانب الغربي

واستكتب لهما أبا الحسين علي بن أبي علي بن مقله وخلع على أبي الحسين لذلك يوم الاثنين خمس خلون من المحرم واستخلف أبو الحسين على كتابتهما أبا الحسن سعيد بن عمرو بن سنجلا وكتبت به الكتب^(١)

وفيها ورد الخبر بنسداد بان غلمان مرداويج بن زيار الجيلي قتلوه في الحمام باصبهان . فتبجح محمد بن ياقوت وزعم أن التدبير في ذلك كان له وأنه كاتب غلاماً كان له واستأمن الى مرداويج بضمة عشر كتاباً مع فيوج ذكرهم وسماهم من حيث لا يعلم أحد وأظهر كتباً من الغلام اليه في هذا المعنى وأنشأ كتباً قرىء بعضها في المسجد الجامع بهذا الخبر والشرح وكتب الى أصحاب الاطراف وأعلمهم^(٢) أن التدبير كان له وكل ذلك كذب فانا سمعنا من شرح الصورة ما اقتضاه الامر من أوله الى آخره ما نعلم انه لم يكن من تدبير بشري

﴿ ذكر السبب في قتل مرداويج ﴾

﴿ قال الاستاذ أبو علي أحمد بن محمد مسكويه أدام الله نعمته ﴾

حدثني الاستاذ الرئيس حقا أبو الفضل ابن السيد رحمه الله انه لما حضرت ليلة الوعود التي تعرف بالصدق^(٣) كان يقدم مرداويج قبل ذلك بمدة طويلة أن تجمع له الاحطاب من الجبال والنواحي البعيدة وان ينقل له في الوادي المعروف بزرين رُود وما قرب من الغياض والمحتطب فكان يجمع ذلك من كل وجه . وأمر بجمع النفط والنفاطين والزراقات ومن يحسن معالجتها والعب بها وتقدم باعداد الشموع العظام للجلسة ولم يبق جبل مشرف على جرّين

(١) وقال فيه أيضاً أبو بكر الصولي: ما رأيت أحداً قط ملك من حسن رأي

صاحبه ما ملك ابن سنكلا من الراضي (٢) معرب وهو بالفارسية (سده)

اصهبان ولا تلّ ظاهر الا عيّيت عليه الاحطاب والشوك وعمل على مسافة بعيدة من مجلسه بحيث لا يمكن أن يتأذى بالوقود كهيئة تصور عظيمة من الأجذاع وضّيت بالحديد الكثير حتى تماسكت . وحشيت بالشوك والقصب وصيدت له الغربان والحدأ وعلق^(١٨٠) بمناقيرها وأرجلها الجوز المحشو مشافةً ونفطا . وعمل بمجلسه الخاص تماثيل من الشمع وأساطين عظام منه لم ير مثلها ليكون الوقود في ساعة واحدة على الجبال ورؤس الينابيع وفي الصحراء وفي الجبال على الطيور التي تطلق . ثم عمل له سماط عظيم في الصحراء التي تبرز اليها من داره وجمع فيه من الحيوانات والبقر والنم ألوف كثيرة وزين واحتشد له بما لم تجر العادة بمثله . فلما فرغ من جميع ذلك وضربت مضاربته قريبا من السماط وحضر الوقت الذي ينبغي أن يجلس فيه مع القوم للطعام ثم لاشرب خرج من منزله وطاف على سماطه وعلى الآلات التي ذكرتها للوقود فاستحقرها كلها واستصغر شأنها (قال) وذلك لاجل سعة الصحراء ولان البصر اذا امتد في فضاء واسع ثم انقلب عنه الي هذه الاشياء المصنوعة استحقرها وان كانت عظيمة . فاغتاظ وتدخله من النخوة والجبرية ما سكت منه ولم يتكلم بحرف ودخل الى خركاه في خيمة عظيمة واضطجع ثم حوّل وجهه الى خلاف الباب والتف بكسائه لئلا يكلمه أحد . واجتمع الاسراء والكبار والقواد وسائر الجند والنظارة ولم يجسر على خطابه أحد ولا علي^(١٨١) تحريكه وأبطأ على الناس خروجه حتى فات الوقت . وأخذ الناس في الارجاف به فتحدثوا سرا وهمساً وخيفت الفتنة حينئذ مشى العميد حول الخركاه ودمدم بكلامه المقتضى للجواب فلم يتكلم بحرف ولم يزل يدارى في الكلام ويدعوا له الى ان اضطره الى الجلوس ثم دخل اليه فقال:

أيها الأمير ما هذا الكسل في وقت النشاط وحضور الأولياء وفرح الصديق
وأنحزال المدوّ؟ فقال : يا أبا عبد الله وأى نشاط يحضرنى مع الاستخفاف
والاستهانة وقصور الامر ! والله لقد افتضحت فضيحة لا يفسلها عنى شيء
أبدا . قال العميد : ودهشت ساعة ثم قلت : أيها الأمير وما ذلك؟ فقال : أما
ترى زيارة ما أمرت به من الاستكثار منه وقلته ووتاحتته من الطعام والممط
ثم من جميع آلات الوقود والاشياء المتصلة بها . فقلت : والله أيها الأمير
لقد عمل من هذه الاشياء ما لم يسمع بمثله فضلا عن أن يرى فقم الى مجلس
أنسك وعاود النظر . فأبى ولج الى ان قلت : فان الاعداء يرجفون بكيت
وكيت فاتق الله اركب وطف طوفة لتزول الارجيف ثم اعمل ما بدا لك
فانا سنعتذر عنك . فزاده ما حكيت له من ^(١٨٢) اراجيف الناس به غيظا
وحنقا ثم قام فركب كارها متحاملا وطاف مغضبا مغتاظا بقدر ما رآه الناس
وانصرف الى موضعه ولزم حالته الاولى . وجمع الناس الذين دُعوا على
خبط فابى أكثرهم وانصرف من كان حاضرا وقالوا : لا نأمن الا يأنس
الامير .

وبقى في معسكره ثلاثا لا يظهر ولا يرى الا انه يعلم انه حاصل في
قصر أبي على ابن رستم . فلما كان اليوم الثالث تقدم بأسراج الدواب ليعود
من جرين الى داره وهي التي كانت لابي على ابن رستم بالمدينة ولها باب
الى الصحراء وباب الى المدينة فأمرج الغلمان واجتمعوا بالباب وذلك بعد
الظهر فنعس نعسة ونام فأبطأ ودخل وقت العصر واتفق ان شغبت دواب
الغلمان وارتفعت أصواتها وأصوات من يزجرها ولم يمكن أن يفرق بينها
لازدحامها بالباب ولأن أكثرها بأيدي غلمان الغلمان ينتظرون ركوب الأمير

فركب الغلمان بركوبه . فانتبه مرداويج مذعورا لما كان في نفسه من اقدام الناس عليه بالاراجيف وسأل من يليه عن السبب فلم يعرفوا صورة الامر فقام بنفسه واطلع على الدواب والشاكرية واذا هم بأسرهم يصيحون لزجر الدواب والدواب قد سقط بعضها على بعض ولها^(٤٨٢) أصوات هائلة منكرة فارتاع ساعة حتى عرف حقيقة الامر ثم سكن فسأل عن أصحاب الدواب فقيل « هم الغلمان الأتراك » فأمر أن تحط السروج عن ظهور الدواب وتُجعل على ظهور الغلمان مع جميع آلتها ويدفع الدواب بأرسانها اليهم ليقودوها بانفسهم الى الاصطبلات ففعلوا ذلك وكانت صورة قبيحة يتطير من مثلها ويتشأم بها . ثم ركب هو بنفسه مع خاصته وهو يتوعد الغلمان حتى صار الى منزله قرب العشاء وكانت طشة من مطرة بلته فلما دخل داره كانت كالحالية ليس فيها الا صبيان الاصاغر وخادم اسود كان أستاذ أولئك الغلمان فدخل الحمام يغير ثيابه . وقد كان قبل ذلك بطش بغلمان أتراك كبار فحقده ولسكن لم يكونوا يجردون أعوانا فلما فعل بالجماعة ما فعل اغتمموا الصورة وانتهزوا الفرصة وقال بعضهم لبعض : ما وجه صبرنا على هذا الشيطان . فانفقوا على الفتك به^(١) ولما دخل الحمام سألوا الغلام الذي يلي

(١) وفي الاوراق : وكان السبب في قتل مرداويج أنه جعل عسكره صنفين صنف منهم حيل ودبلم وهم خواصه وأهل بلده والذين فتح بهم الري ونواحيها ومنهم صنف الأتراك وأهل خراسان . ثم استخص قراً من الأتراك فوجد الدبلم من ذلك وعاتبوه عليه فقال : انما اتخذت الأتراك لافئكم بهم وأقدمهم يحاربون بين أيديكم واني آخذكم خاصتي وانا بكم ولكم . فبلغ ذلك الأتراك فاجتمع رأيهم على قتله فنصبوا الغلمان الصغار الذين في خدمته ووكدوا عليهم بالتركية أن يفتكوا به فقتلوه في حمام .

خدمته في الحمام الا يحمل معه سلاحه (وكان رسمه ان يدخل معه الى الحمام دشنيا
 مانفوقا في منديل) فقال الغلام: لا أجسر ان أتقدم بين يديه وليس معي الدشني.
 فاتفقوا على ان يكسروا حديدته^(٤٨٤) ويتركوا النصاب في الجنن ثم يلف
 في المنديل حتى لا ينكر الصورة ويتركه في زاوية الحمام على الرسم. ثم هجم
 عليه جماعة والخدام الاسود جالس على كرسي بياب الحمام فلما راهم ثار في
 وجوههم وصاح بهم فضربه بعضهم بسيفه فاتقاء بيده فطاحت من الذراع
 وسقط وهجم القوم وارتفعت الضجة. فاحس مرداويج بالشر فبادر فسد
 الباب من داخل بسرير وكان يجلس عليه بعد ان طلب الدشني فلم يجده ودفع
 الغلمان الباب فتعذر عليهم فصعد نقر منهم الى قبة الحمام فكسر الجلمات
 ورموه بالنشاب فدخل البيت الحار وأخذ في مداراتهم وضمن لهم كل جميل
 فكانهم تهيبوه ساعة ثم علموا ان الغاية التي بلغوها منه ليس يجوز ان يكون
 بعدها صالح فحمل بعضهم على ناحية الباب الذي وراء السرير حتى كسروه
 ودخلوا عليه فشق بعضهم جوفه بسكين معه وضرب هو وجه بعضهم
 بكرنب فضة في يده فأثر فيه أثرا قبيحا وخرجوا من عنده وعندهم انه قد
 فرغوا منه فقال لهم رؤفقاؤهم الذين كانوا خارج الحمام: ما صنعتم؟ قالوا:
 شققنا جوفه. فقال أحدهم: عودوا اليه^(٤٨٥) فحزوا رأسه. وانما فعلوا ذلك
 لانه كان اتفق في تلك الايام ان بعض الفرّاشين في الدار شق بطنه بجراحة
 نخيطة الجرح وعولج فسلم فخافوا ان يجري ذلك المجري فحزوا رأسه.

وقيل انه لما عاودوه قد جمع حشوة بطنه ورددوا قبض عليها بشماله
 وقاتل بكرنبه ساعة حتى فرغ منه. فلما طرحوا رأسه في الدار بادروا الى
 الاصطبلات فاسرجوا الدواب وأوكفوا البغال واحتملوا من الخزائن

مأمكنهم من المال والسلاح ورحلوا .

وفى خلال ذلك تهيأ لبعض من فى الدار تسوثر الحيطان فدخلوا المدينة وقد (جنهم) الليل نخبروا الجند والقواد بما جرى وهم سكارى متفرقون واجتمع بعضهم وأوقدوا النيران وضربوا بالبوقات وأسرجوا الدواب وأخذوا السلاح وساروا الى الصحراء لينقلبوا الى الباب الذى منه المدخل فالى ان يفعلوا ذلك فاتهم الغلمان ولم يجدوا غير غليمة أصغر لا ذنب لهم فقتلوا منهم عدة ثم كفوا عنهم . وخشى أهل الرأى من حشمة ان تنهب الخزائن فاشار العميد باحراقها وهدم البنيان عليها فسلم^(٤٨٦) المال وأكثر الذخائر لان المتهمين حضروا والنار والدخان نائرة فى الموضع فلم يصلوا الى شىء .

وكان ركن الدولة أبو على الحسن بن بويه رهينة عند مرداويج من جهة أخيه على بن بويه عماد الدولة فلما أحس بالصورة دارى الموكلين به وضمن لهم ضمانات كثيرة فساعدوه حتى هرب بعد ليلة من قتل مرداويج

اتفاق عجيب اتفق له فى هربه

لما خرج بقيوده الى الصحراء وجلس ليكسرها أقبلت بغال عليها (تين) وعليها أصحابه فنكسهم وركب هو ومن معه البغال وحبها حتى سلم وفات الطلب

فأما الأتراك فاقترقوا فرقتين أما فرقة فسلكوا نحو فارس مستأمنين الى على بن بويه (وفيهم خجججج الذى سمله توزون لما ملك العراق) وأما فرقة فسلكت الجبل وهى الاكثر عددا وفيهم يحكم الذى ملك الامر بالعراق وتقلد أمانة الامراء بها فى أيام الراضى وسند كر من أخباره ما يليق

بهذا الكتاب^(١) فاما ما جري عليه أمر أصحاب مرداويج فان أبا مخلد كان يتحدث وكان من خدم مرداويج وصاحب دولته ان تابوت مرداويج حمل الى الري قال: ^(٤٨٧) فما رأيت يوماً أعظم من اليوم الذي دخل فيه تابوته الري وذلك ان الجليل والديلم باجمعهم ساروا مشاةً حفاةً معه أربعة فراسخ . وذكر انه كان أخوه وشمكير ماشياً معهم ثم مضوا من اصبهان على مكبرة أبيهم معه الى الري وكان الناس لا يشكون أنهم يستأمنون الى علي بن بويه . فبطل هذا الظن وقال : لم أر قط عسكرياً هلك صاحبه فوفى له رجاله وجنده بغير درهم ولا دينار ذلك الوفاء فانهم صاروا الى أخيه وشمكير على هذه الحال . وعرف شيرج ان اصبهان خالية وكان بالاهواز من قبله فسار للوقت الى عسكر مكرم وستر الخبر وكان بها هرجام الجيلي فأسر اليه بالخبر وأخذه معه ثم سار الى تستر وبها جيلي وكان وجهها كبيراً فحدثه وأخذه معه وقصد جند يسابور وبها اسمعيل الجيلي وكل واحد من هؤلاء نظير لشيرج فاطلعه على الامر وسار بمسيره فصارت الجماعة الى السوس وبها عبد الله بن وهبان القصباتي البصري عامل كور الاهواز من قبل مرداويج والشابشتي الحاجب وكان ثقة مرداويج وكان رتبهم مرداويج على ما ذكر أبو مخلد على ان يتوجه ^(٤٨٨) شيرج الى واسط ثم الى بغداد وكان مرداويج ينتظر خروج الشتاء في سنة ٢٣ فيقصد أرجان أولاً ثم يناجز علي بن بويه فاذا فرغ منه عدل الى الاهواز ثم منها الى السوس وينفذ معظم خيله الى شيرج ليتقدمه الى واسط وكان في نفسه ان يملك بغداد ويعتد التاج على رأسه ويعيد ملك الفرس فعوجل

(١) وفي الاوراق ان الأتراك الذين قتلوا مرداويج اضطربوا وقالوا نجعل علينا رئيساً فرضوا بيجكم . وانه صار والعلمان الذين معه الى ابن رائق فقبله أحسن قبول

بالقتل . فسار عسكره كله كما ذكرنا مع شيرج والشابشتى وابن وهبان من السوس الى الرى على طريق شابرخواست والكرج يريدون وشمكير أخاه ما عارضهم معارض ولا أقدم أحد على منابذتهم والافساد عليهم ولما حصلوا بها بايعوه . واستوزر وشمكير ابن وهبان وشكر له حسن تصرفه لآخيه بالاهواز

وكان مرداويج يوم قلده الاهواز أرزقه الف دينار فى الشهر وقال له : ان نصحت وأديت الامانة استوزرتك بالحضرة ونصبت الرايات بين يديك الى باب نصيبين وان خنتنى وشرهت نفسك فان كررتك كبيرة ومعدتك عظيمة والحلاوات بالاهواز كثيرة فهذا دشنى ترى انبساطه وحده والله لاشقن به بطنك هذه^(١٨٩) الكبيرة . فقال له : ستعلم أيها الامير كيف انصح وأؤدى الامانة وانى مستحق لاصطناعك . وكان هذا الرجل من أهل البصرة وله أب قصباني وانما تقلد فى أيام ابن الخلال همذان فلما انهزم ابن الخلال من وقعة مرداويج وقصد الحضرة لانتزاع الرياسة من محمد بن ياقوت وجرى عليه ماجرى حصل مرداويج بهمذان ووقع فى يده ابن وهبان فمفاه عنه واستعمله فنفق عليه . وكانت كشيبة مرداويج رذ على ابن وهبان ان يعده ايوان كسرى منزلا اذا تقدمه الى الحضرة ويعمره ويعيده كهيئته قبل الاسلام وانه معتقد للمقام بواسط الى أن يستتم ذلك وأنه يراه وشيرج مع من معهما اكفاه لمن بالحضرة من ابن ياقوت والحجرية والساجية وسائر الأصناف وأنه مستغن عن ان يلقاه بنفسه . وكان قد صاغ تاجاً عظيماً ورصعه بالجواهر^(١٩٠) وذكر أبو مخلد انه

(١) وزاد الصولى فى الاوراق أنه قال : أنا أردّ دولة العجم وأبطل دولة العرب

رأه قبل الحادثة بأيام جالساً على سرير ذهب قد جعل عليه منصّة عظيمة وتفرّد بالجلوس عليه وجعل دونه سرير فضة وعليه فرش مبسوط ودون ذلك كراسي كبار مذهبية^(٤١٠) وغير ذلك ليرتب أصحاب الازار مراتبهم في الاجلاس قال : وكان الكافة من الناس بالبعد قياماً ينظرون اليه ما ينظّمون الا همساً اعظماً له واكباراً لقدره .

وفيها وقع بين أصحاب ياقوت ومحمد بن رائق شر فاقتلوا وقتل بينهم خلق ﴿ وفيها قبض على المظفر ومحمد ابني ياقوت بتدبير ابني علي بن مقلة ﴾ ﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كان السبب في ذلك ان أبا علي كان قلقاً من غلبة محمد بن ياقوت على تدبير الأمور ونظره في جباية الأموال وحضور أصحاب الدواوين مجلسه وتفرده بما يعملهُ الوزراء وعظاته هو الى أن تمّ تدبيره عليه . فلما كان يوم الاثنين لست خلون من جمادى الاولى ركب القواد الى دار السلطان على رسمهم في أيام المواقب وحضر الوزير أبو علي ابن مقلة وأظهر الراضى أنه يريد أن يقلد جماعة من القواد عدّة نواح من الممالك . ويخلع عليهم وحضر محمد بن ياقوت للخدمة وأبو اسحق القراريطى كاتبه معه وجلسوا على رسمهم في الصحن التسميني ثم خرج الخدم الى محمد بن ياقوت فعرفوه ان الخليفة يطلبه فقام مبادراً^(٤١١) فلما دخل عدل به الى حجرة قد أعدت له وأخذ سيفه ومنطقته ووكّل به ثم خرج الخدم الى أبي اسحق القراريطى فعرفوه ان صاحبه يطلبه فلما دخل عدل به الى حجرة أخرى وحبس ووجه يقوم الى دار المظفر بن ياقوت فقبض عليه وحمل الى دار السلطان وحبس مع أخيه وكان وجد قريباً من السكر لانه كان يشرب . وتنفذت حيلة الوزير

أبى علي عليهم وتقدم الى العلمان الحجرية والساجية أن يصيروا الى دار السلطان وأن يضربوا مضاربهم في بابي الخاصة والعامة ليحفظوا الدار . وأمر مفلح الاسود^(١) أن يصير الى دار محمد بن ياقوت ...^(٢) وخلع عليه . وسلم القراريطى الى الوزير أبى علي فأخذ خطه بخمسمائة الف دينار ثم تقرر أمره على ثلاثة آلاف الف درهم^(٣)

وانحدر ياقوت من واسط الى السوس بجميع أصحابه وكتب الى الراضى بالله كتاباً في أمر ابنه يستعطفه فيه لهما ويرقق قلبه عليهما ويستثله الاحسان اليهما وتجديد الصنيعة عندهما وعندده فيهما وان يلحقهما ليعاونا على أمره ويكونان معه في حروبه

ولما زال أمر محمد بن ياقوت وتفرد أبو علي بالتدبير استخلف ابنه أبا الحسين^(٤) على جميع الدواوين والأعمال وصارت مكتبة جميع أصحاب الدواوين له وانفذهم الاعمال اليه فصار يعزل ويولى ويحل ويمقد . وصار اليه أبو عبد الله احمد بن علي الكوفي وطرح نفسه عليه وارثهم بكتابته وكان يكتب

(١) قال صاحب التكملة في ترجمة سنة ٣٥٦ : في ذى الحجة توفي مفلح الاسود خادماً للمقتدر بالله بمصر (٢) سقط بعض الألفاظ من الأصل (٣) قال أبو بكر الصولى في الأوراق : وقبض على نجاح كاتب ابن ياقوت على الجيش . فقبض من ابن ياقوت على رجل كامل فى العقل وعلم وشجاعة وصيانة ونفاق واجتمع الحجرية والساجية وقالوا : لانرى بأن يكون بدر الحارثي والياً شرطة بغداد . فسفر بينهم وبين بدر ورفق بهما حتى رضوا به . وبلغ السلطان ان أبا الفتح (المظفر) بن ياقوت يضرب الحجرية والساجية على الراضى ليفتكوا به وتوقع البيعة لبعض اخوته فقبض عليه وهو بين يديه يخاطبه ووكل بدوره فلم تنهب وحمل ما فيها ليلا الى دار السلطان . وخلع الراضى على غلامه ذكي للحجبة يوم الثلاثاء لسبع خلون من جمادى الاولى . وغضب صغار الحجرية لابن ياقوت وقالوا : ينأظر بحضرتنا فان وجد عليه شيء والا أطلق . فداروهم حتى سكنوا

لأبي اسحق القراريطي وكان مستولياً عليه فقبله أبو علي واختص به وبأبيه.
 وشغب الجند وطالبوا بأرزاقهم وصاروا الى دار الوزير أبي علي ونهبوا
 اصطبلاته وأخذوا من بابه من كان في مجلسه ونكسوا جماعة ممن لقيهم من
 الكتاب عن دوابهم وأخذوها منهم فاطلق لهم أرزاقهم وسكنوا
 وفيها قوى أمر أبي عبد الله البريدي واستفحل أمره
 ﴿ ذكر أسباب ذلك ﴾

كان أبو عبد الله البريدي ضامناً أعمال الخراج والضيايع بالاهواز فلما
 وافاها شيرج بن ليلى الديلمي من قبل مرداويج خرج الى البصرة بعد
 هزيمة ياقوت وغلامه مونس كما كتبناه فيما قبل واقام يدبر أسافل الاهواز
 الى ان قرره محمد كتابة ابنه نخرج معه الى واسط. فيئنا هو معه يدبر أمره
 اذ ورد بالقبض^(١٣) على محمد والمظفر ابني ياقوت فارتاع ياقوت من ذلك
 ارتياحاً شديداً. وكتب أبو علي ابن مقسلة الى أبي عبد الله البريدي أن
 يسكنه ويعرفه ان الجند اضطربوا وتطيروا لهما وشغبوا مراراً « كما بلغك »
 ثم أرسلوا للخليفة بأنّه ان لم يقبض عليهما أحدثوا في الملك حادثة عظيمة
 واضطر الى أن يرضيهم بما أمضاه فيهما وأنه يتلافى أمرهما عن قرب
 وينفذهما اليه وان الرأي أن يبادر هو لفتح فارس. فخرج ياقوت من
 واسط على طريق السوس الى عسكر مكرم وأخرج أبو عبد الله البريدي
 معه أبا الحسن ابن حميد البصري ليخلفه على كتابته وكان صنيعته وأخرج أبا
 زكريا يحيى بن سعيد السوسي لخدمته في بلده فدخل ياقوت عسكر مكرم
 وهما معه ثم وافى أبو عبد الله البريدي من طريق الماء الى الاهواز وورد
 بعده أبو يوسف أخوه وكان اليه السوس وجند يسابور شركة بينه وبين

أخيه أبي الحسين . وادّعى ان مال سنة ٣٢٢ احتمله شيرج بن ليلى وان
النواحي معطاة الارتفاع في السنة التي بعدها فانفذ أبو علي ابن مقله ابن
عينويه لكشف ذلك ^(١٩٤) وطابقهما وكتب يصدقهما

فكانت هذه الفتنة نعمة على أبي عبد الله وأبي يوسف البريديين فإنه
تحصل لهما بها ومما بعدها الى وقت انهزامهما من الاهواز على ما حدث به
أبو الفرج ابن أبي هشام أربعة آلاف الف دينار خرجا بها على السلطان .
ثم قصدا عسكر مكرم للاجتماع مع ياقوت فوافياها وتلقاهما في الموضع
المعروف بفوهة النهرين وسيراها الى ارجان لفتح فارس

وفيهما خرج توقيع الراضى بالله بان تكون المخاطبة والمسكاتية من جميع
الناس لابى الحسين على بن محمد بن مقله بالوزارة وكان سنة اذ ذاك ثمانى عشرة
سنة وان يكون الناظر فى الامور صغيرها وكبيرها وتقدم الى جميع أصحاب
الدواوين بذلك وخلع على أبي الحسين خلع الوزارة وخو طب بها وحمل على
شهرى وانصرف من دار السلطان على الظهر ومعه القواد والجيش والخدم
وأصحاب الدواوين . وانصرف أبو علي فى طياره الى منزله وصار اليه ابنه
بالخلع وطرح له مصلى فى مجلس أبيه ودخل الناس معه وهتفوا أبا علي وأنشده
الشعراء وأمر ابو الحسين ونهى ووقع ^(١٩٥) وصار طرح المصلى فى مجلس
أبيه رسما له . وخرج رسم أبيه الى جميع أصحاب الدواوين الا ينفذوا توقيعها
له الا بعد عرضهم اياه على ابنه أبي الحسين واستشاره فيه وأخذ توقيعها
بخطه فيه بامثاله .

وشغب الفرسان شغبا بعد شغب وكانوا يأخذون دواب الناس من باب الوزير

وفيهما ركب بدر الخرشني فنأدى في جانبي بغداد في أصحاب أبي محمد البربهاري الحنبلية الايتمتع منهم نفسان في موضع واحد وحبس جماعة منهم واستتر البربهاري وكان سبب ذلك كثرة تشرطهم على الناس وإيقاعهم الفتن المتصلة . وخرج توقيع الراضي بالله الى الحنبلين بما نسخته :

(بسم الله الرحمن الرحيم) من نافق باظهار الدين وتوثب على المسلمين وأكل به أموال المأهدين كان قريبا من سخط رب العالمين وغضب الله وهو من الضالين : وقد تأمل أمير المؤمنين أمر جماعتكم وكشفت له الخبرة عن مذهب صاحبكم^(١) زين لحزبه المحذور ويُدلي لهم جبل الغرور : فمن ذلك تشاغلهم بالكلام في ربّ العزة تباركت أسماؤه وفي نبهه والعرش^(١٦) والكرسى وطعنكم على خيار الأمة ونسبكم شيعة أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكفر والفضال وارصادهم بالانكاره في الطرقات والمحال . ثم استدعواكم المسلمين الى الدين بالبدع الظاهرة والمذاهب الفاجرة التي لا يشهد بها القرآن ولا يقتضيها فرائض الرحمن وانكاركم زيارة قبور الأئمة صلوات الله عليهم وتشنيعكم على زوارها بالابتداع . وانكم مع انكاركم ذلك تلفقون وتجتمعون لقصد رجل من العوام ليس بندي شرف ولا نسب ولا سبب برسول الله صلى الله عليه وسلم وتأمرؤن بزيارة قبره والخشوع لدى ترثه والتضرع عند حفرة فلن الله رباً حملكم على هذه المنكرات ما أرداء وشيطاناً زينها لكم ما أغراه . وأمير المؤمنين يقسم الله قسماً جهد الية يلزمه الوفاء به لئن لم تنصرفوا عن مذموم مذهبكم ومعوج طريقتهم ليوصلنكم ضرباً وتشريداً وقتلاً وتبيداً ويستعملن السيف في

رقابكم والنار في محالكم ومنازلكم فليبلغ الشاهد منكم الغائب فقد^(١٧)
أعذر من أنذر وما توفيق أمير المؤمنين الا بالله عليه يتوكل واليه ينيب .

وفيها شغب الجند وصاروا الى دار الوزير فوقع الذهب في خزانة له فيها
زجاج مخروط وبلور وصيني وغير ذلك فدخلوا الدار وشغبوا فيها وخرج
الوزيران عن دُورهما وصارا الى الجانب الغربي . وكان الوزير أبو علي نفى
الخصيبي وسليمان بن الحسن الى عُمان وكاتب صاحب عمان بحبسهما والتضييق
عليهما فاطلقهما ووردا بغداد مستترين فورد على الوزير من ذلك ما أقلقته وكبس
عليهما عدّة مواضع فلم يظفر بهما^(١٨)

﴿ وفيها قتل الحسن بن عبد الله بن حمدان عمه أبو العلاء سعيد ﴾

﴿ ابن حمدان وخرج لذلك أبو علي ابن مقلّة الى الموصل ﴾

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كان أبو العلاء شريع في تضمن الموصل وديار ربيعة فضمن ذلك سرّاً

(١) قال فيه صاحب التكملة : وكان ابن مقلّة قد أحدر الخصيبي وسليمان بن الحسن
الى البصرة وأمر البريدى بنفيهما في البحر فجن بهما الليلة فكادا يفرقان وأيسا من الحياة
فقال الخصيبي : اللهم انى أستغفرك من كل ذنب وخطيئة وأتوب اليك من معاودة معاصك
الا من مكروه أبي علي ابن مقلّة ان قدرت عليه جزبته عن ليلتي هذه وما حل بي منه فيها
وتناهيت في الاساءة اليه . فقال سليمان : ففى هذا الموضع وأنت معابن لهلاك تقول هذا !
فقال : ما كنت لاخدع ربي . ولما صارا الى عمان عدل بالخصيبي الى سرنديب فعرف
سليمان بن الحسن ابن وجيه خبره فامر برده الى عمان

ولما عزل الراضى ابن مقلّة وولى عبد الرحمن بن عيسى ضمن الخصيبي ابن مقلّة
فاما رآه تلفت نفسه فاسمعه الخصيبي نهاية ما كره وسلمه الى الدستوائى (وكان لابن مقلّة
اليه اساءة لانه سلمه الى بنى البريدى حتى أزالوا نعمته) فعلى الدستوائى باين مقلّة صنوف
المسكاره وجاء أبو بكر ابن قرابة فضمن عنه مائة الف دينار والى دينار ودفعت الضرورة
الى ان وزن ابن قرابة المال من عنده

وخلع عليه وأظهر أنه ينفذ الى الموصل لموافقة ابن أخيه أبي محمد^(١) على ما عليه من مال الضمان ومطالبته بحمله وشخص في نحو خمسين غلاما من غلمانة فدخل الموصل . وعرف ابن أخيه خبر موافقته^(٤٩٨) فخرج نحوه مظهرا لتلقيه واعتمد ان يخالفه الطريق فلا يراه ومضى أبوا العلاء الى دار أبي محمد فزلهما وسأل عن خبره فعرف انه خرج ليلتقاء فجلس ينتظره . فلما دلم أبو محمد ان عمه قد حصل في داره وجه بغلمانة فدخلوا الى أبي العلاء الى البيت الذي كان فيه فقبضوا عليه وقيدوه ثم وجهه بقوم علوه بأسيا فهم وقتلوه ولم يقع بينه وبين ابن أخيه لقاء وورد الخبر بذلك الى الراضي فانكره وتقدم الى الوزير أبي علي بالتأهب للخروج الى الموصل والايقاع بالحسن بن عبدالله بن حمدان والنائب عنه بالحضرة .

فذكر ان علي بن عيسى كتب الى الحسين بن عبد الله بن حمدان بخطه عن أمير المؤمنين الراضي بالله بالانفراج عن ضمانه وألا يحمل شيئا الى الحضرة من ماله وان يمنع من حمل الميرة الى بغداد فأخذ أبو علي ابن مقلة خطه بذلك وأحضر جماعة من الشهود حتى شهدوا عليه . وسلم الوزير الكتاب الى ابن سنجلا يعرضه على الراضي بالله فلما كان من غد وهو يوم الاربعاء انحدر الوزير أبو علي الى دار السلطان وانصرف الى منزله . فوجه الراضي براغب وبشرى خادميه الى علي بن عيسى فحملاه الى الوزير^(٤٩٩) أبي علي فلم يوصله اليه واعتقله في حجرة من داره وراسله علي بن أحمد بن علي النوبختي وعرفه ما أشهد به سهل بن هاشم على نفسه وان الخليفة أنكر فعله وما زالت المراسلات تتردد بينهما الى ان ألزمه أبو علي مصادرة خمسين الف دينار على أن يجعل في

باب أبي جعفر بن شيرزاد صاحب ديوان النفقات للآثار عشرة آلاف دينار وتؤخذ منه عقار وضياع بعشرة آلاف دينار فالنزم أبو الحسن ذلك فيقال ان طليبا الهاشمي كان قال لعل^(١) بن عيسى عن الراضي بالله أن يكاتب الحسن بن عبد الله عنه ويتوسط بينهما على أن يحمل اليه سرا سبعين الف دينار في نجومٍ وشرط عليه الحسين أن يحميه ويمنع منه ومن تشعيث أمره ويقرّره على ضمانه ولا يقبل زيادة عليه فحمل تلك النجوم وأخر باقيها . وأنكر الخليفة كل ما جرى في هذا الباب وذكر انه لم يصل اليه شيء^(٢)

وأخرج مضرب الوزير أبي علي وخرج على مقدمته نقيب الصغير وابن بدر الشراي وجماعة من الحجرية وغيرهم وخلف ابنه الوزير أبا الحسين بالحضرة في خدمة السلطان وتدير الامور . وقبل شخوصه أطلق^(٣) أبا الحسن علي بن عيسى وأخرجه الى ضيعته بالصافية وأحلفه على أنه لا يسعى في مكروهه ولا يتكلم فيه بما يقدح في حاله ولا فيما يفسد أمره ولا يسعى في الوزارة لنفسه ولا لغيره من سائر الناس فحلف وخرج من وقته الى الصافية^(٤)

(١) وفي الاصل : لعيسى . (٢) وقال أبو بكر الصولي في الاوراق : وكان الاصل في هذا ان الراضي زعم ان ابن حمدان الحسن وجه اليه بخمسة آلاف دينار على يد ابن طليب الهاشمي ليوصلها الى الراضي فلم يفعل ذلك . وكان الراضي بعد نكبة على ابن عيسى يخاف ان عليا احتال بخمسة آلاف فكنت أقول له : لو تأمل سيدنا هذا من أن وقع وان عليا لا يمدّ عينه الى خمسة آلاف دينار وهو أبعد الناس من هذا . وكنت أحدثه عنه بما أقدر ازالة ما وقع بقلبه فلا يقبل الى ان ضرتني ذلك عنده . وسعي بي قوم من الجلساء الى الوزير فأنحرف عني بعد ميل وحرمني بعد عطاء

(٣) زاد فيه الصولي في الاوراق : فانتقل والله الى الصافية جمال بغداد ومن

لا يرى الناس مثله .

ولما قرب الوزير أبو علي من الموصل رحل عنها أبو محمد وتبعه الوزير الى ان صعد جبل التنين ودخل بلد الزوزان فعاد حينئذ أبو علي الى الموصل وأقام بها يستخرج مال البلد ويستلف من التجار المجهزين للدقيق مالا على أن يطلق لهم به غلات البلد فاجتمع له من ذلك أربعمئة ألف دينار . ولما طال مقام الوزير بالموصل احتال سهل بن هاشم كاتب أبي محمد بن حمدان فبذل للوزير أبي الحسين ابن الوزير أبي علي عشرة آلاف دينار حتى كتب الى أبيه بأن الامور بالمضرة قد اضطربت عليه وأنه متى تأخر وروده الحضرة لم يأمن حدوث حادثة يبطل بها أمرهم فانزعج الوزير من ذلك وقلد على بن خاف بن طناب أعمال الخراج والضيايع بالموصل وديار ربيعة وقلد أعمال المعاون بها ما كره الديلمي من الساجية . وتقدم بنوفية التجار ما استسلفه منهم من المال وانحدر^(١) الى الحضرة^(١) وخرج لتلقيه الأمير أبو الفضل وأصحاب الدواوين والقواد ولقي الخليفة وانصرف الى منزله وخلع عليه من الغد وعلى ابنه خلع منادمة وحمل اليهما اللطاف وشراب وطيب وبلور .

وكان الوزير أبو علي كتب الى الوزير ابنه قبل أن ينحدر من الموصل بإزالة التوكيل عن أبي الحسن علي بن عيسى وان يكتب اليه أجمل خطاب ويخبره بين الانصراف الى مدينة السلام وبين المقام بالصافية فكتب اليه الوزير أبو الحسين بذلك . وكان السبب فيما كتب به الوزير أبو علي من ذلك أنه كان كتب الى أبي محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان كتاباً يدعو فيه

(١) وفيه أيضاً أنه أقام بالبردان ثلاث بقين من شوال لينفضى كسوف الشمس وكان ليلتين بقيتا من شوال ثم دخل في أول ذي الحجة

الى الطاعة ويذل له الامان فقبل الكتاب وقال للرسول : ليس بينى وبين هذا الرجل عمل (يعنى ابن مقلة) ولا أقبل ضمانه لانه لا عهد له ولا وفاء ولا ذمة ولا أسمع منه شيئاً اللهم الا أن يتوسط أبو الحسن علي بن عيسى بينى وبينه ويضمن لى عنه فاسكن الى ذلك وأقبله .

وكان أبو عبد الله احمد بن على الكوفي مقيماً بالحضرة فى وقت خروج أبى على ابن مقلة الى الموصل ويلزم مجلس الوزير أبى الحسين يظهر له النصيحة والموالاة ويجهد^(٥٠٢) فى التخلص منه والبعد عنه الى أن ورد كتاب أبى عبد الله البريدى يوثس فيه من حمل مال الى الحضرة فى ذلك الوقت فغلاظ على الوزير أبى الحسين ذلك لانه كان أعد ما يحمله لوجوه فافراً أباً عبد الله الكوفي كتاب البريدى فاستعظم ما فيه وأشار بأن يخرج هو الى الاهواز ليوافق البريدى على أمر الرجال الذين أحال بصرف المال اليهم ويعرضهم ويطلق ما يجب لهم ثم يحمل الى الحضرة مالا عظيماً ويحمل ساعة وصوله مائة الف دينار . فكتب الوزير أبو الحسين الى أبى عبد الله البريدى بأنه لا يقبل فى تأخر المال عنه عذره وقد أحوجه الى انقاذ أبى عبد الله أحمد بن على الكوفي لموافقته على أمر المال ومطالبة بحمله ونفذ الكتاب وتبعه أحمد بن على الى الاهواز . فلما حصل عند أبى عبد الله البريدى لم يمكنه مخالفته على ما يريد وكتب أنه لم يتمكن من عرض الرجال ولا الموافقة على أمر المال وأقام عنده الى أن نظر أبو بكر ابن رائق فى الامور بالحضرة . واستوحش أبو عبد الله الكوفي من البريدى وخافه وأراد البعد منه وخاف بؤادته فاطمه فى إفساد أمر الحسين بن على النوبختي^(٥٠٣) مع ابن رائق . وكان الحسين بن على من أعدى الناس للبريريين فقبل منه

وأطلقه ووافقه على ما يعمل به ويبدله من المال لازالة أمر الحسين بن علي النوبختي . وكان أبو عبد الله الكوفي عند مقامه عند أبي عبد الله البريدي يُصغّر في نفسه أمر الحضرة ويصف له ادبارها بسوء تدبير ابن مقلّة وإبطاله مال واسط والبصرة بابن رائق وبايقاعه بيني ياقوت وما دبر في أمر الحسن ابن عبد الله بن حمدان وباجتثائه أصل الخلافة دفعة واحدة وقال في ذلك وأكثر وقال في عرض ذلك : هو الذي جرأ الغلمان الحجزية على ابن ياقوت فهم بعد أشد جرأة عليه وان هلاكه ليس يبعد . فوقع ذلك من البريدي أحسن موقع واختص الكوفي ولم يستكتبه بل كان يشاوره ويكرمه ويعاشره . فذكر أبو الفرج ابن أبي هشام ان أبا عبد الله الكوفي قال له بواسط في أيام سيف الدولة : مامر لي عيش أطيب من عيشي مع البريدي فاني أقت عندك نحو سنة غير متصرف ولا داخل تحت تبعه ولا تعب بنظر في عمل ولقد عاشرتني أجمل عشرة ووصل اليّ منه عينا وورقا ومن ^(٥٠٤) قيمة العروض التي أنفذها اليّ خمسة وثلاثون الف دينار ولم أخرج من الاهواز الا وأنا متقلد كتابة ابن رائق . وقد كفيت أمر ابن مقلّة بالقبض عليه وكان غير مأمون والحمد لله الذي لم يخرج من الدنيا حتى دمر عليه كتدميره على الدنيا ألحق الله ابنه به فانه شر منه لان ما كان في أبيه فهو فيه من وقاحة وقساوة وخسة وكان الاب على عيوبه ربما رحم وأكرم على حاشيته وأهل داره دون الغرباء ولكن هذا ناصر الدولة مجتهد في أن يغرّه ويحصله وان حصل رجوت أن يسلمه فان في نفسه عليه وعلى ابنه العظام . وأطلق الكوفي لسانه بهذا كله في مجلسه وليس بين يديه غيري وغير أبي علي ابن صفية كاتبه النصراني .

وأظهر أبو عبد الله البريدي بالاهواز كتاباً من أبي علي ابن مقلة بخطه اليه يقول فيه : الويل للسكوفى الغاض مني أنفذته ليصلحك لي فافسدك علي وأطمعك وأصغيت بالشره اليه والله لا قطعن يديه ورجليه فأما أنت فأرجو ألا تُصِرَّ علي كفر نعمتي واحسانى اليك وان تُتِيب^(٥٠٥) بك الروية الى رعاية حقوق اصطناعى لك فترضاني من نفسك وتعينني في مثل هذه الحالة الصعبة التي لم يدفع من مجلس مجلسي في دولة من الدول الى مثله وان تجبرني مما قد أظلمني بمال تحمله فتحفظ به نعمتيك التي أحداها في يدي والأخرى في يدك ان شاء الله

ولما انحدر أبو علي ابن مقلة من الموصل عاد أبو محمد عن الزوزان اليها وحارب ما كرد الديلمى^(١) وانهزم الحسن بن عبد الله ثم عاود محاربه وكانت الوقعة بينهما على باب الروم من أبواب نصيبين فانهزم ما كرد الى الرقة وانحدر منها في الفرات الى بغداد . وانحدر علي بن خلف بن طناب وتمكن الحسن بن عبد الله من الموصل وديار ربيعة وكتب الى السلطان يسئل الصفيح عنه وان يضمن نواحيه فأجيب الى ذلك وضمنها .

ووافى التجار الذين استسلموا أبو علي ما لهم ولم يوفوا الغلات التي ابتاعوها فطالبوا أبا علي بردها . واللهم عليهم فدفعته الضرورة الى ان يسبب لهم على عمال السواد بعض ما لهم ودافعهم ثم باع عليهم بالباقي ضياعاً سلطانية . فلم يحصل لخرجته كبير فائدة بعد الذي رد على التجار^(٥٠٦) وبعد الذي أنفق على سفره والجيش الخارج معه .

(١) وفي التكملة . الكردي

وفي هذه السنة حجّ الناس فلما بلغوا القادسية اعترضهم أبو طاهر
القرمطي وكان مع الحاج من قبل السلطان لؤلؤ غلام المتهم فظنّ لؤلؤ أنهم
أعراب فخاربهم أهل القوافل شيئاً كثيراً^(١) وسأل
عمر بن يحيى العلوي فيمن دخل القادسية فآمنهم ثم تسلّوا من القادسية وبطل
الحجّ في هذه السنة وصار أبو طاهر إلى الكوفة وأقام بها

وفي تلك الليلة بعينها انقضت الكواكب من أول الليل إلى آخره
ببغداد والكوفة وما والاها انقضاضاً مسرفاً جداً لم يعهد مثله ولا ما يقاربهما
وشغب الجند وصاروا إلى دار الوزير فنقبوا عدّة مواضع ولم يصلوا
لأن غلمان الوزير دفعوهم ورموهم بالنشاب من فوق السور
وفيها مات أبو بكر محمد بن ياقوت في الحبس في دار السلطان بنفث
الدم فاحضر القاضي أبو الحسين عمر بن محمد ومعه جماعة وأخرج اليهم محمد بن

(١) الأصل ناقص وفي الأوراق : فلقبهم القرامطة يوم الأربعاء لاثني عشر ليلة خات
من ذي القعدة بطبرستان فقاتلهم أشد قتال إلى أن خذله (يعني لؤلؤ) أصحابه وأصابته
ضربات فطرح نفسه مع القتلى ثم دب ليلة الخميس إلى أن صار إلى الكوفة . وكان من
انقضاض الكواكب في ليلة الأربعاء التي قطع على الحاج في صبيحتها (فلم يفلت منهم أحد)
ما لم يعهد مثله بالكوفة وطبرستان موضع الوقعة وكان عندنا ببغداد من ذلك ما لم ير مثله
ولاسمعنا به قط وكثر الضجيج ببغداد لما نال الحجاج ووثب العامة بأصحاب
المعاون في الطرق والمساجد ونال الراضي من ذلك أمر عظيم فصام أياماً وكان يقول :
لو كان لي مال كمال المكتفى حين فعل زكرويه بالحاج ما فعل فطلبه بالجيش والاموال حتى
قتله (طبري ٣ : ٢٢٦٩ — ٢٢٧٥) لم رضيت والله إلى أن أخرج بنفسه إلى
البحرين ولكن ما حيّاتي في جند مستخبيين قد ملكوا الأمر دوني وعوز مال وانخرق
هبة ؛ إلى الله أشتكى وبه أستنصر . والحجرية والساجية يعينونه كل يوم حتى يجلس لهم
مرات بالليل والنهار لا يريد أحد منهم فيحتجب عنه

ياقوت حتى قتشوه ومدوا لحيته وعلّموا أنه مات حتف أنفه ثم تسلم الى أهله^(١) وباع الوزير ضياعه وأملأ كه^(٢) وقبض على أسباب محمد بن ياقوت^(٥٠٧) كلهم

وفي هذه السنة قلد الوزير أعمال الجبل أبا علي الحسن بن هرون وخرج اليها فلما حصل بها استأمن اليه غلمان مرداويج الا تراك الذين قتلوه في الحمام فقبلهم وكانوا ثلاثمائة غلام فلما كان بعد مدة شغبوا عليه وطالبوه بالارزاق وقبضوا عليه وقيّدوه ثم أطلقوه. ولما ورد الخبر بالقبض عليه قلد الوزير مكانه أبا عبد الله محمد بن خلف النيرماني وبلغ ذلك الحسن بن هرون فخافه للمداوة بينهما واستتر وصار الى بغداد مستتراً وأقام على استتاره مدة ثم راسل الوزير أبا علي وقرّر أمره على مصادرة أوقعها بخمسة عشر الف دينار فلما تقرر أمره ظهر وأقام محمد بن خلف في الجبل مديدة^(٣)

وأقبل غلمان مرداويج وفيهم بحكم الى جسر النهر وان وراسلوا السلطان فامرهم بدخول الحضرة فدخلوا وعسكروا بالمصلّى . واضطربت الحجرية وظنوا انها حيلة عليهم فاجتمعوا وطالبوا الوزير أبا علي بان يرصدهم ويردّهم فاستدعى جماعة من وجوههم ووافقهم على ان يضموا الى محمد بن علي غلام الراشدي (ويقلده الجبل) ويُطلق لهم أربعة عشر الف دينار نفقات لهم ثم يسبب ما لهم^(٤٠٨) على أعمال الجبل فقالوا : ننصرف ونعلم باقي أصحابنا ذلك. فلما انصرفوا لم يقنعوا وكان خبرهم قد اتصل بأبي بكر ابن رائق بواسط وهو

(١) وفي الاوراق انه دفن في مقبرة لهم في الشارع الاعظم فوق سوق السلاح

(٢) وفي التكملة انه مات في هذه السنة بالاعمال التي استولى عليها مرداويج وكان

قد أخذ اليها

متقلد أعمال المعاون بها وبالبصرة فكاتبهم فراسلهم واستدعاهم ووعدهم
الاحسان فمالوا اليه واختاروه وساروا اليه فقبلهم وأثبتهم وأسنى لهم بالرزق
ورأس عليهم بحكم وسماه بحكم الرائي ورفع منه وموَّله وأحسن اليه وأفرط
في ذلك وضمَّ جميع العلما اليه وتقدّم اليه بان يكتب كل من بالجل من
الأتراك والديلم بالمصير اليه ليثبتهم فصار اليه عدة وافرة منهم فثبتهم
وضمهم الى بحكم

﴿ ودخلت سنة أربع وعشرين وثلثمائة ﴾

وفيها أطلق المظفر بن ياقوت من حبسه في دار السلطان الى منزله بمسئلة
الوزير أبي علي عنه وحلف الوزير بالايان الغليظة على انه يواليه ولا ينحرف
عنه ولا يسعى له في مكروه .

وفيها قلد الوزير محمد بن طنج أعمال المعاون بمصر مضافةً الى ما يتقلد
من أعمال معاون الشام وأدخل الراضي القضاة والعدول حتى عرفهم تقليده
محمد بن طنج وأمرهم بمكاتبة أصحابهم وخطائهم بذلك^(٥٠٩) (ثلا ينازعه احمد
ابن كيغلغ فانه كان يتولى مصر^(١))

وفيها قطع محمد بن رائق حمل مال ضمانه عن واسط والبصرة الى الحضرة
واحتج باجتماع الجيش عنده وحاجته الى صرف المال اليهم

وفيها تمت حيلة المظفر بن ياقوت حتى قبض على الوزير أبي علي ابن
مقلة لانه صخ عنده انه هو قتل أخاه وكان السبب في حبسهما وازالة أمرهما
﴿ ذكر هذه الحيلة على أبي علي ابن مقلة ﴾

لم يزل يحب التشفى والاخذ بالثار منذ أطلقه الوزير ولكنه يكتم ذلك

الى أن واقف الحجريه وضربهم عليه وبلغ الوزير ذلك فأخذ يعتضد ببدر
الخرشني صاحب الشرطة فقوى أمر بدر ووافقه على أن يستولى على دار
السلطان فيحصل فيها ويمنع الغلمان الحجريه منها لانه بلغه أنهم قد عملوا على
المصير الى الدار والمقام ففعل بدر ذلك وحصل هو وأصحابه بالسلاح في
الدار ومنع الغلمان الحجريه من دخولها ولم يظهر الوزير أن الذي فعله بدر كان
عن رأيه ثم جمع بين الساجية وبين بدر حتي تحالفوا على معاونة بعضهم بعضاً .
فلما وقف المظفر بن ياقوت على ذلك ضمفت نفسه وأشار^(١٠) الحجريه
بالخضوع للوزير والتدلل له ولم يزالوا يلطفون للوزير ويتحققون بخدمته الى
أن أنس بهم . وسألوه صرف بدر وبذلوا له كل ما أراد من الطاعة والموالاة
له الى أن انجذع وصرف بدر وأصحابه فلما خات دار السلطان منهم ومن الساجية
تحالف الحجريه على أن تكون كلمتهم واحدة فصاروا بأجمعهم الى دار السلطان
وضربوا خيمهم فيها وحولها وماكوها وصار الراضى في ايديهم وحزبهم .
فندم الوزير وعلم أن الحيلة تمت عليه فتقدم الى بدر بان يخرج الى المصلى في
أصحابه من غير أن يعلم أحد انه فعل ذلك برأى الوزير وأمره فخرج بدر
وأثبت زيادة من الرجالة . وبلغ ذلك الحجريه فطالبوا الراضى بالله أن يخرج
معهم الى المسجد الجامع في داره فيصلى بالناس ليراه الناس معهم فيعلمون
انه في حيزهم فخرج الراضى يوم الجمعة الى المسجد الجامع الذي في داره
ومشى الغلمان بأسرهم بين يديه وحواه بالسلاح رجالة وصلوا بالناس وصعد
المنبر وخطب وقال في خطبته : اللهم ان هؤلاء الغدان بطانتي وظهارتي

فمن أرادهم بسوء فإراده به ومن كادهم فكيدهم^(١)
وقلّد بدر الخرشني دمشق وأمره بالخروج إليها من المصلى والآ^(٥١١)
يدخل البلد . وكان المظفر بن ياقوت في هذا كله يظهر للوزير أنه مجتهد
في الصالح ويظهر له الخضوع وهو في الباطن يسمى في حنقه وقد قوى

(١) روي أبو بكر الصولي في الاوراق : وقال الساجية والحجرية للرازي : قد أشاع
الناس أنا محاصروك فأخرج فصل الجمعة بالناس ليروك ذلك . فخرج فصلى بالناس في
مسجد الدار وما علم به الناس وقال للحجرية والساجية : أنتم خاضق وثقاني . وسفر
جعفر بن ورقاء بين الناس وأصلح الامر ووعد الناس بأن الخليفة يصلي بهم في الجمعة
الثانية فما تخلف أحد . وما كنت أنا علمت بصلاته أول جمعة فحضرت في الثانية ووجدت
سحق بن المعتمد حاضراً فدخلنا المقصورة وخرج الرازي فعلا المنبر ووقف علينا
نخطب فأوجز ونزل وصلى بالناس فقرأ سورة الجمعة في أول ركعة وفي الثانية « سبح
اسم ربك الأعلى » ثم قرأه فأحسنها ودخل وانصرفنا . فابتدأت أعمل شعراً أضف
فيه خطبته فوافقتني رفعتيه بخطه وفيها : أبقاك الله يا محمد قد لحظك طرفي وأنا أخطب
وأنت الى جانب اسحق قريب مني غير بعيد فعرفتني على تحرّي الصدق واتباع الحق
كيف ما سمعت وهل أهجن الكلام بزيادة فيه أو اختل بتقصير منه أو وقع ذلك
في لفظ أو حالة في معناه حارياً فيه على عادتك في حال الامر غير مقصر عنها للخلافة
إن شاء الله .

فكتبت اليه جواب الرقعة بعد أن أتممت القصيدة : أمير المؤمنين أدام الله دولته
وأطال في الملك مدته أجل خطراً وقدرأ وأسنى مجداً ونخراً وأوسع خاطراً وفكراً من
أن يبلغ خاطب خطابه أو بايغ بلاغته أو يدرك فيها واصف صفته الا بما تناله طاقته
وتبلغه غايته الخ

وليراجع أيضاً رواية ارسال الرازي بالله الى اسماعيل بن علي الخطبي لبشاره
فيما يقول في الدعاء الى نفسه في الصلاة بالناس في المصلى وردت في كتاب ارشاد
الاربيب ٢ : ٣٤٩

أمره بما فعله الراضى . ثم أن الصالح تم بين بدر الخرشنى وبين الحجرية فدخل من المصلى الى منزله وأقرّ بدرّ على الشرطة .

فلما انقضت هذه القصة أشار الوزير على الراضى بالله سرّاً أن يخرج بنفسه ومعه الجيش والحجرية والساجية ليدفع محمد بن رائق عن واسط والبصرة وقال له : قد انغلقت عليك هذه البلدان وهي بلدان المال بما فعله محمد بن رائق من الامتناع من حمل مال ضمانه ومتى رأى غيره أن ذلك قد تم له واحتمل عليه تأسى به فذهب مال الاهواز فبطلت المملكة . فعمل الراضى على ذلك وتقدم اليه بالعمل عليه فافتتح الوزير الامر مع ابن رائق بان ينفذ اليه ينال الكبير من الحجرية وما كرد الديلمى من الساجية برسالة من الراضى بالله يأمره فيها أن يبعث بالحسين بن على النوبختى ليوافق على ماجرى على يده من ارتفاع واسط والبصرة . فلم يستجب ابن رائق الى انفاذ الحسين ووهب للرسولين مالاً وأحسن اليهما وسألها أن يتحملا له الى الخليفة رسالة^(٥١٢) فى السرّ وهى انه : ان استدعى الى الحضرة وفوض اليه التدبير قام بكل ما يحتاج اليه من نفقات السلطان وأرزاق الجند ومشى الامور أحسن تمشية وكفى أمير المؤمنين الفكر فى شىء من أمره . فلما قدم الرسولان خلوا بالراضى بالله بعد تأدية الرسالة الظاهرة فأدّيا الرسالة السريّة فلم ينشط الراضى لتسليم وزيره وأمسك

ولما رأى الوزير امتناع ابن رائق من تسليم الحسين بن على عمل على ان يكون ظاهر خروجه الى الاهواز لا اليه ولا لقصدده ودبر أن ينفذ اليه القاضى أبا الحسين برسالة من الراضى ليعرفه ذلك وأنه لم يأمن أن يقع له ان .

الخروج انما هو اليه فيستوحش وأنه أنفذ القاضي ليكشف ما في نفسه وعزمه
وثائق له بما يسكن اليه . فلما كان يوم الاثنين لاربع عشر ليلة بقيت من
جمادى الاولى وانحدر الوزير الى دار الراضي بالله ومعه القاضي أبو الحسين
ليوصله فيسمع من الراضي بالله الرسالة فلما حصل في دهليز التسميني قبل
ان يصل الى الخليفة وثب الغلمان الحجزية ومعهم المظفر بن ياقوت به فقبضوا
عليه ووجهوا الى الراضي بالله يعرفونه قبضهم^(٥١٣) عليه اذ كان هو المفسد
المضرب ويستلونه أن يستوزر غيره فوجه اليهم يستصوب فعلهم ويعرفهم
انهم لو لم يفعلوا ذلك لفعله هو ورد الخيار اليهم فيمن يستوزره فذكروا
على بن عيسى ووصفوه بالامانة والكفائة وأنه ليس في الزمان مثله فاستحضره
الراضي بالله وخاطبه في تقلد الوزارة فامتنع وتكره ذلك فراجعه الراضي
بالله وخاطبه الغلمان فيه وطال الخطاب معه فأقام على الامتناع فقالوا: فتشير
بمن تراه . فأومأ الى أخيه عبد الرحمن

فأنفذ الراضي بالله المظفر بن ياقوت الى عبد الرحمن فأحضره وأوصله
لى الراضي وعرفه أنه قلده وزارته ودواوينه وخلع عليه وركب في الخلع
ومعه الجيش الى داره . واحرقت دار ابي على

﴿ وزاره عبد الرحمن بن عيسى ﴾

لما تقلد عبد الرحمن غلب علي بن عيسى على التدبير فعلم أبو العباس
الخصيبي وأبو القاسم سليمان بن الحسن وقد كنا ذكرنا أمرهما وما كان من
تفي علي بن مقله اياهما الى عمان وتقدمه الى يوسف بن وجيه صاحب عمان

بحبسهما وأن يوسف بن وجيه أطلقهما فصارا الى بغداد واستتراهما الى أن
 (٥١٤) قُبِضَ على ابن مقلّة (١)

فلما كان في هذا الوقت أكرمهما عبد الرحمن الوزير وكانا يصلان معه الى
 الراضى بالله مع أبي جعفر محمد بن القاسم السكرخي وأبي علي الحسن بن
 هرون وعلي بن عيسى لا يتأخر أيضاً عن الحضور معهم وسلم أبو علي ابن
 مقلّة الى الوزير عبد الرحمن فضربه بالمقارع وأخذ خطه بالف الف دينار
 ثم سله الى أبي العباس الخصبي فجرت عليه من المسكاره والضرب والرهق
 أمر عظيم (٢) وحضر أبو بكر ابن قرابة بعد مدة فتوسط أمره وضمن
 ما تليه وتسله وكان أدى الى الخصبي نيفا وخمسين ألف دينار

(١) قال أبو بكر الصولي في الاوراق : تنكر الساجية والحجرية للوزير فطالبوا
 في دار السلطان بارزاقهم فعرفهم انه لا مال عنده فوثبوا به وقبضوا عليه والسلطان يراهم
 فوثب ودخل وأمر راغباً أن يتسلم الوزير ويكون في يده والا تجرى خيانة عليه . ونهب
 الناس داره ودار ابنه الملاصقة لداره وطرحوا فيها النار ونهب جماعة من كتابه . وكان من
 العجائب المشهورة ان دار ابن مقلّة أحرقت في مثل اليوم الذي أمر فيه باحراق دار
 سليمان بن الحسن بباب محوّل وفي مثل ذلك الشهر بينهما حول كامل . وحول بن مقلّة الى
 دار الوزير عبد الرحمن فأحسن اليه وسله الى هنكر وما كور ليكون في أيديهما وينظره
 سليمان في الاموال بحضرتهم . فجعل في دار النوبخري بقرب الجسر .

(٢) وفي التكملة : قال ثابت بن سنان : دخلت اليه لاجل مرضه أصابته فرأيت
 مطروحا على حصير خلق على بارية وهو عريان بسر اويل ومن رأسه الى أطراف أصابعه
 كلون الباذنجان فقلت : انه محتاج الى الفصد فقال الخصبي : يحتاج أن يلحقه كرة المطالبة .
 فقلت : ان لم يفصد تلف وان فصد ولحقه مكروه تلف . وكاتبه الخصبي : ان كنت اتظن
 ان الفصد يرفعك فبئس ماتظن . ثم قال : انفسدوه ورفهوه اليوم . فقصد وهو يتوقع
 للمكروه واتفق للخصبي ما أحوج به للاستئثار وكفى ابن مقلّة أمره وحضر ابن قرابة الخ

وصرف بدر الخرشني عن الشرطة لانحراف الحجرية عنه ^(١) وولى أعمال المعاين باصبيان وفارس لان الحجرية كرهوا مقامه بالحضرة فخلع عليه وأخرج مضاربه الى ميدان الاشنان وأنفذ اليه اللواء وضم اليه الحسن بن هرون لتدبير أمر الخراج بهذه النواحي ثم توقف عن امضاء هذا الرأي فبطل خروجه ^(٢)

وعجز عبد الرحمن عن تمشية الامور وضاق المال حتى استعفى عبد الرحمن عن تمشية الامور للراضى بالله ومن الوزارة وسأله أن يقرضه عشرة آلاف دينار اذ كانت وجوه المال قد تمذرت عليه فقبض عليه الراضى في هذه السنة وقلد وزارته السكرخى

﴿ ^(٥١٥) ذكر وزارة أبى جعفر محمد بن القاسم السكرخى ﴾

لما قلد أبو جعفر السكرخى الوزارة وخلع عليه وانصرف الى منزله ومعه الجيش كلف مناظرة على بن عيسى وأخيه عبد الرحمن وحملوا الى داره ^(٣) فصادر على بن عيسى على مائة الف دينار وصادر اخاه على سبعين الف دينار وأقاما على حال صيانة وتكرمة الى ان أدّى على بن عيسى سبعين الف دينار وأدى أخوه ثلاثين الف دينار ثم صرفا الى منازلهما

وكان الوزير أبو جعفر السكرخى قصيرا فاحتيج بسبب قصره الى أن ينقص من ارتفاع سرير الملك فنقص منه أربع أصابع مفتوحة

(١) وفي تاريخ الاسلام : وولى الشرطة كاجو (٢) وفي الاوراق : واستوحش الخرشني لما فعله الساجية والحجرية وتحول فزل دار الحسن بن هرون وشغل عن العامة فقاتلوا ثم صار اليه جماعة من الحجرية فخلعوا له انه واحد منهم فرضي ورجع الى داره (٣) وهذا بشفاعة أبى محمد الصاحب الى الراضى بالله كذا في كتاب الوزراء لهلال

وفيهما قتل ياقوت بعسكر مكرم

﴿ ذكر مقتل ياقوت ﴾

قد ذكرنا أمر ياقوت في خروجه الى أَرْجَانْ لِحَرْبِ عَلِي بْنِ بُوَيْهِ فِي قَضِيهِ وَقَضِيضِهِ وَدِيلِهِ وَأَتْرَاكِهِ وَسَائِرِ خِيَلِهِ . وَكَانَ مَعَهُ مِنَ الرِّجَالِ السُّودَانِ ثَلَاثَةَ آلَافٍ رَجُلٍ وَانْهَزَمَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْ عَلِي بْنِ بُوَيْهِ بِيَابَ أَرْجَانْ بِعَسْكَرِهِ كُلِّهِ وَكَانَ عَلِي السَّاقَةِ فِي الْهَزِيمَةِ لِأَنَّهُ ثَبَتَ وَسَارَ عَلِي بْنُ بُوَيْهِ خَلْفَهُ إِلَى رَامِهرْمَزَ وَحَصَلَ يَاقُوتُ بِعَسْكَرِ مَكْرَمٍ فِي غَرْبِهَا وَقَطَعَ الْجِسْرَ الْمَعْقُودَ عَلَى الْمَسْرِقَانِ وَأَقَامَ عَلَى بْنِ بُوَيْهِ بِرَامِهرْمَزَ إِلَى أَنْ وَقَعَ الصَّلْحُ بَيْنَهُ ^(٥١٦) وَبَيْنَ السُّلْطَانِ وَكَتَبَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْبَرْيَدِيُّ إِلَى يَاقُوتَ أَنْ يَقِيمَ بِعَسْكَرِ مَكْرَمٍ إِلَى أَنْ يَسْتَرِيحَ وَيَقَعَ التَّدْبِيرَ لِأَمْرِهِ مِنْ بَعْدِ . وَكَانَ غَرَضُهُ الْإِجْمَاعُ وَإِيَاہُ بَلَدًا فَقَبِلَ يَاقُوتُ . وَاتَاهُ أَبُو يُوسُفَ الْبَرْيَدِيُّ مُتَوَجِّعًا بِمَا جَرَى عَلَيْهِ مِنَ الْهَزِيمَةِ وَمَهْنَتَا لَهُ بِالسَّلَامَةِ وَتَوَسَّطَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَى أَنْ يُطَاقَ لَهُ خَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ يَعْطَلُ بِهَا عَسْكَرُهُ إِلَى أَنْ يَكْتَسِبَ إِلَى السُّلْطَانِ وَيَسْتَأْمُرَهُ فِيمَا يُطْلَقُهُ لَهُ وَلِرِجَالِهِ . وَعَرَفَهُ أَنَّ الرِّجَالَ الْمُقِيمِينَ بِالْأَهْوَازِ فِيهِمْ كَثْرَةٌ وَيَطَالِبُونَ بِمَالِهِمْ وَهُمْ الْبَرَبَرُ وَالشَّفِيعِيَّةُ وَالنَّازُوكِيَّةُ وَالْيَلْبَقِيَّةُ وَالْهَارُونِيَّةُ وَكَانَ أَبُو عَلِيٍّ ابْنُ مَقْلَةٍ مِيزَ هُوْلَاءَ وَأَنْفَذَهُمْ إِلَى الْأَهْوَازِ لَتَخَفَّ مَوْتُهُمْ عَنْ الْخَضِرَةِ وَتَتَوَفَّرَ أَمْوَالُ السَّاجِيَّةِ وَالْحَجَرِيَّةِ فَذَكَرَ أَبُو يُوسُفَ أَنَّ هُوْلَاءَ لَا يُطْلَقُونَ مَالًا يُخْرِجُ مِنَ الْأَهْوَازِ إِلَى سِوَاهُمْ وَأَنَّهُمْ أَنْ أَحْسَوْا شَفَعُوا فَاحْتَاجَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ إِلَى مَفَارِقَةِ الْأَهْوَازِ أَشْفَاقًا عَلَى نَفْسِهِ مِنْهُمْ . ثُمَّ تَوَوَّلَ الْحَالُ إِلَى حَرْبٍ تَقَعُ بَعْدَ الْهَزِيمَةِ الْآرَجَانِيَّةِ وَلَا يَدْرِي كَيْفَ تَكُونُ الْحَالُ فِيهَا وَإِنَّ السُّلْطَانَ مَعَ ذَلِكَ مُطَالِبٌ بِحَمْلِ مَالٍ إِلَيْهِ ^(٥١٧) وَقَالَ لَهُ : إِنْ رَجَّالُكَ مَعَ سُوءِ أَثَرِهِمْ وَقَبْحِ بِلَاثِهِمْ وَهَزِيمَتِهِمْ

دفعة بعد دفعة اذا أعطوا اليسير قنعوا به وصبروا عليه . فقبل ياقوت ذلك وسبب له بهذا المال على عسكر مكرم وتستتر فارضى ببعضه الحجرية وبعضه وجوه القواد وأنفق في سودانه في المسجد الجامع بعسكر مكرم ثلاثة دراهم لكل رجل ومضى الامر على ذلك شهورا . وافتتح مال سنة ٣٢٤ فضج رجاله وطالبوه وقالوا : انه لا صبر لهم على الضر وان المنافسة على خيرات الدنيا في الطبع والجبلة لو كانوا أغنياء فكيف بهم مع اختلالهم وانهم لا يرضون أن يقبض نظراؤهم بالاهواز على الادرار ويحرمواهم وان يتجرعوا الاسف والحسرات وانهم قد سئموا الفقر ومعاناة المجاعة .

وقد كان استأمن من أصحاب علي بن بويه الى ياقوت طاهر الجيلي وكان ممن يرشح نفسه للامور الكبار ويرى انه نظير لشيرج وطبقته واجتمع اليه نحو ثمانمائة رجل من المعجم فشغب على ياقوت ثم رحل مع أصحابه وانصرف عنه وقد رآه ملك ماه البصرة وماه الكوفة . فكبسه على بن بويه ثم سجنه فنجى بنفسه مع بعض غلامانه^(٥١٨) وأبو جعفر الصيمري كاتبه في الاسر وخلصه الخياط فخرج الى كرمان فكان سببا لاقباله واتصاله بالامير أنى الحسين أحمد بن بويه . فضعفت نفس ياقوت بخروج طاهر الجيلي وأصحابه واستطال باقى رجاله عليه وخاف أن يعقدوا لبعض قواده الرياسة وينصرفوا عنه فكاتب أبا عبد الله البريدى بالصورة وأعلمه أنه كاتبه ومدبر أمره وانه قد فوض اليه الرأى والتدبير فى رجاله ليمضى عليه وعليهم ما يستصوبه

﴿ ذكر الخديعة التى نفذت على ياقوت ﴾

كان ياقوت واثقا برجل ساقط يعرف بأبي بكر النيلى يجرى به مجرى الأب

وينحطُّ الى رأيه وقوله مع ضعة في النيل وخساسة في همته وقدره فاستصلحه أبو عبد الله البريدي ووسع عليه فكان النيل رسول يافوت الى أبي عبد الله بما قد ذكرته . فكتب أبو عبد الله البريدي ان عسكره قد فسدوا وفيهم من ينبغي أن يُميز ويخرج لان علي بن خلف بن طناب خانه واقتطع أموالا باسم هؤلاء القوم وزاد قوم زيادات كثيرة وان الصواب أن ينفذوا اليه ليعرفهم ان هذه الزيادات تفوتهم الاصول السلطانية ويشافهم بان الصواب ان يسقطوها ليتوفر عليهم الاصول ^(٥١٩) وقال : انما يتم هذا بالاهواز لانهم يردونها أفواجاً وزمراً فان أساءوا آدابهم وامتنعوا قوموا بالجيش المقيمين بالاهواز وانهم ان خوطبوا بهذا الكلام وهم بعسكر مكرم تظاهروا وتضافروا وتعاقدوا فلم يتم عليهم ردّهم من الكثير الى القليل . وأكثر في هذا المعنى حتى قال : يا أبا بكر سبيلُ العرض ان يقع بحيث الهيبة والخوفُ لا بحيث الحكم والاستطالة . فما قال له النبي : الهيبة حيث يكون الاميرُ لا انت . ولا كانت له منة لان يرُدّ عليه شيئاً .

وسأل أبو عبد الله البريدي ان ينفذ اليه أبا الفتح ابن أبي طاهر وأبا أحمد الجستانی ليشاورهما في التقرير ويتعرف منهما منازل الرجال واستدعى أبا بكر النقيب الذي كان مع أبي طاهر محمد بن عبد الصمد ليعرف منه أحوالهم وأنفذ اليه ياقوت من التمس وتقدّم الى رجاله بالخروج للعرض . فلما حصلوا عند البريدي استصلح الرجال لنفسه وانتخب منهم من أراد ووعدهم ان يجريهم مجري من معه بالاهواز فأجابوه وصاروا الى عسكره وردّوا الارذال الى ياقوت بعد ان أسقط زياداتهم . فلما استتم العرض وجد نصف الياقوتية قد انحازوا ^(٥٢٠) عنه فقبل لياقوت ذلك ووبخ وعذل فقال : قد

اجتمع لى بمقام من أقام بالاهواز خفة المطالبة عنى وحصولهم مع كاتبى وليس
يصالح ابن البريدى لما أصالح له فآخافه وان احتجت أو احتيج الى حرب
فالجماعة بالضرورة يعودون الى وهم عدة لى عنده . وعاد رجال ياقوت اليه
فقالوا له : ما حصاننا من الغرض الا على ان خرج شطرننا وهيض جناحنا
وضمعت شوكتنا فكتب الى البريدى ان يجعل ما قرره لنا . فكتب
ياقوت بذلك فاجابه أبو عبد الله بأنه يحتال ويحمل

ثم زاد الاحاح على ياقوت فخرج بنفسه الى الاهواز فى ثلاثمائة رجل
وقل المدّة لئلا يستوحش البريدى وقدّر انه الى كاتبه يمضى فتلقيه أبو
عبد الله البريدى بالسواد الاعظم واخرج معه كل من بالاهواز من الجيش
فلما رأى ياقوتاً رجلاً له وانكبّ ياقوت عليه حتى كاد ينزل عن دابته ثم
سار وازله داره وخدمه بنفسه وقام بين يديه الى ان طم وغسل يده
فناول الماء ورد والمنديل وبخره بيده فهو فى ذلك قبل ان يفاوضه اذ ارتفعت
ضجة عظيمة وشغب الجند وقالوا : انمسا وافى ياقوت اليه ! فقال البريدى :
(٥٢١) أيها الامير الله الله اخرج وبادر والا قتلنا جميعاً . فخرج ياقوت من
وقته خائفاً يترقب من طريق يخالف طريق المشغبين وعاد الى عسكر مكرم
كما بدا منها . ثم ورد عليه كتاب البريدى بان الرجال بالاهواز قد استوحشوا
منه وان الوجه ان يخرج الى تستر فان بينها وبين الاهواز ستة عشر فرسخاً
وعسكر مكرم فهى على ثمانية فراسخ واذا نأت الدار زال الاستيحاش
وسبب له على عامل تستر بخمسين الف دينار فخرج اليها .

فقال له مونس (وكان مونس هذا تربية ياقوت وثقة) : أيها الامير
ان البريدى يحز مفاصلنا مفصلاً مفصلاً ويسخر منا وأنت مغتر به وقد حاز

شطر رجالنا ووجوه قوادنا الى نفسه وضمن لنا السير من المقرّر وليس يطلق ذلك أيضاً ليستأمن اليه الباؤون ثم يأتي على أنفسنا وقد اتصلت كتب الحجرية اليك بأنه لم يبق لهم شيخ غيرك فاما دخلت بغداد وجميع من بها يسلم لك الرياسة وأولهم محمد بن رائق بالضرورة لِسَنِّكَ وانك نظير أبيه وإما خرجت الى الاهواز حتى تطرد البريدي عنها وتقيم أنت بها فاما وان كانت عدتنا يسيرة دون عدته فهو كاتبٌ ونحن في خمسمائة^(٥٢٢) رجل وهو في عشرة آلاف رجل وقد أحصيت من عندنا فوجدتهم نحو خمسة آلاف رجل وفيهم كفاية والمسكر بصاحبه وأنت أنت . وقد قال عدوك على ابن بويه « لو كان في عسكر ياقوت مائة رجل مثله ما قاومته » فالله الله يامولاي لم تضيع نفسك وتضيعنا . فقال : سأنظر وأفكر . فخرج مونس مغضباً من عنده وركب في ثلاثة آلاف رجل شاذاً عن مولاه ياقوت ووافي عسكر مكرم يريد الاهواز وقال لنا : لا أعصي مولاي فانه اشتراني ورباني واصطنعني ولكنني أفتح الاهواز واسلمها اليه . فما استقرّ بعسكر مكرم ثلاث ساعات من النهار حتى ورد كتاب ياقوت على درك (وكان والي الشرطة بعسكر مكرم) يعرفه ان مونساً غلامه خرج بغير اذنه وشرح له صورته وسأله ان يجتمع معه ويخوفه الله عز وجل ويحذره كفر نعمته ويستوقفه الى ان يلحق به . فعبر درك من شرقي عسكر مكرم الى غربها ووعظ مونساً وعظاً كثيراً وخاطبه خطاباً بليغاً وكان درك شيخاً مقدماً الا ان السن قد أخذت منه وحضر بحضوره أصحابه فقال لمونس خادمٌ كان معه مكيناً منه وكان معقلاً^(١) : يا مونس ان مولاي^(٥٢٣) قبض على ابنه

(١) زاد صاحب التكملة : يقال له أبو النمر . وقال أيضاً ان ياقوت كان استغنى

وهما تاجان ودُرَّتَان فلم يستحلَّ أن يعصى مولاهُ ولا يكفر نعمته وسلمهما ولم يحارب فيهما ولا طلب بهما أفانت تعصى مولاك فترسل يدك عن طاعته اما تخاف العقوبة ؟ وان تخذل في هذه الحرب ويظفر بك فتخسر الدنيا والآخرة ولا سيما وقد بذل ان يوافيك ويساعدك على ما تريده انتظر ريث نفوذ كتابنا وورود جوابه . فاقام مونس لما أخذه العذل والتأنيب من درك وأصحابه ووافى ياقوت في اليوم الثاني واجتمع مع غلامه .

ووافى عسكر البريدى بأسره فنزلوا في صحراء خان طوق ومعهم غلام البريدى يرؤسهم ومعه القواد الكبار وأكبرهم أبو الفتح ابن أبي طاهر . ووقعت المنازلة بين ياقوت وأبي جعفر الجمال وثبتت ياقوت بعسكر مكرم عن المسير الى الاهواز وتهيب الصورة وقال لمونس : السلطان لنا على النية التى عرفناها وكان منه الى ابني مالا يجوز ان يصلح لى أبداً وفارس فقد حرفت صورتنا بها ولا مذهب لنا فى الدنيا ولا لنا موضع تأويه الا هذا البسلة والحرب سجالاً وقد كثر عسكر الرجل فان نحن حاربناه وانهم منا كُنَّا بين الاسر والجل الى الحضرة وشهرتُ بها واركبتُ الفيل . ثم يظنُّ بى انى كفرت ^(٥٢٤) نعمة مولاي فيلغنى الناس وبين ان أقتل والوجه الإدارة والمقاربة لهذا الرجل وان نعود الى تستر ونصير منها الى الجبل فان استقام لنا بها أمرٌ والاَّ لحقنا بخراسان . وشاع هذا الكلام فضعفت نفوس أصحابه وطالت الايام فى منازلة عسكر البريدى فكان كل يوم يستأن عدة من أصحابه الى البريدى . فكان مونس يبكر اليه فى كل يوم ويقول له : يا مولاي مضى البارحة من أصحابنا ثلاثمائة أو أكثر أو أقل . فلا يزيده

على ان يقول: الى كاتبنا يمضون واذا كانت هذه نيّاتهم لنا فما الانتفاع بهم؟
ولأن يبقى معنا الف رجل يحصلون فتمضى بهم الى حيث نقصد اصلح من
جميع هذا اللقيف الذي هم كل في الرخاء واعداء يوم اللقاء وقد جرّ بناهم
بياب فارس وباب ارجان . فلم يزل كذلك حتى بقي في ثمانمائة رجل فلما علم
البريدى انه قد استظهر الاستظهار التام راسله في المواعدة بأبي القاسم
التنوخى القاضى وقال : انى لك على العهد والميثاق . وانه كاتبه وان الامارة
لا تصاح له وان البلوى والشقاء قد حلا به وصارت مطالبة الرجال عليه وانه
يلاقى الموت صباح مساء ويخاف على نفسه منهم وانه لا رغبة له في ارتباطهم
(٥٢٥) وانما جرّ سبب سبباً حتى اجتمعوا عنده وانه يصاهره حتى يزداد ثقة به
وكل القاضى في تزويج ابنته من ابي العباس أحمد بن ياقوت . فوافاه القاضى أبو
القاسم التنوخى وادى اليه الرسالة وقبلها وانعقد الصهر ورحل للوقت الى تستر
ووافاه بعقب ذلك غلام للسلطان من الحجرية ومعه المظفر ابنه بكتاب
اليه يذكر فيه انه قد وهب ابنه هذا له ومن به عليه فالتقيا بتستر فاشار عليه
ابنه المظفر بالخروج الى حضرة السلطان ليشكره على انفاذه ويقيم بدّير
العاقول ويستأذنه في الدخول فان أذن له فقد تم له ما يجب ووجد الحجرية
مسرعين اليه وان لم يأذن له تقلد الموصل وديار ربيعة وخرج اليها وان منع
من ذلك جعل مقصده الشام . فخالف ابنه ولم يرتض رأيه وقال : أنا أتأمل
ما ذكرته فاقم عندى لتشاور . فاستعفاه من ذلك وسأله ان يأذن له في المقام
بمسكر مكرم فأذن له . فاطمع البريدى المظفر في ان يجعله اسفهلار عسكره
وان يتدبر بتدبيره حتى فارق أباه واستأمن اليه فحصل في بستانه المشهور (٥٢٦)

بالاهواز وأحاط بالستان من يراعيه ويحفظه من حيث لا يعلم
ولما استوثق البريدى لنفسه واستظهر تخوف من الياقوتية الذين عنده
وان يرسلوه بلون من الالوان المنكرة من التدبير عليه أو ان يتدخلهم
التعصب له فيشغبوا عليه ويدعوا بشعار ياقوت . وكتب الى ياقوت بان
السلطان قد أمره بالخروج عن تستر الى الحضرة فى خمسة عشر غلاماً أو
النفوذ الى الجبل متقلداً لها وبأن يقصده الى تستر ويخرج منه قهراً فتحيّر
ودعا مونساً غلامه فقال له : أي شئ ترى ؟ فقال له : الآن وقدمضى ماضى
والله لا صحبك الى الحضرة ولا الى الجبل أحد ممن معك ولا لهم نفقات
تهمهم فان أردت ان تمضي فى عشرين غلاماً الى السلطان فذاك اليك .
فاجاب البريدى عن كتابه بأنه يروى ويذكر له ما عنده بعد ان استعمله شهراً
ليتأهب للسفر الذى يقصده فعاد اليه من جواسيسه واحد كذبه فآخبره
بان الجيش وافى عسكر مكرم ونزلوا الدور وانبسطوا فى المدينة فاحضر
غلامه مونساً وقال له : ظفرونا والحمد لله بعدونا وكافر نعمتنا ففسير من تستر
وقت عتمة ونصب عسكر^(٥٢٧) مكرم والقوم غارون فى الدور فنكبسهم
ونشردهم ونمتد الى الاهواز فلا يثبت لنا البريدى بل يكون همه الهرب
لوجهه . فقال مونس : ارجو ان يكون هذا صواباً .

وسار ياقوت ووصل الى عسكر مكرم وقد بدأت الشمس من مطلعها
وامتد مشتقاً المبار الى ناعورة السبيل ونهر جارود فلم ير لرجال البريدى
أثراً فخيّم ونزل عند النهر ومضى يومه الى آخره وهو متعجب من الغرور
الذى غره جاسوسه فلما كان وقت العصر ظهرت الطلائع ثم أقبل العسكر
وأمرهم أبو جعفر الجمال فنزل على فرسخ من ياقوت وحجز الليل بين

العسكريين . وأصبح فسكات بينهم مناوشة ومبارزة وأتعدوا للحرب في اليوم الذي يليه لأن عسكر البريدي كان منتظرا عسكرا قد سيره البريدي على طريق دجيل ليدخل من ضفته كميناً على ياقوت حتى يصير وراءه . ثم أصبحوا في اليوم الثالث من ورود ياقوت عسكر مكرم فابتدأت الحرب منذ وقت طلوع الشمس الى وقت الظهر وثبت ياقوت ومعه ممن نصره مثل . ونس وأذريون ومشرق وغيرهم في دون ألف رجل فأعيا من بازائه من أبي جعفر الجمال وغيره على كثرة عددهم حتى ^(٥٢٨) كادت البريدية تنهزم . وجاءت الظهر وقد بلغت القلوب الحناجر فطلع السكين وهم ثلاثة آلاف رجل جامين فأبلس ياقوت وقال : لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم . وأوماً الى مونس ان يقصدهم ويكفيه اياهم فعدل مونس مع ثلاثمائة رجل اليهم وبقي ياقوت في خمسمائة رجل فما مضت ساعة حتى وافى منهزماً فرمى ياقوت نفسه من دابته ونزع سلاحه وما عليه من ثيابه حتى بقي بسراويل وقيص سينيزي ثم أوى الى رباط يعرف برباط الحسين بن دبار ^(١) فاستند اليه ولودخل الرباط واستتر فيه لانستر أمره ولجئة الليل ولجاز ان يسلم . فجلس بحيث ذكرت وهو يقرب ناعورة السبيل وغطى وجهه ومد يده يستل ليقدر فيه انه من أرباب النعم افتقر وهو يطلب هدية فركب اليه قوم من البربر ورأوه بهذه الصورة فطلبوه بكشف وجهه فامتنع وأوماً اليه أحداهم بمزراق فقال : أنا ياقوت املوني الى البريدي . فاجتمعوا عليه وحزوا رأسه وانهزم مونس ومشرق وأذريون الى تستر واتبعهم الاعراب والبربر فأسروهم وردوهم . وأطلق أبو جعفر الجمال طائراً بالخبر الى البريدي

يستأذن^(٥٢٩) في رأس ياقوت فردّ اليه في الجواب مع غلام يركض بان يجمع الرأس والجثة ويدفن الجميع في الموضع الذي قتل فيه^(١) وقبض البريدى على المظفر ابنه مدة ثم أنفذه الى الحضرة

وطنى البريدى بعد ذلك وشهر نفسه بالعصيان وقد كانت نفسه ضعيفة فيما ارتكبه من أمر ياقوت فقواها أخوه أبو يوسف حتى جهز اليه المساكن وقتله^(٢) فحكى أبو زكريا يحيى بن سعيد السوسى انه سمع أبا يوسف البريدى يخاطب أبا عبد الله أخاه فقال أبو عبد الله : يا أخى أخاف أن تتعصب الحجرية علينا فيقتلوننا ان دخلنا الحضرة يوماً وفي العاجل است

(١) قال أبو بكر الصولي في الاوراق : ولما ورد قتل ياقوت على الحجرية اضطربوا اضطراباً شديداً واجتمعوا الى الراضى بالله وقالوا : قبضت على ابنه أبي بكر بغير ذنب فحبسته ثم قبضت على أخيه أبي الفتح ثم كتبت الى ابن البريدى في قتله . فجلس لهم واحضر القاضي وأحضر معه من العدول أبا الحسن الهاشمي ابن أم شيان وابن عمه عبد الوهاب وجلس الراضى لهم ليلاً فدخلوا اليه وهو على كرسي فلغظوا وكان الصغار أشد كلاماً وابسط السنأمن كبارهم وقوادهم فتركهم حتى تكلموا بكل ما أرادوه واخرجوا ما في أنفسهم ثم أقبل عليهم رابط الجاش ذرب اللسان فكلمهم أحسن كلام وقال : ان كان هذا الامر قد صح عندكم فعرفوني من أي وجه صح لاعرفه كعرفتكم وان كان ظناً فالظن يخطئ ويصيب وإنما ظننتم هذا بمجئ أخي البريدي أبي الحسين الى الدار هذه الايام وإنما كان يجيئ بكتب أخيه فيشكو معاملته ياقوت . ثم أخرج فصولاً من كتب فدفعها الى القاضي فقرأها عليهم وفيها جوابات من ياقوت الى ابن البريدى وقد أنفذها ابن البريدى اليه ثم قال لهم : ما قبلت في ابن البريدى الا رأى محمد بن ياقوت والآن فقد وقفتم على الخبر وانا أعزهم وأنفذ الجيوش اليهم وأخرج معكم اذا أردتم . ثم كلمهم القاضي وفرقهم

(٢) زاد فيه صاحب التكملة . وكانت نفقة مائتة في كل يوم ألف درهم وكان غلامانه خمسة وكسوته متوسطة ولم يتسرر الا بثلاث جوارى ولم تكن له زوجة غير والدته ابنة أبي القاسم وكانت صلاته للجنود خاصة ولم يعط شاعراً ولا طارقاً شيئاً .

آمن على أخى أبى الحسين وهو بالحضرة أن يقتل بشاره . فقال أبو يوسف :
أما أبو الحسين فنحن نكتب اليه بالخبر حتى يأخذ لنفسه ويستظهر وأما
الحجرية ودخولنا الحضرة بعد أن وسمنا بمصادرة اثني عشر ألف ألف درهم
فهبات من ذلك أبعد تخلصنا من القاهر ومن الخصيبي الملعون وسلامة
أرواحنا نحدث أنفسنا بدخول الحضرة بلى ستهدم منازلنا وإلى لعنة الله ما
نعود إلى الحضرة فنحتاج إليها وقد دبرت ودع يا أبا عبد الله ما اعتدت فانك
لا ترى مثله مع خلوة الزمان ^(٥٣٠) وإدبار الملك وفقرا خلافة وقد كنا
تتكسب من السلطان وهو اليوم مثلنا نحن بل نحن مكسب له يريد أن يجتاحنا
ويأخذ مالنا ومتى لم نعتصم بهذه العساكر المجتعة ونخرج ياقوتا منها سقطنا
ثم يطول علينا أن نجد من أيماننا يوماً والله ما أشرت عليك بما تسمع إلا
بعد أن استعددت له ما يعينني عليه وقد واقفتك على هذا سرّاً وجهراً وأبو
زكريا ممن لا نخشاه . (قال أبو زكريا) وإنما أوماً أبو يوسف بهذا القول
إلى مال السوس وجنديسابور فإن أبا عبد الله كان أجهّ عنده استظهاراً
واناخ في النفقات وأرزاق الأولياء وما كان يعطى به السلطان على أموال
كور الاهواز الباقية وكان يجتذب القطعة بالقطعة منها ويجعل ذلك وراءه ولم
يكن له نفقة ولا بذخ حينئذ . وما وهب قط إطارق ولا شاعر ولا ولد
نعمة شيئاً وكان عارفاً بورود الأموال وخرجها وجميعها تجري على يده فإن
شدّ منها شيء عنه إلى إسرائيل بن صليح وسهل بن نظير الجهبذين لم يخف عليه
مبلغه (قال) واستخرج أبو عبد الله وأخوه أبو يوسف من كور الاهواز
بعد تقليد الراضى إياهما لسنين اثنتين وثلاث ^(٥٣١) وأربع وعشرين وثلثمائة وإلى
شعبان من سنة خمس (فإن بحكمهم هزمهم وأخرجهم عنها في هذا الشهر)

ثمانيّة الاف ألف دينار وجميع ما خرج عنها في جميع وجوه النفقات دون
أربعة الاف ألف دينار حاصلة وسمعت يعقوب الصيرفي اليهودي يقول :
سمعت أبا عبدالله يقول : نمضى الى البصرة فان تم لنا بها أمر فقد كفينا وان
حزبنا أمر لا نطبقه قصدنا عمان واستجرنا بصاحبها (يعنى يوسف بن
وجيه) فانه حرّ ودبرنا أمرنا فأما ان عبرنا الى فارس واستجرنا بعلى بن
بويه فان دولة الديلم قوية والحضرة مدبرة واما ان عبرنا الى التيز ومكران
وقصدنا صاحب خراسان فالطريق اليها جدد .

وعدنا الى ذكر أخبار الحضرة وتدير الوزراء لها . كان الوزير غير
ناهض بالوزارة وما زالت الاضافة تزيد ومن في يده مال من المعاملين يطمع
وقطع ابن رائق الحمل من واسط والبصرة والبريديون من الاهواز وعلى
ابن بويه قد تغلب على فارس وابن الياس على كرمان . فتحير أبو جعفر
الكرخي واعتدت المطالبات عليه وانقطعت الواد عنه ونقصت هيئته
فاستمر بدم ثلاثة أشهر^(٥٣٢) ونصف من وقت تقلده . ووجد في خزائنه
سفاتيح لم تقض وما يجري هذا المجرى من العجز وقلة النفاذ في العمل
(وزارة سليمان بن يحيى)^(١)

ولما استتر الكرخي استحضر الراضى سليمان بن الحسن أبا القاسم فقلده
الوزارة والدواوين فكان في التحير وانقطاع المواد عنه على مثل حال الكرخي
فدفعت الضرورة الراضى بالله الى أن راسل أبا بكر محمد بن رائق وهو بواسط
وأذكره بما ضمن من القيام بالنفقات وازاحة علة الجيش والحشم ومسئلته عما
عنده من المقام على ذلك أو الانصراف عنه . فلقى أبو بكر محمد بن رائق

الرسول بالجميل ووصله بألف دينار وأجاب عن الكتاب بأنه مقيم على ماضيه
(ذكر استيلاء ابن رائق على الخلافة وسائر الممالك)

فأنفذ اليه الراضى ما كرد الديلمى من الساجية وعرفه انه قلده الامارة
ورياسة الجيش وجعله أمير الامراء وردّ اليه تدبير أعمال الخراج والضيايع
وأعمال المعاوين في جميع النواحي وفوض اليه تدبير المملكة وأمر بأن يخطب
له على جميع المنابر في الممالك وبأن يكنى وأنفذ اليه الخلع واللواء مع ما كرد
الديلمى وخادم من خدم السلطان وأنحدر^(٥٣٣) اليه أصحاب الدواوين كلهم
وجميع قواد الساجية^(١) والحسن بن هرون. فلما حصلوا بواسط قبض على
الساجية وعلى الحسن بن هرون قبل أن يصلوا اليه وحبس الساجية ونهبت
رحلاتهم وقيل للحجرية : انما فعلنا ذلك بالساجية لتتوفر أموالكم. وورد الخبر
بذلك الى بغداد وكان قد بقي من الساجية ببغداد خلق فخرجوا الى الموصل
والى الشام . واستوحش الحجرية ببغداد لما جرى على الساجية بواسط
فقصدوا دار السلطان وأحرقوا بها وضربوا خيمهم حولها ووجه ابن رائق
بمونس الافحى وبارس الحاجب الى بغداد فضربوا خيمهم في باب الشماسية
وقلّد لؤلؤ الشرطة ببغداد . ثم أصدع محمد بن رائق من واسط يوم الجمعة
عشر بقين من ذى الحجة ومعه بجكم فرتب محمد بن رائق فوق الوزير
ونخل عليه وركب الى مضربه في الحلبة وحمل اليه من دار السلطان الطعام
والشراب والفواكه عدّة أيام وخدمه في ذلك خدم السلطان . واجتمع

(١) وفي الاوراق . وكان كاجو وينال انحدر الى ابن رائق فوصلها ورجعا ثم

انحدر كاجو وما كرد وتكيجور وصافى من قواد الساجية وانحدر معهم أبو جعفر بن شيرازاد

والحسن بن هرون وأبو بكر بن الصيرفي

اليه الغلمان الحجزية وساموا عليه وأمرهم بقلع خيمهم من دار السلطان
والانصراف الى منازلهم ففعلوا^(١)

وبطل منذ^(٥٣٤) يومئذ أمر الوزارة فلم يكن الوزير ينظر في شئ من
أمر النواحي ولا الدواوين ولا الأعمال ولا كان له غير اسم الوزارة فقط
وان يحضر في أيام المواقب دار السلطان بسواد وسيف ومنطقة ويقف
ساكتاً وصار ابن رائق وكاتبه ينظران في الامر كله^(٢) وكذلك كل من
تقلد الامارة بعد ابن رائق الى هذه الغاية وصارت أموال النواحي تحمل
الى خزائن الامراء فيأمرون وينهون فيها وينفقونها كما يرون ويطلقون
لنفقات السلطان ما يريدون وبطلت بيوت الاموال .

وفي هذه السنة ملك ابن الياس كرمان وصفت له بعد حروب جرت
له مع جيش خراسان .

وفي هذه السنة جرت الحادثة على أبي الحسين أحمد بن بويه وأصيب بيده
ووقع بين القتلي ثم تخلص وأفضى أمره الى ملك العراق

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

لما تمكن على بن بويه بفارس وتمكن أخوه الحسن بن بويه بأصبهان
نظر في أمر أخيه الاصلع أبي الحسين أحمد بن بويه فتقرر الامر بينهما
مكاتبة ومراسلة على ان يتوجه الى كرمان فضم اليه على بن بويه عسكرياً

(١) وفي الاوراق : ورد خبر الطير من قاتك بان صغار الساجية قصدوا داره لكبسها
واستخراج قوادهم منها وانه رمى اليهم برؤسهم واستبق الحسن بن هرون وصافياً .

(٢) وفي التكملة : وكان مدبر أمر (ابن) رائق أبا عبد الله النوبختي فاعتل بعد
مصابحته بثلاثة أشهر فاستكتب مكانه أبا عبد الله الكوفي .

(٥٣٥) فيه من كبار الديلم ومند كوريها ألف وخمسمائة رجل ونحو خمسمائة رجل من الاتراك ومن يجرى مجراهم . وكان يكتب لابي الحسين في ذلك الوقت رجل يعرف بأبي الحسين أحمد بن محمد الرازي وكان ممتعا باحدى عينيه ويعرف بكوردفير ولم تكن له صناعة ولكنه كان واسع الصدر شجاعا فورد السيرجان واستخرج منها مالا وأنفقته في عسكره . وكان ابراهيم بن سمجور^(١) الدواني من قبل صاحب خراسان محاصرا لمحمد بن الياس بن اليسع الصفندي فلما بلغ ابن سمجور خبر الديلم رجع الى خراسان ونفسر عن خاق محمد بن الياس فتخلص وانتهز الفرصة وخرج عن القلعة التي كان فيها الى مدينة بيم وهي على مفازة متصل بسجستان . فسار أحمد بن بويه اليه فرحل الى سجستان من غير حرب فانصرف من هناك وتوجه الى جيرفت وهي قصبة كرمان واستخلف على بيم بعض قواده . فلما أشرف على جيرفت تلقاه رسول على بن الزنجي وكان رئيس القفص والبلوص وهو المعروف ببلي بن كاويه وكان هو واسلافه متغلبين على تلك الاعمال الا انهم يجاملون كل سلطان يرد عليهم ويدعون له ويحملون اليه مالا^(٥٣٦) معلوما ولا يطؤون بساطه . فبذل لاحمد بن بويه ذلك المال على الرسم فأجابه بأن الامر في هذا الى أخيه على بن بويه وانه لابد له من دخول جيرفت فاذا دخلها كاتبه وراسله في ذلك وأمره ان يبعد عن البلد فاستجاب ورحل الى نحو

(١) هو الامير ابراهيم بن أبي عمران وأبو عمران هو سيمجور توفي في شوال سنة ٣٣٦ . كذا في كتاب الانساب لابي سعد السمانى : ٣٢٣ : وليراجع ما قال في حقه من وصف آل سيمجور

عشرة فراسخ من البلد في موضع وعرضه المسلك . وتردّت المراسلات بينهما الى ان تقرّر الامر بينهما على ان ينفذ اليه رهينته ففعل وقاطعه عن البلد على الف الف درهم يحملها في كل سنة وحمل في الوقت مائة الف درهم منسوبة الى الهدية وغير محسوبة من مال المقاطعة وأقام له الخطبة ثم حمل شيئاً من مال التعجيل وسلك سبيل الوفاء معه . فاشار كوردفير الكاتب على أحمد ابن بويه بان يسرى اليه نافضاً ما بينهما من العهود فانه سيجده غير متحرّز وأصحابه غارين لسكونهم الى وقوع الاتفاق وزوال الخلاف فيفوز بأموالهم وذخائرهم ويستولى على ديارهم ويتم له ما لا يتم لاحد قبله

﴿ ذكر ما كان من عاقبة هذا الغدر والنكث ﴾

أصغى أبو الحسين أحمد بن بويه الى كاتبه ووقع بواقعه لحداثة سنّهِ واغتراره^(٥٣٧) فحمل نفسه على مفارقة ما يجب عليه في الدين والمروءة . وجمع صناديد عسكره وخلف سواده وما يجري مجراه واسرى للوقت الى القوم وذلك عند صلاة العصر ليصحبهم بيانا . وكان على بن كلويه متيقظاً قد وضع عيونه عليه فسبق اليه الخبر فجمع أصحابه ورتبهم على مضيق بين جبلين كان الطريق فيه فلما توسط أبو الحسين في الليل مع أصحابه ثاروا به من جميع الجوانب فقتلوا وأسروا رجال العسكر فلم يفلت منهم الا اليسير . ووقعت بأبي الحسين أحمد بن بويه ضربات كثيرة كانت ظاهرة فيه وطاحت يده اليسرى وبعض أصابع يده اليمنى وانخن بالضرب في رأسه وسائر جسده وسقط بين القتلى وورد الخبر بذلك الى جيرفت فهرب كاتبه كوردفير ومن تأخر من أصحابه : ولما أصبح على بن كلويه أمر بتتبع القتلى والتماس أحمد بن بويه فوجدوه حياً الا انه قد أشفى على التلف فحمل الى جيرفت واقبل على

بن كلويه على علاجه وخدمته وبلغ في ذلك كل مبلغ واعتذر اليه وأظهر
الغم بما أصابه . واتصل الخبر بعلي بن بويه فاشتد غمّه وقبض على كورد فير
وأنفذ مكانه ^(٥٣٨) أبا العباس ^(١) وخطأخ حاجبه في الفى رجل ليجمع ما بقى
من سواد معزّ الدولة (أعنى أحمد بن بويه) بالسيرجان ويضما من بقي من
فلّ العسكر . وأنفذ على بن كلويه رُسله وكتبه الى علي بن بويه بالاعتذار
مما جرى ويوضح له الصورة ويبذل من نفسه الطاعة ويذكر انه ما فارقها
ولا خرج عنها فأنفذ اليه على بن بويه قاضى شيراز وأبا العباس الحنّاط وأبا
الفضل العباس بن فسانجس وجماعة من الوجوه وأجابه بالجميل وبسط عذره
وأمضى ما كان قرّره وردّ رهيئته وجدّد له عهداً وعقدّاً . فحينئذ أطلق علي
ابن كلويه أبا الحسين أحمد بن بويه وأطلق معه اسفهدوست وسائر من كان
أسيراً في يده بعد ان أجمل معاملتهم وخلع عليهم وحمل اليهم آلات والطافاً .
فلما وصل أحمد بن بويه الى السيرجان وجد كاتبه مقبوضاً عليه وقد جرى
عليه مكاره عظيمة أشرف منها على التلّف فاستنقذه ونصره وبرّاه من
الذنب وشفع الى أخيه فيه فشفّعه وأطلقه .

وتأدّى الى أبي علي ابن الياس ماجرى على أبي الحسين وطمع فيه وسار
من سجستان حتى نزل البلد المعروف بخُتاب فتوجه اليه أبو الحسين ^(٥٣٩)
واشتدّت الحرب بينهما أياماً الا ان عاقبة الامر كانت لابي الحسين فانهمز
ابن الياس وعاد أبو الحسين ظافراً . وتتبعت نفسه التشفى من علي بن كلويه
وطالب الثار عنده فتوجه اليه واستعدّ على بن كلويه واحتشد ثم سار اليه فلما
صار بين العسكرين نحو من فرسخين نزل وعملوا على مباكرة الحرب فاسرى

على بن كلويه في جماعة من أصحابه وهم قوم رجالة قادرون على العدو والمصاهرة فيه فوقع على عسكر أبي الحسين ليلاً . واتفق ان تغيبت السماء بمطر جود واختلط الناس فلم يتعارفوا الا بالالغات فأثروا في عسكر أبي الحسين وقتلوا ونهبوا وانصرفوا وبات عسكر أبي الحسين بقية ليلتهم يتحارسون فلما أصبحوا ساروا الى القوم فأوقعوا بهم وقتلوا منهم عدّة وانهمزم على بن كلويه ورجع أبو الحسين وقد نفع بعض غلته الا ان في صدره بعد حزازات . وكتب الى أخيه على بن بويه بالبشارة والظفر بابن الياس وانهمزاه وبعل ابن كلويه وهربه فورد عليه الجواب بأن يقف حيث انتهى ولا يتجاوزه وانفذ اليه المرزبان بن خسرة الجيلي أحد قواد السكبار ليبادر به الى حضرته ويمنعه^(١) التلوّم والمراجعة وكتب سائر القواد بمثل ذلك فرجع الى حضرته كارهاً لانه ما كان بلغ ما في نفسه من على بن كلويه وأصحابه فلما وصل الى اصطخر أقام .

﴿ ذكر ما اتفق له من الخروج الى بلدان العراق حتى ملكها ﴾
 واتفق ان أبا عبد الله البريدي وافى فارس في البحر لاجئاً الى على بن بويه وذلك ان محمد بن رائق وبجكم استظها عليه في عدّة حروب وانتزعا الاهواز من يده واشرفا على انتزاع البصرة منه . خلف أخاه أبا يوسف وأبا الحسين على بن محمد^(١) بها . فلما ورد حضرة على بن بويه مستصرخاً به أكرمه وأحسن ضيافته وبذل له أبو عبد الله اذا ضم اليه الرجال ان يمكنه من أعمال العراق ويصحّح له أموالاً عظيمة من الاهواز ويسلم اليه ولدان له رهينة . واستقدم على بن بويه أخاه أبا الحسين من اصطخر فلما قرب منه

تلقاه في جميع عسكره وقر به ورتبه فوق ما كان في نفسه تسلياً له عن مصيبتة ثم أنهضه مع أبي عبد الله البريدي في عسكر قوى وعدة تامة وسار. واتصل خبره بمحمد بن رائق وبجكم فاما بجكم فانه عاد الى الاهواز وكان مع ابن رائق بعسكر أبي جعفر^(٥٤١) محاصرين البصرة وأراد ان يمنع الديلم من تورث الاهواز وأما ابن رائق فعاد الى واسط والتقى عسكر بجكم وعسكر أبي الحسين بالقرب من رامهرمز وانحاز بجكم الى عسكر مكرم بعد حروب سذكرها ان شاء الله في سنة ست وعشرين

﴿ ودخلت سنة خمس وعشرين وثمانمائة ﴾

وفيهما أشار أبو بكر محمد بن رائق على الراضى بالله ان ينحدر معه الى واسط ليقرب من الاهواز ويراسل البريدي فان انتقاد الى ما يراى منه وان مرق^(١) عليه قصده. فاستجاب الراضى الى ذلك وانحدر يوم السبت غرة المحرم واضطربت الحجرية وقالوا: هذه تعمل علينا ليعمل بنا ما عمل بالساجية ونحن نقيم ببغداد. فلم يلتفت ابن رائق اليهم وانحدر بعضهم وتأخر أكثرهم ثم انحدر الجميع فلما صاروا بواسط عرضهم ابن رائق وبدأ بخلفاء الحجاب وكانوا نحو خمسمائة حاجب فاقصر منهم على ستين واسقط الباقين ونقص ابن رائق من أقر منهم. وأخذ يعرض الحجرية ويسقط منهم الدخلاء والبغلاء والنساء والتجار ومن لجأ اليهم فاضطربوا من ذلك ولم يستجيبوا اليه ثم استجابوا وعرضهم وأسقط منهم عدداً كثيراً ثم اضطربوا^(٢) وحملوا السلاح فحاربهم ابن رائق يوم الثلاثاء لخمس بقين من المحرم حرباً عظيمة فكانت على الحجرية فقتل بعضهم وأسرى بعضهم وانهمزم الباقون الى بغداد

فركب لؤلؤ صاحب الشرطة ببغداد^(١) وأوقع بالمنهزمين واستتروا فهبت دورهم وأحرق بعضها وقُبضت أملاكهم . فلما فرغ ابن رائق من حرب الحجرية وقهرهم تقدم بقتل من كان اعتقلهم من الساجية فقتلوا سوى صافي الخازن والحسن بن هرون^(٢)

فلما فرغ من الساجية والحجرية عمل الراضي بالله وأبو بكر بن رائق على الشخصوص الى الاهواز ودفع البريدى عنها واخرجت المضارب الى ياذين وبلغ البريدى ذلك فقلق قلقاً شديداً وأُنفذ اليه أبو جعفر ابن شيرزاد وأبو محمد الحسن بن اسمعيل الاسكافي برسالة من الراضي بالله ومن ابن رائق يبرّ فان انه قد أضرّ الاموال واستبدّ بها وأفسد الجيوش وحسّن لها المروق وانه ليس بطالبيّ يسارع على الملك ولا بجندىّ فيبتنى الامارة ولا من حملة السلاح فيؤهل لفتح البلاد المنغلقة وانه كان كاتباً صغيراً فرفع بعد دخول وعاملاً من أوسط العمال فاصطنع وأهل لجليل^(٥٤٣) الاعمال فطنى وكفر النعمة وجازى عن الإحسان بالسوء وخلع الطاعة وانه ان سلمّ الجند وحمل المال أقرّ على العمالة والأقصد وعمول بما يستحق .

فوافياه واخبراه بما تحملاه ونصحاه فعمد على نفسه كور الاهواز

(١) وفي الاوراق . كثر الضجيج من تغتت أصحاب لؤلؤ للناس ووضع الجبايات عليهم واغرامهم فعزل عن شرطة بغداد ووليها محمد بن بدر الشرايى يوم الاثنين لاثنى عشرة ليلة بقيت من صفر سنة ٣٢٦ .

(٢) وفي تاريخ الاسلام : وكان الحسن بن عبد الله بن حمدان قد غلب على الموصل فسار اليه خلق من الساجية والحجرية وهم خاصّة كية الخليفة هربوا من محمد بن رائق فاحسن الحسن اليهم —

بثلثمائة وستين الف دينار يحمل منها في كل شهر من شهور الالهة ثلاثين
الف دينار وان يسلم الجيش ممن يومر بتسليمه اليه ممن يومر عليهم ليخرج
بهم الى فارس للحرب اذ كانوا كارهين للعود الى الحضرة لضيق الاموال
بها ولاختلاف كلمة الاولياء فيها ولا منهم لا يأمنون الا تراك والقرامطة .
وكاتب ابن رائق بذلك فمرضه على الراضى بالله وشاور فيه الحسين بن علي
النوبختي فأشار بالآ تقبل منه ذلك وان يتم ما شرع فيه من قصده مادام قلبه
قد نخب وان يخرج الاهواز من يده ولا يقار بها . وأشار أبو بكر ابن مقاتل
بقبول ما بذله وإقراره في ولايته فقال ابن رائق الى الهويني وقبل رأي
ابن مقاتل وكان الرأي الصحيح مع النوبختي وكتب الى ابن شيرزاد وابن
اسماعيل وأذن لهما في العقد والاشهار قمعلا وانصرفا . فاما المال فما حمل منه
دينار^(٥٤٤) واحد وأما الجيش فانه انفذ جعفر بن ورقاء لتسلّمه والنهوض
الى فارس به فوافي جعفر بن ورقاء الاهواز وتلقاه أبو عبد الله البريدي في
الجيش كله كوكبة بعد كوكبة حتى ملأ الارض بهم واسودت منهم حافين
بأبي عبد الله حوله فورد على جعفر بن ورقاء ما حيره . ثم انفذت الخلع
السلطانية الى أبي عبد الله البريدي بالولاية وعمالة الاهواز فلبسها في جامع
الاهواز وانصرف الى داره فمضى العسكر قوادهم وقُسامهم وصميمهم
وعبيدهم ورجالهم بخفائهم وراياتهم وأسلحتهم بين يديه فيئس جعفر بن ورقاء
وكان راكبا معه وانخزل وسقطت نفسه فلما بلغ داره احتبسه واحتبس
القواد معه والناس وكان يوماً عظيماً . ثم أقام جعفر بن ورقاء أياماً فندس عليه
البريدي الرجال فشنبوا وطالبوه بمال يفرق فيهم رزقة تامة للنهوض فاستتر

واستجار بالبريدى فأخرجه وعاد الى الحضرة . وعنى ابن رائق بأبي الحسين
البريدى ^(١) قبل هذه الحال حتى انحدر من بغداد ولحق بأخويه ولما
تقرر أمر البريدى أصعد الرضى بالله وابن رائق الى بغداد .

ودخل أبو عبد الله الحسين بن على كاتب الامير ابن رائق بغداد ^(٥٤٥)

﴿ ذكر حيلة أبي بكر ابن مقاتل على الحسين بن على النوبختي ﴾
﴿ حتى عزله عن كتابة ابن رائق ﴾

وكان أبو بكر محمد بن مقاتل متمكناً من ابن رائق التمكن المشهور
منحرفاً عن الحسين بن على النوبختي بعد المودة الوكيدة وكان هو وأوصله الى
ابن رائق وأدخله في كتابته فهذا ولان الحسين بن على فوقه ومتفرد بابن
رائق (وهو المدير للملك والذي بنى لابن رائق تلك الرتبة العظيمة والذي
ساق اليه تلك النعمة وجمع له تلك الاموال التي كان مستظراً بها من ضمان
واسط والبصرة) أشار على ابن رائق ان يعتضد بأبي عبد الله البريدى وان
يستكتبه ليتفق السكامة ويجمع جيش الاهواز الى جيشه وقال له : أيها
الامير لك في ذلك جمالٌ عظيم لانه اليوم كالنظير لك فاذا تواضع وصار تابلاً
جازحكمك عليه . وسيقال لك ان البريدى غدر بالسلطان وياقوت فكيف
تثق به ؟ فالجواب عن هذا انه ليس يجمعكما أرضٌ فتم حيلته عليك كما تمت
على ياقوت وأنت غير قادرٍ عليه الا بحرب وقد يجوز ان تظفر به لو يظهر

(١) وفي الاوراق : كان أبو الحسين على بن محمد البريدى قد وافى واسط فأوصله
ابن رائق الى الرضى حتى خاطبه وخلع عليه ابن رائق الخلع التي كان الرضى
خامها عليه عند ظفره بالحجرية وركب معه

هو فاذا كنا قد انتهينا الى هذه الحال معه فخطه من الامارة الى الكتابة
وتصويره تابعا ثم جذب رجاله^(٥١٦) وجيشه بالمدعة او انفساده مع بحكم
ليفتح لنا فارس وأصبهان اولى من دفعه عما سأل وإيجاشه فيحنط لنفسه
ويحبب الرجال وقد حمل الى الامير مع هذا ثلاثين الف دينار هدية هي في
منزلى . وقال له ابن رائق : ما كنت لأصرف الحسين بن على مع نصحه
لى وتبركي به ولو فتح لى فارس وأصبهان وساقهما الى خصوصاً واهداهما
لى دون غيرى . قال : أيها الامير فان كرهت هذا فضمنه واسطاً والبصرة .
فقال : هذا لفعلته ان أشار به أبو عبد الله الحسين بن على . قال : فنسكتمه
أيها الامير خوضا في الكتابة ولا تذكرها .

وحضر أبو عبد الله الحسين بن على بعد ذلك وعرض عليه هذا الراى
فضج منه وعد مساوى البريدى وغدره وكفره الصنائع منذ ابتداء
أمرهم والى ان كاشفوا بالمصيان وأعاد حديث ياقوت ثم التفت الى ابن
مقاتل فقال : ما قضيت حق هذا الامير ولا نصحته . ثم قال : أنا عليل
أيها الامير فان عشت وأنا معك فبهات ان يتم عليك وان مضى فى حكم
الله فنشدتك الله ان تأنس بالبريدى أو تسكن اليه بشئ من أصناف حيله .
فدمعت عين ابن رائق وقال : بل يحبيك الله^(٥١٧) ويهلكه (وكان الحسين
ابن على عليلاً من حمى وسعال) ثم انصرف الحسين بن على وابن مقاتل
مغضب فقال لابن رائق : قد حمل الرجل اليك ثلاثين الف دينار ولا بد
من ان تعمل به جميلاً فاقبل أحمد بن على الكوفى خليفة لنا بحضرتك ونائباً
عنه الى ان ترى رأيك . فقال : أما هذا فنعم

وكتب ابن مقاتل الى البريدى بما جرى وانفذ أحمد بن على الكوفي ووافى حضرة أبي بكر محمد بن رائق بمدينة السلام واختلط به نيابة عن أبي عبد الله البريدى ونقل الحسين بن على النوبختى فتأخر عن الخدمة أياماً . وكان له ابن أخ قد صاهره فهو يخلفه في مجلس ابن رائق ويوقع عنه فقال أبو بكر ابن مقاتل للامير ابن رائق : حُسن العهد من الايمان وهو من الامير احسنُ لانه عائدٌ بالسلامة على ولكن اضاعة الامور ليس من الحزم والحسين بن على مَيِّتٌ فانظرْ لنفسك فان الامور قد اختلت . فقال : يا هذا الساعة والله سألتُ سنان بن ثابت عنه فقال « قد صلح وخفّ النفث وانه أكل الدُرّاج » فقال : سنان رجل عاقل ولا يجب ان يلقاك فيمن تعزّ بما تكره ولا سيّما هو وزير الزمان اليوم واسكن صهره ^(٥٤٨) وابن أخيه خليفته احضره وحلفه ان يصدقك . قال : افعل . وانصرف ابن مقاتل ودعا علي بن أحمد ابن أخى الحسين بن على وقال له : قد مهّدتُ لك كتبة الامير وواقفته على تقلدك اياها وهى وزارة الحضرة وعمك ذاهبٌ فان سألك فعزّ به انه ميتٌ لا محالة فاني أعود اليه وأُناجزه فيخلم عليك قبل ان يطعم فيها غيرك . فاغترّ على بن أحمد وسأله محمد بن رائق من غدٍ بعد ان أخلى نفسه عن خبر عمه فكان جوابه ان بكى وقال : أعظم الله أجرك أيها الامير في أبي عبد الله عدّه من الاموات . ثم لطم وجهه فقال ابن رائق : لا حول ولا قوة الا بالله أعزز على به لو فدى حتى مُيتاً لقديته بملكى كله . واستدعى ابن مقاتل فقال له : كان الحقّ معك قد يأسنا من الحسين بن على فأنّا لله وأنا اليه راجعون فأى شئٍ نعمل ؟ فقال : هذا أبو عبد الله أحمد بن على الكوفي نظير الحسين بن على وكانا صنيعتى اسحق بن اسمعيل

النوبختي هو في نهاية الثقة والعفاف وهو خصيص بأبي عبد الله البريدي وان أنت استكثرت اجتمعت لك كفاية الى عفافه واستقصائه وانضاف الى ذلك كله حصول أولئك في جهاتهم وانقطاعهم^(٥٤٩) اليك ونعمت على أبي عبد الله انا قد أجبناه الى ما سأل من كتابتك واستخلفنا صاحبه أبا عبد الله الكوفي فقال : استخر الله وافمل ولكن عهدة أبي عبد الله الكوفي عليك إلا يغشني ويوتر البريدي في حال من الاحوال . فقال : أنا الضامن عن أبي عبد الله الكوفي كل ما شرطه الأمير . فاستكتبه فدبر الامور كلها كما كان يُديرها الحسين بن علي واسقط من الكتب التي تكتب عن ابن رائق وكتب « فلان بن فلان » وكان الحسين بن علي يكتب ذلك على رسم الوزارة فكانت مدة تدبير الحسين بن علي النوبختي لامور المملكة ثلاثة أشهر وثمانية أيام . وكتب أبو بكر ابن رائق الى أبي عبد الله البريدي يمتد عليه بما احتال له حتى زحزح الحسين بن علي وساق الامر اليه واستخلف له أبا عبد الله الكوفي فحمل اليه أبو عبد الله البريدي عشرة آلاف دينار التي قدمنا ذكرها واستقل الحسين بن علي النوبختي وصح بجسده وعوفي فكنتم ذلك عن ابن رائق وتمكن البريديون حتى غلبوا على البصرة .

﴿ ذكر الخبر عما احتالوا به واتفق أيضا لهم ﴾

لم يمض شهر من استكتاب ابن رائق أبا عبد الله الكوفي [حتى] شرع لابي يوسف البريدي في ضمان^(٥٥٠) البصرة وواسط فأشار على ابن رائق بذلك فقال : لا أفعَل ولا أثقُ بهما . قال له : ولم أيها الأمير ، أما واسط فأنا مُدبرُها وليس يرد لهم اليها ولا راجل وعلى توفية مالها وأما البصرة فقد قررتُ أمرها على أربعة آلاف ألف درهم على أن يقيم لي بها

ضمناه ثقات . وأشار أبو بكر بن مقاتل بمثل ذلك فأذن ابن رائق في العقد عليه فقلد أبو يوسف أبا الحسن ابن أسد أعمال الخراج بالبصرة (وكان الى الحرب بها محمد بن يزيد) فخرج أهل البصرة باجمعهم الى سوق الاهواز لتهنئة البريدي بالولاية وكان جمعهم عظيماً جداً . وكان أبو الحسين ابن عبد السلام الهاشمي وجيه البصرة قد شذ عن ابن رائق لانه قصر به وخط منه بالبصرة فقصد أبا عبد الله البريدي وأبا يوسف أخاه فطرح نفسه كل مطرح عندهما وأشار اليهما بالغلبة على البصرة واتخاذ المساكر اليها وذكر طاعة الخوّل وأهل الانهار له فأخذ أبو عبد الله في بناء الشذات والزبازب والطيارات والاستكثار منها حتى اجتمعت له مائة قطعة في نهاية الوفاة والجودة . خين وافاه أهل البصرة ^(٥٥١) لتهنئة قريبهم وأكرمهم ورفع منهم وقال : قد اطلع أبو الحسين بن عبد السلام على نيّتي الجميلة فيكم ومحبتى لصلاحكم واعداد آلة الماء للجيش الذين أحصن بهم بلدكم من القرامطة وكنت مستغنياً عن ضمان البصرة اذ لا فائدة لي فيها وانما امتعزت لكم من ظلم ابن رائق ومحمد بن يزيد خليفته لكم وتحملت في مالي أربعة آلاف دينار في كل شهر بازاء ما كان يؤخذ من الشرطة والمأصير والشوك تخفيفاً عنكم ^(٥٥٢) وقد ازلت جميعها وهذا خطي برفعها عنكم . ووقع بذلك توقيعاً وسلمه اليهم وكثر الدعاء والضحجج بشكره ثم قال لهم : انه سيلغ هذا ابن رائق فينكره ويوحشه مني ويصير سبباً للعداوة بيني وبينه ووالله ما أبالي ان يعاديني اخوأي أبو يوسف وأبو الحسين وابني أبو القاسم في صلاحكم لاني أعلم أن فيكم بني هاشم وطالبيين وأولاد المهاجرين والانصار ومن حرمة

الاسلام صياتكم وانى لا قدر ان الله عز وجل يفقر لى كل ذنب بازالة
الاذية عنكم وسيروم ابن رائق رداً لما قد ازلته عنكم من هذا الحطام الذى
كان يأخذه فأين السواعد القويّة والنفوس^(٥٥٢) الايّة التى حاربت على ابن
أبى طالب صلوات الله عليه ، فتى رام ابن رائق نقض ما عملت فاضربوا
وجهه ووجوه أصحابه بتلك السواعد والسيوف وأنا من ورائكم . ثم ذكر
أهل البصرة بايامهم مع عبد الرحمن بن الاشعث ومحمد و ابراهيم ابني عبد الله
بن حسن بن حسن^(١) وقال : لتكن قلوبكم قوية وآمالكم فسحة و نفوسكم شديدة
في مجاهدة عدوكم . ثم وقع للنفقة على المسجد الجامع بالبصرة بألفى دينار
وقال : بلغني أنه خراب . وعرضت عليه الرقاع بالحاجات فوقع بخطائط
ونظر وصلات وتخفيف في المعاملات بألفى ألف درهم وانصرفوا عنه وقد
صاروا سيوفه . وسير اقبالا غلامه وحاجبه وكانت له نوبة مع أبى جعفر
الجمال وضم اليه ألفى رجل وقال : اقيموا بحصن مهدي الى أن نكتب اقبالا
الحاجب بالمسير بهم الى البصرة . واتصل ذلك بابن يزداذ فقامت قيامته .

وفي هذه السنة قلد محمد بن رائق أبا الحسين بحكم الشرطة بمدينة السلام
^(٢) وقلد الحسين عمر بن محمد قضاء القضاة مع الاعمال التى اليه .

وأمر الغلمان الحجرية المستترين ببغداد فظهروا وصاروا اليه بالسلاح فعرضهم
وامضى من جملتهم نحو ألفى رجل واتبتهم برزق مستأنف^(٥٥٣) على ما رآه
واسقط الباقين وأخرج من امضاه وقرر رزقه الى الجبل فلما صاروا بطريق

(١) زاد فيه صاحب التكملة : متى أخذكم ضم فصبرو . وباع أهل البصرة ابن الاشعث
في سنة ٨١ طبرى ٢ : ٢٠٦٢ وأما ابراهيم فقدم البصرة سنة ١٤٥ : طبرى ٣ : ٢٩٨
وليراجع قول أبى حنيفة في خروجه على المنصور في ارشاد الارب ١ : ٢٨٦ من ١٠
(٢) وزاد فيه : صاحب التكملة وأنزله في دار محمد بن خلف التيرماني على دجلة

خراسان أجمع رأيهم على المضي الى الاهواز فمضوا الى أبي عبد الله البريدي فقبلهم وأضعف أرزاقهم وخاطبهم بالترثي لهم مما جرى عليهم من ابن رائق والتعجب منه ووعدهم الاحسان التام . وأظهر للسلطان وابن رائق انه لم يكن به طاقة لما صاروا اليه أن يدفعهم وانه اضطرّ الى قبولهم وجعلهم حجة في قطع ما كان ووُقف على حمله واحتج بانهم اجتمعوا مع الجيش ومنعوه من حمل مال البلد وغلب على الاهواز والبصرة . فصارت الدنيا في أيدي المتغلبين وصاروا ملوك الطوائف وكلّ من حصل في يده بلد ملكه ومنع ماله فصارت واسط والبصرة والاهواز في أيدي البريديين وفارس في يد علي بن بويه وكرمان في يد أبي علي ابن الياس واصبهان والري والجل في يد أبي علي الحسن بن بويه ويد وشمكير يتنازعونها بينهما والموصل وديار ربيعة وديار بكر في أيدي بني حمدان ومصر والشام في يد محمد بن طنجج^(١) والمغرب وافريقية في يد أبي تميم والاندلس في يد الاموي^(٢) وخراسان في يد نصر بن

(١) قال أبو بكر الصولي في الاوراق: ما رأيت الراضي يقرظ أحداً تقرظه الامير أبي بكر محمد بن طنجج فانه كان يصفه ويرضى جميع ما هو عليه واذا جاء هدية من قبله استحسن جميعها وفرق علينا منها وكان يقول اذا ذكره : رجل كبير العقل حسن الطاعة يشبه اجلاء الموالى الماضين ما أدري بما أكافئه . ثم أمر فكتب عنه كتب بأنه قد سماه الاخشاذ (كذا) وأمر أن يسميه به جميع الناس . ولما جاءته هديته في اخر أيامه التي كان فيها الخدم الذين يغنون ويرقصون قال : لقد خصني بما لم يملك مثله خليفة قط . وكان ربما قال بغير حضرة من لا يثق به : لو كان مثله عندي وكان جيشه لكان هذا الجيش فانه أشبه بجيش ابائي وأشدّ تمسكا بطاعتي (٢) هو الناصر لدين الله أبو المطرف عبيد الرحمن بن محمد . وقال صاحب تاريخ الاسلام : ولا يتسم أحد بأمر المؤمنين من أجداده إنما يخطب لهم بالامارة فقط فلما كان سنة ٣١٧ وبلغه ضعف الخلافة بالعراق وظهور الشيعة بالقيروان تسمي بأمر المؤمنين

أحمد واليامة والبحرين وهجر في يد أبي طاهر ابن أبي سعيد^(٥٥٤) الجنابي وطبرستان وجرجان في يد الديلم . ولم يبق في يد السلطان وابن رائق غير السواد والعراق . ولما حصلت ديار مضر خالصة قد خربت وضاق مالها عن كفاية السلطان خرج عنها بدر الخرشني وكان يتولى الحرب بها وعاد الى الحضرة فلما خلت من صاحب معونة قصدها على بن حمدان فغلب عليها . وزاد في مرض أبي عبد الله الحسين بن علي النوبختي ما رآه من انتقاض كل ما كان نظمه وما تم عليه من الحيلة قال أمسه إلى السيل^(٥٥٥) . وفي هذه السنة انكشفت الوحشة بين محمد بن رائق وبين البريد بين .

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

اتفق ان وافى أبو طاهر القرمطي السكوفة فدخلها في شهر ربيع الآخر من سنة ٢٥ فخرج ابن رائق من بغداد ونزل في بستان ابن أبي الشوارب بتغطرة الياسرية وانفذ أبا بكر ابن مقاتل برسالة الى أبي طاهر الهجري وكان أبو طاهر يطالب بان يحمل اليه السلطان في كل سنة مالا وطعاما بنحو مائة وعشرين الف دينار ليقم في بلده وبذل له ابن رائق بان يحمل ما التمسه رزقا لاصحابه على ان يكسر لهم السلطان جريدة^(٥٥٦) وينفق فيهم ويدخلوا في الطاعة ويستخدموا . وجرت خطوب^(٥٥٧) بينهما ومخاطبات انصرف معها أبو طاهر الى بلده من حيث لم يتقرر له أمره مع ابن رائق . وبلغ ابن رائق الى قصر ابن هبيرة ثم عاد منها الى واسط وكاشف البريدي واستوزر أبا الفتح

(١) زاد هاهنا صاحب التكملة : وقبض أبو عبد الله أحمد بن علي السكوفي على محمد بن يحيى بن شيرزاد وصادره على مائة وعشرين الف دينار (٣) وفي كتاب العيون : ويجعل لهم بذلك جريدة في الديوان ويدخلوا الخ

الفضل بن جعفر بن الفرات .

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كان ظنّ ابن رائق انه اذا استوزر أبا الفتح جذب له الاموال من مصر والشام فقدم أبو الفتح من الشام ^(١) ولزم سليمان بن الحسن منزله . وكان حمل اليه الخلع قبل وصوله الى بغداد فوصلت اليه وهو بهيت فلبسها ثم دخل بغداد واقراً أبا القاسم الكلواذى ^(٢) على ديوان السواد واستخلف بالحضرة أبا بكر عبد الله بن علي النفري وهو زوج أخته وكتب السلطان في استيزاره أبا الفتح كتاباً نفذ الى أصحاب الاطراف .

ولما بلغ ابن رائق ما خاطب البريدى به أهل البصرة قلق وتغير للكو في واتهمه وهم بالقبض عليه فخامى عنه أبو بكر ابن مقاتل ثم رأى انه يغالط ابن البريدى بكتاب اليه فقال للكو في . انه بلغني ان صاحبك خاطب أهل البصرة بما أنا معرض عنه فانه ربما وقع التزيد في مثله ولكن أكتب اليه . ان الذى أنكرته قبولاك الحجرية فأما اذا تردم وأما ان تطردم ^(٣) وان استأذنوك في ناحية يقصدونها فاضمم اليهم من رأيت من قوادك وانفذهم الى الجبل وهذا المسكر الذى أنفذته الى حصن مهدي فانا أعلم انه لما اتصل ورود المهجرى الى الكوفة استظهرت بانفاذه ليعين من فيها عليه ان احتيج الى ذلك وقد استغنى الآن عنهم وفي مقامهم بالحصن مع الاستغناء عنهم تسليط الظنون السيئة عليك وإيجاد اعدائك سبيلا الى التضريب بينى وبينك وبلغنى انك قد كنت أنفذت أبا جعفر محمداً غلامك الى السوس

(١) كان قدم مصر في هذه السنة : كذا في كتاب الولاة للكندى ص ٢٨٧

(٢) قال صاحب التكملة : وفي سنة ٣٤٠ مات أبو القاسم الكلواذى بعد الفقر

(وكان قد أنفذه على الحقيقة) وأمرته أن يقصد الطيب وقيم بها اشفاقاً من أن يلحقني وهن من القرامطة فان احتيج اليه لحماية واسط كان قريباً واني لما وافيت كاتبته بالانصراف فماد الى الاهواز وهذا مشكور فاعمل في أمر اقبال ومن أنفذه الى حصن مهدي كهذا العمل ثم أنا لك على الوفاء . فكتب السكوفي بهذا كله فكان الجواب : ان جيشه القديم متشبثون بالحجرية لانهم أقاربهم وبين القوم وصل ورحم وبلدية ولا يمكن إخراجهم جملة واحدة ولكنه على الايام يفرق شملهم وان الاخبار تواترت بان القرمطي لما انصرف عن الكوفة قصد البصرة واستجار به أهلها فانفذ^(٥٥٧) هذا المسكر اشفاقاً عليها وانهم قد حصلوا بها .

وكان البريدي ساعة ورود الخبر عليه بنزول ابن رائق واسط انفذ الى من بحصن مهدي بدخول البصرة فدخلوها بعد ان انفذ من الحجرية قطعة وافرة لماضيتهم على دخولها . واخرج محمد بن يزداد مكان الصغدي وتسكين وكانا تركيين من شحنة البصرة لحربهم فوقعت بينهم وقعة في نهر الامير انهزم بها الراقية ثم زاد محمد بن يزداد في عدتهم بالاثبات وبذلان نفسه فكانت الوقعة الثانية بكسر ابان وبينها وبين الالبلة فرسخ فانهم الراقية هزيمة ثانية ودخل اقبال وجيش البريدي البصرة . وأما محمد بن يزداد صاحب ابن رائق فانه فتح باب البصرة وهرب على طريق البر الى الكوفة وأما مكان وتسكين ورجال الماء الراقية فانهم اهدوا في زبازبهم الى واسط . وورد الخبر على ابن رائق بحصول اقبال غلام البريدي وأصحابه بالبصرة وجواب كتاب السكوفي في أيام متقاربة فانفذ رسولا الى البريدي برسالة

قسمها بين ارغاب وارهاب ووعد ووعيد فكان من جوابه : انه لا يمكنه ردّ رجاله من البصرة لان اهلها قد أنسوا بهم واستوحشوا من قبيح^(٥٥٨) ما علمهم به ابن يزداد في أيامه لان القرطبي طامع في البلد وليس يأمن متى كاتبهم بالانصراف ان يدخل القرامطة الى البصرة ضرورة لثلا تعود المعاملة بين اهلها وبين ابن يزداد بعد ان كاشفوه .

وقد كان لعمري أهل البصرة في نهاية الاستيحاء من ابن رائق ومحمد بن يزداد فان محمد بن يزداد سار بهم سيرة سدوم وظلمهم في معاملاتهم ظمًا مفرطًا وسامهم الخسف وكانوا قد اعتادوا العزّ وقدّروا بالبريدى خيراً ثم رأوا منه ومن أخويه ما ودّوا انهم أكلوا الخرشف والخرنوب وصبروا على محمد بن رائق ومحمد بن يزداد ومعاملته . ولما عاد الرسول بالجواب كان ابن رائق قد استدعى بدر الخرشني وأكرمه وخلع عليه خلعاً سلطانيّةً وحمله . وترجع الرأي في تسيير الجيوش الى الاهواز والبصرة ثم استقرّ الرأي على ان يقلّد بحكم الاهواز بعد حديث لبجكم في ذلك مع ابن مقاتل سنذكره فيما بعد ان شاء الله . وخلع عليه ابن رائق لذلك وسيره وبدر الخرشني الى الاهواز وضمّ اليه ابن أبي عدنان الراسبي^(١) دليلاً ومعيناً وانفذ حاجبه فاتك وعبد العزيز الرائقي وأحمد بن نصر القشوري وبرغوثاً وأمرهم ان يقيموا^(٥٥٩) بالجامدة ويحصل جيش البريدي بين حلقى البطان فبادر بحكم ولم يتوقف على بدر الخرشني وتقدّم امامه فوصل الى السوس واخرج البريدي محمداً غلامه المعروف بأبي جعفر الجمال في عشرة آلاف

(١) وليراجع مقال في حق أبي عدنان ياقوت الحموي في معجم البلدان ٢ : ٦١٧ في

رجل بأتم آلة وأكمل سلاح للحرب ف وقعت الحرب بظاهر السوس ومع
بجكم مائتان وتسعون غلاماً من الأتراك فانهزم البريدية يوم نزول بدر
بالطيب وقال بجكم : انما بادرت وحملت علي نفسي ما حملت ولا قيت هذه
العدة العظيمة بهذه العدة اليسيرة لئلا يشركني بدل في الفتح .

وعاد ابو جعفر الجمال الى أبي عبد الله البريدي فصفعه بخنقه وقال :
انهزمت مع عشرة آلاف من بين يدي ثمانمائة غلام . فقال له : أنت ظننت
انك تجارب يا قوتنا المدير وجيشه المدابير قد والله جاءك من ات بجكم
والأتراك خلاف ما عهدت من سودان باب عمان والمولدين . فقام اليه
فلكمه يده ثم قال له : قد انقذت أبا الخليل الديلمي ومن معي من العجم
ومن كان يخلف بالاهواز في ثلاثة آلاف رجل الى تستر فانهز الساعه مع من
صحبك اليها حتى تجتمع معهم وتعاود الحرب . فقال : افعل وسنعود اليك
هذه السكرة بأخزي من السكرة الاولى لان^(٦٠) هية بجكم قد تمكنت
في نفوس أهل العسكر . ونفذ الوقت في ثلاثة آلاف رجل ووافى بجكم
الى نهر تستر فطرح نفسه وغلمانهم أنفسهم في الماء للعبور سباحة وكان الماء
قليلاً فانهزم القوم بغير حرب وعادوا الى أبي عبد الله . فخرج في الوقت
مع أخويه وجاسوا في طيار ومعهم حديد في ثمانمائة الف دينار كانت
في خزائهم ففرقت بالنهر وان غرق الطيار وأخرجهم الفواصون
وأخرج لبجكم بعض المال . فقال أبو عبد الله : ما نجونا والله من الغرق
بصالح أعمالنا ولكن لصاعقة يريد بها الله بهذه الدنيا . فقال له أبو يوسف :
ويحك ما تدع التناذر في هذه الحال اثم وافوا البصرة ودخل بجكم الاهواز
وكتب الى ابن رائق بالفتح .

ولما وصل أبو عبد الله إلى الأبلّة ومعه أخواه أنفذ أقبالا غلامه إلى مطاراً وأقام هو وأخواه في طياراتهم وأعدّوا ثلاثة سراكب للهرب منها إلى عمان إن اتفق على أقبال بمطاراً من الهزيمة مثل ما تمّ على أبي جعفر بالسوس. وأخرج أبو عبد الله البريدي أبا الحسين ابن عبد السلام لمعاودة أقبال فأنهزم الرائقية وأسروا برغوث وحمل به إلى البريدي فأطلقه وكتب إلى ابن رائق كتاباً يستعطفه^(٥٦١) فيه وأنفذه إليه مع برغوث ودخل البريديون الثلاثة إلى الدور فنزلوها وسكنوا واطمأنوا ولم يمكن بحكم أن يسير من الأهواز لخلو الأهواز من آلة الماء وشغب رجال بدر عليه فأنصرف إلى واسط وملك بحكم الأهواز. ولما عرف ابن رائق ماجري على رجاله في الماء أنفذ أبا العباس أحمد بن خاقان وجوامرد الرائق إلى المذار على الظهر لمحاربة البريدي وأخرج أصحابه وسير بدرا الخرشني إلى البصرة في الماء في شذات مقيرة بناها بواسطة فأنهزم الرائقية من المذار وأسروا أبو العباس ابن خاقان ورجع جوامرد إلى واسط وأحسن البريدي إلى ابن خاقان واستجلفه ألا يعود لمحاربه ولا يشايخ عليه وأطلقه. واتصل خبر هذه الهزيمة بابن رائق فسار بنفسه من واسط إلى البصرة على الظهر وكتب إلى بحكم أن يلحق به إلى عسكر أبي جعفر فاتفق أن سار بدر الخرشني في الماء إلى نهر عمر ووافى إلى البصرة وملك شاطئ السكّلا وحصل أقبال غلام البريدي في حدود واسط لما عرف خروج ابن رائق عنها وبلغ ابن رائق ذلك فرد فاتكا حاجبه إلى واسط ليحفظها

ولما ملك بدر الخرشني السكّلا هرب أبو عبد الله البريدي للوقت إلى جزيرة أوال وخرج من كان بالبصرة من الجند لدفع^(٥٦٢) بدر وانضاف

اليهم عالم عظيم من العامة فاضطر بدر الى الافراج عن شاطئ الكلا وحصل بالجزيرة التي بازائه واستتر أبو يوسف البريدي وركب أخوه أبو الحسين يحض الجند والعامة ووافى بجكم الى ابن رائق وهو في عسكر أبي جعفر يوم ورود بدر الكلا ولما كان وقت العصر عبر ابن رائق وبجكم دجلة البصرة ودخل نهر ديس وتبعهما احمد بن نصر القشوري فرمى بالحجارة وغرق زبربه واجتمع بدر وابن رائق وبجكم في الجزيرة ^(١) فشاهدوا أمراً عظيماً وخطباً جليلاً من العامة وتكاثروا عليهم فقال بجكم لابن رائق: ما الذي عملت هؤلاء القوم حتي قد اخرجتهم الى ما خرجوا اليه؟ فقال: لا والله ما أدري وانصرف بجكم وابن رائق الى عسكر أبي جعفر ولما جن الليل وجاء المد انصرف بدر اليهما . وبلغ اقبالا خبر بدر في نفوذه في الماء الى البصرة من الجامدة ومخالفته اياه الطريق فسكر راجعاً ووافى في اليوم الثاني وقت العصر الى شاطئ الكلا ونفذ الى شاطئ الابله وحال بين ابن رائق وبجكم وبدر وبين الابله وصارت الحرب في دجلة وطالت المنازلة

ونفذ أبو عبد الله البريدي من جزيرة أوال الى فارس واستجار بعلي ابن بويه فأتته معه ^(٦٦٣) أخاه أبا الحسين أحمد بن بويه لفتح الاهواز وورد الخبر بذلك على ابن رائق وأصحابه فنقدم ابن رائق الى بجكم بالمبادرة

(١) قال أبو بكر الصولي في الاوراق : ورد الخبر بوقعة كانت لابن رائق على دجلة البصرة ودخل نهر معقل ووافى البصرة فمعجل بعض أصحابه فطرح حريقاً في جزيرة جبال البصرة وكان يبلغ أهل البصرة انه يريد قتلهم واحراق بلدنهم وخاطب بذلك بعض رؤساء البصرة ممن قصده . فلما رأى ذلك أهل البصرة أعانوا البريديين فهزم ابن رائق وأفلت هو وبجكم من أن يؤخذوا ورجع الى دجلة البصرة فمسكر بموضع يعرف بمسكرا بني جعفر فهو معقل . فلما طال الامر عليه صاعد الى واسط

الى الاهواز لحمايتها فقال بجكم : لست أحارب الديلم وأدفعهم عن الاهواز
الا بعد ان تحصل لى أمارتها حربا وخراجا وأنت تعلم انى ما صبرت لابی
العباس الخصبى لما قلده الاهواز حتى صرفته اصبر لعل بن خلف بن
طناب أن يتحكم في بلد أحارب عنه ؟ (وكان على بن خلف بالاهواز من
قبل الوزير أبى الفتح) فضمن ابن رائق بجكم الاهواز وكورها بمائة وثلاثين
ألف دينار محمولة في السنة على أن يوفى رجاله ما لهم ويستوفى ما يخصه وغلمانهم
وأقطعه أقطعا بخمسين ألف دينار . ولما كان بعد شهر أو دونه من نفوذ
بجكم الى الاهواز انصرف ابن رائق أيضا من عسكر أبى جعفر ونضى الى
الاهواز وأحرق ما بقى من سواده لاتفاق سيىء اتفق عليه

﴿ ذكر اتفاق سيىء اتفق على ابن رائق حتى انهزم ﴾

﴿ الى الاهواز وأحرق سواده ﴾

كان طاهر الجبلى وافى الى واسط مستأمنا الى ابن رائق فلم يجده بها
وقصده الى عسكر أبى جعفر فتلقاه في طريقه كتاب ابنه وجاريته بحصولهما
في يد ابن البريدى لان أبا عبد الله كان ^(٥٦٤) بفارس فقبل ابنه وجمع بينه وبين
الجارية فعب بالليل فى مائتى رجل . وزعم بابن رائق وبدر الخرشنى ووازره
جميع أصحاب البريدى من عسكر الماء فلما بدر فانه انهزم الى واسط وأما ابن
رائق فانه نضى الى الاهواز وأكرمه بجكم وخدمه وأشير على بجكم بالتقبض
عليه فلم يفعل وأقام أياما حتى وافاه من واسط فاتك غلامه ثم سار اليها
وخاف بجكم بالاهواز

وأما حديث بجكم مع ابن رائق الذي وعدنا به فهو ما حكاه ثابت
ابن سنان عن والده سنان

﴿ ذكر حكاية عن بحكم تدل على حصافة وبعد غور وكبر همة ﴾
قال ثابت : حدثني والدي ان بحكم قال له بعد ان ملك الحضرة وازال
أمر ابن رائق في عرض حديث جرى بينهما : سبيل الملك اذا حزبه أمره
من الامور ان يكون جميع ما يملك من مال وغيره أقل في عينه من التراب
وان يحذف جميعه كما حذفت هذه الحصاة فيما يقدر به زوال ما قد أظله فان
دولته اذا ثبتت أمكنه ان يستخلف اضعاف ما خرج عن يده وان هو بخل
وشحّت نفسه وتهيب إخراج ما في يده ذهب ما بخل به وذهبت معه نفسه.
اذكر وقد قلّدتني ابن رائق الاهواز ولم يكن ما فعله من ذلك برأى أبي بكر
ابن^(١٠) مقاتل ولا شاوره فيه فلما بلغ ابن مقاتل الخبر شق عليه ذلك جداً
وبادر الى ابن رائق وقال له : أي شيء عملت قد عزمت على ان تقلّد بحكم
الاهواز ؟ قال ابن رائق : نعم . قال : قد أخطأت على نفسك نهاية الخطأ
أنت لا تقوى بني البريدي وهم كتاب أصحاب دراريع ولا يمكنك صرفهم
ولا انتزاع المال^(١١) من أيديهم تقلّد رجلاً تركيا صاحب سيف انما صعبك قريباً
مثل الاهواز ماهو الا ان تحصل الاهواز في يده ويرى جلالها وحسنها
وكثرة أموالها وما يحصل عنده من الجيش بها حتى تحدّثه نفسه بالتغلب عليها
ثم لا يقتصر عليها حتى يطمع في غيرها وتنازعته نفسه الى ان ينزعك أمرك
ويزيلك عن موضعك ويصير هو مكانك ليأمن على ما حصل له ولا يكون
له منازعة عليه وأنت الساعة على طمع في ان تنزع البلد من يد البريدي فان
قلّدت بحكم فاحسب طمعك عنها وأخرجها من قلبك واصرف همّك الى
حفظ غيرها وليته ينحفظ ا واحفظ مهجّتك فقد عرضتها للتاف. فتدأ رأى

ابن رائق وصرفه عما عزم عليه في أمرى ولعمري لقد صدقته ونصحته
وأشار بالرأى الصحيح (٥٦٦)

وبلغنى ماجرى بينهما فقامت قيامتى منه ورأيت أنه يفوتنى ما حدثت
نفسى به من الملك فقلقت وشاورت محمد بن ينال الترجمان فلم يكن عنده
رأى فأخذ يسألني ويقول لى : أنت فى نعمة وراحة ومهلك من هذا الملك
محلّ الاخ . فقلت له : أنت أحق امض حتى تعد سميرية فى هذه الليلة
المقبلة . وعملت على قصد ابن مقاتل وعلمت أنه تاجر عامي صغير النفس
وان الدرهم ليعظم في نفوس أمثاله فلما كان الليل ونام الناس حملت معي عشرة
آلاف دينار ونزلت الى السميرية وأخذت معي محمد بن ينال وحده ولم
أخذ^(١) غلاما وصرت الى بابه فوجدته مغلقا ودققت نفاطبني بوابه من وراء
الباب واعلمني ان الرجل نائم وان الابواب بيني وبينه مغلقة فقلت له : دق
الباب وانبهه فاني حضرت في مهم . ففعل ودخلت اليه وقد انزعج عن
فراشه لحضوري في مثل ذلك الوقت فقال : ما الخبر ؟ فقلت : خير وأمر
أردت ان القي به اليك على خلوة فانتظرت نوم الناس وخلوت الطريق ولم
أخذ معي غير الترجمان ولولا أني أردته ليرجم بيني وبينك لما أحضرته
ولا أطلعت على ما أخاطبك به . (قال) فقال : قل ما تحب . قلت : قد
علمت ما كان عزم عليه الامير^(٥٦٧) في بابي من تقليدى الاهواز وبلغنى انه
توقف عن ذلك ولست أعرف سبب توقفه وفي إبطاله ما عزم عليه بطلان
جاهي بعد اشتهاره وغيض مني ولا يشك أحد انه لسوء رأى . وأنا صنيعتك
وصنيعته وغرسكما وان لم أحظ في أيامكما فتى أحظى وأى مقدار يكون لى

ند الناس؟ وهذه عشرة آلاف دينار قد حملتها الى خزانتك وأنا أعلم انه قبل منك وأريد ان تشير عليه بامضاء ما كان عزم عليه . فلما رأى الدنانير خربق وقال : دعني وانصرف في حفظ الله . فتركت الدنانير بحضرتة وانصرفت وأنا واثق بحصول الاهواز لي فلما كان بعد ثلاثة أيام صار ابن مقاتل الى ابن رائق فقال له : اشرت بذلك الرأي على الهاجس وظاهر النظر فلما تأملت الحال وجدت الصواب معك لانك ان تركت الاهواز في يد ابن البريدي واخوته بعد ما حصل لهم من الاموال ازداد كل يوم قوة وطمعاً ومدوا أيديهم الى غيرها من أعمالك وبلدانك ودب فسادهم الى عسكريك بكثرة ما يبذل ويمطى ولا يبعد بعد ذلك منازعتهم لك على أمرك هذا وان خرجت اليهم بنفسك فهي حرب ولا تدري كيف تكون فان كانت عليك لم تشد منها حزاماً أبداً . وان وجهت^(٥٦٨) بغير بحكم استضعف وغلب وكسر ذلك قلوب أصحابك ولأن تصددهم بمثل بحكم وهم لا يطعمون في مقاومته أصلاً فان حصل له البلد استأصل شاقته ثم أنت مالك أمرك ان شئت أقررتة وان شئت صرفته قبل ان يتمكن وقبل ان يجتمع أمره ويحدث نفسه بشئ تكرهه فاستغفر الله وامض أمره . فقبل رأيه وامضى أسرى وقلدني ولم استقل ولاية الاهواز بذلك المال . وباع ابن مقاتل روحه وروح صاحبه ونعمته بعشرة آلاف دينار واستخافت انا مكان الدنانير اضماها وحصل لي ملك ابن رائق .

﴿ شرح حال أبي الحسين أحمد بن بويه وأبي عبد الله البريدي ﴾

﴿ في قصدهم الاهواز لمحاربة بحكم وذلك في سنة ٣٢٦ ﴾

(ودخلت سنة ست وعشرين وثلثمائة)

قد ذكرنا حال أبي عبد الله البريدي وقصده على بن بويه وأنه تقدم إلى أخيه أحمد بن بويه بالمسير إلى الأهواز معه. وخلف أبو عبد الله البريدي عند علي بن بويه ابنه أبا الحسن محمد وأبا جعفر الفياض رهينة وسار مع الأمير أبي الحسين أحمد بن بويه إلى الأهواز. وورد الخبر على بحكم بنزول أحمد بن بويه أرجان فخرج بحكم لحربه فانهزم من بين يديه وكان أوكد^(٥٦٩) الأسباب في هزيمته أن المطر اتصل أياما كثيرة فغطت القسي ومنع ذلك الاتراك أن يرموهم بالنشاب فعاد بحكم وأقام بالأهواز. وقطع قنطرة اربق وانفذ محمد بن ينال الترجان إلى عسكر مكرم ووقعت المنازلة بينه^(١) وبين محمد بن ينال الترجان ثلاثة عشر يوما. ثم عبر أحمد بن بويه بخمسة من الخاصة في سميرية إلى مشرعة يعرف بمشرعة الحماس (كذا) فهزموا من كان رتب فيها وما زال يعبر يقوم بعد قوم حتى حصل ثلثمائة رجل في الجانب الغربي ثم ضربوا بالبوق واشتلموا فانهزم الترجان وأخذ إلى تستر. وبلغ الخبر بحكم فغير دجلة الأهواز وقبض على الوجوه بها وفيهم ابن أبي علان وأبو زكريا السوسي وحمل الجميع معه والتقى مع الترجان بالسوس وسار بجميع عسكره إلى واسط

ولما حصل بالطيب كتب إلى ابن رائق بالخبر وأنه قد حرب هو ورجاله فلم يبق لهم حال وان الرجال سيطاؤونه وان كان عنده مائتا ألف دينار ينفقها فيهم فانهم فقراء فالوجه ان يقيم وان كانت متعذرة فالصواب ان يصعد إلى بغداد فانه لا يأمن ان يقع شغب ولا يدري عن أي شيء ينكشف.

(١) فالواضح انه « بين معز الدولة أحمد بن بويه » كما في النسخة

فرهب ابن رائق هذه الحال وبادر وخرج الى ^(٥٧٠) بغداد بعسكره ودخل
بجكم وأصحابه واسطا وأقاموا بها . واعتقل الاهوازيين وطالبهم بخمسين الف
دينار فقال أبو زكريا يحيى بن سعيد : أردت ان أسبر ما في نفسه من طالب
العراق فراسلته وقلت له : أيها الأمير أنت مطالب بملك ومرشح نفسك
لخدمة الخلافة تعتقل قوما منكوبين قد سلبوا نعمهم وتطالبهم بمال في بلاد
غربة وتأمر بتعذيبهم حتى جعل في امسناطشت فيه جمر على بطن سهل بن
نظير الجهبذ أولاً تعلم ان هذا اذا سمع به أوحش منك وحاربك وعاداك من
لا يعرفك ولا سمع بخبرك فضلاً عن تحقق فعلك هذا أو ما تذكر انكارك
على الأمير ابن رائق بالامس إيجاشه أهل البصرة وعوام بغداد اضعافهم؟
وقد سمات نفسك في أمرنا على مثل ما كان يعمله مرداويج بأهل الجبل
وهذه بغداد ودار الخلافة لا الرى واصبهان ولا تحتل هذه الاخلاق .
فلما سمع ذلك انحل وأمر بحل ^(١) القيود وازال المطالبة ثم شفع ابن رائق وابن
مقاتل والكو في يحيى بن سعيد السوسى فاطلقه واختصه لعقله ولما تبينه
من نفاقه على كل أحد وشفع يحيى بن سعيد في الباقيين وكفل بهم فاطلقهم .
ولما عرف على بن بويه حصول ^(٥٧١) طاهر الجيلي بالبصرة وفي نفسه
عليه ما كان عامله به بارجان كتب الى أخيه أبي الحسين ان يطالب أبا عبد
الله البريدى به ويتقبض عليه ففعل ذلك وانفذ الى فارس . ولما انهزم الترجان
عبر أحمد بن بويه الى غربي عسكر مكرم وجلس على شاطئ المسرقان ومعه
أبو عبد الله البريدى حتى عقد الجسر الاعلى بها وعبر بياق رجاله من غد .
وعاد اليه جواسيسه من سوق الاهواز وعرفوه انه لم يبق بها أحد ونزل

البريدى داراً على شاطئ نهر المسرقان ووافاه أهل الاهواز باجمعهم مهئين وداعين . وكان يحرم الربع وفيمن حضره يوحنا الطيب وكان متقدماً في صناعته فقال له أبو عبد الله البريدى : اما ترى يا أبا زكريا حالى ؟ فقال له : خايط (يعنى فى المأكول) لترى بالأخلاق . فقال له : أكثر بما خلطت يا أبا زكريا قد أرحجت ما بين فارس والخضره فان اقنعتك ذلك والآن ملت الى الجانب الآخر وارجت الى خراسان .

ولما كان فى اليوم الخامس رحل أحمد بن بويه الى الاهواز وخاف بمسكر مكرم ثلاثة من القواد فأقام أبو عبد الله معه خمسة وثلاثين يوماً ثم هرب منه فى الماء الى الباسيان وأقام بها وكاتبه بعقب كثير وتصرف^(٥٧٢) فى ضروب من القول اقامة لحجة نفسه فيما استعمله ولم يكره المقام عنده لضيق المال فانه كان سلم الى أبى على العارض ضمانات وخطوطاً فصح فى شهرين بخمسة آلاف ألف درهم وصح منها الى يوم هربه صدر كثير ذكر السبب فى هرب البريدى

كان طوالب باحضار عسكره من البصرة على أن ينفذهم الى اصبهان لمضامة الامير أبى على الحسن بن بويه على حرب وشمكير فوافى بأربعة آلاف رجل وقال للامير أبى الحسن أحمد بن بويه : ان أقاموا بالاهواز وقعت فتنة عظيمة بينهم وبين الديلم والرأى أن يخرجوا الى السوس مع محمد المعروف بالجمال حاجي وأسبب بهم عليهم وعلى جنديسابور حتى يقبضوا وينفذوا على طريق البنيان الى اصبهان . فأجابه الى ذلك ثم طالبه أن يحضر رجال الماء الى حصن مهدى حتى يشاهدكم فاذا عاينهم سيرهم فى الماء الى واسط وسار أحمد بن بويه بالديلم على طريق السوس اليها . فاستوحش

البريدى من ذلك استيجاشاً شديداً وظن أنه انما يريد أن يفرق بينه وبين
عسكره وقال : هكذا عملت يياقوت فاني أخذت رجاله ثم أهلكته فاولم أتلم
الا من نفسى لكفاني استبصاري والله المستعان^(٥٧٣) . وكان الديلم أيضاً
يستخفون به ويشتمونه اذا ركب ويزعجونه من فراشه وهو محموم وتلقى
منهم ما لم تجر عاداته بمثله . وكانت السكراة متوفرة عليه من الامير أبي
الحسين ومن أبي على العارض^(١) فاما الباكون فكانوا يهينونه اهانة عظيمة .
ولما أراد الهرب قدم كتابه في صبيحة الليلة التي خرج فيها وعرف أبا
جعفر الجمال غلامه ما عزم عليه وأصره أن يسير الى الباسيان ومنها الى نهر
تيرى ثم الى الباذاورد والبصرة وتم ذلك على ما نظمه وحصل جيشه بالبصرة
موفورين . وانصلت المراسلات بينه وبين أحمد بن بويه في الافراج عن
قضية الاهواز حتى يردّها ويقوم بما عقده للامير على بن بويه على نفسه
من ضمان الاهواز والبصرة وهى ثمانية عشر ألف ألف درهم لسنة خراجية
ولا شفاق الامير أحمد بن بويه من أنكار أخيه على بن بويه هرب البريدي
استجاب الى حكمه . وانتقل الى عسكر مكرم وأقام بها في ظاهر داراباز
وكتب الى البريدي كتاباً انه قد أدخل الاهواز فانتقل البريدي من الباسيان
الى بناتاذر وأنفذ الى سوق الاهواز من يخلفه بها . وكتب الى الامير ان
نفسه لا تسكن الى ان تقيم في بلد على ثمانية فراسخ منه لانه لا يأمن^(٥٧٤)
كبسه ليلا وسامه أن ينتقل الى السوس فتبعد الدار بينهما فترسل في ذلك
القاضي أبو القاسم التنوخى وأبو على العارض واستقرت الحال على أن يحمل
البريدي ثلاثين ألف دينار اليه لينهضه فرد غلامى هذين الرسولين مع

غلام له بأربعة عشر ألف دينار وكتب بأه يوفيه تنمة الثلاثين الالف الدينار بالسوس . فاجتمع دنان وكان كاتب جيش الامير أحمد بن بويه وأبو جعفر الصيمري وكان تابعا لدنان وأبو الحسن المافروخي وكان يتولى عسكر مكرم الامير ويجزف ويأخذ المال من حيث لاح له فقالوا للامير أبي الحسين : قد سلك معك البريدى طريقه مع ياقوت وأخذ يبعدك الى السوس ويضايقك حتى يفل الرجال عنك ثم يأخذ المعابر الى نفسه وبين الاهواز وبين عسكر مكرم وتسترو بين السوس دجلة ويحتمل في تحصيلك ان استوى له . فاقشعر الامير أبو الحسين من ذلك وامتنع أن يخرج من عسكر مكرم وقال : هي على سمت الطريق الى فارس ولست أبعد عن الامير الكبير هذا البعد حتى يقطع بيني وبينه دجلة أولا ثم المسرقان . وعرف البريدى ذلك فنعى العارض والتنوخي من الرجوع ^(٥٧٥) واستحكمت الوحشة .

واتصل ذلك بيجكم فأتقذ قائدا من قواده يقال له بابا في ألفى رجل من الاكراد والاعراب والحشر والاثبات والموالدين الى السوس وجندي سابور للغلبة عليها وكاتب يعرف بالفياضى . وأقام البريدى بيناتاذر غالبا على أسافل الاهواز وتغلب المخاضية على تستر وبقي الامير أحمد بن بويه لا يملك من كور الاهواز الا عسكر مكرم قصبتها دون ما سواها فان أبا محمد المهلبى ^(١) (وكان فى هذا الوقت وكيل أبى زكريا السوسى) قطع المعابر وغلب على الحميدية والمسكول وقتل عاملا كان هناك بيد الاعراب والرجالة الذين أثبتهم . فكانت الصورة فيما دهم أحمد بن بويه غليظة جدا واضطرب رجاله وفارقوه بأجمعهم وعملوا على الرجوع الى فارس فعاضده أسفهدوست وموسى

فياذة حتى تلافوهم وردوهم وضمنوا لهم أن يرضوهم بعد شهر. وكتب أحمد ابن بويه الى أخيه بالصورة فأنفذ قائداً من قواده كان ساربان حماله عظيم المحل من أهل البأس والنجدة ثقة عنده يعرف بئلاً في ثلاثمائة رجل من الديلم ومعه خمسمائة ألف [درهم] ووافى معه كوردفير لان الامير أبا الحسين استدعاه لانه كان وزيره بكرمان^(٥٧٦) فلما حصل عنده كوردفير استكتبه للوقت وخلع عليه . وأبو على العارض معتقل بيناتاذر في يد البريدي وأثممه بمطابقة البريدي على جميع ماعمله أولاً وآخراً وكان الامير مبعضاً له وانما ضمه اليه أخوه الامير علي بن بويه لانه كان شاهده وزيراً لما كان الديلمي وكان كبيراً في نفسه وكان بحكم مملوكاً له فطلبه منه ما كان فأهداه اليه

وتقرر الرأي أن ينفذ بئلاً الى السوس في خمسمائة رجل ومعه أبو جعفر الصيمري عاملاً عليها وينفذ موسى فياذة الى بناتاذر في ثلثمائة رجل فهرب بالبا لما سمع خبر بئل وهرب البريدي الى البصرة . وسار موسى فياذة الى حصن مهدي فلما كان من أعمال البصرة وضارت الاسافل وراءه ودخل الامير سوق الاهواز فنزل دار أبي عبد الله البريدي وانتظمت له الامور . وحصل البريدي بالبصرة واستقامت لهم واستقر بحكم بواسط ينازع الملك بينداد وجمع ابن رائق أطرافه وأقام بها^(١)

ولما رأى الوزير أبو الفتح اضطراب الامور بالحفزة وما توذن به أحوالها أطعم ابن رائق في ان يحمل اليه الاموال من مصر والشام ويمدّها بها^(٥٧٧) وعرفه ان ذلك لا يتم له مع بعده عنها ووافقه على الشخصوس

(١) زاد فيه صاحب التكملة : وهو الذي وضع الماصير (المأصر) بينداد وما كانت سمعت بالوزير ائب من قبله. وأما المأصر فليراجع كتاب العلاقات النفيسة لابن رسته ص ١٨٥

وعقد بينه وبينه صهرًا بان زوّج ابنه أبا القاسم بابنة ابن رائق وعقد بين ابن رائق وابن طنج صهرًا^(١) وخرج مبادرًا إلى الشام على طريق الفرات .

وقد أبو بكر ابن رائق على بن خلف بن طناب أعمال الخراج والضياح بكور الاهواز وواقفه على النفوذ إلى عمله وان يتدبّر بابي الحسين بحكم ويلطف له حتى ينفذ معه لمحاربة الأمير أبي الحسين أحمد بن بويه ودفعه عن الاهواز وان يوافقه على ان يكون عدته خمسة آلاف رجل على ان يكون ماله ومال رجاله ان أقام بواسط ولم ينفذ إلى الاهواز ثمانمائة ألف دينار في السنة يأخذها من مال واسط وان نفذ إلى الاهواز وفتحها ألف ألف وثمانمائة ألف دينار في السنة يأخذها من مال الاهواز .

ولما وصل على بن خلف إلى واسط ولقي بحكم رأى بحكم ان يستكتبه ورأى على بن خلف ان يكتب له نخلع عليه وأقام عنده بواسط وأخذ جميع مالها .

وسفر أبو جعفر محمد بن يحيى بن شيرزاد في الصلح بين ابن رائق وبني البريدي فتم ذلك وأخذ ابن رائق خط الراضي بالله للبريديين بالرضا عنهم^(٥٧٨) وقطعت لهم الخلعة على ان يقيموا الدعوة لابن رائق بالبصرة ويجهدوا في فتح الاهواز وضمنوا حمل ثلاثين ألف دينار وأطلقت ضياحهم وكتب عن الراضي في هذا المعنى كتاب . وورد الخبر بمسير جيش البريدي إلى واسط فخرج إليه بحكم وأوقع بناحية الدرمان به وهزمه فجلس ابن رائق ببغداد في داره لاثنتيئة بذلك وأقام بحكم بموضعه مدة ثم بالمدار مدة ثم عاد

(١) وفي تاريخ الاسلام ان زوج مزاحم بن محمد بن رائق بنت محمد بن طنج وأما خروج أبي الفضل إلى مصر فليراجع كتاب الولاية لأبي عمر السكندی ص ٢٨٧

الى واسط . وكانت نية بحكم اذلال البريديين وقطعهم عن ابن رائق ونفسه متعلقة بالخضرة ^(١) فانفذ ثاني يوم الهزيمة على بن يعقوب كاتب الترجان المتولى كان للعرض عليه الى البريدي يعتذر اليه مما جرى ويقول : أنت بدأت بمراسلة ابن رائق وتعرضت لي وهذه كرتك الثانية فانك حملت الدليم الى الاهواز واعقبت ذلك بمراسلة ابن رائق وبذلت له مضافته على وقد عفوت وأنا أعاقبك وأعاهدك على ان أقلدك واسطاً اذا ملكت الخضرة . وجرى في أثناء ذلك قول في المصاهرة قال على بن يعقوب : فرأيت أبا عبد الله البريدي وقد سجد شكراً لله تعالى لبحكم على ما ابتدأ به ثم استجاب لكل ما أرادته منه ولما سمته أياه ^(٢) واحضر القاضي أبو القاسم التنوخي وأبا القاسم ابن عبد الواحد وحلف بحضرتيهما واشهد على نفسه في خط كتبه بالوفاء بجميع ما عقدته معه وبرني بثلاثة آلاف دينار وقال لي « سأحمل اليه والاطفه حتى يعلم اني أصالح لخدمته » وعدت الى بحكم وخبرته بما جرى فقال لي : يا أبا القاسم كأوتته ^(٣) على رأسه ؟ فقلت : أيها الأمير ما معنى هذا وكيف سألتني عنها ؟ فقال لي . اني كنت رأيته فعرّفتني . قلت : نعم قد رأيته . فقال : يا أبا القاسم هي على رأس شيطان لا على رأس بشر . فقلت : أيها الأمير أنت ما رأيته فكيف قلت هذا ؟ قال : بلى رأيته يوم وقعتنا بارجان وقد تعمم على كأوته وعزمت على ان افوت اليه سهماً فقطن

(١) قال صاحب التكملة : فجزع بحكم لهذا الصالح (يعني بن ابن رائق وبين البريدي) وأشار عليه يحيى بن سعيد السوسي بحرب البريدي . فانفذ اليه البريدي أبا جعفر الجمال فالتقيا بشايرزان فانهمز الجمال . وانفذ يعاتب البريدي ويقول له الخ (٢) وهو نوع من الآزرة

لما أردته وإنما لمح طرفي من بعيد فنزع تلك العمامة والسكاوتة وجعلها على رأس غيره وتنحى هو وأقامه مقامه فقلت « ذلك المسكين بلا ذنب » وافلت هولعنه الله فانه كاذب في جميع ما قاله وحلف عليه ولكن تقبل ذلك منه لحاجتنا الى قبوله. وانصرف بحكم الى واسط وأخذ في التدبير على ابن رائق ﴿ وفي هذه السنة قطعت يد أبي علي ابن مقلة ثم لسانه ﴾

﴿ ذكر السبب في ذلك ^(٥٨٠) ﴾

كان ابن رائق لما صار اليه تدبير المملكة قبض ضياع أبي علي ابن مقلة وابنه. فلما صار الى الحضرة لقيه أبو علي ابن مقلة ولقى أبا عبد الله الحسين ابن علي النوبختي ^(١) ثم بعده أبا عبد الله الكوفي وأبا بكر ابن مقاتل فاستحيوا منه وتذلل للجماعة وسأل رد الضيعة المقبوضة عليه فوعد بذلك ومطل مطال متصلا. فلما رأى أبو علي المطل متصلا والوفاء لا يصح أخذ في السعي على ابن رائق من كل جهة فكتب الى بحكم يطعمه في الحضرة وفي موضع ابن رائق وكتب بمثل ذلك الى وشمكير بالري. وكتب الى الراضي بالله يشير عليه بالقبض على ابن رائق وأسبابه ويضمن انه متى فعل ذلك استخرج له ثلاثة آلاف الف دينار ويصححها وأشار باستدعاء بحكم ونصبه مكان ابن رائق فانه أكثر طاعة وكانت مكاتبة للراضي على يد علي بن هرون ابن المنجم النديم ^(٢). فاطمعه الراضي في ذلك فكتب ابن مقلة الى بحكم يعرفه ان الراضي قد استجاب الى أمره وان الامر تام ويستحش على التعجل. فلما توثق ابن مقلة عند نفسه من الراضي وافقه على ان ينحدر اليه سرا ويقيم

(١) قال صاحب التكملة انه توفي في سنة ٣٢٦ بعلة السل

(٢) وردت ترجمته في ارشاد الاريب ٥ : ٤٤٠

عنده الى ان يتم التدبير على ابن رائق . فركب من داره في سوق العطش في ^(٥٨١) سميرية وعليه طيلسان وخف وصار الى الازج بباب البستان وركب السميرية ليلة الاثنين ليلة تبقى من شهر رمضان وانما نعد تلك الليلة لان القمر تحت الشعاع وهو يختار الامور المستورة . فلما وصل الى دار السلطان لم يوصله الراضي اليه واعتقله في حجرة ووجه من غد بابن سنجلا الى ابن رائق واخبره بما جرى وانه احتال على ابن مقلة حتى حصله عنده وما زال المراسلات تتردد بين الراضي وبين أبي بكر ابن رائق . فلما كان يوم الخميس لاربعم عشرة خات من شوال أظهر الراضي بالله أمر ابن مقلة وأخرجه وحضر فاتك حاجب ابن رائق وجماعة من القواد فقطعت يده اليمنى وردت الى محبسه وانصرف فاتك الى ابن رائق فاخبره بما شاهد من قطع يد ابن مقلة

قال ثابت : فلما كان في آخر هذا اليوم استدعاني الراضي وأمرني بالدخول اليه وعلاجه فصرت اليه فوجدته في حجرة مقلة عليه فقطع الخادم الباب فدخلت فرأيت به حال صعبة فدمعت عينه حين رأي ووجدت ساعده قد ورم وورما عظيما وعلى موضع القطع خرقه غليظة كردوانى كحيلة مشدودة بخيط قنب خللت ^(٥٨٢) الشدة ونجيت الخرقه فوجدت تحمها على موضع القطع سرجين الدواب فنفضته عنه واذا رأس الساعد أسفل القطع مشدود بخيط قنب قد غاص في ذراعه لشدة الورم وابتدأ ساعده يسود . فعرفت انه سبيل الخيط ان يحل ويحمل موضع السرجين كافور ويطل ذراعه بالصندل وماء الورد والكافور قال : فافعل . فقال الخادم الذي دخل معي : حتى استأذن مولانا . ومضي يستأذن ثم خرج ومعه خزانة كافور وقال لي : قد أذن مولانا ان

تعمل ما ترى وان ترفق به وتقدم العناية به وتلزمه الى ان يهب الله عافيته. خللت الخيط وفرغت الخزانة في موضع القطع وطلبت ساعده فعاش واستراح وسكن الضربان ولم أفارقه حتى اغتدى بشيء يسير من فروج ثم حلف انه ليس يسوغ له شيء آخر وشرب ماءً بارداً فرجعت اليه نفسه وانصرفت. ثم ترددت اليه أياماً كثيرة الى ان عوفي وكنت اذا دخلت اليه يستأني عن خبر ابنه أبي الحسين فاعرفه استتاره وسلامته فتطيب نفسه ثم ينوح ويكي على يده ويقول: قد خدمت بها الخلافة ثلاث دفعات لثلاثة من الخلفاء وكتبت بها القرآن^(٥٨٣) دفعتين تقطع كما تقطع أيدي اللصوص ائذ كر وأنت تقول لي «أنت في آخر نكبة وان الفرج قريب» فقلت: بلى والآن ينبغي ان تتوقع الفرج فانه قد عمل بك ما لم يعمل بنظير لك وهذا انتهاء المكره وما بعد الانتهاء الا الانحطاط. فقال: لا تفعل فان المحنة قد تشبثت بي كما تشبثت حمى الدق بالاعضاء فلا تفارقي حتى تؤدني الى الموت: ثم تمثل بهذا البيت:

اذا ما مات بعضك فابك بعضاً * فبعض الشيء من بعض قريب

فكان الامر على ما قال.^(١)

(١) وروي غير هذا الحافظ الذهبي في ترجمة ابن مقلة في تاريخ الاسلام قال: وعن الحسن بن علي بن مقلة قال: كان امر أخيه قد استقام مع الرازي وابن رائق وأمرأ برد ضياعه وكان الكوفي يكتب لابن رائق وكان خادماً لابن علي قديماً وكان ابن مقاتل مستولياً على أمر ابن رائق وأبو علي يراه بصورته الاولى. وكانا يكرهان ان يرد ضياع أبي علي ويدافعانه وكان الكوفي يريد من أبي علي ان يخضع له وأبو علي يتحاقق فكنا نشير عليه بالمدارة وهو يقول: والله لافعلت ومن هذا الكلب أوضعني الزمان هكذا بجره. فاتفق انهما اتياه يوماً فاقام لهما ولا احترمهما وشرع يخاطبهما بادلال زائد ثم أخذ يهود ويتوعد كانه في وزارته. فكان ذلك سبباً في قطع يده وسجنه

ومن عجائبه انه كان يرسل الراضي من الحبس بعد قطع يده ويطعمه في المال ويشير بأن يستوزره ويقول ان قطع يده ليس ممّا يمنع من استيزاره

وقال محمد بن جنى صاحب أبي على قال : كنت معه في الليلة التي عزم فيها على الاجتماع بالراضي بالله وعنده انه يريد ان يستوزره (قال) فلبس ثيابه وجاؤه بعمامة وقد كان اختاروا له طامعاً ليضي فيه الى الدار فلما تعمم استظاها خوفاً من فوات وقت اختيار المنجمين له فقطعها بيده وعرزها فتطيرت من ذلك عليه . ثم انحدروا الى ذكي الحاجب ليلاً فصعدت اليه واستأذنت له فقال : قل له « أنت تعلم أبي صنيعةك وانك استعجبتني لمولاي ومن حقوقك ان أصبحك قل له انصرف ولا تدخل » فصعدت فاخبرته فاضطرب وقال لابن غيث النصراني وكان معه في السميرية : ما ترى ؟ فقال له : ياسيدي ذكي عاقل وهولك صنيعة وما قال هذا الا وقد أحس بشيء فارجم . فسكت ثم قال : هذا محال وهذه عصبية منه لابن رائق وهذه رقاع الخليفة عندي بخطه يخاف لي فيها بالايان الغليظة كيف يخفوني ؟ ارجع فقل له « يستأذن » فرجعت فاعلمته فحرك رأسه وقال : ويحك يتهمني قل له « والله لاستأذنت لك أبداً ولا كان هذا الامر بمعاونتي عليك » فجئت فحدثته فقام في نفسه ان هذا عصبية من ذكي لابن رائق فقال : لو عدنا الى باب المطبخ . فعدنا اليه فقال : اصعد فاستدع لي فلانا الخادم . فاقبته فمسداً مسرعاً يستأذن له فجئته فاخبرته فقال : ارجع وقف في موضعك اثلاً يخرج فلا يجرك . فرجعت فنخرج الى وجاء معي الى السميرية وسلم عليه ولم يقبل يده فقال : قم ياسيدي . فانكر ذلك ابن مقلة وقال لي سرّاً : ويحك ما هذا ؟ قلت : ما قال لك ذكي . قال : فما نعمل ؟ قلت : فات الرأي . فاخذ يقرّر الدعاء والاستخارة وقال : ان طلعت الشمس ولم نروا لي خبراً فانجروا بأنفسكم . (قال) فمضى وغلق الخادم الباب علينا استربت به ووقفنا الى ان سكادت الشمس ان تطالع قلنا : في أي شيء وقفنا ؟ والله لاخرج الرجل أبداً . فانصرفنا وكان آخر العهد به . فلما بلغنا منازلنا قيل « قد قبض على ابن مقلة فغطت يده من يومه بحضرة الملا من الناس .

وقال ابراهيم بن الحسن الديناري : سمعت الحسين بن الوزير ابن مقلة يحدث ان الراضي بالله قطع لسان أبيه قبل موته فقتله بالجوع قال : وكان سبب ذلك ان الراضي تقدم على قطع يده واستدعاه من حبسه واعتذر اليه وكان بعد ذلك يشاوره في الامر

لانه يمكنه ان يحتال ويكتب . وكانت تخرج له رقاع بعد قطع يده وقبل
التضييق عليه فيقال انه كان يشد القلم على ساعده الايمن ويكتب به .

بعد الامر ويعمل برأيه ويخلو به ورفقه في محبسه وناداه سرّاً علي النبذ وأنس به وبذل
في نفسه وزاد ندمه على قطع يده . فباع ابن رائق فقامت قيامته قدساً الى الخليفة من
أشار عليه بان لا يدينه وقال له : ان الخلفاء كانت اذا غضبت لم ترض وهذا قد أوحشته
فلا تأمنه على نفسك . فقال : هذا محال هو قد بطل عن أن يصلح لشيء وإنما تريدون
أن تخرموني الانس به . فقل له : ليس الامر كما يقع لك وهو لو طمع في انك تستوزره
لكامك فان شئت فاطمه في الامر حتى ترى . وقد كان أبي يتعاطى أن يكتب باليسرى
فجاء خطه أحسن من كل خط لا يكاد أن يفرق بينه وبين خطه باليمين وجاءتني رقاعه
مرات من الحبس باليسرى فما أنكرته . (قال) وتوصل ابن رائق الى قوم من الخدم
بأن يقولوا لابن مقلة : أن الخليفة قد صح رأيه على استيزارك بهذا لتستحق البشارة
عليك . فلم يشك في الامر وقالوا هم للراضي : جربه وخاطبه بالوزارة اترى ما يجيبك به .
فخاطبه بذلك فراه أني نفوراً شديداً من هذا وقصوراً عنه فأخذ الراضي يحلف له على
صحة ما في نفسه من تقليده لو علم أن فيه بقية لذلك وقياماً به فقال : يا أمير المؤمنين لا يراد
منه الا لسانه ورأيه وهما باقيان وأما الكتابة فلو كنت باطلا منها لما ضربني ذلك وكان
كاتبٌ ينوب عني ولست اخلو من القدرة على تعليم العلامات باليسرى ولو أنها ذهبت
اليسرى أيضاً حتى احتاج أن أشدّ قلماً على اليمنى لكنت أحسن خطأ . فلما سمع ذلك
تعجب واستدعي دواة فكتب باليسرى خطه لا يشك انه خطه القديم ثم شدّ على يمينه
فكتب به في غاية الحسن . فقامت قيامة الراضي واشتدّ خوفه منه فلما قام الى محبسه
أمر ان تنزع ثيابه عنه وان يقطع لسانه ويلبس حبة صوف ولا يترك معه في الحبس الا
دورق يشرب منه ووكل به خادماً صبيّاً عجمياً فكان لا يفهم عنه ولا يخدمه ثم فرق
بينه وبين الخادم وبقي وحده . فكان الخدم يقولون لي بعد ذلك انهم كانوا يرونه من
شقوق الباب يستسقي بفيه ويده الصحيح من البئر للوضوء والشرب ثم أمر الراضي ان
يقطع عنه الخبز فقطع عنه أياماً ومات وكان مولده في ٢٧٢ .

وقال أبو بكر الصولي في الاوراق في حبس الراضي ابن مقلة ان في نفسه عليه أمر
ابن المنتصر وانه الذي برضيه للخلافة . وقد تقدّم قصته في كتاب الاوراق وهي ان في
شهر ربيع الاول من السنة ركب الراضي الى أجمة بالزياء يطلب فيها خنازير وركبنا معه

ولما قُرِبَ بحكم من بغداد نقل من ذلك الموضع الى موضع انغمض منه فلم يُوقف له على خبر ومنعت من الدخول اليه

ثم قطع لسانه وبقي مدة طويلة في الحبس ثم لحقه ^(٥٨٤) ذِرب ولم يكن

فرأينا في الموكب فرساناً لا يعرفهم فطاف ساعة ثم عدنا معه فتعدى وكان النهار قصيراً فصلينا الظهر وركب . فرأينا الفرسان قد زادوا وانكروهم الحاجب ووافي محمد بن بدر الشرابي في مائة فارس فلما رآه الفرسان تفرقوا فلم يرمهم أحداً فصاد خنزيرين وانصرفا . فقال لنا بعد : من أي شيء أفلتنا يوم الخنازير . وأنا بين يديه في الحجرة التي كان يجلس فيها ونحوه أربعة وكذا كانت فوقنا اذا دخل رجل مشدود العينين بدراة وخفت فلما أقسم بين يديه قال : ما لنا نحن قرامطة . فقال له الراضي : يا ابن الفاعلة لو كنت محتاجاً لعذرتك ولكن من رشحك لهذا قد أغناك وجعل اليك نقابة وموَلَّك فك السكب النابح . فضربوا فكك وهو يقول : بترية المقتدر ارحمني . واذا هو أبو عبد الله بن المنتصر والمنتصر جدّه . ثم قال له الراضي : والله ما طلبت هذا الامر قايماً اذا دفعت اليه فوالله لا طلبه أحدٌ في أيامي ساعياً على فعاش . ثم أمر به فتجى وأدخل بيتاً حيال بركة السباع فعرفنا من الغد انه قتل في ليلته واخذ جماعة بسية فحبسوا منهم المعروف بالزهرى وابن أبي الحناء وغيرهم

ثم حدثنا الراضي بعد ذلك قال : كان الفرسان التي رأيتوهم بالثريا قد عزموا على الفتك بنا فلما جاء ابن بدر يئسوا فضوا . . . ثم قرأ علينا رقعة جأته من أبي علي ابن مقلة : العجب من انهم الناس اياى بسبب هذا الامر . واقرأنا جوابه اليه بصدقه في قوله وبأنه ما سمع ما ذكره ولا وقف عليه الا من رقبته وبسكن منه

وأمر بطلب أولئك الفرسان فظفر بعضهم فأمنهم ووصلهم وفرّق بينهم وسمع كلام كل واحد منهم مفرداً فحدثنا انهم عرفوه كيف جرى الامر من أوله الى آخره حتى وقف على صحته . وجعل الراضي يوري عن ذكر الفاعل لهذا اذا حضرت جماعةنا ويصرّح به اذا حضر من يثق به منا .

وانصل هذا الخبر بابن رائق فقدم باخر شهر ربيع الاول وتلقاه ابنا الراضي وأظهر انه قلق لما جرى وخاف أن يسعي في مثله لبعده عن مولاه . وانما جاء لضيق المال واستحقاق الجند وان بحكم أقبل الى واسط فلم يحب الاجتماع معه ولم يزل يطالب الوزير

له من يعالجه ولا من يخدمه حتى بلغني أنه كان يستسقى الماء لنفسه من البئر بيده اليسرى وفيه ولحقة شقاء شديد الى أن مات ودُفن في دار السلطان ثم

بالمال وهو يجمعه له . وأخذت في هذا الوقت من الرازي آنية ذهب وفضة فضربت وأنفذ ابن رائق الى بحكم من المال ما قدر عليه .

وقال الصولي أيضاً : وكان انحراف الرازي عن ابن رائق في هذا الوقت يتبين في طرفه وقوالب لفظه . ثم صرح بذلك لي وللعروضي من بين الناس

وأما قصة ابن مقلة فقال صاحب كتاب العيون : كان في بحكم فضل ودهاء ورجلة وكان قد نصب لنفسه امرأة تدخل الى الخليفة فتستأذنه في الاشياء التي يعملها وكانت امرأة محمد بن ينال الترجمان فكان كلا ورد على بحكم كتب ابن مقلة عن الخليفة يأمره بالمسير الى الحضرة كتب الى الامراة يقول لها : استأذني مولاي في هذا الامر فان كان عن رأيه سرت الى بغداد ولم أتوقف . فكانت الامراة اذا سألت الخليفة قال لها : ليس لها أصل ولا كاتبته في هذا المعنى شيء ولا أرضاء والذي أحبه ان يتألف قلبه وقلب ابن رائق .

فلما نظر ابن مقلة انه ما يعيش له مع بحكم ما يريد ولا ينجح الى قوله جنح الى ذكا مولى الرازي وسأله أن يكون السفير فيما بينه وبين الرازي فيما يعرض من حوائجه وإيصال رقاعه فأجابه الى ما سأل . فابتدأ يكتب الرازي برقاع ولا يطلع ذكا على ما فيها فاذا أوصلا قرأها الرازي ولا يحيب عنها بمكاتبة ولا مراسلة فيعرف ذكا أبا على ابن مقلة ان كتبه تصل ولا يخرج عنها جواب فيسر ابن مقلة بهذه الحال ويقول : أنا أعرف الناس بطابع مولاي اذا وافقه شيء كتبه ولا يظهره .

فلما كان شهر رمضان كتب ابن مقلة الى الرازي رقعة يقول فيها (ان بحكم قد طمع في ابن رائق وانه ان لم يؤذن له في الدخول دخل بلا اذن ولو أنهم مولانا له بالدخول كان أخرى وأولي) فحرد الرازي لما قرأ رقعة وقال : يا قوم ابن مقلة يحملني على السعي في سفك الدماء في شهر رمضان . فوجه ذكا كاتبه الى ابن مقلة بعرفه ما جرى فضي وعاد اليه برسالة يسأله الاستئذان له في الوصول الى الرازي ليشافيه في أمر بحكم وقال له الكاتب : يقول ابن مقلة (ان أوصلتني الى الخليفة فقد فضيت كل حق بيني وبينك) فنام ذكا ودخل الى الرازي واستأذنه في وصول ابن مقلة اليه فأذن له يجيء أي وقت أحب فوجه اليه ذكا بعرفه ذلك ويقول له : أنت قد خدمت مولاي وعرفت

سأل بعد مدة أهله فنبش وسلم اليهم .
وفي هذه السنة دخل بحكم العراق أعني بغداد ولقي الخليفة وقلده أمرة
الامراء مكان محمد ابن رائق

أخلاقه فان كنت الرجل الذي تأمنه على نفسك وتعلم ان خدمتك يرضيها ولا تخوف
في نفسك ما قد تحفظه عليك فأعزم على الوقت الذي يحتاج فيه الوصول اليه والذي أراه
لك ان تصل الى باب النوبي من جهة بشرى الاسود الخادم اذ كنت أعلم ثقتك به
وسكونك الى ناحيته لانه كان غلامك وذلك من باب النوبي إخفاء لان باب الخاصة
وهو الباب الذي أنا فيه ما تفارقه الحجاب وسائر الناس ولست آمن ان يقف أحد
منهم على خبرك فيقف عليه محمد بن رائق وأنت تعلم ما في هذا . ففضي الكاتب اليه
بالرسالة فقال له ابن مقلة : عد اليه وقل له : لانسكني الى أحد غيرك فإحب ان
يقف على أمري سواك واذا سهل الله وأوصلني الى مولاي فقد بلغتني كلما أحبه . وكان
نقول بالنجوم فقال له ذاك : تختار الوقت الذي تحب فيه الوصول . فقال : الله الله
اجتهد لي في الوصول الى مولانا في هذه الليلة فليس لاحد الى ثلاثين سنة وقتاً اسعد من
هذه الليلة . فاستأذن له ثانية فأذن له في تلك الليلة قال ذاك : كل ذلك ولا أعلم ما في
نفس مولاي له لانه كان رجلاً لا يفتي سره الى أحد بعيد النور ولو كنت أعلم ما في
نفسه ما أحبت ان يجري عليه مكروه لي فيه سبب فوجئت اليه : ان أحبت الانحدار
قافل واجتهد ان لا يقف أحد على خبرك . فأنحدر من داره بعد عتمة حتى وصل اليها
فوجئت وعرفت مولاي بوصوله فأمر بفتح الباب المعروف بباب الشاذروان فتقدمت
بفتحه ففتح الخدم الذين على الحرم من داخل . وخرج فائق خائفة راغب على الحرم
فتقدمه من صاحبي ولم أزل جالساً في دار الحجابة والباب مفتوح انتظر خروج ابن مقلة
الى ان مضى من الليل نصفه وكاتبني جالس عندي وابن غيث كاتبه عندي فاسترابوا بجلوسه
وأنكروه وأنكرته انا فلما طال الامر وجهت الى مولاي أقول له : الباب مفتوح الى
هذه الغاية فان كان ينصرف والآن مرني باغلاقه . فوجهه الى ان أغلق الباب فاعلقته
وورد علي من هذا ما أشغل قلبي وانصرف كاتبني وكاتبه على أقبح صورة غير اني طيبت
نفس كاتبه وقلت : اعمل الخطاب طال ولم يقرر بينهما حال وفي غد يقرر الامر ويأذن
له بالانصراف . وبتنا تلك الليلة وأصبحت من غدها وقد وجه فاحضر ابن سنكللا كاتبه
ووصل اليه ابن النوى وكان خصيصاً له شديد الانس به يصل اليه في كل وقت بلا حاجب

﴿ ذكر الخبر عن ذلك ﴾

ابتدأ بحكمهم بالمسير من واسط الى الحضرة مُراغمًا لابن رائق فزال اسمه ومحى أعلامه وتراسه وترك الاتساع اليه وذلك انه كان يكتب عليها « بحكم الرائق » وأخذ ابن رائق يستعد للقاءه وقتاله وعمل على أن يتحصن في دار السلطان ثم رأى ان يبرز الى ديارى وفتح من الهروان اليه بشقًا ليسكثر

فعرّنه حال ابن مقلة وحصوله في الدار قبله وقال له : اخرج الى الحاجب فقل له : يمضى الى محمد بن رائق ويعرفه خبره عنى ويقول له « قد كنت أحذرك من عدوك مرة بعد اخرى وافرائك رقاؤه الى في أمرك وأقول لك لا تغفل عنه واطلبه أشدّ طلب وأشفقت ان يتم عليك تديره وحيلته فالزمت الحاجب الاحتيال عليه حتى حصل وهو الآن قبلى وقد سكنت نفسي عليك بسلامتك مما كنت اتخوفه عليك من جهة » قال ذكا الحادم : كان ابن مقلة كثير التخايط شديد الاقدام على الامور السكبار فخرج ابن سنكلا وادى الرسالة . فضربت الى ابن رائق وابن سنكلا . هي فوصلت اليه وهو جالس وابن مقاتل فلما استقرّ في المجلس قلت : أريد ان تخلى مجلسك فان بينى وبينك خطابا لا يجوز ان يقف عليه أحد . فقام الناس كلهم وأراد ان يقوم ابن مقاتل فقلت له : أنت الثقة والصاحب اجلس . فجلس فاعدت عليه ما قال مولاي فشكر وسرّ بذلك وفرح ودعي لمولاي وقال : من أولى بالفضل على عبده منه . ثم قال لى : قد عرفت خبر انحداره في الوقت الا انى لم أعلم أن مقصده وقد رت أنه يعبر الى ابن مقاتل ليتوسط حاله . هي . فقلت : من أن لك خبره ؟ فقال : انى كنت قد جمعت عليه رسداً يتحصى عليه اخباره فكتب الى يذكر انه خرج من داره بعد عتمة وركب بغلة أبى القاسم الشهاب ونزل الى المشرعة ولا أدري أن قصد . ثم قال لى : قل لمولاي : مولانا اسعد شاهد على هذا الرجل وعلى أفعاله الفبيحة وما أراد من الحيلة على وهو أولى وما يفعله في أمره . فانصرفت . ووقع في قلب ابن رائق مثل النار وخاف ان يكون مقامه في الدار يتم الحيلة عليه

قال ذكا : وقلق ابن رائق ونس قتل ابن مقلة اذ كان لا يثق ولا يأمن شره فقال له مولاي : ما كنت بالذى استحل سفك دم . قال : ان غاب أمره على مولانا فليستفى فيه الفقهاء والقضاة في ذلك فان كان مستحقاً لما قلته أو بعضه اضي فيه حكم الله . واحضر أبو الحسين القاضي واستفى في أمره وذكر له ما صنع ابن مقلة وقتاً بعد

ماؤه فلا يخيض وقطع الجسر عليه ليصير خندقاً. وطالب ابن رائق الراضى أن يكسب الى بحكم كتاباً يأمره فيه بالرجوع الى واسط فكتب وسلم الى ابن رائق فأنفذه مع ابن سرخاب اليه أحد خلفاء الحجاب فقرأه ولم يلتفت اليه وسار الى بغداد. ووافى بحكم وجيشه الى نهر دىالى وعبر بعض أصحابه سباحة فلنزم ابن رائق وصار الى عكبرا وتقطع أصحابه واستتر أبو عبد الله احمد بن على السكونى وأبو بكر بن مقاتل^(٥٨٥) ودخل بحكم يوم الاثنين لاثني

وقت (ولم يذكر اسمه لاهاضى) وقيل له : ما تقول فيمن فعل الافاعيل ؟ فاقناهم بقول الله عز وجل : انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسمون فى الارض فساداً ان يقتلوا أو يصابوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض) فتقرر الامر على قطع يد ابن مقلة بعد محالس كثيرة جرت بينهم

قال ذكاه : وواطى محمد بن رائق الجيش لما امتنع مولاي من قتل ابن مقلة على الشغب وكان الجيش يمضون الى سائر أبواب ويتكلمون بكل كلام ويقولون « يسلم الينا ابن مقلة المدير على أمرنا » وكل ذلك بباطع مولاي . فلما طالت القصة وأجابه مولاي الى قطع يد ابن مقلة تقدم مولاي الى ابن رائق ان يحضر جميع قواده الى الدار فى غد ذلك اليوم ليحضر وقطع يده وتقدم الى ان أحضر ابن بدر الشرايى صاحب الشرطة ومعه من يقطع ففعلت ذلك وحضر الناس فى غد ذلك اليوم وأوصاهم الى دار السلام وهى المعروفة بدار الاشفاق على الشط واخرج ابن مقلة من محبسه وعليه ثيابه التى كان دخل بها الى الدار وهى دراعة وعمامة وخف فلما بهر بي قال : يا أبا الفهم أى شئ يراد بي . فاستحييت منه وقالت له : خيراً ان شاء الله تعالى . فقال لى : هذا القول منك وأنت الحاجب وأمان من الخليفة ! ثم قال : ان رأيت ان تستأمر وتراجع فى حقى فافعل . ففعلت فخرج الامر الى ان أمتل فى أمر الرجل ما أمرت به . وكان فاك غلام ابن رائق حاضراً فالتفت اليه ابن مقلة فقال له : توجه الى أبى بكر وتعرفه ان يبنى وبينه إيماناً ومواثيق ان يذكرها لم ينقضها . ولم يك لفاتك من الامر شئ . فأدخل الى بيت البوائين وحضر ابن بدر الشرايى ودخل مع القاطع ومعه جماعة من أعمال الشرطة فقطعت يده ورد الى داخل الى محبسه وأدخل من يعالجه .

عشرة ليلة خلت من ذى القعدة ووصل الى الراضى بالله فاكرمه ورفع منه
 وخلع عليه وسار بالخلع الى مضر به بديالى فاقام فيه يوم الاثنين والثلاثاء
 والاربعاء . وأنفذ سرية في طلب ابن رائق وكاتب الجيش الذى معه عن
 الراضى بالتخلى عنه والوصول الى خضرة السلطان فانفض الجيش عنه ورجع
 ابن رائق الى بغداد سرا واستتر بها . فلما كان يوم الخميس للنصف من ذى
 القعدة خلع الراضى على بحكم خلعة ثانية وانصرف الى دار مونس بسوق الثلاثاء
 وهي التي كان ينزلها ابن رائق . فلما كان يوم الخميس لثمان بقين من ذى
 القعدة خلع الراضى على بحكم خلعة ثالثة وعقد له لواء وجعله أمير الامراء
 فكان مدة اماره ابن رائق سنة واحدة وعشرة أشهر وكسر .

ولما كان يوم الجمعة لسبع بقين من ذى القعدة أنفذ الراضى الى بحكم خلع
 منادمة وكناه وأنفذ اليه مع الخلع شراباً وطيباً وتحيات وتمت له الرئاسة

تمت المجلدة الخامسة من كتاب تجارب الامم وتلوهها

في المجلدة السادسة حكاية عن بحكم تدل على

دهاء ونكر والحمد لله وصلى الله

على محمد النبي وآله الطيبين

الطاهرين أجمعين

فرغ من اتساخه محمد بن على أبو طاهر البلخي في المحرم سنة ٦٠٥

الجزء الثاني

﴿ من كتاب تجارب الامم ^(١) ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ الحمد لله العدل ﴾

﴿ حكاية عن بحكم تدل على دهاء ونكر ﴾

حكى أبو زكريا يحيى بن سعيد السوسى قال : لما ترسلت بين بحكم وبين ابن رائق أشرت على بحكم بأن لا يكشف ابن رائق . فسألني عن السبب الذي من أجله أشرت عليه بذلك فقلت : لان بغداد في يده والخليفة معه والرياسة ولان الجيش معه كثير والاعمال والاموال في يده والمال في يده قليل وعدة من معك يسير . فقال لي : اما كثرة رجاله فهم جوز فارغ قد خرقتهم وسرفتهم وما أبالي كثروا أم قلوا وكون الخليفة معه لا يضرني عند أصحابي فاما ما توهمته من قلة المال معي فليس الامر فيه كما ظننته وقد وفيت أصحابي استحقاقاتهم وما لاحد على منهم مطالبة وفي صناديقي معي مال يستظهر به فكهم تظن ميلغه ؟ قلت : لا أدري . فقال :

على كل حال . فقلت : مائة الف درهم .^(١) فقال . غفر الله لك معي خمسون الف دينار لا احتاج اليها . (قال) فقلت له : أنت أعلم وما تختار . (قال) فلما هرب ابن رائق وملك بجكم قال لي يوما : أتذكر وقد قلت لك ان المال معي كثير وظننت أنه^(٢) مائة الف درهم فعرّفتك انه خمسون الف دينار ؟ فقلت : نعم . قال : اقتدرى كم كان بالحقيقة معي ؟ قلت : لا . قال : خمسين الف درهم . قلت : هذا يدلّ على انك لم تثق بي ولم تصدقني . قال : لا ولكنك صاحبى ورسولى فكرهت ان تعلم صحته فى القلة فيضعف قلبك واذا ضعف قلبك ضعف كلامك فيطمع ذلك فى خصمى وأردت ان تمضى اليه بقلب قوى فتخاطبه بما ينخب قلبه ويضعف نفسه .

وفى هذه السنة تغلب اللشكرى بن مردى على آذربيجان . وهذا غير اللشكرى الذى تقدّم خبره وكان أوجه من ذاك وأكبر مرتبة وكان من أصحاب وشمكير وخليفته على أعمال الجبل . جمع مالا كثيرا ورجالا وخلف صاحبه وسار الى آذربيجان ليستولى عليها . وكان بها يومئذ ديسم بن ابراهيم جمع ديسم عسكريا كثيرا من الاكراد وأصناف آخر واحرز سواده فى بعض الجهات واقبل الى اللشكرى فواقعه دفعتين فى مدّة شهرين وانهزم ديسم فيهما جميعا . واستولى اللشكرى على بلاده الا اردبيل فان أهلها أجلاذ ولهم بأس شديد وهم حملة سلاح ومدينتهم محصنة بسور وهي قصبة آذربيجان ودار المملّكة . فراسلهم^(٣) اللشكرى ورفق بهم ووعدهم الاحسان فابوا عليه لما كان عندهم من أخبار الجبل ومعاملتهم أهل همذان وغيرها بانواع الالم فحاصروهم اللشكرى وطالت الحرب بينهما وبينهم الى ان

تمسكن طائفة من أصحابه يوماً من السور فصعدوه ونقبوا أيضاً عدّة نقوب فيه وفتحوا الباب وتمسكوا من الدخول وأدركهم الليل

﴿ ذكر اضاعة حزم من الشكرى بمد هذه الحال حتى ﴾

﴿ هرب وقتل أكثر أصحابه ﴾

ان الشكرى لما تمكن من أردبيل سكنت نفسه الى الظفر وأشفق ان ينتهب البلد وتذهب الاموال عن يده وعن أيدي أصحابها . فرأى ان ينصرف الى معسكره وكان علي ميل من البلدييت ثم يصبح فيدخل المدينة نهرا فلما فعل ذلك بادر أهل المدينة الى سد تلك الثلم واحكامها وأغلقوا الابواب وعادوا الحرب . فتجبر الشكرى وعلم انه فرط حين لم يدخل المدينة ليلا أو يوكل بالثلم من يحفظها واقبل قواده عليه يلومونه ويستعجزونه فلم يكن عنده الا الاعتراف بالخطأ . وبادر أهل المدينة برسلهم الى ديسم يعرفونه الصورة ويشيرون عليه بالمبادرة في يوم يعينه حتى يخرجوا المحاربة ويكب^(٥) ديسم من ورائه فتمت لهم الحيلة واقبل ديسم في ذلك اليوم بجموع كثيرة من الصعاليك والاكراد وخرج أهل المدينة بزي الديلم معهم التراس والزويينات وهم نحو عشرة آلاف رجل فصافهم الحرب وخرج ديسم من ورائه فحمل عليهم فانهزم أقبح هزيمة وقتل أصحابه مقتلة عظيمة وذهب نحو موقان محروبا مسلوبا ليس معه كراع ولا سلاح . فخرج اليه اصفهذ موقان ويعرف بابن دلولة متلقيا فأضافه مع قواده فشكره الشكرى وسأله ان يقيم بضيافة أصحابه الى ان يمضي هو الى بلده وكانت بينه وبينها مسيرة أربعة أيام فيستخرج ذخائره ويخرج معه ابنه وأخاه ويجمع الرجال فأجابه ابن دلولة . ومضى الشكرى مخفيا وعاد سريعا ومعه ابنه

وابن أخيه وألف رجل من أحداث الجبل مستظريين بالسلاح والآلات وعطف على آذريجان طالباً ديسم وساعده ابن دلولة الاصفهني في أصحابه فهرب ديسم وعبر نهراً يقال له الرس ومأواه شديد الجرية وأخذ المعابر الى الجانب الذي حصل فيه ونزله للشكري مقيماً بازائه مدة لا يصل اليه . فاجتمع اليه ابنه وابن أخيه وأحداث^(٦) الجبل وجميعهم سباح لان بلادهم على شاطئ البحر وأعلموه أنهم تتبعوا هذا النهر من أعلاه الى أسفله فوجدوه على ثلاثة فراسخ من معسكرهم موضعاً منه ساكن الجرية واستأذنوه في المخاطرة والعبور فأذن لهم . فصاروا الى الموضع ليلاً ومعهم جماعة من البوقين فسبحوا ومدوا حبلاً متيناً بين أوتاد محكمة في الجانبين وامسكوها وعبر الباقون بتراسهم وأسلحتهم وزحفوا الى معسكر ديسم وضربوا بالبوقات وقتلوا نقرأ فلنهم ديسم واستولى الجبل على أموالهم وسوادهم واستغنوا بما حصل لهم وتم الظفر للشكري .

وقصد ديسم وشمكير وهو بالري فأعلمه ماجرى عليه من الشكري وأنه قد تمكن من آذريجان وطابقه ابن دلولة اصفهني موقان وان بلاد الجبل قريبة منه والاستمداد سهل عليه وأنه لا يلبث أن يقصد الري وينازعه اياها ويلتمس منه عسكرياً من الجبل والديلم ليكون بازاء الشكري وأصحابه ووافقه أن يجمع اليه من الاكراد وغيرهم عشرة آلاف رجل فرساناً وان يقوم بنفقة العسكر يوم دخوله الخونج وهو أول حدود آذريجان من ناحية الري وان يقيم الخطبة على منابر آذريجان^(٧) كلها ويحمل اليه في كل ستة مائة ألف دينار خالصة ويرد اليه العسكر الذي يجرد معه بعد فراغه من أمر الشكري . فلما سمع وشمكير ذلك أهمه هذا الخطب واستجاب ديسم الى

كل ما يلتمسه وأخذ كل واحد منهما على صاحبه العهد والميثاق بالوفاء وابتداءً
بتجريد العسكر . فالى أن يتكامل ذلك ورد الخبر بوفاة ابن دلولة الاصفهين
وخلق كثير من أصحابه بعله الجدرى وأقام بقية أصحابه مع اللشكري فأخذ
اللشكري بقائد كبير من أصحابه يقال له بلسوار بن ملك بن مسافر وهو ابن
أخي محمد بن مسافر اللشكري الى نواحي الميانج^(١) وهي تجرّية مجري
النفر ينسب وبن وشمكير وأمره أن يحفظ الطرق ويتبع المجتازين ويفتشهم
ويقرأ كتبهم تحرزا واستظهاراً فلم يلبث بلسوار أن ظفر بفتح معه كتب
من قواد عسكر اللشكري الى وشمكير بالاعتذار اليه من دخولهم في طاعة
اللشكري وانهم انما دخلوا معه وعندهم انه على طاعتهم وانهم ان رأوا راية
من رايته قد أقبلت اليهم انحازوا اليها وصاروا بأجهم عليه فلما وقف اللشكري
على هذه الكتب طواها وستر خبرها . وورد عليه انفصال^(٢) ديسم عن
الري في عسكر وشمكير مع حاجبه الشابشتي فركب الى الصحراء وجمع
قواده وعرفهم أقبال العسكر اليه وانه يتخوف أن يشتغل بحرب الجبل
والدليل فيأتيه ديسم من ورائه ويجري الامر كما جرى في وقعة أردبيل وانه
قد عزم أن يرحل بهم الى بلاد الارمن فيغزوهم ويستبيح أموالهم ويبيع عنهم
الى الموصل وديار ريعة فانها بلاد كثيرة الغلات والاموال واسعة والرجال
بها قليل . فساعده على ذلك ورحل بهم الى أرمينية وأهلها غارون فنهبهم
واستباح أموالهم وماشيهم وسبي خلقاً كثيراً وانتهى الى زوزان وفي يده
وأيدى قواده من المواشي التي غنموها شيء كثير لا ينضبط ولا يعرفون
مبلغها وقد وكلوا بها الرعاة فكانوا يخرجونها الى مسارحها بكرة ويردونها

(١) وفي الأصل : الماهج

عشية الى معسكرهم . وكان بالقرب من زوزان قلعة للارمن فيها عظيم من
عظائهم يقال له أطوم بن جرجين وهو قريب لابن الديراى ملك الارمن
فسأل الشكري براسلة لطيفة ان يكف عن الارمن فانهم معاهدون يؤدون
الاتاة وأطعمه فى مال يحمل اليه صلحا فأجابه الى ما طلبه .

﴿ ذكر حيلة تمت لهذا الارمنى على الشكري حتى قتله ومعظم أصحابه ﴾^(٩)
كان هذا الارمنى عرف سرعة ركاب الشكرى وخفته وانه يقدم بلا
روية ويتسرع بلا تدبير فكمن كميناً على جبلين بالقرب من موضعه الذى
كان معسكراً فيه بينهما مسلك مضيق ثم دس الى المواشى التى معه جماعة من
الارمن حتى قتلوا رعاءها واستاقوها فى ذلك المضيق . وهرب بعض الرعاء
الى الشكرى مجروحاً فصادنه خارجاً من الحمام فى سوق زوزان فأخبره الخبر
فسار لوقته وأخذ ذلك الراعى بين يديه ليدله على الطريق وليس معه الا
سته نفر من غلمانة أخذهم فتح الشكرى (وهو أحد قواد السلطان بمدينة
السلم وقد شاهده) وكان موصوفاً بالبسالة والشجاعة وراسل باقى أصحابه
فى المعسكر أن يلحقوه .

﴿ ذكر اتفاق حسن اتفق لفتح هذا الغلام ﴾

(حتى سلم وحده من القتل)

اتفق ان غمرت دابة كاتبه لما قضاه الله من سلامته فنزل لينظر
ويصلح حافرها فسبقة الشكري ولم يعرج عليه وهضى مع الخمسة نفر الذين
بقوا معه فوصل الى المضيق قبل أن يلحقه أصحابه الذين استدعاهم من المعسكر
وولج الموضع . فلما توسطه ثار اليه الكمناء فقتلوه والغلمان الذين معه
وأخذوا رؤسهم وأشلاءهم وتركوا جثثهم ومضوا . ثم وصل المعسكر^(١٠)

الى الفتح بهذا الغلام وتبعوا الشكري فلما رأوا جماعتهم عرفوهم فانصرفوا
منزليين . واجتمع أهل عسكره فمقدوا الرياسة لابنه لشكرستان وتقرر
الرأي بينهم على أن يسيروا بأجمعهم في طريق عقبة صعبة شاقة تعرف بعقبة
التين ليحرزوا سوادهم واثقالهم وغنائمهم من ورائها ويرجعوا الى بلاد أطوم
ابن جرجين فيدركوا نارهم منه ويأتوا عليه قتلاً ونهباً

﴿ ذكر حيلة تمت عليهم نائية حتى قتلوا بأجمعهم الا نفر يسير جداً ﴾
﴿ وذلك لقلّة احتراسهم من المضائق وجهلهم المسالك واغترارهم بالشدة ﴾

كان أطوم بن جرجين بث جواسيسه يعرف أخبارهم واطلع على هذه
العزيمة منهم فسبقهم بان رتب على رؤس الجبال في طريقهم جموعاً من الارمن
يرمونهم بالحجارة وكان طريقهم من هذه الجبال على موضع عرضة نحو
خمسة أذرع وعلى يسرته الجبل وعن يمينه نهج عظيم جار والمهوى اليه أكثر
من مائة ذراع ووقف الارمن متمكنين على هذا الموضع وسار أطوم بنفسه
من قلعته في نفر فكمن على طريق المضيق حتى ان أفلت انسان منهم أوقع
به . فلما انتهى الجبل والديلم الى ذلك المضيق أرسلوا عليهم الحجارة فكانت
الصخرة تأتي فتصدم الركب والمركوب والرجالة والبهائم والجمال فلا يمتنع
منها شيء ويسقطون الى النهر ويتلفون . فترجل قوم^(١١) من الفرسان
ودخلوا من قوائم الدواب فربما سلم الواحد بمد الواحد فهلك في ذلك
الموضع أكثر من خمسة آلاف رجل . وسلم جماعة وسلم لشكرستان فيمن
سلم ومضى بمن معه الى ناصر الدولة وهو بالموصل لاثنين به فنزلهم بشيء
من الارزاق يسير . فاختر بعضهم أن يقبض نفقة وينصرف عنه واختار
بعضهم أن يقيم مع لشكرستان فأما الذين قبضوا النفقات فأخذوا جوازات

وانحدروا الى واسط لاحقين بيجكم وأما الباكون فاتهم كانوا خمسمائة رجل
فجردهم ناصرا للدولة مع ابن عمه أبي عبدالله الحسين بن حمدان من آذربيجان
لما أقبل اليها ديسم الكردي وكان ديسم هذا من قواد ابن أبي الساج وكان
أبو عبدالله الحسين بن سعيد بن حمدان مقلداً من قبل بن عمه أبي محمد
الحسن بن عبد الله بن حمدان ناصر الدولة أعمال الماعون بآذربيجان
وفيها اختص قاضي القضاة أبو الحسين عمر بن محمد بالراضى بالله حتى
حل محل الوزراء وصار الرضى يشاوره في الامور ويدخله في التدبير ويصل
اليه مع عبد الله بن علي النفري خليفة الوزير الفضل بن جعفر ولا ينفذ أمراً
الا بعد مشورته ^(١)

(وفيها قصد الرضى بالله وبجكم معه ديار ربيعة والموصل)

ذكر السبب في ذلك ^(١٢)

كان السبب في ذلك ان ناصر الدولة أخر ما اجتمع عليه من مال

(١) وفيه أيضاً في ترجمة هذه السنة : وفيها ورد كتاب من ملك الروم والكتابة
بالذهب وترجمتها بالعربية بالفضة وهو من رومانس وقسطاطين واسطانوس عظماء ملوك
الروم الى الشريف البهي ضابط سلطان المسلمين : بسم الآب والابن وروح القدس
الاله الواحد الحمد له ذى الفضل العظيم الرؤف بعباده الذى جعل الصلح أفضل الفضائل
اذ هو محمود العاقبة في السماء والارض . ولما بلغنا ما رزقته أيها الاخ الشريف الجليل
من وفور العقل وتعام الادب واجتماع الفضائل أكثر مما تقدمك من الخلفاء حمدنا الله .
وذكر كلاماً يتضمن طلب الهدنة والفداء وقدموا مقدمة سنوية فكتب اليهم الرضى بانشاء
أحمد بن محمد بن ثوبة (وهو صاحب ديوان الرسائل : ارشاد الاريب ٢ : ٨٠) بعد
البسملة : من عبدالله أبي العباس الامام الرضى بالله أمير المؤمنين الى رومانوس وقسطاطين
واسطانوس رؤساء الروم سلام على من اتبع الهدى وتمسك بالعروة الوثقى وسلك سبيل
النجاة والزلفى . وأجابهم الى ما طلبوا .

الحمل الذي كان في ضمانه الموصل وأخر مال الضياع التي في عمله بخدمة
الراضى بالله فكان الراضى مغنيًا عليه فاجتمع رأيهم مع بجكم على قصده.
ودخلت سنة سبع وعشرين وثلثمائة

فلما كان يوم الثلاثاء لثلاث خلون من المحرم خرجا وأقام الراضى
بتكريت ونفذ بجكم الى الموصل في الجانب الشرقي من دجلة . فالتفت به
زواريق أنفذها ناصر الدولة فيها دقيق وشعير وحيوان هدية الى الراضى فأخذها
بجكم وفرق ما فيها على حاشيته وأصحابه وفرغها وعبر فيها الى الجانب الغربي
وسار حتى اتي ناصر الدولة بالكحيل . وجرت بينهما وقعة وانهمزم فيها
أصحاب بجكم^(١) ثم حمل بجكم بنفسه على ناصر الدولة حملة حقق فيها فانهمزم
وتبعه بجكم ولم ينزل الموصل الى أن بلغ نصيبين . ومضى ابن حمدان على وجهه
الى آمد وأقام بجكم بنصيبين وكتب الى الراضى بالله بالفتح فلما ورد كتابه
بالفتح على الراضى بالله سار من تكريت يريد الموصل وكان مسيره في الماء

وكان قبل ورود كتاب بجكم بالفتح قد لحق القرامطة الذين مع الراضى
بتكريت مضائق في أرزاقهم فانصرفوا مغضبين الى بغداد فلما وصلوا اليها
ظهر ابن رائق من استتاره ببغداد وانضموا اليه ويقال ان انصرفهم من
تكريت كان بمراسلة^(١٣) منه اليهم ومكاتبة في اجتذابهم وورد الخبر بذلك
مع طائر الى تكريت فخاف الراضى أن يسرى اليه ابن رائق والقرامطة
فيأخذونه فخرج من الماء مبادراً وركب الظهر وسار الى الموصل ودخلها^(٢)

(١) زاد صاحب التكملة : وأستؤسر أبو حامد الطائفي (٢) وزاد أيضاً : وكتب
الراضى الى بجكم فاستخلف على أصحابه وجاء اليه الى الموصل . فجري بين أصحابه وبين
أهلها فتنة فركب ووضع فيها السيف وأحرق مواضعاً في البلد

ومعه على بن خلف بن طناب كاتبه وهو قاق من ابن رائق. ولما بلغ الحسن ابن عبدالله بن حمدان انصراف بجكم من نصيين سار من آمد اليها فانصرف عنها وعن أعمال ديار ربيعة . من كان خلفه بجكم فيها من قواده وصاروا الى الموصل وحصات ديار ربيعة في يد ابن حمدان . فزاد ذلك في قلق بجكم وأخذ أصحاب بجكم يتسللون ويخرجون من الموصل الى بغداد حتي احتاج بجكم الى أن يسد أبواب دروب الموصل ويحفظ أصحابه وزاد ذلك في اضطراب بجكم الى أن قال : حصلنا على أن يكون في يد الخليفة وأمير الامراء قصبة الموصل فقط .

وأنفذ بن حمدان قبل أن يتصل به خبر ابن رائق وظهوره ببغداد أبا أحمد الطالقاني الذي كان أسره الى بجكم يلتمس الصالح ويبدل أن يقدم خمسمائة ألف درهم معجلة . فلما ورد الرسول وأدى الرسالة فُرج عن بجكم وفرج بأن ابتداء بنو حمدان بمسئلة الصالح وكان فكر في تسليم الموصل ^(١٤) اليه والانحدار لدفع ابن رائق . فبادر وركب من وقته الى الراضى وعرفه ما ورد به الطالقاني واستأذنه في امضاء الصالح . فامتنع الراضى لشدة غيظه على ابن حمدان فعرفه ان الصواب في اجابته اليه والمبادرة الى بغداد التي خرجت عن يده وهي دار الملك فأذن له في المصالحة فرد من يومه الطالقاني بالصالح وأخذ معه الخلع واللواء والقاضى أبا الحسين ابن أبي الشوارب ليستحلف ابن حمدان ورجع مع مال التعجيل ^(١٥)

(١) وفي قصد الراضى بالله وبجكم الموصل قال أبو بكر الصولى فى الاوراق : كان الراضى قبل خروجه يذكر أمره ونهوضه ويقول : لا بد لي منه . فتشير عليه أن لا يفعل ذلك . وكان ممن بوافقتى على الرأي فى تركه الخروج عمر بن محمد القاضى فلم يلتفت الى قول أحد ولا أظهر ما أراد وما عزم عليه وكرهت العامة خروج السلطان الى

وبعد نفوذ الطالقاني جاء جعفر بن ورقاء وتسكينك من عند بحكم الى الموصل ثم تبعهما محمد بن ينال الترجمان في مرقعة منزهين من يد ابن رائق

الموصل لمحبتهم للحسن بن عبد الله (بن حمدان) وعنايته بانفاذ الدقيق اليها وابده بالاشراف وما تصدق على الضعفاء بسر من رأى وبغداد ولكفاية أخيه (يعني سيف الدولة) على الناس أمر الثغور والغزو وعنايته بنزو الصائفة وغيرها فوصل الراضي الى سر من رأى واتفق في أصحاب بحكم ذخائر منيفة كان أعدها لنفسه . وظن الناس انه سيقم بسر من رأى وينفذ بحكم الى الموصل فان احتاج اليه لحق به والّا أقام بمكانه وجعل كل من يصل اليه يشير عليه بذلك . وورد عليه الخبر بتحريك أمر ابن رائق وانه يكتب الناس لوثوب بغداد فظننا مع ذلك انه لا يبرح فانطلقت الاسن لاجل ذلك بالمشورة عليه ان لا يبرح من سر من رأى . وكان أشد الناس كراهة لخروجه ووصله القاضي عمر ابن محمد وذكي الحاجب فكنا نجتمع على ما نقوله

وورد كتب الحسن بن عبد الله الى الراضي والى بحكم يتضمن لهما أكثر مما ظن انه يبذله له وكتبه بذلك متصلة الى القاضي وهو يقول : إبطاها عنه وينفذ الجواب وكان يقرأني كل شيء يرد . فأقام الراضي أياما بسر من رأى وطمعنا في رجوعه واتفقت مع القاضي على ان يكلم الراضي كل واحد منا اذا خلا به ورأى وجها للكلام فوصلت اليه بسر من رأى يوما وحدي فقلت : يا أمير المؤمنين ان العبد المنفق لا يملك كتمان ما يقبله لمولاه ولا يذخره النصيح وما على شيء من ان يسمع قول عبيده فان كان صوابا أمضاه وان كان خطأ جملة بمنزلة ما لم يسمعوا . فضحك وقال : هات ما عندك . فقلت : ان الناس يتحدثون بان العسكر الذي قد رحلت لتزييله أشبه بعساكر الاسلام من العسكر الذي تقصده به من قوم لا يرون طاعتك وأشبه بعساكر آياتك وقد تحدثوا بان الحسن قد بذل أكثر مما أريد منه . فان رأي سيدنا ان لا يقبل هذا ويرجع الى رأى ملكه ويزول ما يخافه من وثوب ابن رائق فانه غير مأمون (وكان الراضي قد أمر بان ينادى على ابن رائق وبطال فكبست مواضع كثيرة) ومع هذا فان الحسن بن عبد الله قد انظر الى أقرب الناس من قلبك وهو قاضيك فجعله السفير له والضامن عنه وانه يلقاه فيتصرف بجميع ما يريد هاهنا أيضا أمر آخر . قال : وما هو ؟ قلت : اذا ينس الحسن من قبول سيدنا ما بذلنا من ان يصرف أمره الى غيره ويلقى نفسه عليه ويتقرب اليه ويخطبه ببعض ما بذله فيجعله صنعة له ومادة لدهره وعدة لجده ويكلم من يلقي نفسه

ووصفوا انه لما ظهر من استناره ببغداد انضم اليه ثلثمائة رجل من القرامطة فلقية بديع غلام جعفر بن ورقاء وانهزم بديع وخرج الى ابن رائق وهو بالمصلى جماعة من الجند والحجرية وخلق من العامة وقالوا : نحن نقاتل بين يديك . فاعطاهم خمسة دراهم وثلاثة دراهم . وكان جعفر بن ورقاء واحمد بن خاقان وابن بدر الشرايبي في دار السلطان وما يليها فراسلهم ابن رائق وسألهم الافراج له ليمضى الى داره التي هي دارمونس فانزلها بحكم فتمعهوه من ذلك فقاتلهم وانهزموا وقتل ابن بدر واستأمن الى ابن رائق جماعة من الرجال فوعدهم^(١٥) بالمطاء وأعطاهم خواتيم طين تذكرة بالمواعيد وصار الى دار السلطان وكتب الامانة لمن فيها وراسل والده الراضي بالله وحرمه برسالة جميلة وصار الى دارمونس التي كان ينزلها بحكم فقاتله تكينك عنها وانهزم تكينك وملك ابن رائق الدار . ثم أقبل محمد بن ينال الترجمان من واسط في أربعة آلاف من الاتراك والديلم وغيرهم ليدفع ابن رائق عن بغداد فتلقاه ابن رائق بالنهروان وجرت بينهم حرب شديدة وانهزم الترجمان وصار في مرقعة الى الموصل .

وأقبل ابن رائق يثير ودائع بحكم وأمواله وأنفذ أبا جعفر ابن شيرزاد الى بحكم بجواب الصلح منه فتقدم اليه بحكم المقام وأنفذ بجواب الرسالة قاضي القضاة أبا الحسين عمر على أن يُقلد طريق الفرات وديار مضر وجند قنسرين والعواصم وينفذ اليها . ورجع الطالقاني وابن أبي الشوارب القاضي من عند

عليه « سيدنا » في أمره ويسأله له ما يريد فيقبل منزله ويهب له أمره فنخطى بما أردنا أن يحظي به . (اعرض ببجكم) فما رأيته أطال الفكر عند شيء سمعته أكثر مما أطاله بعقب قولي وكان يقول : اني سأسكن بسر من رأى واترك بغداد .

ابن حمدان بتمام الصلح وبعض المال فأنحدر الراضى وبجكم من الموصل . ولما صار قاضى القضاة الى ابن رائق لقيه وقرر أمره على تقلد الاعمال التى تقدم ذكرها فنخرج ابن رائق من بغداد متوجهاً الى أعماله ووصل الراضى وبجكم الى بغداد يوم السبت لتسع خلون من شهر ربيع الاول

وفيهما مات الوزير^(١٦) أبو الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات بالرملة وكان الراضى أخذ خادماً يستدعيه فوصل الخادم وقد مات فكانت مدة وقوع اسم الوزارة عليه سنة واحدة وثمانية أشهر وخمسة وعشرين يوماً^(١) وقاد مكانه أبا جعفر محمد بن يحيى بن شيرزاد وسلم اليه على بن خلف فصادره على خمسين ألف دينار وسفر أبو جعفر بن شيرزاد فى الصلح بين بجكم وبين البريدى فتم ما شرع فيه وضمن أبو عبد الله البريدى أعمال واسط بستمائة ألف دينار فى السنة .

ولما اتفق موت الوزير أبى الفتح وصولح البريدى شرع أبو جعفر ابن شيرزاد فى تقليد أبى عبد الله البريدى الوزارة وأشار بذلك^(٢) فأخذ الراضى بالله أبا الحسين^(٣) الى أبى عبد الله البريدى فى تقلد الوزارة فامتنع منها ثم استجاب اليها وتقلد الوزارة وخلفه عبد الله بن علي النهري بالحضرة كما كان يخلف الفضل بن جعفر .

وكان بجكم قلد بالبا التركى أعمال المعاون بالانبار فكاتبه يلتمس منه أن يقاده أعمال طريق الفرات بأسرها ليكون فى وجه ابن رائق وهو بالشام فقلده ذلك فنفذ الى الرحبة وغلب عليها وكاتب ابن رائق وأقام له الدعوة

(١) راجع فيه ما قال أبو عمر السكندى فى كتاب الولاة ص ٢٨٧ (٢) زاد فيه صاحب تاريخ الاسلام أنه قال : نكتفى شره (٣) يعنى الفاضى عمر بن أبى عمر محمد

في أعمال طريق الفرات وعظم أمره بها واتصل خبره ببجكم
(ذكر سرعة تلافي بجكم أمر بالبا قبل أن يستفحل ^(١٧))
أنفذ ببجكم غلامه بوستكين وعدلا حاجبه وقطمة من جيشه نحو أربعماية
رجل فوصلوا الى الانبار وقت العصر من يومهم وساروا من سحر ليلتهم
الى هيت وأخذوا منها الادلاء فسلكوا طريق البرية ووصلوا الى الرحبة
في خمسة أيام فدخلوها من باين من أبواب الرحبة وجميع ذلك بوصية ببجكم
ورسمه فعلا بما رسم . فعرف بالبا الخبر وهو على طعامه فوثب الى سطح
وابستر عند بعض الحاكة وأخذ من عنده وانحدروا به الى الانبار . ثم
ادخله بندگان مشرراً على جمل عليه تفنق وهو مصلوب ثم خفي أمره فيقال
ان ببجكم سمه ^(١٨) .

ودخلت سنة ثمان وعشرين وثلثمائة
وفيه تزوج ببجكم سارة ^(٢) بنت الوزير أبي عبدالله أحمد بن محمد
البريدى بحضرة الراضى على صداق مائتى ألف درهم
واشتد أبو جعفر ابن شيرزاد في معاملة التناء وزاد في المساحة واحتج
عليهم بملو الاسعار ووفورها وطالبهم بالترييع والتسعيروا والساف وأظهر ظلمه
وفيه سار الامير أبو على الحسن بن بويه الى واسط وكان البريديون
بها فأقام الامير أبو على في الجانب الشرقي منها والبريديون في الجانب الغربي
﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كان أبو عبد الله أنفذ جيشاً الى السوس وقتل قائداً ^(١٨) من الديلم

(١) قال صاحب التكملة : وكان أحد قواد ببجكم ابراهيم بن أحمد أخو نصر بن أحمد
صاحب خراسان فقلده ببجكم الشرطة ببغداد (٢) وفي تاريخ الاسلام : شارة

واضطرب أبا جعفر الصيمري الى التحصن بقاعة السوس وكان متقلداً أعمال الخراج بها . وخاف أبو الحسين أحمد بن بويه ان يصير البريدي الى الاهواز من البصرة وكان أبو علي الحسن بن بويه أخوه مقيماً بباب اصطخر فكتب اليه أبو الحسين أخوه يستنجده فوافاه يطوى المنازل طياً في عشرة أيام . وكانت الضرورة دعت أبا الحسين أحمد بن بويه الى ان يخرج من السوس فلما وصل أخوه أبو علي الى السوس دخل أبو الحسين أحمد بن بويه الاهواز . وكان أصحاب وشمكير قد تغلبوا على أصبهان فسار الامير أبو علي الحسن بن بويه الى واسط طمعاً في ان يحصل له فاضطرب رجاله لانه ما كان أنفق فيهم منذ سنة واستأمن من أصحابه مائة رجل الى البريديين . وسار بحكم والراعي من بغداد لحربه فاشفق ان يقع التضافر عليه ويستأمن رجاله فانصرف الى الاهواز ومنها الى رامهرمز ثم سار الى أصبهان ففتحها واستأمن بضعة عشر قائداً من قواد وشمكير ورجع الراعي بالله وبحكم الى بغداد . وفيها خرج بحكم الى الجبل فلما بلغ قرميسين عاد الى بغداد ومعه مستأمنة الديلم .

ذكر السبب في خروج بحكم الى الجبال ورجوعه عنها وسبب

فساد الحال بينه وبين البريدي بعد الوصلة والصلاح (١)

لما صاهر بحكم البريدي وخلص ما بينهما كاتبه ان ينفذ الى الجبل لفتحها وان يخرج هو الى الاهواز لفتحها ودفع أبي الحسين أحمد بن بويه عنها وأنفذ اليه حاجبه عدلاً في خمسمائة رجل فجدد ليضمهم الى رجاله . قال أبو زكريا السوسي : وأخرجني معه لان أزعجه وأحثه على المسير مع الجيش كله اذ كان ابتداءهم بالسوس . (قال) فخصات بواسطة وأظهر البريدي عما وددت

وعدل الحاجب له حتى اذا حصل بجكم بجحان طمع البريدى فى المسير الى بغداد وأخذ الدفائن التى لبجكم فى داره والعود بها الى واسط وكانت عظيمة فما زال يتربص ويدافع ويقدم رجلا ويؤخر أخرى تارة تشره نفسه الى المال وتارة يهرب من مكاشفة بجكم ويتوقع مع ذلك دائرة على بجكم من قتل أو هزيمة فيتمكن مما يريد . وامتدت أيامنا حتى اقننا زيادة على شهر وكتب بجكم ترد علينا بان نعرفه ما علمناه فاذا أقرأناها البريدى قال : أنا سائر غير متلوّم . ثم يتراخى فقطنا لما فى نفسه وقلت لعدل سرّا : انفذ الى بجكم من يعرفه الخبر . فبادر اليه بركابى يشق به فلما وصل الى بجكم لم يلبث ان ركب الجمّازات ووافى مدينة السلام وخلف عسكره وراءه .

وسقطت الاطيار على البريدى بدخول بجكم بغداد^(٢٠) وانه لا يدري أهو منهزم أم مجتاز فابلس ودهش وتحير وهم بالقبض على وجذبنى الى البصرة وعمت انا على الاستنار خفت ان يثيرنى ويخرجنى لان واسط بلد صغير فكنت على ذلك أتردد اليه متجلداً . ثم دعانى وقت عصر بمدة غلمان فلم أشك فى انه للقبض على فوصلت اليه وقت المغرب وقد قام فدخل الى كلة له هربا من البق فقال لى : عرفت الخبر ؟ قلت : ماذا . فقال : سقط طائر قبل المصر بان بجكم قد سار الى واسط . فقلت : هذا باطل متى ورد بغداد ومتى خرج ؟ فقال : دَع هذا عنك فانى لا أشك فيه قم اخرج الساعة اليه وازل ما أوحشه منى وهات يدك . فناولته اياها وجعلها على أذنه وقال : خذنى الى النخاسين ولعني فانى لا أخالفك واكفني هذا الباب ولا تسألنى عما تعمل . فقبلت يده ورجله والارض بين يديه وقلت له : امضى أتأهب . فقبال : قد تأهبت لك وقدم لك طياراً وجرّدت

خمسين غلاماً لبذرقتك وانزل الى الطيار فقيه زاد يكفيك الى الحضرة
وغلمانك يتلاحقون بك . فلم أتمالكُ سروراً ثم خشيتُ ان يكون قد اغتالني
واني اخرج فيؤخذني الى البصرة ونهضتُ من عنده فأتاب الى عتلى الآ
بفهم الصلح^(٢١) فلما وصلتُ الى نهر سابس لقيني خادم من داري ببغداد برسالة
بجكم الى اني استتر وأسر بذلك الى . وسألني من معي من غلمان البريدي
عما ورد به الخادم فعرفتهم انه أخبرني بحال عيلة لي وانها مشفية وسرتُ
مبادرا . وأصبح البريدي نادماً على إنفاذه اياي ووجه خلفي من يطلبني لان
طائراً سقط عليه بما آيسه من صلاح بجكم له وأغرى بي في السكتاب فكفاني
الله . ووصلتُ الى دير العاقول وبها أحمد بن نصر القشوري فخرجت اليه
وأراد ان يأخذ الطيار ويوقع بالغلمان فلم أثركه ندوتُ للغمان وردتهم في
الطيار وجلستُ انا في طيار أحمد بن نصر ووافيت الزعفرانية ولقيت بها
بجكم وصعدتُ اليه خدمته بالحديث . واجتهدت في إصلاحه للبريدي ورده
الى بغداد فاني فقال : لو لقيني وأنا على درجة من داري لما تهيأ لي أن أعود
فانها تكون هزيمة فكيف وقد سرتُ ووصلتُ الى ههنا . وانحدرت معه
فقبض على أبي جعفر بن شيرزاد بواسط لانه كان سبب البريدي عنده
وهو الذي أشار بوصلته . وأظهر بجكم صرف أبي عبد الله البريدي عن
الوزارة وأزال اسمها عنه وأوقعه على أبي القاسم سامان بن الحسن فكان
اسم الوزارة عليه وخلع عليه خلع الوزارة والامور^(٢٢) يدبرها كاتب بجكم
وهو ابن شيرزاد الى أن قبض عليه . فكانت مدة وقوع اسم الوزارة على
أبي عبد الله البريدي سنة واحدة وأربعة أشهر وأربعة عشر يوماً .
وكان بجكم عند اخراج مضربه الى الزعفرانية متوجهاً الى البريدي

أحب أن يكتم خبر انحداره وكان انحداره في حديدي فضبط الطريق ومنع من نفوذ كتاب لا أحد لئلا يكتب بخبر انحداره .
﴿ ذكر اتفاق ظريف غريب ﴾

كان معه في الحديدي كاتب له على أمر داره وجرايات حاشيته وكان له أخ في خدمة البريدي . فلما جلس بحكم في الحديدي سقط على صدر الحديدي طائر فصاده غلمان بحكم وجاءوا به الى مولاهم فوجدوا على ذنبه كتاباً فقرأوا فإذا هو كتاب من كاتبه هذا الى أخيه بخطه يعرفه فيه انحدار بحكم ومن أنفذ على الظهر من الجيش وسائر أسرارهم وعزائمهم . فلما وقف عليه بحكم عجب واعتاظ وأحضر هذا الكتاب ورمى اليه بالكتاب فسقط في يده ولم يمكنه جعده لانه بخطه المعروف فاعترف به فامر به فرمى بالزويينات بحضرته الى أن قتله ورمى به في الماء وسار الى واسط فوجد البريدي قد انحدار منها ولم يقف .

وفي ذي الحجة من هذه السنة ورد الخبر بان ابن رائق أوقع بابي نصر ابن طنج أخيه الاخشيد فانهمز أصحاب أبي نصر ابن طنج واستؤسر وجوه قوادده وقتل أبو نصر ابن طنج^(٢٣) فاخذ ابن رائق وكفنه وحنطه وحمله في تابوت الى أخيه الاخشيد وأنفذ معه ابنه مزاحم بن محمد بن رائق وكتب الى الاخشيد معه كتاباً يعزّيه فيه بأخيه ويعتذر مما جري وانه ما أراد قتله وانه قد أنفذ اليه ابنه ليقبده به ان أحب ذلك . فتلقى الاخشيد فعله ذلك بالجميل وخلع على أبي الفتح مزاحم ورده الى أبيه واصطالحا على أن يفرج ابن رائق للاخشيد عن الرملة ويكون باقي الشام في يد ابن رائق ويحمل اليه الاخشيد عن الرملة مائة وأربعين ألف دينار .

وفيهما دخل أبو نصر محمد بن ينال الترجمان من الجبل منهزماً من الديلم
واتصل خبر هزيمته ببجكم وهو بواسط فوجه بمن ضربه في منزله بالمقارع
وقيده وحبسه مدة ثم رضى عنه ^(١)

﴿ ودخلت سنة تسع وعشرين وثلثمائة ﴾

وفيهما كان القبض من بجكم على كاتبه ابن شيرزاد واستكتب
أبا عبد الله الكوفي فكانت مدة كتابة ابن شيرزاد لبجكم وتديره الملك
وقيامه مقام الوزراء تسعة عشر شهراً وثلاثة عشر يوماً . وحين أراد القبض
عليه كاتب تكينيك خليفته على يد مسرع بأن يحض أبا القاسم الكوازي
وأصحاب الدواوين والعمال والمهندسين ويتقدم اليهم بأن يتوافقوا على أمر
المصالح بالسواد وأن يعملوا عملاً ^(٢٤) بما يحتاج اليه ناحية ناحية فاذا فرغ
منه تسلمه منهم وقبض على فلان وفلان (قوم أسماهم له من الكتاب) فاذا
حصلوا كتب على عدة أطيار بخبر حصولهم . فاحضروهم تكينيك وناظرهم
في دار بجكم على أمر المصالح فلما فرغوا من ذلك وأرادوا الانصراف اعتقل
من اسمى له منهم وفيهم أبو الحسن طازاذ بن عيسى ومحمد بن الحسن بن
شيرزاد والمعروف برهرمه وجماعة من الكتاب والعمال وكتب بخبر القبض
عليهم . فلما عرف خبرهم وحصولهم في القبض قبض حينئذ على أبي جعفر ابن
شيرزاد وزيره ^(٢)

(١) وزاد صاحب التكملة في ترجمة هذه السنة : وفي شعبان توفي قاضي القضاة أبو
الحسين فتوسط أبو عبد الله بن أبي موسى الهاشمي أمر ابنه أبي نصر على عشرين ألف
دينار حتى ولي مكانه وترجمة القاضي أبي الحسين عمر موجودة في إرشاد الأريب ٦ : ٥٦
* وفيها توفي أبو عبد الله القمي وزير لركن الدولة ونقل مكانه أبو الفضل ابن العميد
(٢) وأما قصة ابن شيرزاد في استناره لإرجاع كتاب الفرج بعد الشدة ٢ : ١٣٧ — ١٣١

ومما يستدل به على دهاء بجكم ما حكاه نابت عن أبي عبد الله السكوني قال : قال بجكم بعد قبضه على أبي جعفر ابن شيرزاد : كان يقال لي ان أبا جعفر موثر كثير المال وكنت أظن أن أعداءه يكثرون عليه فأردت أن أمتحن صحة ما يقال فيه فقلت له يوماً : قد أودعت الأرض مالا كثيرا وعمات على أن أودع الناس شيئا آخر ولست أثق بأحد تقى بك وأريد أن أودع عندك شيئا فهل تنشط لذلك ؟ فقال لي : وكم مبلغه ؟ فقلت : مائة ألف دينار . فقال لي مسرعاً « نعم » ولم يستكثرها ولا رأيت في وجهه اعظاما لها . فلما رأيت قوة قلبه ونشاطه للأمر وان المقدار لم يهله ولا عظم في نفسه علمت ان الذي قيل في يساره^(٢٥) وكثرة ماله حق . فسلمت اليه مائة ألف دينار وتركته مدة طويلة ثم قلت له : قد احتجت الى تلك الدنانير فينبغي ان تردها . فقال « نعم » وحمل بعد أيام جزءا منها ثم اقتضيته فحمل شيئا آخر ثم اقتضيته فحمل جزءا آخر فأظهرت غضبا وقلت له : دفعتم اليك جملة وتردها تغاريق ! فارتاع لغضبي وصياحى عليه ودهش فجل وقال : انا أصدق الامير ليس لي من أثق به في هذه الاحوال الا أختي وليس تطيق حمل الجميع ولا لها حيلة الا أن تحمله شيئا بعد شيء . فسكت وقلت « يجوز » وحضأت من كلاه ان الذي يجري على يده أمر ودائمه هو أخته فلما قبضت عليه وطالبته أخذ يتأتمن فوجهت اليه : لا تأتمن فان أختك قد وقعت في يدي . ولم تكن قد وقعت وانما أردت أن أربعه (قال) فأنحل وبلغ ما أردته وفيها في ليلة الجمعة للنصف من شهر ربيع الاول مات الراضى بالله^(١)

(١) قال صاحب كتاب العيون : وفي هذه السنة مات زيرك الخادم القاهري فاشتد حزن الراضى عابه وخرج من داره مستوحشا منها للفقد زيرك الى الشامية فأقام بدار

وكان قد انكشف القعر كله وكان موته بالاستسقاء الزقي واستتر كاتبه أبو الحسن سعيد بن عمرو بن سنجلا وانقضت أيامه . وكان رجلا أديبا شاعرا حسن البيان يحب محادثة الأدباء ومعاشرتهم ولا يفارق المجلساء وكان سمحا سخيا واسع النفس .^(٢٦) وطمع بجمعكم في جماعة من ندماؤه وظن أنه ينتفع مع عجمته بأدائهم فلما نظر لم يجد من يفهمه ما ينتفع به الا سنان بن ثابت فان سنانا كان ينادمه الراضى بالله قال سنان : دعاني بجمعكم ووصلني وأكرمني ثم قال لي : أريد أن أعتمد عليك في تدبيرى وأمور جسمى ومصالحى وفى أمر آخر هو أهم الى من أمر بدنى وهو أمر اخلاقى فقد وثقت بعقلك وفضلك وقد غمى غلبة الغضب والغيظ على وافرطها فى حتى أخرج الى ما أئدم عليه من ضرب وقتل فانا أسألك ان تشفق ما أعمله ثم تعالجنى مما تكرهه واذا عرفت لى عيبا لم تحتشم ان تذكره لى ثم ترشدنى الى علاجه ليزول عني . (قال) فقلت له : السمع والطاعة واسكن فى العاجل اسمع منى جملة علاج ما أنكرته من نفسك الى ان يجيئ التفصيل . اعلم أيها الأمير بأنك قد أصبحت وليس فوق يدك يد المخلوق وانه لا يتهيأ لاحد منعك مما تريد ولا ان يحول بينك وبين ما تهواه أى وقت اردته وانك متى أردت شيئا بلغته فى أى وقت شئت لا يفوتك منه شيء ثم اعلم ان الغيظ والغضب يحدث فى الانسان سكر أشد من سكر الشراب المسكر بكثير فكما ان الانسان يعمل فى وقت السكر من النبىذ

ريق مولى ابراهيم بن المهدي (وكان قد ملك هذه الدار بعد ريق اصطفى النصراني) وسب الراضى من دنان المطبوخ من عهد المعتمد فى دجلة أربعمائة دن حزنا على زيرك وكان يقول : مات مائة قاضى وصاحب رأي وخادم كافى . وكان قد أقطعه البستان المعروف بالشفيعي وأعطاه من المال والجوهر ما يتجاوز قدره فأمر ببيع جميع ذلك وان يتصدق بثمنه عن زيرك .

ما يندم عليه وما لا يعقل به ولا يذكره اذا صحا كذلك^(٢٧) يحدث في حال السكر من الغضب بل أشد فيجب كما يتسدىء بك الغضب وتحس بأنه قد ابتداء يغلبك ويسكرك وقبل ان يشتد ويقوى ويتفأقم ويخرج من يدك . فضع في نفسك ان تؤخر العقوبة على الذنوب وتتركها تغب ليلة واثقاً بان ما تريد ان تفعله في الوقت لا يفوتك عمله في غمد . وقد قيل « من لم يخف فوتاً حلم » فانك اذا فعلت ذلك وبت ليلتك وسكنت فلا بد لفورة الغضب من ان تبوخ وتسكن وتصحو من السكر الذي أحدثه لك الغضب وقد قيل ان أصبح ما يكون الرأى اذا استدبر الانسان ليلته واستقبل نهاره . فاذا صحت من سكرك فتأمل الامر الذي أغضبك فان كان مما يجوز فيه العفو ويكفى فيه العتاب والتهديد أو التوبيخ أو العزل فلا تتجاوز ذلك فان العفو أحسن بك وأقرب لك الى الله عز وجل وليس يظن بك المذنب ولا غيره العجز ولا تعذر القدرة . وان كان مما لا يحتمل العفو عاقبت حينئذ علي قدر الذنب ولم تتجاوز به الى ما يفتح ذكرك ويزيغ دينك ويمقت عليه نفسك . وانما يشتد هذا عليك عند تكلفه أوّل دفعة وثانية وثالثة ثم يصير عادة فيسهل لك ثم تستلذه اذا عملت فضيلة . فاستحسن ذلك بحكم^(٢٨) ووعده انه يفعله وما زال ينهيه على شيء شيء حتى صبحت أخلاقه وكف عن القتل والمقوبات الفايضة واستحل ما كان يشير به من استعمال العدل والانصاف ورفع الجور والظلم وعمل به حتى قال : قد تبينت ان العدل أربح للسلطان بكثير وانه يحصل له دنيا وآخرة وان مواد الظلم وان كثرت وتمجّلت سريمة النفاذ والفناء والاقطاع وهو مع ذلك كانه لا يبارك فيها وتحدث حوادث يتحرمها ثم يعود بخراب الدنيا وفساد

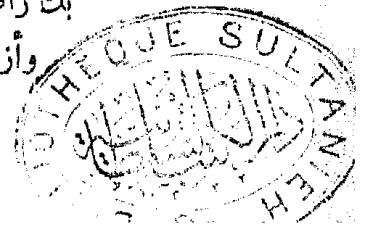
الآخرة^(١) فقلت له : وبالضد فان مواد العدل تنمي وتزيد وتدوم وتبارك فيها عند ابتداء العمل به . وعمل بواسط وقت المجاعة دار ضيافة وبيغداد

(١) وأما حال بحكم مع الرازي فقد قال أبو بكر الصولي في كتاب الاوراق في ترجمة سنة ٣٢٢ : وقال لنا الرازي بالله . كاني بالناس يقولون «أرضي هذا الخليفة بان يدبر أمره عبد تركي حتى يتحكم في المال ويتفرد بالسياسة» ولا يدرون ان هذا الامر أفسد مثلي وأدخلني فيه قومٌ بغير شهوتي فسأمت الي ساجية وحجرية يتسحبون عليّ ويجلسون في اليوم مرّات ويقصدونني ليلا ويريد كل واحد منهم ان أخضه دون صاحبه وان يكون له بيت مال وكنت أتوقى الدماء في تركي الجبل عليهم الي ان كفاني الله أمرهم . ثم دبر الامر ابن رائق فدبره أشد تسحبا في باب المال منهم وأنفرد بشربه ولهو ولو بلغه وبلغ الذين قبله ان علي فرسخ منهم فرسانا قد أخذوه وطالبوا بالاستحقاق وربما أخذوه ولم يبرحوا ويتعدي الواحد منهم أو من أصحابهم على بعض الرعية بل على أسباني وأمر فيه بامر فلا يمتثل ولا ينفذ ولا يستعمل . وأكثرت ما فيه ان يسلبني فيه كلب من كلابهم فلا أملك رده وان رددته غضبوا وتجمعوا وتسكعوا . فلما جاء هذا الغلام جاء من لا يقول لي « منعك » أو « أجاستك » كما كانوا يقولون بل اعتد انا عليه بالاصطناع ووجدته ان تعدى أحد من أصحابه لم يرض الا بقتله والمبالغة في عقوبته وان بلغه ان عدوا قد تحول في ناحية نهض اليه فسبق خبره من غير اعتساف لي بطلب مال ولا تلبث لوفاء استحقاق . فرضيت ضرورة به وكان أوفق لي وأحب اليّ ممن قبله وكان الاجود ان يكون الامر كله لي كما كان لمن مضى قبلي ولكن لم يحجر القضاء بهذا لي .

وكان دعي بحكم مرّات ما منها مرة الا وهو ينفق عليه في خلعه وما يحمله معه عشرين الف دينار وزيادة عليها من صواني ذهب وفضة وعنبر وند ومسك وكافور وبلور . وعلم ان عادته في داره وحشه الا يشرب الماء اذا جاؤه به يصب منه في اناء معه فيشربه ثم يناول له اياه . فكان يستعمل الرازي معه هذا اذا حمل اليه كوز وضع بين يدي الرازي أولا فأكل منه ثم وضع بين يدي بحكم وكذلك التبيذ وجميع ما يوضع بين يديه وكان يستغنيه من هذا فلا يعفيه . ولقد قبل في آخر دعوة دعاه فخذته ويده فضمه الرازي اليه واخرج من أصبعه خاتمين فوضعهما في أصبعه أحدهما يشبه الجبل في حمرة وكبره . فنظر ابن حمدون اليّ ونظرت اليه واغتممتا ان يكون الجبل في يد غيره فقطن لنا فلما انصرف بحكم قال لنا : قد رأيت نظركا وقت الخاتم واحسبكما ظننتما الجبل ليس به ولكنه أقرب فص في الدنيا شها به .

بپارستان وعدل في أهل واسط وأحسن الى أهلها الا أن مدته لم تطل
فقتل عن قرب . ولله تدبير في أرضه وله أمر هو بالغه

ولقد قال لي بحكم بعد موت الراضي وأنا معه بواسط وعلى رأسه من خدم الراضي
جماعة : ان هؤلاء حدثوني ان الراضي أراد ان يقبض علي في بعض دعواته أفكان
كذا ؟ فقلت له : الامير يعلم ان الراضي لا يرجي في هذا الوقت ولا يخاف وبالله ما استبنا
منه هذا في حال صحوه ولا سكره ولا جده ولا هزله وما كان الا محباً للامير مغتبطاً
به . ولقد كان يتصنع في مدح ابن رائق حين كرهه ويقرظه ويصفه فما كان يخفي علينا
ضميره فيه هذا من قبل ان يظهر لنا ما في نفسه عليه . فقال لي : صدقت والله وكذب
هؤلاء وما يدرهم كان الامر عندي كما قلت . ثم حدثته بما قد ذكرته من قول الراضي
« انا أعلم ان الناس يقولون » فضحك وقال : ما كان الا نهاية في عقله ودهائه وملقه
(يريد بحكم هذا وان لم يلفظ بهذا اللفظ) ولكنني أعجب عليه بانه كان شديد الجبن يؤثر
لذته وشهوته على رأيه . فعجبت والله من عقل بحكم جاء والله بعبيده اللذين ما كان فيه غيرهما
ثم حدثته انا كنا نقف على مكاتبته الامير سرّاً ليأذن له المصير الى بغداد ويشكو
اليه ما كان يجري عليه من ابن رائق فيكتب اليه « عليك بالوفاء لمن اصطنعك وأحسن
اليك » الى أن كتب اليه الامير « أعوذ بالله أن يكون مولاي يريد قتلي كما يريد ابن
رائق لانه أعطاني جيشاً بنال معدوم ثم لم يوفني استحقاقهم وهذا سعى على دمي » وانه
لما ورد عليه كتاب الامير بهذا كتب اليه « والله ما أحب أن يتأذى بشيء أقل جندك
واتباعك لموضعك عندي وما يستحقه شجاعتك ومناصحتك فكيف أحب ما ذكرته فيك
فاذا صار الامر الى هذا وجعلت وصيتي لك بالتمسك بالوفاء وحسن العهد سبباً لزوال
أمرك فما أحب هذا افعل ما يصلحك . فلما قرأ الامير هذا الكتاب قلت : ثم وقفنا في
وقت من الاوقات ان الامير اتهمه بأنه كاتب في أمره بعض من (لا) يصلح للمكاتبة في مثله
وان ذلك اتصل به فوجه الى الامير : قد علمت الحال التي كنت عليها لابن رائق في كراهتي
له في آخر أيامه وما أجرى عليه مما يستوجب به ازالة أمره ومكاتبتك لي فيه بما
كاتبته فان كنت مع تلك الحال أذنت لك في مكروهه أو تغير عليه مع تسخطي
وغضبي فاني سأكتب فيك علي بعد ما ينسكها وأنا في هذا الوقت مغتبط
بك راض بجميع فعلك وأمرك . فضحك بحكم وقال : كذا كان
وأزال هذا جميع ما قبل مما تهتمه وعلمت انه صادق فيه .



تصحیحات

صواب	خطا	سطر	صفحة
لتغیر	لتغیر	۲۰	۳
بزیدی	بزیدی	۱۸	۲۳
سنان	شیبان	۹	۲۹
قد	قد؟	۱	۳۰
النعمن	الغمر	۱۶	۳۲
الصلاة	الصلات	۲۰	
الدیلمی	الدیلمی	۱۶	۳۸
وثلثان	وثلثا	۱۹	۴۲
خیبر	خیبر	۱۸	۴۳
التحافة	التحافة	۱۱	۴۴
احمد بن مسرور	محمد بن سرور	۸	۴۶
المخنثون	المخشون	۱۶	۴۹
سليمان	بها سليمان	۹	۵۱
فافتح	فافتح	۷	۶۴
سلمت	سلمت	۱۱	
يقنع	يقع	۲	۶۷
يخرب	تخرب	۱۰	۷۰
يا امير	بامير	۱۴	
لاعزاز	لاغرار	۳	۷۲
بعد	بعد	۱۲	۸۱
بحدیده	بتحدیده	۱۰	۸۹
خاطف	وخاطف	۱۰	۹۰
على المقتدر	على ابن الفرات	۶	۹۲
اخته	اخيه	۱۴	
ادعى	ادع	۶	۹۴
بماله فافر	بماله	۱۱	۹۹
مجلس	بمجلس	۱۱	۱۰۱
لتسلم	ليسلم	۱۲	۱۰۲

صفحة	سطر	خطا	صواب
١٠٣	١٥	لما به	(سقطت كلمة)
١٠٥	٣	عن كل	بين كل
١٠٩	١٧	ابن هشام	ابن ابي هشام
	١٨	ضعتة	ضيعتة
١١٢	١	استجليك	استجليك
١١٥	١١	الى احد	لى احد
١١٦	٧	وان اقممت	(لعله) وان اجبت
١٢٣	٩	ابن الفرات	ابن ابي العزاقر
١٢٥	٣	يقدم	يتقدم
	٦	فى الممرات	فاسرع فى الممرات (او ما يشبه معناه)
١٢٧	٤	وبان	بان
١٢٩	١	عنده	عنه
	١٠	وسلنى	وسالنى
١٣٠	١٥	وطئت	وطنت
١٣١	٩١	فى	(لعله) فيه
	٢٠	المحسن فى البيت	(لعله) حنزاية خارج البيت
١٣٢	١	وادخلت	ودخلت
١٣٩	١٧	واوصله	واوصل
	١٩	واستدعى	واستدعى الى
١٤٢	١٩	ويوافقه	ويوافقه
١٤٣	١٩	ابراهيم	ابراهيم
١٤٤	١٦	وجاذفهم	وجاذفهم
١٤٧	١٩	فيكون	فتكون
١٤٨	٧	والاموال	(لعله) والاعمال
١٤٩	٢	الى الرى	الى واسط
	١٣	ويقدم	وتقدم
	١٦	قبض	قبض فيه
١٥٠	١٩	سنة خمسة عشرة	(امح هذه الكلمات)
١٥٤	١٩	ينفق	ينفق
	٢١	ثابت	الا انه ثابت
١٥٥	١١	غرت المملكة فصر	(لعله) غيرت المملكة بصر
١٥٧	١٧	وابن السلاسل	وابن ابي السلاسل
١٥٨	١٣	ابى السلاسل	ابن ابي السلاسل
١٦٩	٢	وبياغده	وبتلفه

صفحة	سطر	خطا	صواب
١٧١	٢٤	خلف : الاموال	خلف الاموال
	٢٥	سبيئة	سنية
	١٨	واهوون	واهوون
١٧٣	١٩	?	(امح العلامة)
١٧٤	٥	عزته	عدته
١٧٧	١٢	الحسينية	الحسنية
		به	بها
١٨٥	١	المجهزين	المجهزين
	٢	ليحمل	لتحمل
١٨٥	٢٥	الآخر	الاول
١٨٧	٩	دينار	درهم
	١٣	جنايات	جبايات
١٨٨	٢	وجميع	وجمع
١٩٠	١٧	وينتقصها	وينتقصها
١٩١	٢	لاغور	لاعدد
	١٧	تشكروها	وتشكروها
١٩٢	٥	ولم (مرتين)	(لعله) ولن
٢٠١	١٢	مجلب	مخلب
٢٠٣	٨	منهم	معهم
٢٠٤	٢٣	زقتا	وقتتا
٢٠٧	١٠	يتبرعوا	تبرعوا
	١٩	سحبهم	سحتهم
	٢١	:	(امح) :
٢٠٨	١١	الامر	لامر
	٢٤	وانفذه	وانفذه
٢١٠	٧	الحسن	ابا الحسين
٢١٥	١٥	للتاني	للتامن
٢١٧	٢٥	معه	عنه
٢٢٠	٦	تحمل	يحمل
٢٢٥	١٩	خليفة	خليفته
٢٢٩	٥	والزما	والزما
	٩	ويوفر	ويوفر
٢٣١	٩	وادخلا	وادخلا
	١٧	كثمت	كسبت

صفحة	سطر	خطا	صواب
٢٣٣٤	١٩	فانحدر	فانحدرا
٢٣٣٦	٢٠	بعضها	بعدها
٢٣٣٧	٢١	ورقع	ورفع
٢٣٣٩	٢٢	حمام	لحام
٢٣٤٠	٢٣	الف	الف الف
٢٣٤١	٢٤	دولة	ودولة
٢٣٤٢	٢٥	الف	وثمانين الف
٢٣٤٣	٢٦	لارتفاع	الارتفاع
٢٣٤٤	٢٧	استفصل	يستفصل
٢٣٤٥	٢٨	ابن ياقوت	ابن قرابة
٢٣٤٦	٢٩	يبعها	بيعها
٢٣٤٧	٣٠	تقليده	تقلده
٢٣٤٨	٣١	وهناك	وساله
٢٣٤٩	٣٢	جوفه	جوزة
٢٣٥٠	٣٣	يستقيم	يستقيم
٢٣٥١	٣٤	برفاعته	برفاعته
٢٣٥٢	٣٥	النفس	التعس
٢٣٥٣	٣٦	حمر ك	حرمك
٢٣٥٤	٣٧	ابنى	ايدى
٢٣٥٥	٣٨	ارقاد	ارقادا (ولعله سقط) لم اسرف
٢٣٥٦	٣٩	مروئى	مؤنى
٢٣٥٧	٤٠	اتصرف	انصرف
٢٣٥٨	٤١	اعزر	اعذر
٢٣٥٩	٤٢	ابنا	ابنى
٢٣٦٠	٤٣	وواقفهم	وواقفهم
٢٣٦١	٤٤	وضج	وضجر
٢٣٦٢	٤٥	بتردد	يتردد
٢٣٦٣	٤٦	كاتبوا	فكاتبوا
٢٣٦٤	٤٧	برشائه	برشانه
٢٣٦٥	٤٨ و ٤٩		(الصواب ٣٣٣ وتوزون)
٢٣٦٦	٤٩	لهما	لهم
٢٣٦٧	٥٠	بالكس	بالكيس
٢٣٦٨	٥١	حال	رجال
٢٣٦٩	٥٢	اييه	ايه

صواب	خطا	سطر	صفحة
الجهنى	الحفنى	٨	٢٦٨
يطلب	يطلب	١٠	٢٧١
ايديهما (مرتين)	ايديها	١٥	٢٧٣
اعتبنتى	اغنيتهنى	٥	٢٧٤
واخوة	واخوة	١	٢٧٥
وجمع	وجميع	٢	٢٧٦
يعرض	تعرض	١٠	٢٧٨
منه	منهم	٢	٢٧٩
بزينة	برتبة	١٧	٢٨٤
ينقد	ينفذ	٢٠	٢٨٧
دببى	دببى	٨	٢٨٩
(العله) الامامة	الخلافة	٧	٢٩٠
فسلمه	فسلمها		
بمن	ثم	٩	
رائق	ياقوت	١٣	٢٩٥
عمله	غيلة	١٥	
سببه	سيئه	٧	٢٩٦
وجهم	ووجهم	١٠	
(الثانية) يختار	يجتاز	١٦	٢٩٧
وحقق	وحنق	١٩	
الذى ووفق	ووقف	١٥	٣٠٠
ازهقه	ازهمه	٧	
امر على	على	١	٣٠١
العبارين	العيارين	١٨	
الحيل	الحيل	٦	٣٠٢
ووافقه	وواقفه	١١	
ابن ياقوت	ياقوت	١٢	
تقدم	يقدم	١٥	٣١٠
جزين	جرين	٢٠	
وعلى	على	٧	٣١١
يبرز	تبرز	٨	
وانخزال	وانخزال	٢	٣١٢
جزين	جرين	١٧	
فيركب	فركب	١	٣١٣

صفحة	سطر	خطا	صواب
٣١٥	٩	المتهمين	المتهمين
٣٢٠	٣	من كان	دواب من كان
	١٠	ابنه	ايه
	١١	ورد	ورد الخمر
	١٣	تطبروا	نفروا
٣٢٢	٣	تشرطهم	تشرطهم (اغاني ١٨ ٢١)
	١٨	اغراه	اغواه
٣٢٣	٢٤	عنده	عنده
٣٢٤	١١	الحسين	الحسن
٣٢٥	٥	الحسين	الحسن
٣٢٧	٢١	للبريديين	للبريديين
٣٢٨	١٩	يسلمه	يسلمه
		ابنه	ايه
٣٣٠	٧	يقاربهما	يقاربه
٣٣٣	٧	اشار	اشار على
٣٣٥	٤	حنقه	حنقه
	١٧	حازبا	جاربا
٣٣٧	٧	الرهق	الدهق
٣٤٩	٥	قوم	قوما
	١٢	النبل	النبل
	١٩	وردوا	ورد
٣٤٢	٤	الغرض	العرض
	١٢	سار	سارا
٣٤٣	٢٠	معقلا	معقلا
٣٤٤	١١	لى	معه لى
٣٤٩	٦	اعتذرت	اعتذرت
٣٥٠	١٥	تقضى	تقضى
	١٥	يحيى	الحسن
٣٥٥	٨	لا	لم
٣٥٩	١٠	الاشهار	الاشهاد
٣٦٠	١٧	لو	او
٣٦١	١٩	لنا	له
	٢٠	رايك	(زد) فيما خطبه اليك
٣٦٢	٦	على	على كل احد

صفحة	سطر	خطا	مواب
٣٦٣	٢	كفاية	كفايته
	٣	جملتهم	جملتك
	١١	ابن رائق	ابن مقاتل
		عشرة آلاف دينار	(زد) وحمل الى ابن رائق عشرين الف دينار بعد الثلاثين الف الدينار
٣٦٥	١٣	بهم	بكم
	١٥	للحسين	ابا الحسين
٣٦٨	١٣	اذا	ان
٣٧١	٤	بدل	بدر
٣٧٣	١٢	بين	بين
٧٣٤	٢٠	رائق	مقاتل
٣٧٥	١٦	تنازعه	تنازعه
٣٧٧	٧	واخوته	واخوته
		ازداد	ازدادوا
٣٨٠	١١	فصح	تصح
٣٨٢	١٦	قصبها	قصبته
٣٧٣	٢	حماله	جماله
٣٨٦	١٩	واقفه	واقفه
٣٨٧	١٥	كهيلة	كهيلة
	٢١	خرج	(لعله) رجع
٣٨٨	٢٣	يتهدد	يتهدد
٣٩٠	١١	بهذا	(لعله) قد اخبرناك
٣٩١	١٨	انهم	انهم
٣٩٤	٣	ومحي	عن
٣٩٨	١٢	خلف	خالف
٤٠٠	٦	فوجدوه	فوجدوا
	٩	متينا	متينة
	١٣	الشكري	الشكري
	١٦	كذلك	كذلك
٤٠١	١٠	باجمهم	باجمهم
٤٠٢	١٢	اخذهم	احدهم
	٢١	واشلاءهم	واسلابهم
٤٠٣	١	بهذا	هذا
	٧	المضائق	المضايق

صواب	خطا	سطر	صفحة
لتعرف	لعرف	٨	١٤٠٣
(لعله) الى	من	٢	١٤٠٤
مضايقة	مضائقة	١٤	١٤٠٥
وفرّج	وفرّج	١٢	١٤٠٦
(لعله) من مدينة السلام	عند بجكم	١	١٤٠٧
لبرة	لبدة	٣	
يسمعه	يسمعوا	١٨	
ملكة	راى ملكه	٢١	
وامر ناسا بالصيانة	وكتب الامانة	٩	١٤٠٨
(لعله) يطلب	بجواب	١٦	
الرضى بها وردت	بها وددت	٢١	١٥١١
عملناه	علمناه	٦	١٤١٢
جذبى	جذبنى	١١	
الاستنار	الاستنار	١٢	
وندوت	ندوت	١٠	١٤١٣
يحضر	يحض	٨	١٤١٥
افراطهما	افراطها	٩	١٤١٧
تتفق	تشفق	١٠	
صب	سب	١٩	
علمت به	عملت	١٥	١٥١٨
النفاد	النفاز	٢٠	
تتخرمها	يتخرمها	٢١	
تعود	يعود		
يبارك	تبارك	١	١٤١٩

PRINTED BY
FOX, JONES & CO.,
KEMP HALL PRESS,
OXFORD.

THE CONCLUDING PORTION OF
THE EXPERIENCES OF THE
NATIONS

BY
MISKAWAIHI,

*Office-holder at the Courts of the Buwaihîd Sultans,
Mu'izz al-daulah, Rukn al-daulah, and 'Adud al-daulah.*

ARABIC TEXT

EDITED BY H. F. AMEDROZ.

VOL. I.

REIGNS OF MUQTADIR, QAHIR AND RADî.

Oxford.

BASIL BLACKWELL, BROAD STREET.

LONDON: 4 STATIONERS' HALL COURT, E.C. 4
1920.

THE ECLIPSE OF THE 'ABBASID CALIPHATE

Original Chronicles of the Fourth Islamic Century

EDITED, TRANSLATED, AND ELUCIDATED

BY

H. F. AMEDROZ,

BARRISTER AT LAW,

AND

D. S. MARGOLIOUTH,

D.LITT., F.B.A.

VOL. I.

Oxford:

BASIL BLACKWELL, BROAD STREET
LONDON: 4 STATIONERS' HALL COURT, E.C. 4
1920.